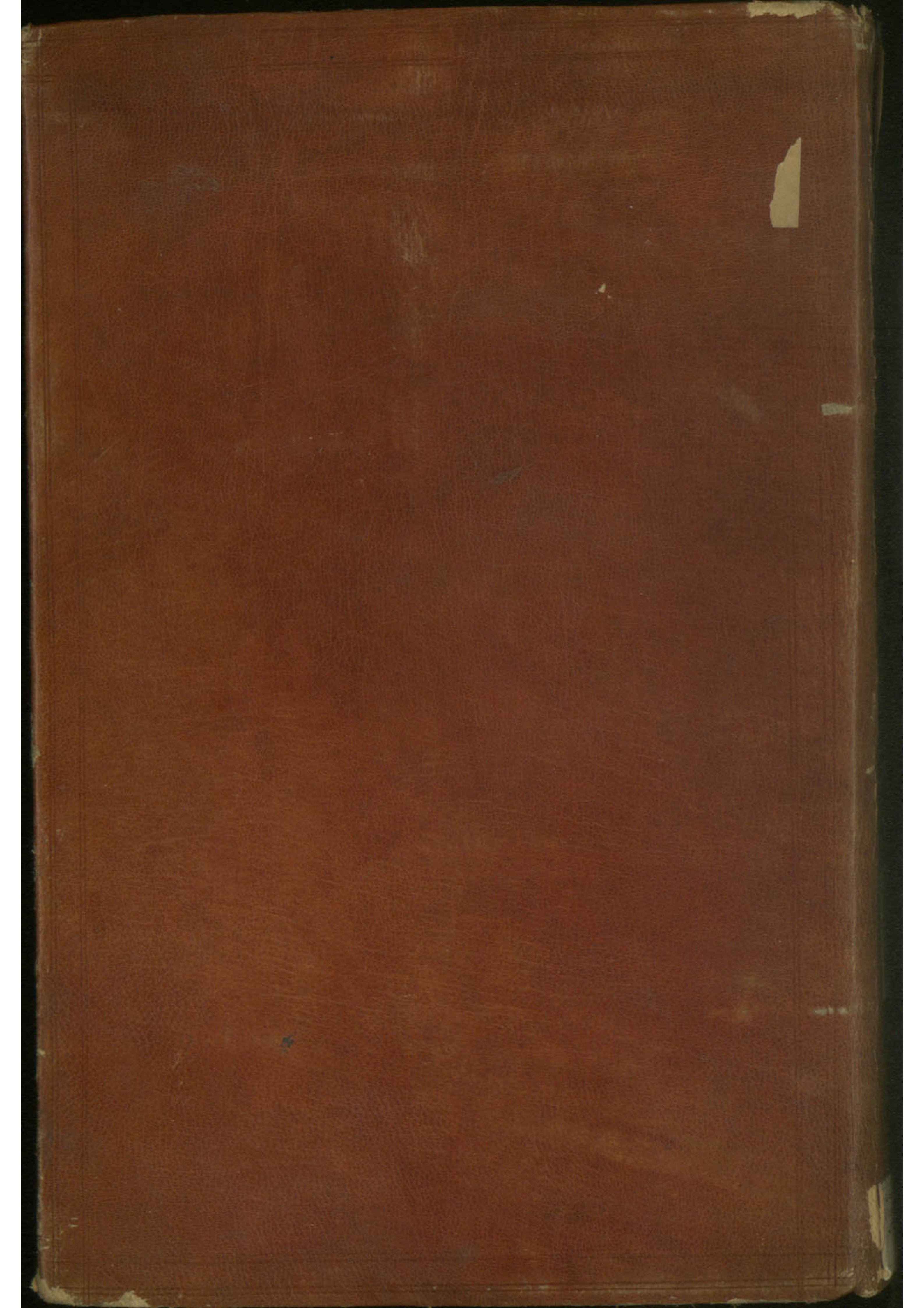
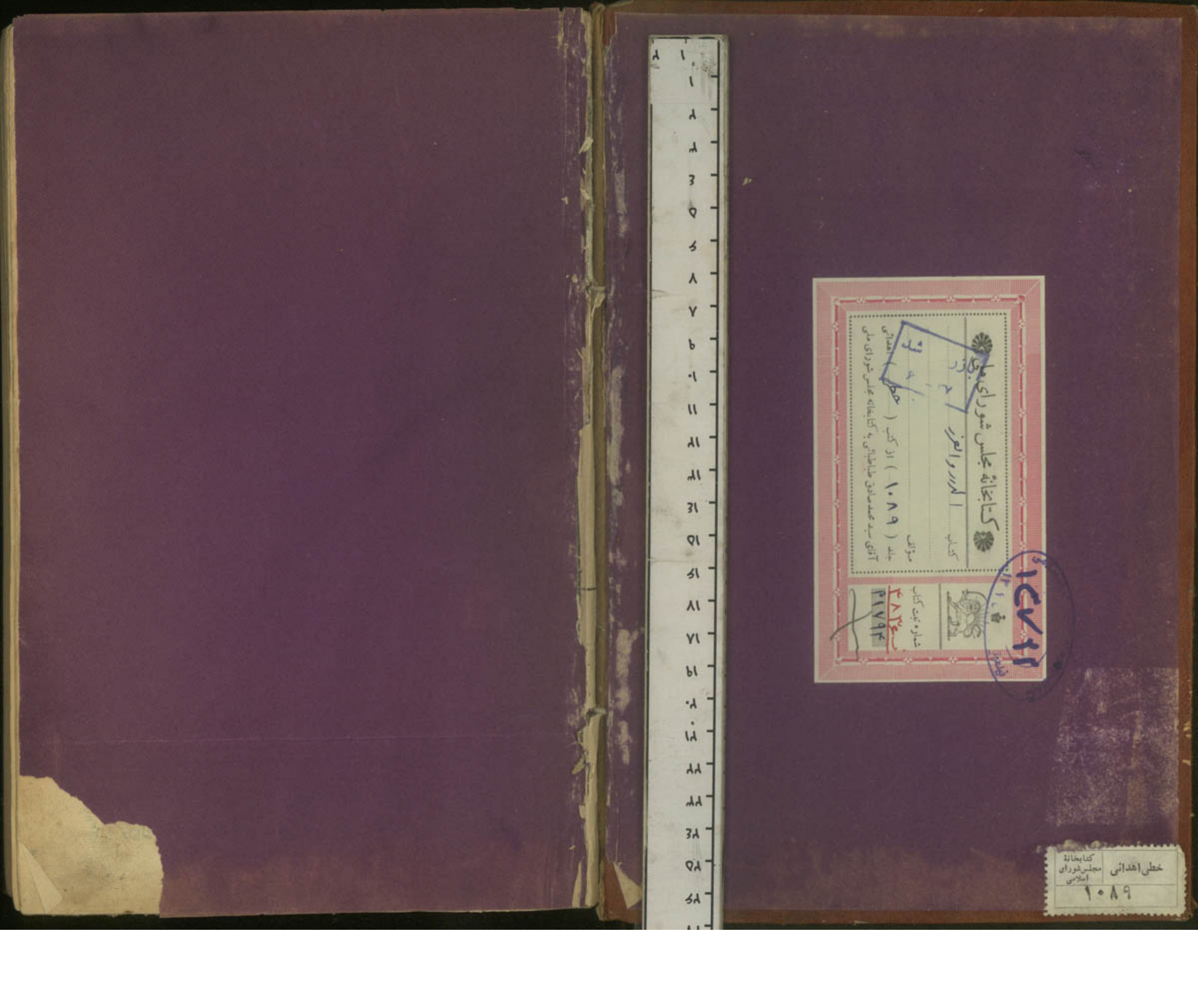
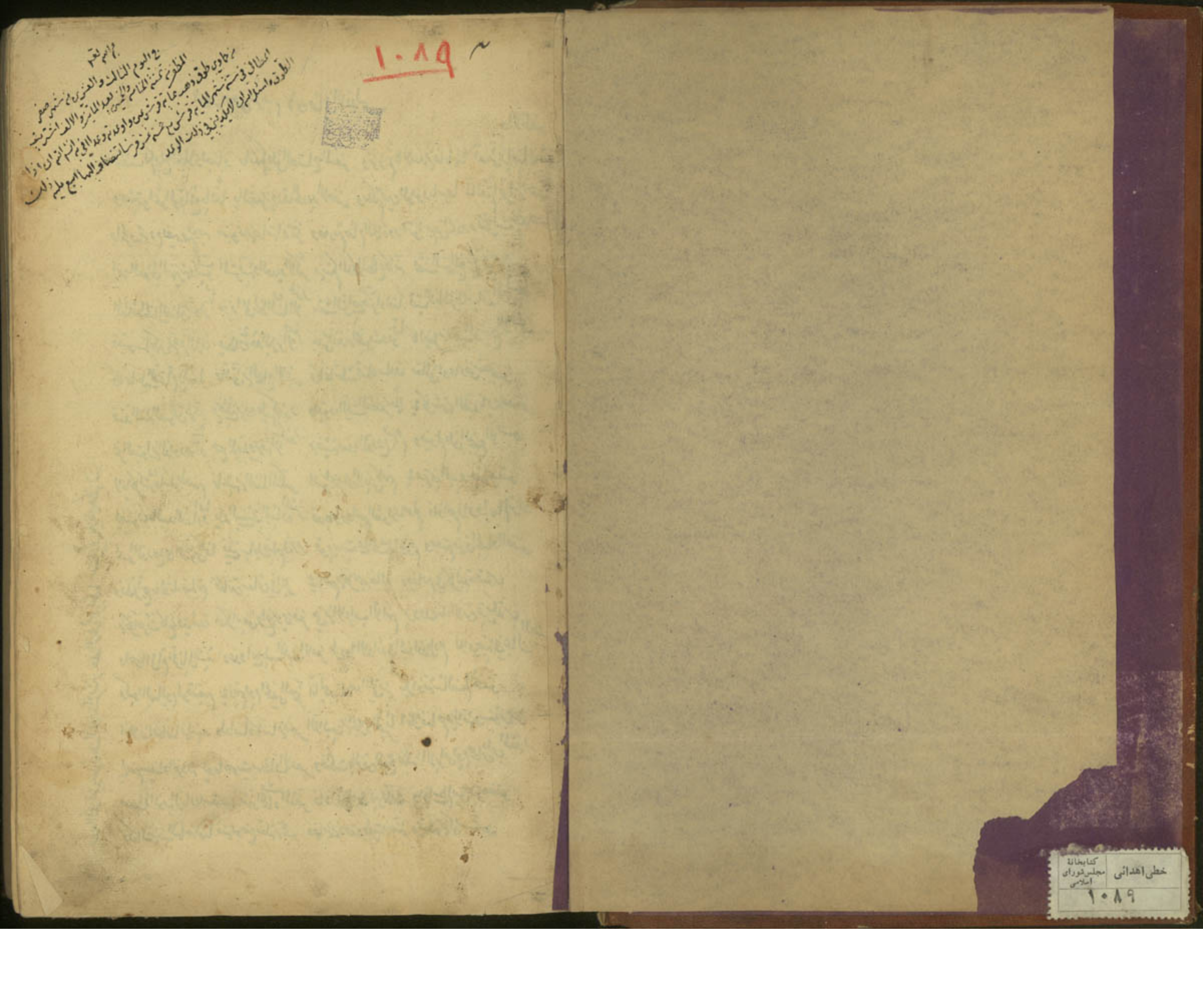
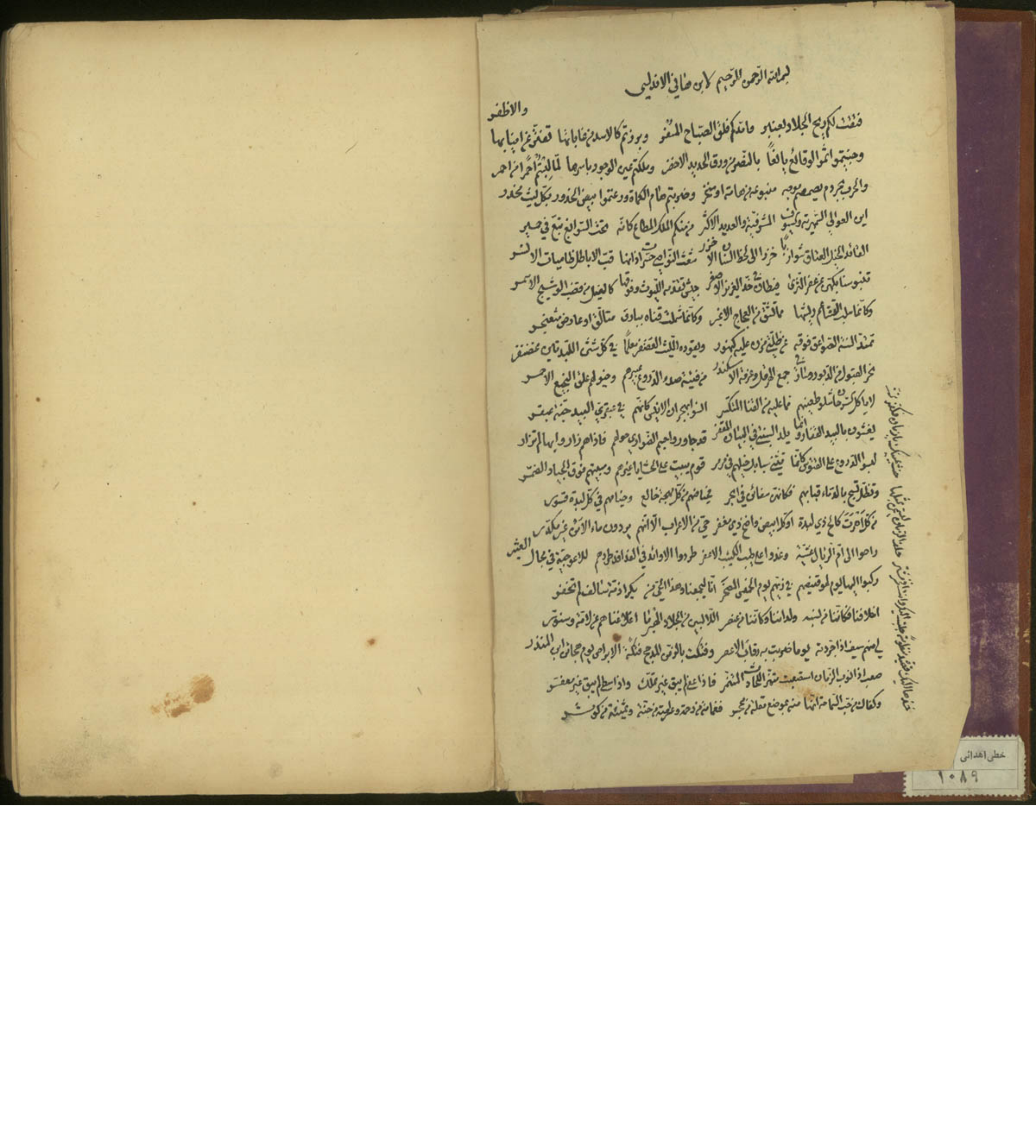







۱۰۸۹
کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
خطی اهدائی
۱۰۸۹



بسم الله الرحمن الرحيم لابن هانی الاندلسی

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر وامدكم فلق الصباح المسفر وبرزتم كالاسد من غاباتها تفتر عن انيابها والاظفر

وجنيتم ثمر الوقائع يانعا بالنصر من ورق الحديد الاخضر وملكتم عين الوجود باسرها لما لبستم احمرا من احمر

والحرب تجرد من قميص موجه منبوعة من هامة او منحر وضربتم هام الكماة ورعتموا بيض الخدور بكل ليث مخدر

ابنی العوالی السمهرية والسيو ف المشرفية والعديد الاكثر من منكم الملك المطاع كانه تحت السوابغ تبع في حمير

القائد الخيل العتاق شوازبا خزرا الى لحظ السنان الاخزر شعث النواصي حشرات آذانها قب الاياطل داميات الانسر

تنبو سنابكهن عن عفر الثرى فيطان في خد العزيز الاصعر جيش تقدمه الليوث وفوقها كالغيل من قصب الوشيج الاسمر

وكانما سلب القشاعم ريشها مما تشق من العجاج الاغبر وكانما سلكت قناه بارقا متالقا او عارضا متفجر

تمد السنة الصواعق فوقه من ظلة من دونه عليه كهنور ويقوده الليث الغضنفر معلما في كل شثن اللبدتين غضنفر

من الصوارم والدروع ومثار في جمع الرحمن وعرفة الاسكندر من فتية صدر الدروع نحورهم وحبولهم على الحجيع الاحور

ادبا كلكترها تسلو طعنهم مما عليهم من القنا المتكسر السابحات الابطال كانهم في عبقري البيد جنة عبقر

يغشون بالبيد القفار وانما يلد السنى في البيان المقفر قد جاوروا جم الفوارس حولهم فاذا هم زاروا بها لم تزار

لبسوا الدروع على القنوس كانما تغشى سابل ظلهم في فرز قوم يبيت على الحشايا نومهم وسيتهم فوق الجياد الضمر

وتظل تسبح بالدماء قبابهم فكانهن سفائن في ابحر فخيامهم من كل لبدة خالع وخيامهم في كل لبدة قسور

من كل اهرت كالح ذي لبدة او كل ابيض واضح ذي مغفر حي من الاعراب الا انهم يردون ماء الامن غير مكدر

واسوا الى ام الربال عشية وغدوا على طبب الكثيب الاعفر طردوا الاوابد في الغدو وطردهم للاعوجية في مجال العثير

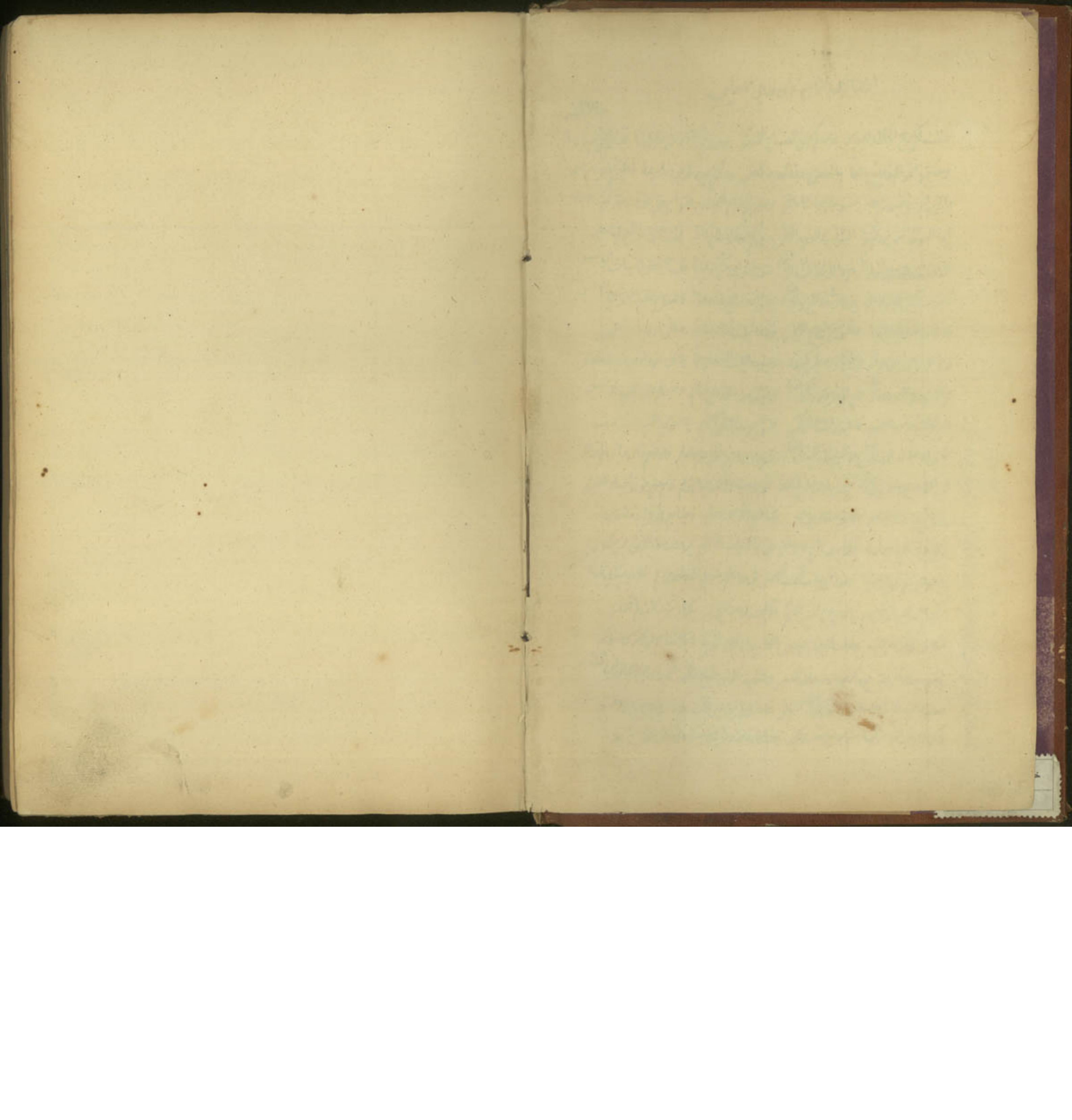
ركبوا الصباح لموقفهم في رتبتهم يوم الحفيظة الصحر انا لنجمعنا وهذا الحي من بكر ادم سالف لم يحضر

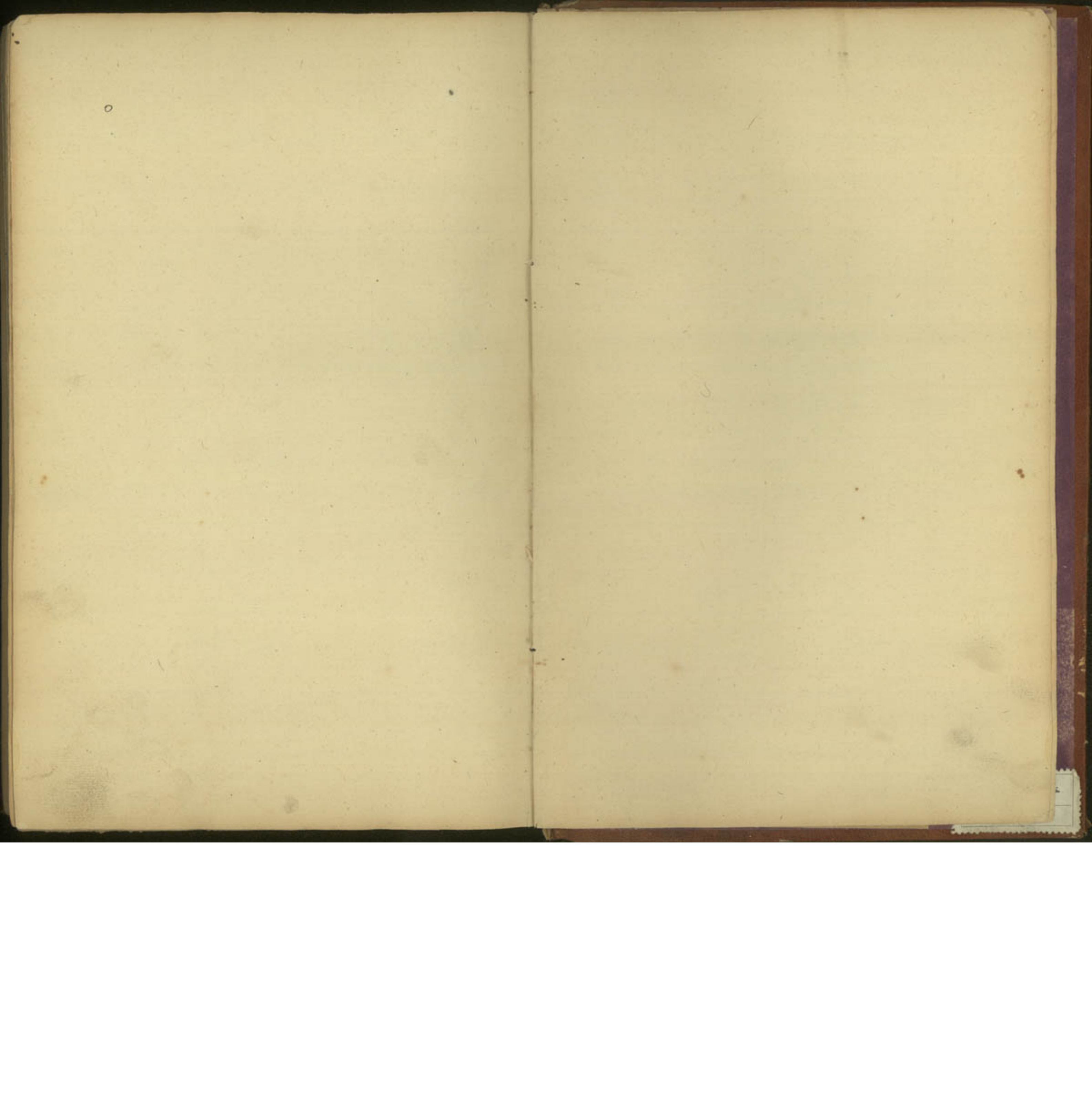
اخلاقنا فكاننا من نسبه ولدوا نسا وكاننا من عنصر اللابسين من الجلاد الحمر ما اعلاعنا هم عن امة وسنوتر

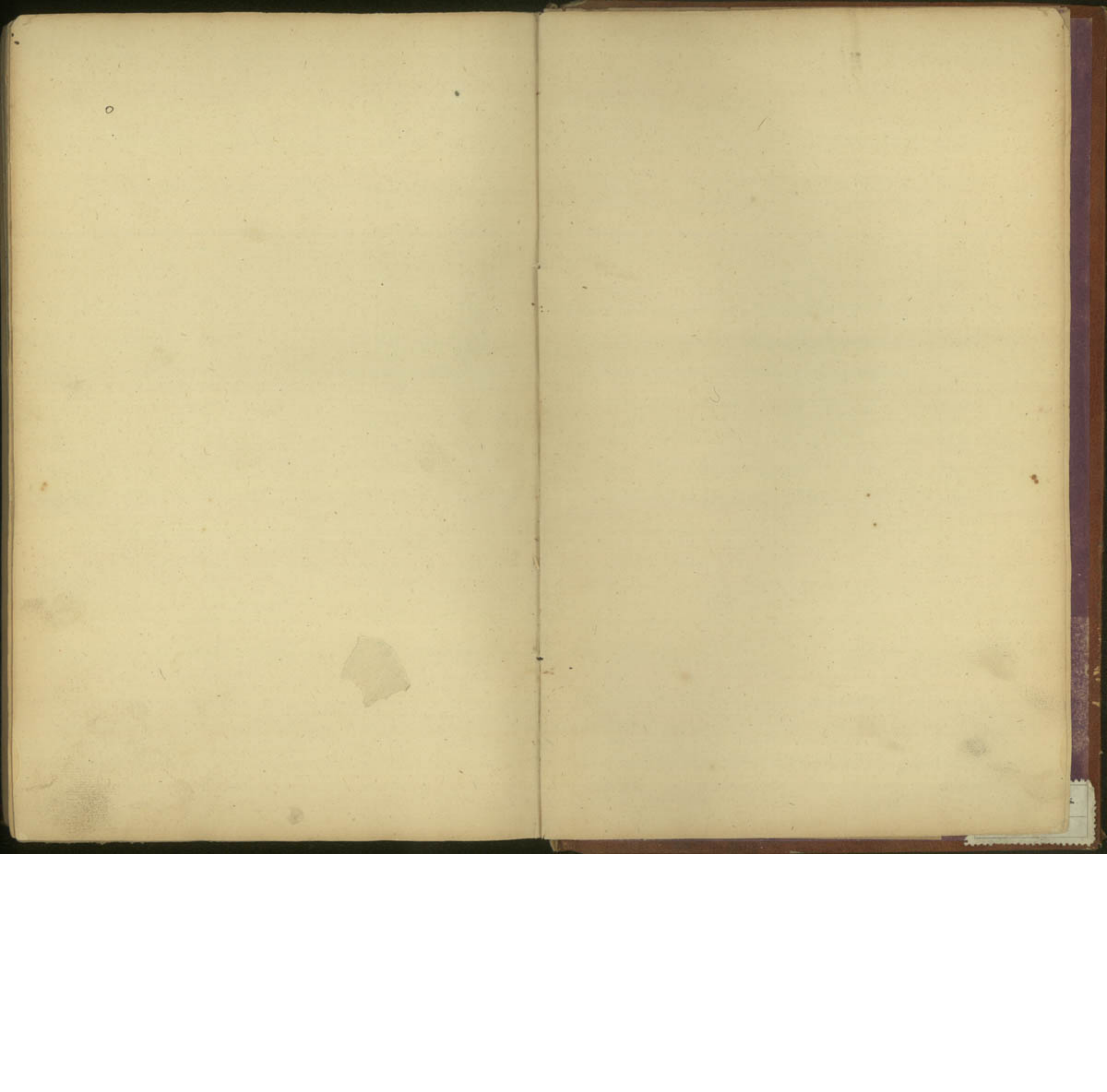
لي منهم سيف اذا جردته يوما ضربت به رقاب الاعصر وفتكت بالزمن المدجج فتكة الابراهي يوم هجان ابن المنذر

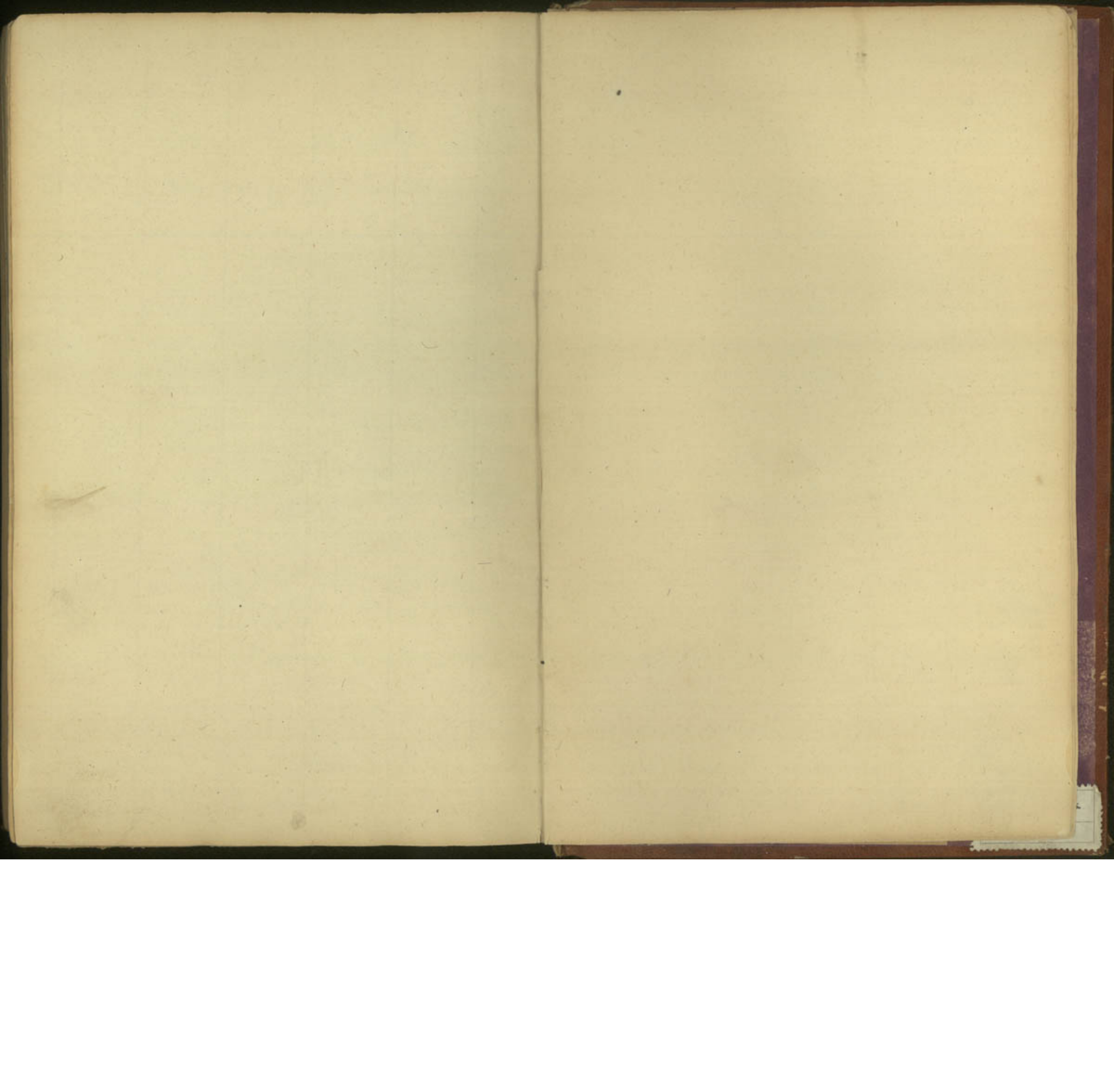
صعب اذا نوب الزمان استصعبت متنمر للحادثات المنكر فاذا غضبا لم يبق غير مملك واذا سطا لم يبق غير معفر

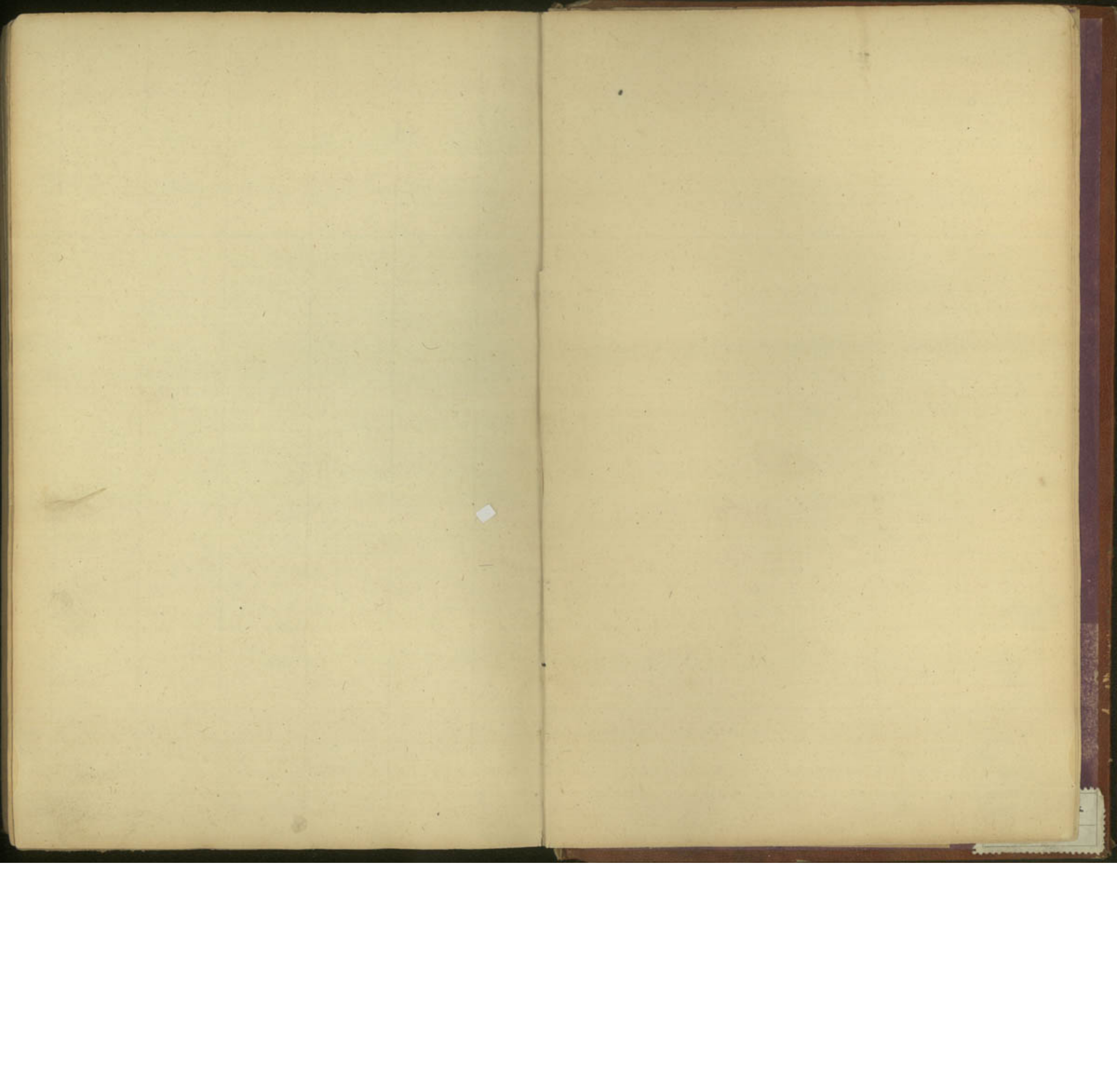
وكفاك من حب السماحة انها منه بموضع مقلة من محجر فغمامه من رحمة وعراصه من جنة ويمينه من كوثر

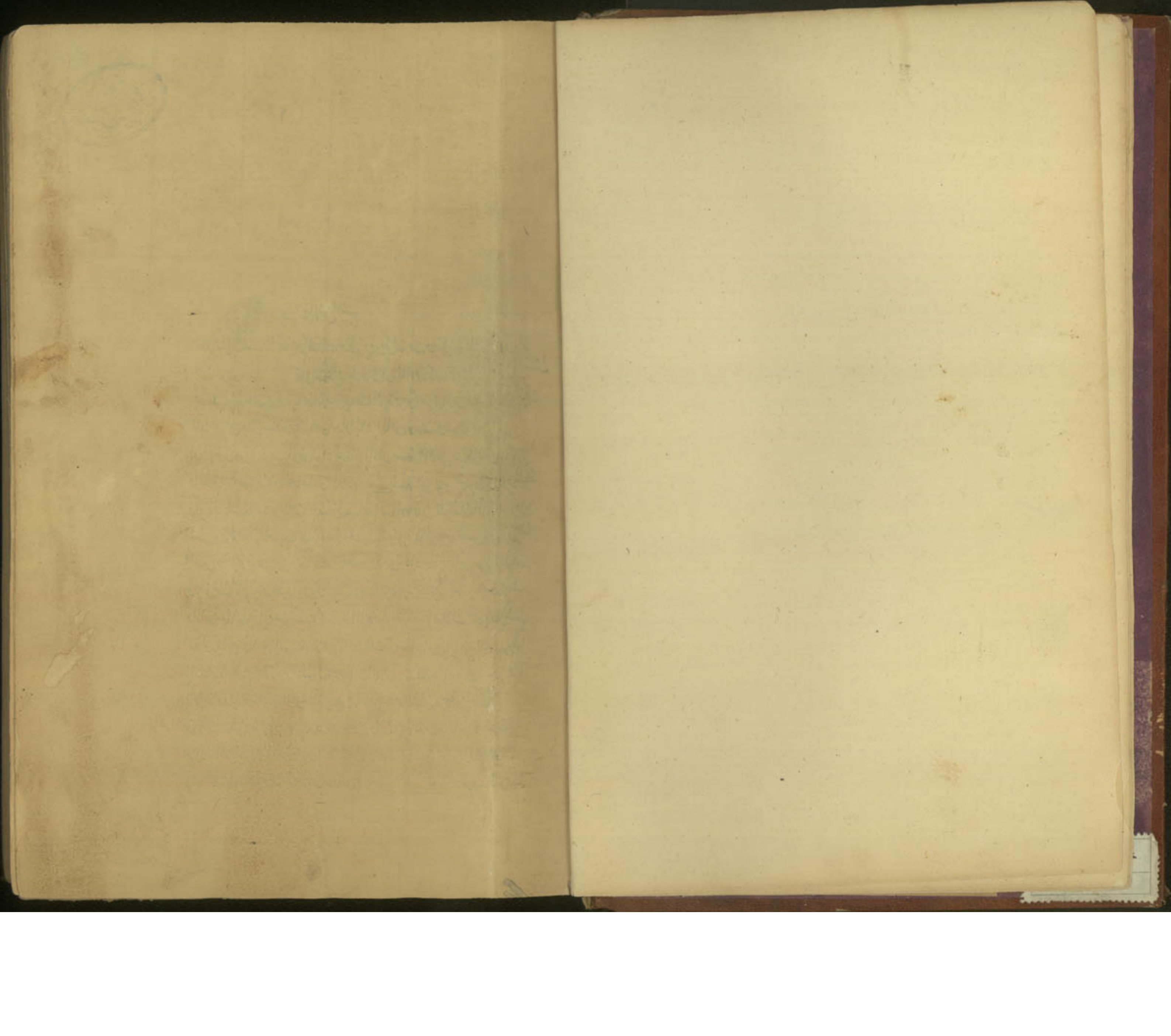


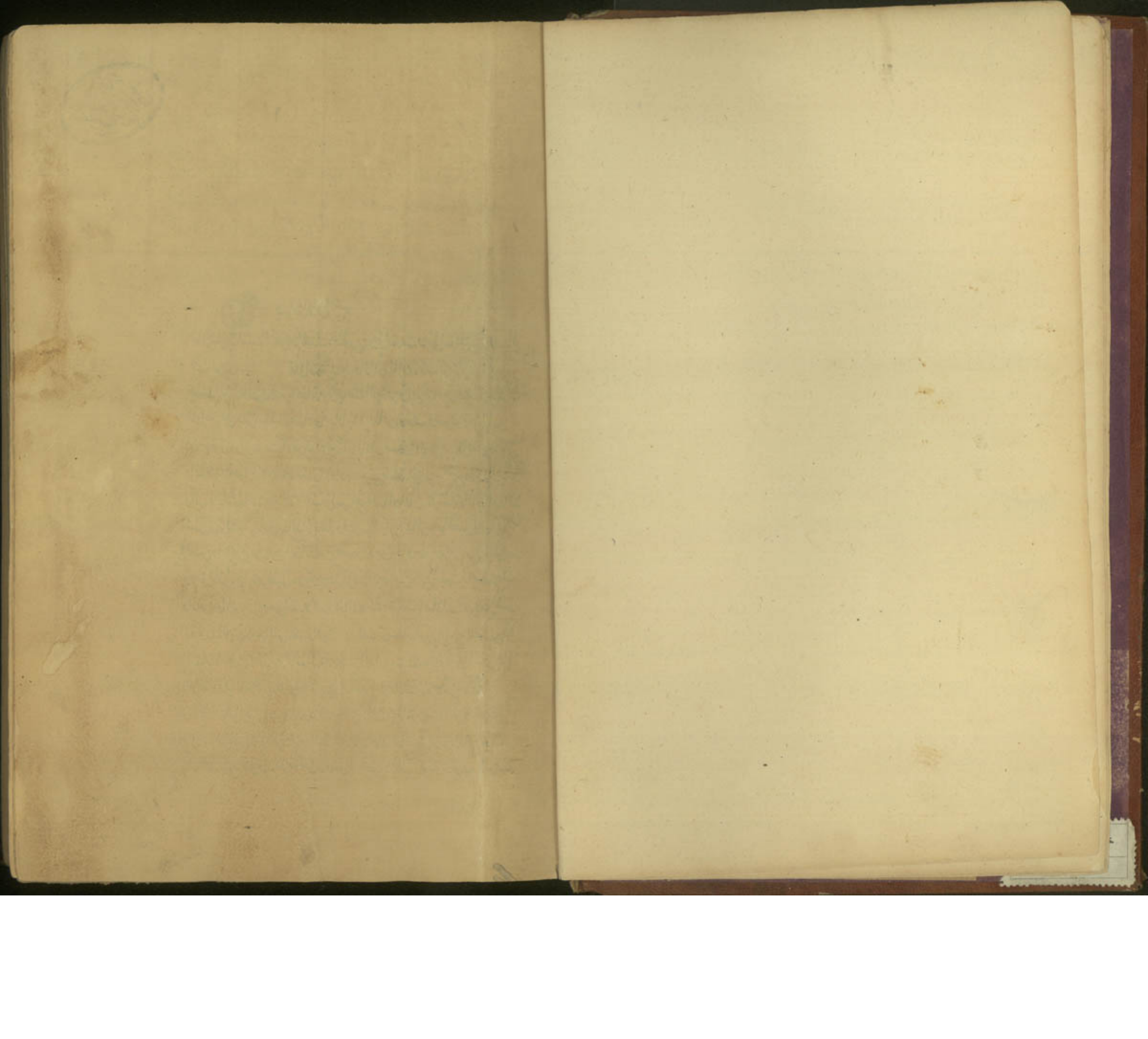












بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشريف السيد المرتضى علم الهدى ذو المجدين رضي الله عنه وصلى الله على سيدنا محمد وآله
الطاهرين قال الله عز وجل فاذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا
فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا في هذه الاية وجوه من التاويل كل منها يبطل الشبهة
الداخلة على بعض المبطلين فيها حتى عدلوا بتاويلها عن وجهه وصرفوه عن بابه
اولها ان الاهلاك قد يكون حسنا وقد يكون قبيحا فاذا كان مستحقا او على سبيل الامتحان كان حسنا
وانما يكون قبيحا اذا كان ظلما فتعلق الارادة لا يقتضي تعلقها على الوجه القبيح والاية لا تقتضي
ذلك فاذا علمنا بالادلة تنزه القديم تعالى عن القبائح علمنا ان الارادة لم تتعلق الا بالاهلاك
الحسن وقوله تعالى امرنا مترفيها المامور به محذوف وليس يجب ان يكون المامور به هو الفسق وان وقع بعده
الفسق وانما يجري هذا مجرى قول القائل امرته فعصى ودعوته فابى والمراد به اني امرته بالطاعة
ودعوته الى الاجابة والقبول ويمكن ان يقال على هذا الوجه ليس موضع الشبهة ما تكلمتم عليه
وانما موضعها ان يقال اي معنى لتقديم الارادة فاذا كانت متعلقة باهلاك مستحق بغير الفسق
المذكور في الاية فلا معنى لقوله تعالى اذا اردنا ان نهلك قرية لان امره بما يامر به لا يحسن ارادته
بالعقاب المستحق بما تقدم من الافعال وان كانت الارادة متعلقة بالاهلاك المستحق بمخالفة
الامر المذكور في الاية الذي يابونه لانه يقتضي انه تعالى مريد لاهلاك من لم يستحق العقاب
عن ذلك انه تعالى لم يعلق الارادة باهلاك مستحق بما تقدم من الذنوب والذي حسن قوله تعالى
اذا اردنا امرناهو ان في تكرار الامر بالطاعة والايمان اعذارا للعصاة وانذارا لهم وايجابا و
اثباتا للحجة عليهم حتى يكونوا متى خالفوا واقاموا على العصيان والطغيان وبعد تكرر الوعيد والوعظ

والانذار

والانذار ممن يحق عليه القول وتجب الحجة ويشهد بصحة هذا التاويل قوله تعالى قبل هذه الاية
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا في تاويلها وجه آخر وهو ان يكون قوله تعالى امرنا مترفيها
من صفة القرية وصلتها ولا يكون جوابا لقوله تعالى واذا اردنا ويكون تقدير الكلام واذا
اردنا ان نهلك قرية من صفتها انا امرنا مترفيها ففسقوا فيها ويكون اذا على هذا الجواب
لم يات لها جواب ظاهر في الاية للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه ونظير هذا
قوله تعالى في صفة الجنة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم
فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء
فنعم اجر العاملين ولم يات لاذا جواب في طول الكلام للاستغناء عنه ويشهد ايضا بصحة هذا
الجواب قول الهذلي حتى اذا اسلكوهم في قتائدة شلا كما تطرد الجمالة الشردا فحذف جواب
اذا ولم يات به لان هذا البيت هو آخر القصيدة ان يكون ذكر الارادة في الاية مجازا
واتساعا وتنبيها على المعلوم من حال القوم وعاقبة امرهم وانهم متى امروا فسقوا وخالفوا ويجري
ذكر الارادة ههنا مجرى قولهم اذا اراد التاجر ان يفتقر اتته النوائب من كل جهة وجاءه الخسران
من كل جانب وقولهم اذا اراد العليل ان يموت خلط في ماكله ومشربه وتسرع الى كل ما تتوق اليه نفسه ومعلوم
ان التاجر لم يرد في الحقيقة شيئا والعليل ايضا لكن لما كان المعلوم من حاله هذا الخسران ومن حال
ذاك الهلاك حسن هذا الكلام واستعمل ذكر الارادة لهذا الوجه مجازا وكلام العرب وحي
واشارات واستعارات ومجازات ولهذا الحال كان كلامهم في المرتبة العليا من الفصاحة فان الكلام متى
خلا من الاستعارة وجرى كله على الحقيقة كان بعيدا عن الفصاحة بريا من البلاغة وكلام الله
تعالى افصح الكلام ان تحمل الاية على التقديم والتاخير فيكون تلخيصها اذا امرنا
مترفي قرية بالطاعة فعصوا واستحقوا العقاب اردنا اهلاكهم والتقديم والتاخير في شعر كلام
العرب كثير ومما يمكن شاهدا بصحة هذا التاويل من القرآن قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم
الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق والطهارة انما تجب قبل القيام الى الصلاة وقوله
تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وقيام الطائفة معه يجب ان
يكون قبل اقامته للصلاة لان اقامتها هي الاتيان بجميعها على الكمال ولما قراه من قرا الاية

من قرء بالمد والتخفيف فقال آمرنا فلن نخرج معنى قراءتهما عن الوجوه التي ذكرناها
الى الوجه الاول فانه معناه لا يليق الا بان يكون ما تضمنته الاية هو الامر الذي يستدعي
به الى الفعل   خبر روي عن النبي صلعم انه قال من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله عز وجل
وهو اجذم قال ابو عبيد القسم بن سلام مفسرا لهذا الحديث في كتابه الغريب الحديث
الاجذم مقطوع اليد واستشهد بقول المتلمس   وما كنت الا مثل قاطع كفه   بكف له
اخرى فاصبح اجذما   وقد خطأ عبد الله بن مسلم بن قتيبة ابا عبيد في تاويله هذا
الخبر وقال الاجذم وان كان مقطوع اليد فان هذا المعنى لا يليق بهذا الموضع قال لان العقوبات
من الله تعالى لا تكون الا وفقا للذنوب وبحسبها واليد لا مدخل لها في نسيان القرآن
فكيف يعاقب فيها واستشهد بقوله تعم ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الربوا لا
يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وزعم ان تاويل الاية ان الربا اذا اكلوه
ثقل في بطونهم وربا في اجوافهم فجعل قيامهم مثل قيام من يتخبطه الشيطان تعثرا وتخبلا
واستشهد ايضا بما روي عن النبي صلعم من قوله رايت ليلة اسري بي قوما تقرض شفاههم
وكلما قرضت وفت فقلت يا جبرائيل من هؤلاء فقال جبرئيل هؤلاء خطباء امتك تقرض
شفاههم لانهم يقولون ما لا يفعلون قال والاجذم في الخبر انما هو المجذوم وانما جاز ان يسمي
المجذوم اجذم لان الجذام يقطع اعضاءه ويشذبها والجذم هو القطع   المرتضى دام علوه وقد
اخطأ الرجلان جميعا وذهبا عن الصواب ذهابا بعيدا وان كان غلط ابن قتيبة افحش واقبح
لانه علل غلطه فاخرجه الى اغاليط كثيرة ونحن نبين معنى الخبر ثم نتكلم على ما اورداه اما معنى
الخبر فهو ظاهر لمن كان له ادنى معرفة بمذاهب العرب في كلامهم وانما اراد عم الصلوة والسلم [illegible]
يحشر اجذم المبالغة في وصفه بالنقصان عن الكمال وفقد ما كان عليه بالقرآن من الزينة والجمال
والتشبيه له بالاجذم من حسن التشبيه وعجيبه لان اليد من الاعضاء الشريفة التي لا يتم كثير
من التصرف ولا يوصل الى كثير من المنافع والمرافق الا بها ففاقدها يفقد ما كان عليه من
الكمال وتفوته المنافع التي كان يجعل يده ذريعة الى نيلها وهذه حالة ناسي القرآن
ومضيعه بعد حفظه لانه يفقد ما كان لابسا له من الجمال ومستحقا له من الثواب وهذه

عادة

اجذم

عادة العرب في كلامهم معروفة يقولون فيمن فقد ناصره ومعينه فلان بعد فلان
وقد بقي بعده اجذم قال الفرزدق يرثي مالك بن مسمع   تضعضع طودا وائل بعد مالك
فاصبح منها معطس العز اجدعا   وانما اراد المعنى الذي ذكرناه وللعرب ملاحة
في كلامها واشارات الى الاغراض وتلويحات بالمعاني متى لم يفهمها ويسرع الى الفطنة
بها من تعاطى من تفسير كلامهم وتاويل خطبهم كان ظالما لنفسه متعديا طوره و
الى الكلام على ما ذكره الرجلان اما ابو عبيد فانه اخطاء من حيث لم يفطن للغرض في
الخبر وضل عن وجهه والا فالاجذم هو القطع لا محالة كما قال الا انه لا يليق بهذا الموضع
واذا حمل عليه لم يفد شيئا فان كانت شبهة التي اوقعته في هذا التاويل ظنه ان ذلك يكون
على سبيل العقوبة له على نسيان القرآن فليس كما ظن لان الجذم ليس بعقوبة لان الله تعم
قد يجذم اولياءه والصالحين من عباده ويقطع اعضاءهم بالامراض وقد يشد خلق من هو
ناقص الاعضاء فليس يلزم في الجذم ان يكون عقوبة ثم لو كان ناسي القرآن يستحق عقوبة
على نسيانه لكان حفظ القرآن باسره فرضا واجبا وحتما لازما لان لا يستحق ترك ما ليس بواجب
وليس حفظ جميع القرآن كذلك واما ابن قتيبة فانه غلط من حيث لم يفطن للوجه في الخبر
الذي ذكرناه ومن حيث انه ظن ان العقوبة لا تكون الا في محل الذنب وهذا القول يوجب عليه
ان لا يجلد ظهر الزاني وتختص العقوبة بفرجه وكذلك القاذف كان يجب ان يعاقب في لسانه
دون سائر اعضائه والخبر الذي استشهد به حجة عليه لانا نعلم ان اللسان اقوى حظا في
باب الكلام من الشفة فلم لا يختص بالعقوبة وحلت بالشفاه دونه ثم غلط في تاويل الاية التي
اورده اقبح من كل ما تقدم لانه توهم انما تضمنته الاية من تخبط اكل الربا وتعثره عند القيام
انما هو في الدنيا من حيث يثقل ما اكله في معدته فيمنعه من النهوض ونحن نعلم ضرورة خلاف
ذلك ونجد كثيرا من اكل الربا اخف نهوضا واسرع قياما وتصرفا من غيره ممن لم ياكل الربوا قط
والمعنى في الاية هو ما ذكره المفسرون من ان ما وصفهم الله به يكون عند قيامهم من قبورهم فيلحقهم
العثار والزلل والتخبط على سبيل العقوبة لهم وليكون ذلك ايضا امارة لمن يعاينهم من اهل الحشر
والخزنة على الفرق بين الولي والعدو ومستحق الجنة ومستحق النار وليس بمعروف ولا ظاهر ان

الاجذم هو المجذوم وذكر ابن قتيبة معناه واشتقاقه الى الجذم الذي هو القطع فوجب عليه
ان يكون كل ذا يقطع الجسد ويفرق اوصاله كالجدري والاكلة وغيرهما يسمى جذاما ويسمى
من كان عليه اجذم وهذا باطل اما قول الشاعر حرقتيس على البلاد حتى اذا اضطربت
جذاما فليس هو من هذا الباب بل هو من الاجذام الذي هو الاسراع فكانه قال لما اضطربت
اسرع عني وتباعد مني والاجذام بالذال المعجمة والدال غير المعجمة جميعا الاسراع فاما قول
عنترة في وصف الذباب هزجا يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الاجذم
فهو من هذا الباب لان الاجذم المكب لا من صفة الزناد فكانه قال قدح المكب الاجذم على الزناد
وهذا من جنس التشبيه وواقعة مسئلة كان بعض المشايخ المتقدمين يقول ليس يمتنع ان يكون
يمكن الله من الظلم من يعلم من حاله انه يرد القيمة غير مستحق لشيء من الاعواض او لما يوازي
القدر المستحق عليه منها فاذا اراد الانتصاف منه تفضل عليه بما ينقله الى مستحق العوض
ويقول هذا ليس ببعيد ولا مستحيل لان العوض ليس يختص بصفة تمنع من التفضل عليه
ولا يجري في ذلك مجرى الثواب والمستقر من مذاهب الشيوخ وهو الصحيح ان الانتصاف لا
يجوز ان يكون موقوفا على ما يتفضل به لان الانتصاف واجب على الله تبارك وتعالى من حيث
خلى بين عباده وبين الظلم فلا يجوز ان يتعلق الا بامر واجب والتفضل لفاعله الا يفعله
فيؤول الحال الى تعذر الانتصاف وقالوا من يعلم الله انه يرد القيمة ولا اعواض له يمنعه من الظلم
ولا يمكنه منه لهذه العلة ويجيزون ان يمكن من الظلم من يكون في الحال غير مستحق للعوض وغير
مستحق للقدر الذي يوازي الظلم من العوض بعد ان يكون المعلوم من حاله انه يرد القيمة وقد
استحق من الاعواض بمقدار ما عليه منها وهذا القول يعني تجويز تمكين الظالم
من الظلم وهو في الحال غير مستحق للعوض يبطل بالعلة التي ابطلنا بها قول من اجاز الانتصاف بالتفضيل
لانا نعلم ان تبقية المكلف وغير المكلف لا يجب وللقديم تعالى ان لا يفعلها فلو لم يفعلها
واخترم هذا الظالم بعد حال ظلمه لكان الانتصاف منه غير ممكن وقد تعلق الانتصاف
على هذا القول بما ليس بواجب كما علقه من قدمنا حكاية قوله بما ليس بواجب وليس لهم
ان يقولوا ذلك حسن لان الله عز وجل يعلم انه يبقيه فيستحق اعواضا لان عليهم مثل ذلك

اذا قيل لهم فاجيزوا ايضا ان يرد القيمة وهو لا يستحق العوض ويعلم تعالى انه تفضل عليه
بما يقع عليه به الانتصاف فاذا قالوا علم الله تعالى بانه يتفضل لا يخرج التفضل من ان يكون
غير واجب قيل لهم وعلم الله تعالى بانه يبقي لا عوض له ليستحق العوض لا يخرج التبقية من ان
تكون غير واجبة فاستوى الامران والصحيح ان نقول انه تعالى لا يمكن من الظلم الا من له عوض
في الحال ليستقيم الكلام ويطرد قال الله تبارك وتعالى ويسئلونك
عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد ظن قوم من غفلة
الملحدين وجهالهم ان الجواب عما سئل عنه في هذه الاية لم يحصل وان الامتناع منه انما
هو لفقد العلم به وان قوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا تبكيت وتقريع لهم لتقصيرهم
وانما هما على سبيل المدافعة والمحاجزة عن الجواب وفي هذه الاية وجوه من التاويل تبطل
ما ظنوه انه تعالى انما عدل عن جوابهم لعلمه بان ذلك ادعى لهم الى الصلاح في
الدين وان الجواب لو صدر منه اليهم لازدادوا فسادا او عنادا وكانوا ابعد الى ... لا متعنتين
مستفيدين وليس هذا بمنكر فانا قد نعلم في كثير من الاحوال فيمن يسأل الناس عن الشيء ان العدول
عن جوابه اولى واصلح في تدبيره وقيل ان اليهود قالت لكفار قريش سلوا محمدا عن الروح
فان اجابكم فليس بنبي وان لم يجبكم فهو نبي فانا نجد في كتبنا ذلك فامره الله بالعدول
عن ذلك ليكون علما له ودليلا على صدقه وتكذيبا لليهود الرادين عليه وهذا جواب ابي علي محمد
بن عبد الوهاب الجبائي رحمه الله ان القوم لما سألوه عن الروح هل هي محدثة او مخلوقة ام
ليست كذلك فاجابهم بانها من امر ربي وهو جوابهم عما سألوا عنه بعينه لانه لا فرق بين ان
يقول في الجواب انها محدثة مخلوقة وبين قوله انها من امر ربي لانه انما اراد انها من فعله وخلقه
وسواء على هذا الجواب ان تكون الروح التي سألوا عنها هي التي بها قوام الجسد ام عيسى عليه السلام او جبريل
فقد سمى الله تعالى جبريل عليه السلام روحا وعيسى عليه السلام روحا فمضى بذلك في القران انهم سألوه عن
الروح الذي هو القران فقد سمى الله تعالى القران روحا في مواضع من الكتاب واذا كان السؤال
عن القران فقد وقع الجواب موقعه لانه قال الروح الذي هو القران من امر ربي وما انزله
على نبيه صلى الله عليه وسلم ليجعله دلالة له وعلما على صدقه وليس من فعل المخلوقين ولا مما يدخل في امكانهم

وهذا جواب الحسن البصري ومما يقوي قوله تعالى بعد هذه الاية ولو شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم لا تجد به علينا وكيلا فكانه تعالى قال ان القران من امري وفعلي ومما انزلته على نبوة رسولي ولو شئت لرفعته وازلته وتصرفت فيه كما يتصرف الفاعل في فعله قال ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني في قوله تعالى والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون قال انما خص الموزون دون المكيل بالذكر لوجهين احدهما ان غاية المكيل تنتهي الى الوزن لان سائر المكيلات اذا صارت طعاما دخلت في باب الوزن وخرجت من باب الكيل فكان الوزن اعم من الكيل والوجه الاخر ان في الوزن معنى المكيل لان الوزن هو طلب مساواة الشيء بالشيء ومقايسته اليه وتعديله به وهذا المعنى ثابت في الكيل وخص الوزن بالذكر لاشتماله على معنى الكيل هذا ما ذكره ابو مسلم رحمه الله ووجه الاية وما يشهد له ظاهر لفظها غير ما سلكه ابو مسلم واذا اراد تعالى بالموزون المقدور الواقع بحسب الحاجة فلا يكون ناقصا عنها ولا زائدا عليها زيادة مضرة او داخلة في باب العبث ونظائر ذلك من كلامهم قولهم كلام فلان موزون وافعاله مقدرة موزونة وانما يراد ما اشرنا اليه وعلى هذا المعنى تاول المفسرون ذكر الموازين في القران على احدى التاويل وانها التعديل والمساواة بين الثواب والعقاب وقال الشاعر

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

والهراء الكثير والنزر القليل فكانه قال ان حديثها لا يقل عن الحاجة ولا يزيد عليها وهذا يجري مجرى ان يقول هو موزون وقال مالك بن اسماء بن خارجة الفزاري

وحديث الذه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا
منطق صائب وتلحن احيانا وخير الحديث ما كان لحنا

وهذا الوجه الذي ذكرناه اشبه بمراد الله تعالى في الاية واليق بفصاحة القران وبلاغته المتبين على سائر الفصحاء وبلاغتهم فاما قول الشاعر الذي استشهدنا بشعره وتلحن احيانا فلم يرد اللحن في الاعراب الذي هو ضد الصواب وانما اراد به الكناية عن الشيء والتعريض بذكره والعدول عن الافصاح عنه على معنى قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول وقول الشاعر

ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا ولحنت لحنا ليس بالمرتاب

وقد قيل ان اللحن الذي عنا

علمام

به في البيت هو الفطنة وسرعة الفهم على معنى ما روي عن النبي صلعم لعل احدكم ان يكون الحن بحجته اي افطن لها واغوص عليها ويشهد بما ذكرناه ما اخبرنا به ابو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال حدثنا احمد بن عبد الله العسكري قال حدثنا العنزي قال حدثنا علي بن اسمعيل اليزيدي قال اخبرنا اسحق بن ابرهيم قال تكلمت هند بنت اسماء بن خارجة فلحنت وهي عند الحجاج فقال لها اتلحنين وانت شريفة وفي بيت قيس قالت اما سمعت قول اخي مالك لامراته الانصارية قال وما هو قالت قال منطق صائب وتلحن احيانا وخير الحديث ما كان لحنا فقال الحجاج انما عنى اخوك اللحن في القول اذا كنى المحدث عما يريد ولم يعن اللحن في العربية فاصلحي لسانك وقد غلط عمرو بن بحر الجاحظ مثل هذا بعينه وقال ان اللحن مستحسن في النساء الغرائر وليس بمستحسن منهن كل الصواب والتشبه بفحول الرجال واستشهد بابيات مالك بعينها فظن انه اراد باللحن ما يخالف الصواب وتبعه على هذا الغلط عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري فذكر في كتابه المعروف بعيون الاخبار ابيات الفزاري واعتذر بها من لحن ان اصيب في كتابه واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني يحيى بن علي المنجم قال حدثني ابي قال قلت للجاحظ مثلك في عقلك وعلمك بالادب ينشد قول الفزاري ويفسر على انه اراد اللحن في الاعراب وانما اراد وصفها بالظرف والفطنة وانها تورّي عما قصدت له وتتنكب التصريح به فقال له قد فطنت لذلك بعد ما قلت فغيره من كتابك قال فكيف لي بما سارت به الركبان قال الصولي فهو في كتابه على خطائه قال المرتضى دام علوه ومن حسن اللحن الذي هو التعريض والكناية ما اخبرنا به ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد الازدي قال ان رجلا من بني العنبر حصل اسيرا في بكر بن وائل فسالهم رسولا الى قومه فقالوا له لا ترسل الا بحضرتنا لانهم كانوا عزموا على غزو قومه فخافوا ان ينذرهم فجيء بعبد اسود فقال له اتعقل قال نعم اني لعاقل قال ما اراك عاقلا ثم اومى بيده الى الليل فقال له ما هذا قال الليل قال ما اراك عاقلا ثم ملأ كفيه من الرمل فقال كم هذا قال لا ادري وانه لكثير فقال ايما اكثر النجوم ام النيران فقال كل كثير فقال ابلغ قومي التحية وقل لهم ليكرموا فلانا يعني اسيرا كان في ايديهم

من بكر فأت قومي فهم لي مكرمون وقل لهم ان العرفج قد ادبى وشكت النساء فامرهم ان يعروا ناقتي
الحمرا فقد طال ما ركبوها وان يركبوا جملي الاصهب باية ما اكلت معكم حيسا واسئلوا عن خبر
اخي الحارث فلما ادى العبد الرسالة اليهم قالوا لقد جن الاعور والله ما نعرف له ناقة حمراء
ولا جملا اصهب ثم سرحوا العبد ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة فقال قد انذركم الرجل
اما قوله ادبى العرفج يريد ان الرجال قد استلاموا ولبسوا السلاح وقوله شكت النساء
اي اتخذن الشكا للسفر وقوله الناقة الحمراء اي ارتحلوا عن الدهنا واركبوا الصمان وهو الجمل
الاصهب وقوله اكلت معكم حيسا يريد اخلاطا من الناس قد غزوكم لان الحيس التمر والاقط والسمن
فامتثلوا ما قال وعرفوا لحن كلامه   وروى ابو عبيد القسم بن سلام في كتابه غريب
الحديث عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عم انه قال من احبنا اهل البيت فليستعد للفقر
جلبابا او تجفافا قال ابو عبيد فقد تاول بعض الناس هذا الخبر على انه اراد به الفقر في الدنيا
وقال ليس كذلك لانا نرى فيمن يحبهم مثل ما في ساير الناس من الغنا والفقر ولا تمييز بينهما
قال والصحيح انه اراد الفقر في يوم القيمة واخرج الكلام مخرج الموعظة والنصيحة والحث على
الطاعة فكانه اراد من احبنا فليعد لفقره يوم القيمة ما يجبره من الثواب والقرب الى الله تعالى
والزلفى عنده قال ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة وجه الحديث خلاف ما قاله ابو عبيد
ولم يرد الا الفقر في الدنيا ومعنى الخبر ان من احبنا فليصبر على التقلل في الدنيا والتقنع
فيها وليأخذ نفسه بالكف عن احوال الدنيا واعراضها وشبه الصبر على الفقر بالتجفاف
والجلباب لانه يستر الفقر كما يستر الجلباب والتجفاف البدن قال ويشهد بصحة هذا
التاويل ما روي عنه عم انه راى قوما على بابه فقال يا قنبر من هؤلاء فقال له قنبر هؤلاء
شيعتك فقال ما لي لا ارى فيهم سيما الشيعة فقال وما سيما الشيعة قال خمص
البطون من الطوى يبس الشفاه من الظما عمش العيون من البكا هذا كله قول ابن قتيبة و
الوجهان حسنان وان كان الوجه الذي ذكره ابن قتيبة احسن واوضح ويمكن ان يكون
في الخبر وجه ثالث يشهد بصحته اللغة وهو ان احد وجوه لفظة الفقر ان يحز انف البعير حتى
يخلص الى العظم او قريب منه ثم يلوى عليه حبل يذلل بذلك الصعب يقال فقره فقرا اذا

فعل

فعل به ذلك وبعير مفقور وبه فقرة وكل شيء حززته واثرت فيه فقد فقرته تفقيرا ومنه
سميت الفاقرة وقيل سيف مفقر فيحتمل القول ان يكون عم اراد من احبنا فليزم نفسه وليخطمها
وليقدها الى الطاعات وليصرفها عما تميل طباعها اليه من الشهوات وليذللها على الصبر عما
كره منها ومشقة ما اريد منها كما يفعل ذلك بالبعير الصعب وهذا وجه في الخبر ثالث لم
يذكر وليس يجب ان يستبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله اذا كان له شاهد من اللغة وكلام
العرب لان الواجب على من يتعاطى تفسير غريب القران الكلام والشعر ان يذكر كلما
يحتمله الكلام من وجوه المعاني ويجوز ان يكون اراد المخاطب كل واحد منها منفردا وليس
عليه العلم بمراده بعينه فان مراده مغيب عنه واكثر ما يلزمه ما ذكرناه من وجوه احتمال الكلام
قال المرتضى رض ممن كان من مشهور الشعراء ومتقدميهم على مذاهب اهل العدل ذو الرمة
واسمه غيلان بن عقبة وكنيته ابو الحارث وذو الرمة لقب لقب به لبيت قاله وهو قوله في
صفة الوتد اشعث باقي رمة التقليد والرمة القطعة البالية من الحبل يقال الحبل ارمام
ان كان ضعيفا باليا وقيل انه انما لقب بذي الرمة لانه كان وهو غلام تتفزع فجاءت به
امه بمن كتب له كتابا وعلقه عليه برمة حبل فسمي ذا الرمة ويشهد بمذهبه في العدل ما اخبرنا
به ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا ابو عثمان الاشنانداني
عن التوزي عن ابي عبيدة قال اختصم رؤبة وذو الرمة عند بلال بن ابي بردة فقال رؤبة
والله ما فحص طائر افحوصا ولا تقرمص سبع قرموصا الا بقضاء من الله وقدر فقال له
ذو الرمة والله ما قدر الله على الذيب ان ياكل حلوبة عيائل ضرائك فقال رؤبة افبقدرته
اكلها هذا كذب على الذيب ثان فقال ذو الرمة الكذب على الذيب خير من الكذب على رب
الذيب وهذا الخبر صحيح في قوله بالعدل واحتجاجه عليه وبصيرته فيه فاما العيايل فهو
جمع عيل وهو ذو العيال والضرايك جمع ضريك وهو الفقير واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني
قال حدثنا محمد بن محمد المكي عن العيناء عن الاصمعي عن اسحق بن سويد قال انشدني ذو الرمة
وعينان قال الله كونا فكانتا   فعولان بالالباب ما يفعل الخمر فقلت له فعولين خبر
الكون فقال لو سبحت ربحت بما قلت وعينان فعولان وصفتهما بذلك وانما احترز و

الرمة بذلك الكلام من القول بخلاف العدل وقد روي هذا الخبر على خلاف هذا الوجه اخبرنا
ابو عبيد الله محمد بن القاسم ابو العيناء قال حدثنا الاصمعي قال لما انشد ذو الرمة وعينان
قال الله كونا فكانتا فعولين بالالباب ما يفعل الخمر وهو يريد كونا فكانتا فعولين
حيث كانتا قال له عمرو بن عبيد ويحك قلت عظيما فقال فعولا بالالباب فقال له ذو الرمة
ما انا فقلت هذا ام سبحت فلما علم ما ذهب اليه عمرو قال يا سبحان الله لو عنيت ما ظننت
لكنت جاهلا ومن روي انه كان على مذاهب اهل العدل من شعراء الطبقة الاولى اعشى
قيس بن ثعلبة واستشهد بقوله استأثر الله بالوفاء وبالعدل وولى الملامة الرجلا
وممن قيل انه كان على مذاهب الجبر من المشهورين ايضا لبيد بن ربيعة العامري واستشهد بقوله
ان تقوى ربنا خير نفل وباذن الله ريثي والعجل من هداه سبل الخير اهتدى
ناعم البال ومن شاء اضل وان كان لا طريق الى نسبة الجبر الى مذهب لبيد الا هذان البيتان
فليس فيهما دلالة على ذلك اما قوله وباذن الله ريثي والعجل فيحتمل ان يريد بعلمه كما يتأول
عليه قوله تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله اي بعلمه وان قيل في هذه الآية انه اراد بتخليته
وتمكينه وان كان لا شاهد لذلك في اللغة لمكن تأويله مثله في قول لبيد فاما قوله
من هداه سبل الهدى اهتدى ومن شاء اضل فيحتمل ان يكون مصروفا الى بعض الوجوه التي
يتأول عليها الضلال والهدى المذكوران في القرآن مما يليق بالعدل ولا يقتضي الاجبار
اللهم الا ان يكون مذهب لبيد في الاجبار معروفا بغير هذه الابيات فلا يتأول هذا
التأويل بل يحمل مراده على موافقة المعروف من مذهبه اعلم ان اصحابنا لما استدلوا
على نفي الرؤية بالابصار عن الله تعالى بقوله عز وجل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
وهو اللطيف الخبير وبينوا ان الله تعالى تمدح بنفي ادراك الذي هو رؤية البصر عن نفسه
على وجه يرجع الى ذاته فيجب ان يكون في ثبوت الرؤية في وقت من الاوقات نقص وذم قال
لهم مخالفوهم كيف يتمدح بما لا يرى وقد يشاركه في نفي الرؤية ما ليس بممدوح كالمعدوم
والارادات والاعتقادات فقالوا لهم لم يتمدح تعالى بنفي الرؤية عنه واثباتها فقط وانما
تمدح بنفي الرؤية عنه واثباتها له فتمدحه بمجموع الامرين وليس يشاركه في هاتين الصفتين

مشارك

مشارك لان المعدوم والموجودات المحدثات على ضروب منها ما لا يرى ويرى كالانسان وضروب
على الاحياء وليس فيها ما يرى وما لا يرى فثبتت انه تعالى يتضمن الآية فقال لهم المخالف
وكيف يجوز ان يكون صفة لا تقتضي المدحة بانفرادها ثم تقتضيها مع غيرها
ولئن جاز هذا ليجوزن ان يتمدح ممتدح بانه شيء عالم وموجود قادر فاذا كان لا مدحة في وصف الذات
بانها شيء او موجود وان انضمت الى الصفة مدح من حيث كانت بانفرادها لا تقتضي مدحا
فكذلك لا مدحة في نفي الرؤية عمن يثبت له من حيث كانت بانفرادها لا تقتضي مدحا فاجاب
اصحابنا عن هذا الكلام بان قالوا ليس يمتنع في الصفة ان تكون لا تقتضي مدحا اذا انفردت
وتقتضيه اذا انضمت الى غيرها ومثلوا ذلك بقوله عز وجل لا تأخذه سنة ولا نوم وان
نفي السنة والنوم ههنا انما يكون مدحا اذا انضم الى ما هو من صفة الاحياء وان كان با
نفراده لا يقتضي مدحا لمشاركة ذوات كثيرة غير ممدوحة فيه وفصلوا بين الوصف بالشيء و
الوجود وبين ما ذكروه من حيث لا تأثير لهاتين الصفتين في المدح واعلم ان صفات
المدح المتضمنة للاثبات لا تكاد تفتقر الى شرط في كونها مدحا وصفات النفي اذا
كانت مدحا لا بد من شرط وانما افترق الامران من حيث كان النفي اعم من الاثبات
فيدخل تحته الممدوح وغير الممدوح والاثبات اشد اختصاصا الا ترى ان ما ليس بعالم
من الذوات وليس بموجود اكثر مما ثبت له العلم والموجود منها لان الاول لا يكون الا
غير متناه والثاني لا بد وان يكون متناهيا فلما شملت صفات النفي الممدوح وغير
الممدوح احتاجت الى شرط يخصصها وانت اذا اعتبرت سائر صفات النفي التي يتمدح فيها
وجدتها مفتقرة الى الشروط الا ترى ان ليس بجاهل انما يكون مدحا بهذا النفي اذا كان
حيا ذاكرا ومن ليس بعاجز انما يكون ممدوحا اذا كان ايضا موجودا حيا ومن ليس بظالم انما
يكون ممدوحا اذا كان قادرا على الظلم وله دواع اليه ولا بد في الشرط الذي يحتاج اليه
في صفات النفي حتى يكون مدحا من ان يكون ايضا اثباتا او جاريا مجرى الاثبات ولا
يكون نفيا لانه ان كان نفيا لم يخصص وساوى فيه الممدوح وما ليس بممدوح مثال ذلك
انا اذا امتدحنا غيرنا بانه لا يظلم وشرطنا في هذه المدحة انه لو يدعوه داع الى الظلم لحصل

غيره

فيهما

المدحة لانه قد يشارك في نفي الظلم ونفي الدواعي اليه ما ليس بممدوح فلا بد من شرط يجري
مجرى الاثبات وهو ان يقول وهو ممن تدعوه الدواعي الى الافعال ويتصرف فيها
بحسب دواعيه فاذا صحت هذه الجملة فالوجه ان نقول ان المدحة في الاية انما
يتعلق بنفي الادراك عن القديم تعالى لكن بشرط ان يكون مدركا ونجعل كل واحد من
الصفتين يقتضي المدح مجتمعا مع ان كل واحدة لا تقتضيه على سبيل الانفراد وليس
بمنكر ان يقتضي الشيء غيره بشرط متى وجد حصل المقتضى واذا لم يوجد لم يحصل المقتضى
له مقتضاه والنفي السنة والنوم والظلم عن الله تعالى اذا كان مدحا بشرط وطعم مفترا
على نحو ما ذكرناه وهذا التلخيص في هذا الموضع اولى واحسم للشبهة مما تقدم ذكره

ان سال سائل فقال ما تقولون في قوله تعالى حكاية عن موسى عم فاذا
هي ثعبان مبين وقال في موضع اخر وان الق عصاك فلما راها تهتز كانها جان ولى
مدبرا ولم يعقب والثعبان هو الحية العظيمة الخلقة والجان هو الصغير من الحيات فكيف
اختلف الوصفان والقصة واحدة وكيف يجوز ان تكون العصا في صفة حال واحدة
بصفة ما عظم خلقه من الحيات بصفة ما صغر منها وباي شيء تزيلون التناقض عن
هذا الكلام الجواب اول ما نقوله في هذا المعنى ان الذي ظنه السائل من كون الايتين
خبرا عن قصة واحدة باطل بل الحالتان مختلفتان فالحال التي اخبر الله تعالى ان العصا
بصفة الجان كانت في ابتداء النبوة قبل مسير موسى عم الى فرعون والحال التي صارت
العصا فيها ثعبانا كانت عند لقائه فرعون وابلاغه الرسالة والتلاوة تدل على ذلك
وان اختلف القصتان فلا مسئلة على ان قوما من المفسرين قد تعاطوا الجواب عن هذا
السؤال اما لظنهم ان القصة واحدة او لاعتقادهم وان العصا الواحدة لا يجوز
ان تنقلب في حالين تارة الى صفة الجان وتارة الى صفة الثعبان او على سبيل
الاستظهار في الحجة وان الحال لو كانت واحدة على ما ظنوه لم يكن بين الايتين تناقض
وهذا الوجه احسن ما تكلف الجواب لاجله لان الاولين لا يكونان الا عن غلط
او غفلة وذكروا وجهين تزول بكل واحد منهما الشبهة في تاويلها احدهما انه تعالى

انما شبهها بالثعبان في احدى الايتين في عظم خلقها وكبر جسمها وهول منظرها وشبهها
بالاية الاخرى بالجان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها فاجتمع لها مع انها في جسم الثعبان
وكبر خلقه نشاط الجان وسرعة حركته وهذا ابهر في باب الاعجاز وابلغ في خرق العادة ولا
تناقض بين الايتين وليس يجب اذا شبهها بالثعبان ان يكون لها جميع صفات الثعبان
ولا اذا شبهها بالجان ان يكون لها جميع صفاته وقد قال الله تعالى ويطاف عليهم بانية من فضة
واكواب كانت قواريرا قوارير من فضة قدروها تقديرا ولم يرد تعالى ان الفضة قوارير على
الحقيقة وانما وصفها بذلك لانه اجتمع لها صفاء القوارير وشفيفها ورقتها مع انها من
فضة وقد تشبه العرب الشيء بغيره في بعض وجوهه ويشبهون المراة بالظبية وبالبقرة ونحن
نعلم ان في الظبا والبقر من الصفات ما لا يستحسن ان يكون في النساء وانما وقع التشبيه في صفة
دون صفة ومن وجه دون اخر والجواب الثاني انه لم يرد الله تعالى بذكر الجان في الاية الاخرى الحية
وانما اراد احد الجن فكانه تعالى اخبر ان العصا كانت عصا ثم صارت ثعبانا في الخلقة وعظم
الجسم وكانت مع ذلك كاحد الجن في هول المنظر وافزاعها لمن يشاهدها ولهذا قال الله
تعالى فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب ويمكن ان يكون في الاية تاويل اخر استخرجناه
ان لم يرد على الوجهين الاولين لم ينقص منهما والوجه في تكلفنا له ما بيناه من الاستظهار في
الحجة وان التناقض الذي توهم زايل على كل وجه وهو ان يكون العصا لما انقلبت حية صارت
اولا بصفة الجان على صورته ثم صارت بصفة الثعبان على تدريج ولم تصر كذلك ضربة واحدة
فيتفق الاسمان ولا يختلف حكمهما وتكون الاية الاولى التي تتضمن ذكر الثعبان اخبارا عن غاية
حال العصى وتكون الاية الثانية تتضمن ذكر الحال التي ولى موسى فيها هاربا وهي حال انقلاب
العصى الى خلقة الجان وان كانت بعد تلك الحال انتهت الى صورة الثعبان فان قيل على
هذا الوجه كيف يصح ما ذكرتموه مع قوله تعالى فاذا هي ثعبان مبين وهذا يقتضي انها صارت
ثعبانا بعد الالقاء بلا فصل قلنا ليس تفيد الاية ما ظننت وانما فائدة قوله تعالى فاذا هي الاخبار
عن قرب الحال التي صارت فيها بتلك الصفة وانه لم يطل الزمان في مصيرها كذلك ويجري
هذا مجرى قوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين مع تباعد

ما بين كونه نطفة ثم كونه خصيما وكونه مبينا وقولهم ركب فلان من منزله فاذا هو في
ضيعته وسقط من اعلى الحائط فاذا هو على الارض ونحن نعلم ان بين خروجه من منزله
وبلوغه ضيعته زمانا وانه لم يصل اليها الا على التدريج وكذلك الهابط من
الحائط وانما فائدة الكلام الاخبار عن تقارب الزمان وانه لم يطل ولم يمتد قال
الله تبارك وتعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست
بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك اباؤنا
وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون وقد ظن بعض من لا بصيرة له ولا فطنة عنده
ان تاويل هذه الاية ان الله تعالى استخرج من ظهر ادم جميع ذريته وهم في خلق
الذر فقررهم بمعرفته واشهدهم على انفسهم وهذا التاويل مع ان العقل
يبطله ويحيله مما يشهد ظاهر القران بخلافه لان الله تعالى قال واذ اخذ ربك من بني ادم ولم يقل
من ادم وقال من ظهورهم ولم يقل من ظهره وقال ذريتهم ولم يقل ذريته ثم اخبر تعالى بانه فعل
ذلك لئلا يقولوا يوم القيمة انهم كانوا غافلين او يعتذروا بشرك ابائهم وانهم نشؤوا على دينهم
وسنتهم وهذا يقتضي ان الاية لم تتناول ولد ادم لصلبه وانها تناولت من كان له اباء
مشركون وهذا يدل على اختصاصها ببعض ذرية ولد ادم وهذه شهادة الظاهر في بطلان
تاويلهم فاما شهادة العقل فمن حيث لا تخلو هذه الذرية التي استخرجت من ظهر ادم عم
وخوطبت وقررت من ان تكون كاملة مستوفية لشروط التكليف او لا تكون كاملة
مستوفية لشروط التكليف فان كانت بالصفة الاولى وجب ان يذكروا ذلك بعد
خلقهم وانشائهم واكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال وما قرروا به واستشهدوا عليه لان
العقل لا يجوز ان يجري هذا المجرى وان بعد العهد وطال الزمان ولهذا لا يجوز ان ينسى احدنا
في بلد من البلدان وهو عاقل كامل فينسى بعد العهد جميع تصرفه المتقدم وسائر احواله وليس ايضا لتخلل
الموت بين الحالين تاثير لانه لو كان تخلل الموت يزيل الذكر لكان تخلل النوم والسكر والاغماء بين احوال
العقلاء يزيل ذكرهم لما مضى من احوالهم لان سائر ما عددناه مما ينفي العلوم
يجري مجرى الموت في هذا الباب وليس لهم ان يقولوا اذا جاز في العاقل الكامل ان ينسى ما كان

بسم الله تعالى

عليه في حال الطفولية جاز ما ذكرناه وذلك انا انما اوجبنا ذكر العقلاء لما ادعوا اذا كملت
عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملوا العقول ولو كانوا بصفة الاطفال في تلك الحال
لم نوجب عليهم ما اوجبناه على ان تجويز النسيان عليهم ينقض الغرض في الاية وذلك
ان الله تعالى اخبرنا بانه انما قررهم واشهدهم لئلا يدعوا يوم القيمة الغفلة عن ذلك وسقوط
الحجة عليهم فيه فاذا جاز نسيانهم له عاد الامر الى سقوط الحجة وزوالها وان كانوا على
الصفة الثانية من فقد العقل وشرائط التكليف قبح خطابهم وتقريرهم واشهادهم
وصار ذلك عبثا قبيحا تعالى الله عنه فان قيل قد ابطلتم تاويل مخالفيكم فما تاويلها
الصحيح عندكم قلنا في الاية وجهان احدهما ان يكون تعالى انما عنى بها جماعة من ذرية بني
ادم خلقهم وبلغهم واكمل عقولهم وقررهم على السن رسله عليهم السلام بمعرفته وما
يجب عليهم من طاعته فاقروا بذلك واشهدهم على انفسهم به لئلا يقولوا يوم القيامة
انا كنا عن هذا غافلين او يعتذروا بشرك ابائهم وانما اوتي من اشتبه عليه تاويل
الاية من حيث ظن ان اسم الذرية لا يقع الا على من لم يكن كاملا عاقلا وليس الامر كما
ظن لانا نسمي جميع البشر بانهم ذرية ادم وان دخل فيهم العقلاء الكاملون وقد قال الله تعالى
ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم ولفظ
الصالح لا يطلق الا على من كان كاملا عاقلا فان استبعدوا تاويلنا وحملنا الاية
على البالغين المكلفين فهذا جوابهم   انه تعالى لما خلقهم وركبهم تركيبا يدل
على معرفته ويشهد بقدرته ووجوب عبادته واراهم العبر والايات والدلايل في غيرهم
وفي انفسهم كان بمنزلة المشهد لهم على انفسهم وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره
فيهم على الوجه الذي اراده تعالى وتعذر امتناعهم منه وانفكاكهم من دلالته بمنزلة المقر
المعترف وان لم يكن هناك اشهاد ولا اعتراف على الحقيقة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى
ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين
وان لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولا منهما جواب ومثله قوله تعالى شاهدين على انفسهم
بالكفر ونحن نعلم ان الكفار لم يعترفوا بالكفر بالسنتهم وانما ذلك لما ظهر منهم ظهورا لا

يتمكنون دفعه كانوا بمنزلة المعترضين به ومثل هذا قولهم جاري تشهد بنعمتك وحالي
معترفة باحسانك ومما روي عن بعض الخلفاء وهذا من قول الفضل بن عيسى بن ابان
ذكرها في قصصه من قولهم سل الارض من شق انهارك وجنا ثمارك وغرس اشجارك
فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا وهذا باب كبير وله نظاير كثيرة في النظم والنثر يغني
عن ذكر جميعها القدر الذي ذكرناه منها   قال ابو عبيد القسم بن سلام فيما
يروى عن النبي صلعم ليس منا من لم يتغن بالقران قال اراد يستغني به واحتج بقولهم تغنيت
تغنيا وتغانيت تغانيا   وانشد بيت الاعشى   وكنت امرا زمنا بالعراق
عفيف المناخ طويل التغن   وقول الاخر   كلانا غني عن اخيه حياته   ونحن اذا متنا
اشد تغانيا   واحتج بقول ابن مسعود من قرا سورة ال عمران فهو غني اي مستغني
وبالحديث الاخر كنز الصعلوك سورة ال عمران يقوم بها في اخر الليل والصعلوك الفقير
واحتج بحديث اخر يروى عن النبي صلعم وهو انه قال لا ينبغي لحامل القران ان يظن ان
احدا اعطي افضل مما اعطي لانه لو ملك الدنيا باسرها لكان القران افضل مما ملكه
واحتج ايضا بخبر يرويه عن عبد الله بن نهيك انه دخل على سعد في بيته فاذا مثال رث ومتاع
رث فقال قال رسول الله صلعم ليس منا من لم يتغن بالقران قال ابو عبيد فذكره المتاع الرث
والمثال الرث يدل على ان التغني بالقران الاستغنا به عن الكثير من المال والمثال هو
الفراش قال الشاعر   بكل طوال الساعدين كانما   يرى بسرى الليل المثال الممهدا
يعني الفراش قال ابو عبيد ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحنة علينا بذلك اذ كان من لم
يرجع بالقران ليس منه عم وذكر عن غير ابي عبيد في هذا الجواب حديث عبد الرحمن بن
السايب قال اتيت سعدا وقد كف بصره فسلمت عليه فقال من انت فاخبرته فقال مرحبا
يا ابن اخي بلغني انك حسن الصوت بالقران سمعت رسول الله صلعم يقول ان هذا القران
نزل بحزن فاذا قراتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا ومن لم يتغن بالقران فليس منا فقوله
فابكوا وتباكوا دليل على ان التغني التحسين والترجيع وروي عن النبي صلعم انه قال لا
ياذن الله لشي من اهل الارض الا لاصوات المؤذنين والصوت الحسن بالقران معنى

قوله ياذن

قوله ياذن يستمع يقال اذنت للشيء اذان اذنا اذا استمعت له قال الشاعر
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به   وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا   وقال عدي بن زيد العبادي
ايها القلب تعلل بددن   ان همي في سماع واذن   والاذن هو السماع وانما حسن
تكرير المعنى لاختلاف اللفظ وللعرب في هذا مذهب معروف ومثله
وهند اتى من دونها النأي والبعد   فاما الددن فهو اللهو واللعب وفيه لغات
ثلاث دد على دم وددا على مثال قفا وددن على مثال حزن ومنه قول النبي صلعم ما انا
من دد ولا الدد مني فان قيل كيف يحمل قوله عم لا ياذن الله لشي كاذنه لكذا وكذا على معنى
الاستماع وهو تعالى سامع لكل مسموع فاي معنى للاختصاص قلنا ليس السماع ههنا
مجرد الادراك وانما المراد به القبول فكانه عم قال ان الله تعالى لا يتقبل ويثيب على شي
من اهل الارض كتقبله وثوابه على كذا وكذا ومن هذا قولهم هذا الكلام لا اسمعه وخاطبت
فلانا بكلام فلم يسمعه وانما يريدون نفي القبول لا الادراك والبيت الذي انشدناه
يشهد بذلك لانه قال وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا نعلم انهم يسمعون الذكر بالشر والخير
معا من حيث الادراك فوجه الاختصاص ما ذكرناه وقد ذكر ابو بكر محمد بن القسم الانباري
وجها ثالثا في الخبر قال اراد عم من لم يتلذذ بالقران ويستحليه ويستعذب تلاوته
كاستحلاء اصحاب الطرب للغنا والتذاذهم به وسمي ذلك تغنيا من حيث يفعل عنده
ما يفعل المتغني بالغنا وذكر ان ذلك نظير قولهم العمايم تيجان العرب والحبى حيطان
العرب والشمس حمامات العرب وانشد بيت النابغة   بكا حمامة تدعو هديلا
مفجعة على فنن تغني   فشبه صوتها لما اطرب اطراب الغنا بالغنا وجعلوا العمايم
لما قامت مقام التيجان تيجانا وكذلك القول في الحبى والشمس وجواب ابي عبيد
احسن الاجوبة واسلمها وجواب ابي بكر ابعدها لان التلذذ لا يكون الا في المشتهيات
وكذلك الاستحلا والاستعذاب وتلاوة القران وفهم معانيه من الافعال الشاقة
فكيف يكون ملذا مشتهى فان عاد الى ان يقول قد يستحلى التلاوة من الصوت الحزين قلنا
هذا رجوع الى الجواب الثاني الذي رغبت عنه وانفردت عند نفسك بما خالفه

ويمكن أن يكون في الخبر وجه رابع خطر لنا وهو أن يكون قوله عليه السلام يتغنى من غنى الرجل بالمكان
إذا طال مقامه به ومنه قيل المغنى والمغاني قال الله تعالى كأن لم يغنوا فيها أي لم يقيموا فيها
وقال الأسود بن يعفر: ولقد تغنوا فيها بأنعم عيشة في ظل ملك ثابت الأوتاد
وبيت الأعشى الذي أنشده أبو عبيد وهو: وكنت امرأ زمنا بالعراق عفيف المناخ طويل
التغني. بطول المقام أشبه منه بالاستغناء لأن المقام يوصف بالطول ولا يوصف
الاستغناء بذلك فكأن الأعشى أراد أني كنت ملازما للوطن مقيما بين أهله لا أسافر للانتجاع
والطلب ويجري قوله هذا مجرى قول حسان بن ثابت الأنصاري: أولاد جفنة حول قبر أبيهم
قبر ابن مارية الكريم المفضل. أراد بقوله حول قبر أبيهم أنهم ملوك لا ينتجعون ولا يبرحون
محالهم وأوطانهم فيكون معنى الخبر على هذا الوجه من لم يقم على القرآن فلا يتجاوزه إلى غيره
ولا يتعداه إلى سواه ويتخذه مغنى ومنزلا ومقاما فليس منا فإن قيل أليس يتعدى القرآن
إلى السنة والإجماع وسائر أدلة الشرع فكيف حظر علينا تعديه قلنا ليس في ذلك تعد
للقرآن ولا استبدال به فأما قوله عليه السلام ليس منا فقد قيل فيه إنه لا يكون على أخلاقنا واستشهد
ببيت النابغة: إذا حاولت في أسد فجورا فإني لست منك ولست مني
وقيل إنه أراد ليس منا أي ليس على ديننا وهذا الوجه لا يليق بالجواب الذي اخترناه وهو
بعد جواب أبي عبيد أليق لأنه محال أن يخرج عن دين الإسلام وملته من لم يحسن صوته بالقرآن
ويرجع فيه أو من لم يستلذ تلاوته ولم يستحلها. مسألة: اعلم أن أصحابنا قد اعتمدوا في
إبطال ما ظنه أصحاب الرؤية في قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة على وجوه معروفة
لأنهم بينوا أن النظر ليس يفيد الرؤية ولا الرؤية من أحد محتملاته ودلوا على أن النظر ينقسم
إلى أقسام كثيرة منها تقليب الحدقة في جهة المرئي طلبا لرؤيته ومنها النظر الذي هو الانتظار
ومنها النظر الذي هو التعطف والرحمة ومنها النظر الذي هو الفكر والتأمل وقالوا إذا لم
يكن للقوم بظاهرها تعلق واحتاج جميعنا إلى طلب تأويل للآية من غير جهة الرؤية
وتأولها بعضهم على الانتظار للثواب وإن كان المنتظر في الحقيقة محذوفا والمنتظر منه
مذكورا على عادة العرب معروفة وسلم بعضهم أن النظر يكون الرؤية بالبصر وحمل الآية على رؤية

أهل الجنة لنعم الله تعالى عليهم على حذف المرئي في الحقيقة وهذا الكلام مشروح في مواضع
وقد بينا ما يرد عليه وما يجاب به عن الشبه المعترضة فيه في مواضع كثيرة وههنا وجه غريب
في الآية لا يفتقر معتمده إلى العدول عن الظاهر أو إلى تقدير محذوف ولا يحتاج
إلى منازعتهم في أن النظر يحتمل الرؤية أو لا يحتملها بل يصح الاعتماد عليه سواء كان النظر
المذكور في الآية هو الانتظار بالقلب أم الرؤية بالعين وهو أن يحمل قوله تعالى إلى ربها على
أنه أراد نعمة ربها لأن الآلاء النعم وفي واحدها أربع لغات يقال ألى مثل قفا وألي مثل
رمي وإلى مثل معى وإلي مثل حسي قال الأعشى بكر بن وائل: أبيض لا يرهب الهزال ولا
يقطع رحما ولا يخون إلى. أراد أنه لا يخون نعمة فأراد تعالى بإلى ربها نعمة ربها
وأسقط التنوين للإضافة فإن قيل أي فرق بين هذا الوجه وبين من حمل الآية على أنه أريد
بها إلى ثواب ربها ناظرة بمعنى رؤيته لنعمه وثوابه قلنا ذلك الوجه يفتقر إلى محذوف
لأنه إذا جعل إلى حرفا ولم يعلقها بالرب تعالى فلا بد من تقدير محذوف وفي الجواب الذي
ذكرناه لا يفتقر إلى تقدير محذوف لأن إلى فيه اسم يتعلق به الرؤية فلا يحتاج إلى تقدير غيره
إن قال قائل ما تأويل قوله تعالى وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن
الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون وظاهر هذا الكلام يدل على أن الإيمان إنما كان
لهم فعله بإذنه وأمره وليس هذا مذهبكم وإن حمل الإذن على الإرادة ههنا اقتضى أن من
لم يقع منه الإيمان لم يرده الله تعالى منه وهذا أيضا خلاف قولكم ثم جعل الرجس الذي هو
العذاب على الذين لا يعقلون ومن كان فاقد عقله لا يكون مكلفا فكيف يستحق العذاب
وهذا بالضد من الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وآله قال أكثر أهل الجنة البله [illegible] في قوله
تعالى إلا بإذن الله وجوه منها أن يكون الإذن الأمر ومعنى الكلام أن الإيمان لا يقع من
أحد إلا بعد أن يأذن الله تعالى فيه ويأمر به ولا يكون معناه ما ظنه السائل من أنه لا يكون
للفاعل فعله إلا بإذنه ويجري هذا مجرى قوله تعالى وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله ومعلوم
أن قوله ليس لها في هذه الآية هو ما ذكرناه وإن كان الأشبه في هذه الآية التي فيها
ذكر الموت أن يكون المراد بالإذن العلم ومنها أن يكون الإذن هو التوفيق والتيسير والتسهيل

ولا يهتدي فانه تعالى يوفق لفعل الايمان ويلطف فيه ويسهل السبيل اليه ومنها ان يكون
الاذن العلم من قولهم اذنت لكذا وكذا اذا سمعته وعلمته واذنت فلانا بكذا وكذا اذا
اعلمته فتكون فائدة الاية الاخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات وانه ممن لا يخفى عليه الخفيات
وقد انكر بعض من لا بصيرة له ان يكون الاذن بكسر الالف وتسكين الذال عبارة عن العلم
وزعم ان الذي هو العلم الاذن بالتحريك واستشهد بقول الشاعر ان همي في سماع واذن
وليس الامر على ما توهمه هذا المتوهم لان الاذن هو المصدر والاذن اسم الفعل ويجري مجرى
الحذر بالتحريك في انه مصدر والحذر بالتسكين الاسم على انه لو لم يكن مسموعا الا الاذن ذلك
كثير ومنها ان يكون الاذن العلم ومعناه اعلامه الله تعالى المكلفين بفضل الايمان وما يدعوا
الى فعله فيكون معنى الاية وما كان لنفس ان تؤمن الا باعلام الله لها بما يبعثها على الايمان
ويدعوها الى فعله فاما ما ظنه السائل من دخول الارادة في محتمل اللفظ فباطل لان الاذن
لا يحتمل الارادة في اللغة ولو احتملها ايضا لم يجب ما توهمه لانه اذا قال ان الايمان لا يقع
الا وانا مريد له فلم ينف ان يكون مريدا لما لا يقع وليس في صريح الكلام ولا دلالته شي من ذلك
فاما قوله تعالى ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون فلم يعن به الناقصي العقول وانما اراد تعالى
الذين لم يعقلوا ويتعلموا ما وجب عليهم علمه من معرفة خالقهم تعالى والاعتراف بنبوة رسله
والانقياد الى طاعتهم ووصفهم بانهم لا يعقلون تشبيها كما قال تعالى صم بكم عمي
فكما يصف احدنا من لم يفطن لبعض الامور ولم يعلم ما هو مأمور بعلمه بالجنون وفقد
العقل فاما الحديث الذي اورده السائل شاهدا له فقد قيل ان النبي صلى الله عليه لم يرد بالبله
ذوي الغفلة والنقص والجنون وانما اراد البله عن الشر والقبيح وسماهم بلها عن ذلك من حيث
لا يستعملونه ولا يعتادونه لا من حيث فقدوا العلم به ووجه تشبيه من هذه حاله بالابله
ظاهر فان الابله عن الشي هو الذي لا يعرفه ولا يقصد اليه فلما كان المتنزه عن الشر
معرضا عنها هاجرا لفعلها جاز ان يوصف بالبله للفائدة التي ذكرناها ويشهد لصحة هذا
التاويل قول الشاعر ولقد لهوت بطفلة ميالة بلهاء تطلعني على اسرارها
اراد انها بلهاء عن الشر والريبة وان كانت فطنة لغيرهما وقال ابو النجم العجلي

من كل عجزاء سقوط البرقع بلهاء لم تحفظ ولم تضيع اراد بالبله ما ذكرناه فاما قوله
سقوط البرقع فاراد انها متبرزة وجهها ولا تستره ثقة بحسنه وادلالا بجماله وقوله
لم تحفظ اراد ان استقامة طريقتها تغني عن حفظها وانها لعفافها ونزاهتها غير محتاجة
الى مسدد وموفق وقوله لم تضيع اراد بها انها لا تهمل في اغذيتها وتنعيمها وترفيهها
فتشحب ومثل قوله سقوط البرقع قول الشاعر فلما توافقنا وسلمت اقبلت
وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا ومثله بهاش غنين من زعفران وعنبر اطارت
من الحسن الرداء المحبرا اي رمت به عنها ثقة بالجمال والكمال ومثله وهو مليح
لهونا بمنحول البراقع حقبة فما بال دهر لزنا بالوصاوص اراد بمنحول البراقع
اللاتي يوسعن عيون براقعهن ثقة بحسنهن ونشرا للطلعة البجلاء والعين النجلاء
ثم قال فما بال الدهر احوجنا واضطرنا الى القباح اللواتي يضيقن عيون براقعهن
لقبحهن والوصاوص هي الثقب الصغار في البراقع ومما يشهد للمعنى الاول الذي
هو البله لا بمعنى الغفلة قول ابن الدمينة باهلي وما لي من اذا اعرضوا له
ببعض الاذى لم يدر كيف يجيب ولم يعتذر عذر البري ولم تزل به ضعفة حتى يقال مريب
ومثله اخب اللواتي في صباهن غرة وفيهن عن ازواجهن طماح
مسرات حب مظهرات عداوة تراهن كالمرضى وهن صحاح
ومثله يكتبين الينجوج في كبة المشتى وبله احلامهن وسام
واما قوله يكتبين فماخوذ من لفظ الكبا وهو العود اراد يتبخرن والينجوج هو العود
ايضا وفيه ست لغات ينجوج وانجوج ويلنجوج والنجوج ويلنج والنج فاما كبة
المشتى فهو ضيقته وشدته ومنه قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد وقد روى
في كبة المشتى والمعنى متقارب لان الكبة هي الصدمة والحملة ماخوذة من كبة الخيل
فاما الوسام فهن الحسان من الوسامة وهي الحسن ويمكن ان يكون في البله جواب اخر
وهو ان يحمل على البله الذي هو الغفلة والنقصان في الحقيقة ويكون معنى الخبر ان اكثر
اهل الجنة الذين كانوا بلها في الدنيا فعندنا ان الله تعالى ينعم الاطفال في الجنة وان كان

ما يصل اليهم من النعيم على سبيل العوض او التفضيل فان التفضيل لا يفتقر الى كمال
العقل لان الخبر ورد بان الاطفال والبهائم اذا دخلوا الجنة لم يدخلوها الا وهم على
افضل الحالات واكملها ولهذا صرفنا البله عنهم في الجنة ورددناه الى احوال الدنيا
والا فالعقل لا يمنع من ذلك لمغايرته اياه في باب الثواب والعقاب

قال الله تعالى مخبرا عن يوم القيامة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره
الا لاجل معدود يوم يات لا تكلم نفس الا باذنه وقال في موضع اخر هذا يوم لا
ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وفي موضع اخر واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
وظاهر هذه الآيات ظاهر اختلاف لان بعضها ينبئ بان النطق لا يقع منهم في ذلك اليوم
ولا يؤذن لهم فيه وبعضها ينبئ على خلافه وقد قال المفسرون في تاويل هذه الآيات
ان يوم القيامة يوم طويل ممتد فيجوز ان يمنعوا النطق في بعضه ويؤذن لهم في بعض
اخر وهذا الجواب يضعف لان الاشارة الى يوم القيامة بطوله فكيف يجوز ان يحمل
الحالات فيه مختلفة وعلى هذا التاويل يجب ان يكون قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون انما
في بعضه والظاهر بخلاف ذلك والجواب السديد عن هذا ان يقال انما اراد تعالى نفي
النطق المسموع المقبول الذي ينتفعون به ويكون لهم في مثله عذر او حجة ولم ينف
النطق الذي ليست هذه حاله ويجري هذا مجرى قولهم خرس فلان عن حجته وحضرنا
فلانا فلم يقل شيئا وان كان الذي وصف بالخرس عن الحجة والذي نفي عنه القول تكلم بكلام
غير انه من حيث لم يكن فيه حجة ولا به منفعة جاز اطلاق القول الذي حكيناه
عليه ومثله قول الشاعر اعمى اذا ما جارتي خرجت حتى يواري جارتي الخدر
ويصم عما كان بينهما سمعي وما بي غيره وقر ومثله لقد طال كتمانيك حتى كانني
برد جواب السائلين عنك اعجم لاسلم من قول الوشاة وتسلمي سلمت وهل حي على الناس يسلم
وعلى هذا التاويل قد زال الاختلاف لان التساؤل التساؤل الي والتلاوم لا حجة
فيه واما قوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون فقد قيل انهم غير ماذونين بالاعتذار وكيف
يعتذرون ويحمل الاذن على الامر وان لم يؤمروا به من حيث كانت تلك الحال لا تكليف

فيها والعباد ملجئون عند مشاهدة اهوالها الى الاعتراف
والاقرار واحسن من هذا التاويل ان يحمل يؤذن لهم
على معنى انه لا يسمع لهم ولا يقبل عذرهم والعلة في
امتناع قبول عذرهم هي التي ذكرناها

روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا تسبوا الدهر
فان الدهر هو الله وقد ذكر قوم في تاويل هذا الخبر ان
المراد به لا تسبوا الدهر فانه لا فعل له وان الله
مصرفه ومدبره فحذف من الكلام المصرف والمدبر
وقال هو الدهر وفي هذا الخبر وجه احسن من الذي
حكيناه وهو ان الملحدين ومن نفى الصانع من
العرب كانوا ينسبون ما ينزل بهم من افعال الله تعالى
كالمرض والعافية والجدب والخصب والبقاء والفناء الى
الدهر جهلا منهم بالصانع جلت عظمته ويذمون الدهر
ويسبونه في كثير من الاحوال من حيث اعتقدوا انه
الفاعل بهم هذه الافعال فنهاهم النبي صلى الله عليه وآله
عن ذلك وقال لهم لا تسبوا من فعل بكم هذه الافعال
ممن تعتقدون انه الدهر وان الله تعالى هو الفاعل
لهذه الافعال وانما قال ان الله هو الدهر من حيث
نسبوا الى الدهر افعال الله تعالى وقد حكى الله عنهم
قولهم ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما
يهلكنا الا الدهر وقال لبيد

في قروم سادة من قومهم نظر الدهر اليهم فابتهل

اي دعا عليهم وقال عمرو بن قميئة

كاني وقد جاوزت تسعين حجة خلعت بها عني عذار لجامي

على الراحتين مرة وعلى العصا انوء ثلاثا بعدهن قيامي

رمتني بنات الدهر من حيث لا ارى فكيف بمن يرمى وليس براميي

ولو انها نبل اذا لاتقيتها ولكنني ارمى بغير سهام

اذا ما راوني الناس قالوا الم تكن حديثا حديد الدهر غير كهام

وافنى وما افنى من الدهر ليلة ولم يغن ما افنيت سلك نظام

واهلكني تاميل يوم وليلة وتاميل عام بعد ذاك وعام

وقال الاصمعي ذم اعرابي رجلا فقال هو اكثر ذنوبا من الدهر

وانشد لغيره

حنتني حانيات الدهر حتى كاني خاتل ادنو لصيد

قصير الخطو يحسب من راني ولست مقيدا اني بقيد

وقال كثير

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت

وقال اخر

فاستاثر الدهر الغداة بهم والدهر يرميني ولا ارمي

يا دهر قد اكثرت فجعتنا بسراتنا ووقرت في العظم

وسلبتنا ما لست تعقبنا يا دهر ما انصفت في الحكم

اما قوله ووقرت في العظم

وسلبتنا ما لست تعقبنا
يا دهر ما انصفت في الحكم
اما قوله ووقرت صح

فاستاثر الدهر الغداة بهم والدهر يرميني ولا ارمي اي عن الدهر

يا دهر قد اكثرت فجعتنا بسراتنا ووقرت في العظم اي صدعته ووقرت في العظم

فاما ما اراد انه حدث فيه وقرا اي وقرة والوقر هو الحفرة العظيمة تكون في الصفا تستنقع

فيها ما المطر والوقب ايضا كذلك والوقر في القنا هي الحفرة الا انها دون الاولى في الكبر

وكل هذه الابيات الذين روينا اشعارهم نسبوا افعال الله تعالى التي لا تشارك فيها غيره الى الدهر

فحسن وجه التاويل الذي ذكرناه

مسئلة

اعلم ان المنافع التي عرض الله تعالى سبحانه لها الاحياء وامالهم منفعة تفضل ومنفعة عوض ومنفعة ثواب فاما المنفعة على سبيل

التفضل فهي الواقعة ابتداء من غير سبب استحقاق ولفاعلها ان يفعلها وله ان لا يفعلها

واما منفعة العوض فهي المنفعة المستحقة من غير مقارنة شيء من التعظيم والتبجيل لها واما

منفعة الثواب فهي المستحقة على وجه التعظيم والتبجيل فمنفعة العوض تبين من التفضل بالاستحقاق

والثواب يبين من العوض بالتعظيم والتبجيل المصاحبين له فكان التفضل اصل لسائر

المنافع من حيث يجب تقدمه ذكرنا علاه لانه لا سبيل للمنتفع ان ينتفع بشيء دون

ان يكون حيا ذا شهوة والابتداء بخلق الحيوة والشهوة تفضل فقد صح انه لا سبيل

الى النفع بمنفعة العوض والثواب الا بعد تقدم التفضل فاما المنفعة بالثواب فهي

الاصل لمنفعة العوض لان الالم وما جرى مجرى الالم مما يستحق به العوض متى لم يكن

فيه اعتبار يفضي الى الثواب ويستحق به لم يحسن فعله وجرى عند ما يجري العبث وعندنا

نقول ان الله تعالى لو لم يكلف احدا من المكلفين ما كان يحسن منه ان يبتدي بالالام

وان يعوض عليها والاحياء على ضروب فمنهم من عرض للمنافع الثلاث ومنهم من

عرض لاثنين ومنهم من عرض لواحدة فالمكلف المعرض للثواب لا بد ان يكون منتفعا

بالتفضل من الوجه الذي قلنا لانه اذا خلق حيا وخلق له القدرة والشهوة والعقل

وضروب التمكين فقد نفع بالتفضل وكذا يجب فيمن هذه حاله ان يكون منتفعا بالعوض

لانه لا يمتنع ان يخلو المكلف من الم يحدثه الله تعالى به فلا يكون معرضا للعوض فمتى

عرض اي [illegible] كالملك عن المنافع فصار المكلف منقطعا على نوعه لا ينتفع من المنافع

وتجوز الكامل الثلث فاما من ليس بمكلف فمقطوع فيه على احدى المنافع وهي التفضل من حيث
خلق حيا وتمكن من كثير من المنافع ومشكوك في تعريضه للعوض من الوجه الذي بيناه وكما قطعنا
على احدى المنافع فيمن ذكرناه فنحن قاطعون على انه تعالى عرض المكلف للثواب عند خلقه ما يوصل اليه وهو التكليف
فلا بد في كل حي محدث من ان يكون متعرضا لاحدى هذه المنافع او لجميعها وانما اوجبنا
ذلك من جهة حكمة القديم تعالى لا من جهة انه مستحيل في نفسه وانما قلنا انه ليس بمستحيل
في نفسه لان كونه حيا وكونه ذا شهوة وقدرة ليس منفعة بنفسه وانما يكون منفعة بان يجعل
اذا فعل تعريضا للنفع فاما اذا فعل تعريضا للضرر او لا لوجه من الوجوه فانه لا يكون نعمة
ولا منفعة وانما اوجبنا من جهة حكمته تعالى لانه اذا فعل الحي بهذه الصفات فلا يخلو ان
يكون اراد بها نفعه او ضرره او لم يرد شيئا فان كان الاول فهو الذي اوجبناه وان كان
الثاني او الثالث فالقديم تعالى منزه عنهما لان الثاني يجري مجرى الظلم والثالث هو العبث
بعينه وقد تشارك القديم تعالى في النفع بالتفضل والعوض الفاعلون المحدثون ولا يصح
ان يشاركه في النفع بالثواب لان الصفة التي يستحق المكلف لكونه عليها الثواب
وهي كون الفعل شاقا عليه لا يكون الا من قبله تعالى وليس لاحد ان يظن فيمن يهدي
الى الدين ويرشد الى الايمان انه يستحق الثواب انه معوض للثواب ذلك لان المكلف
قد يكون متعرضا للثواب ويصح ان يستحقه من دون كل هداية وارشاد ونفع منا و
لولا الصفة التي جعل الله تعالى عليها لم يصح ان يستحقه فبان الفضل بين الامرين على كل
احد منا وان نفع غيره بالتفضل والتعريض للعوض فهذه المنافع منسوبة الى الله
ومضافة اليه من قبل انه لولا نعمه وتفضله لم تكن هذه منافع ولا نعما الا ترى انه لو لم
يخلق الحيوة والشهوة لم تكن ما يوصل اليها مما ذكرناه منفعة ولا نعمة ولو لم يخلق المشتهى
الملذ لم يكن له سبيل الى النفع والانعام فبان بهذه الجملة ما قصدناه

مجلس [illegible]

قال الشريف المرتضى قدس الله روحه ان سأل
سائل عن قوله تعالى مخبرا عن اهلاك قوم فرعون وتوريثه اياهم ارضهم كذلك واورثناها
قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وقال كيف يضاف

البكاء اليها وهذا لا يجوز في الحقيقة عليها الجواب يقال له في هذه الآية وجوه
من التأويل اربعة اولها انه تعالى اراد اهل السماء والارض فحذف كما حذف في قوله
واسأل القرية وفي قوله تعالى حتى تضع الحرب اوزارها اراد اهل القرية واصحاب الحرب
ويجري ذلك مجرى قولهم السخاء حاتم يريدون السخاء سخاء حاتم وقال الحطيئة

وشر المنايا ميت وسط اهله ... كهلك الفتى قد اسلم الحي حاضره

اراد وشر المنايا منية ميت وقال غيره قليل عيبه والعيب جم ولكن الغنى
رب غفور وقال ذو الرمة لهم مجلس صهب السبال اذلة ... سواسية احرارها وعبيدها
اراد اهل المجلس فاما قوله صهب السبال فانما اراد به الاعداء لان الروم ونصف
الاعداء بذلك وان لم يكونوا صهب السبال وقوله سواسية يريد انهم مستوون
متشابهون ولا يقال هذا الا في الذم والوجه الثاني انه تعالى اراد المبالغة في وصف القوم
بصغر القدر وسقوط المنزلة لان العرب اذا اخبرت عن عظم المصاب بالهالك قال
كسفت لفقده الشمس واظلم القمر وبكاه الليل والنهار والسماء والارض يريدون
بذلك المبالغة في عظم الامر وشمول ضرره وقال جرير يرثي عمر بن عبد العزيز

الشمس طالعة ليست بكاسفة ... تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

وقال يزيد بن مفرغ الحميري

الريح تبكي شجوه ... والبرق يلمع في الغمامه

وهذا صنيعهم في كل امر جل خطبه
وعظم موقعه فيصفون النهار بالاظلام وان الكواكب طلعت نهارا لفقد نور
الشمس وضوئها وقال النابغة

تبدو كواكبه والشمس طالعة ... لا النور نور ولا الاظلام اظلام

وقال طرفة

ان تنوله فقد تمنعه ... وتريه النجم يجري بالظهر

وهو معنى قولهم
لأرينك الكواكب بالنهار ومعناه اني اورد عليك ما يظلم له في عينك النهار
فتظنه ليلا ذا كواكب فاما بيت جرير فقد قيل في انتصاب النجوم والقمر وجوه ثلثة
احدها انه اراد ان الشمس طالعة وليست مع طلوعها كاسفة نجوم الليل والقمر لان
عظم الرزية قد سلبها ضوءها فلم يناف طلوعها ظهور الكواكب والوجه الثاني ان يكون
انتصاب ذلك كما ينتصب في قولهم لا اكلمك الابد والدهر وطوال المسند وما جرى

مجرى ذلك فكأنه اخبر بان الشمس لكسفها ما طلعت النجوم وظهر القمر والوجه الثالث ان
القمر ونجوم الليل باكية الشمس على هذا المرثي المفقود فكسفتهن اي غلبتهن بالبكاء
كما يقال باكاني فبكيته وكاثرني فكثرته اي غلبته وفضلت عليه وثانيها من وجوه
الآية ان يكون معنى الآية الاخبار عن انه لا احد اخذ بثارهم ولا انتصر لهم لان العرب
كانت لا تبكي على قتيل الا بعد الاخذ بثاره وقتل من كان بواء به من عشيرة القاتل
فكنى الله تعالى بهذا اللفظ عن فقد الانتصار والاخذ بالثار على مذهب القوم الذين
خوطبوا بالقرآن ورابعها ان يكون ذلك كناية عن انه لم يكن لهم في الارض عمل
صالح يرفع منها الى السماء ويطابق هذا التاويل ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله
فما بكت عليهم السماء والارض فقيل له او تبكيان على احد قال نعم مصلاه ومصعد
عمله في السماء وروي عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ما من مؤمن
الا وله باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه ومعنى البكاء
هاهنا الاخبار عن الاختلال بعده كما يقال بكى منزل فلان بعده وقال ابن مقبل
لعمر ابيك لقد شاقني مكان حزنت له او حزن وقال مزاحم العقيلي بكت دارهم
من اهلهم فتهللت دموعي فاي الجازعين الوم امستعبرا يبكي من الهون والبلى
ام آخر يبكي شجوه ويهيم فاذا لم يكن لهؤلاء الذين اخبر الله تعالى عن هلاكهم مقام صالح
في الارض ولا عمل كريم يرفع الى السماء جاز ان يقال فما بكت عليهم السماء والارض
ويمكن ان يكون في الآية وجه خامس وهو ان يكون البكاء فيها كناية عن المطر
والسقيا لان العرب تشبه المطر بالبكاء ويكون معنى الآية ان السماء لم تسق قبورهم
فلم تجد عليهم بالقطر على مذهب العرب في ذلك لانهم كانوا يستسقون السحاب لقبور
من فقدوه من اعزائهم ويستنبتون لمواضع حفرهم الزهر والرياض قال النابغة
فلا زال قبر بين تبنى وجاسم عليه من الوسمي طل ووابل فينبت حوذانا وعوفا
منورا سأتبعه من خير ما قال قائل وكانوا يجرون هذا الدعاء مجرى الاسترحام
ومسألة الله لهم الرضوان والفعل الذي اضيف الى السماء وان كان لا يجوز اضافته

الى الارض

الى الارض فقد يصح عطف الارض على السماء بان يقدر لها فعل يصح نسبته اليها
والعرب تفعل مثل هذا قال الشاعر يا ليت زوجك قد غدا متقلدا سيفا و
رمحا فعطف الرمح على السيف وان كان التقلد لا يجوز فيه ولكنه اراد وحاملا رمحا
ومثل هذا يقدر في الآية فيقال انه تعالى اراد ان السماء لم تسق قبورهم وان الارض
لم تعشب عليها ويحمل هذا التقدير في الآية فيقال انه تعالى اراد ان السماء كناية
عن خزانهم رحمه الله تعالى

تاويل خبر

روى ابو هريرة عن النبي
صلى الله عليه وآله انه قال ان احب الاعمال الى الله ادومها وان قل فعليكم من الاعمال
بما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وفي وصفه عليه السلام الله تعالى بالملل وجوه
اربعة اولها انه اراد نفي الملل عن الله تعالى وانه لا يمل ابدا فعلقه بما لا يقع على سبيل
التبعيد كما قال تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط قال الشاعر
فانك سوف تحلم او تناهى اذا ما شبت او شاب الغراب اراد انك
لا تحلم ابدا فان قيل ومن اين قلتم ان ما علقه به لا يقع حتى حكمتم بانه اراد نفي الملل
على سبيل التابيد فلا معلوم ان الملل لا يشمل البشر في جميع آرائهم واوطارهم لانهم
لا يخلون من حرص ورغبة وامل وطمع فلهذا جاز ان يعلق بما علم انه لا يكون عليهم
والوجه الثاني ان يكون المعنى انه لا يغضب عليكم ويطرحكم حتى تتركوا العمل له وتعرضوا
عن سؤاله والرغبة في حاجاتكم الى جوده فسمى الفعلين مللا وان لم يكونا على الحقيقة كذلك
على مذهب العرب في تسميتها الشيء باسم غيره اذا وافق معناه في بعض الوجوه وقال
عدي بن زيد العبادي ثم اضحوا لعب الدهر بهم وكذاك الدهر يودي
بالرجال وقال عبيد ابن الابرص الاسدي سائل بنا حجر ابن ام قطام اذ ظلت
به السمر الذوابل تلعب فسمى اللعب في اطراف رماحها وشدة الحركة
سفها لان السفه في الاصل هو الطيش وسرعة الاضطراب والحركة وانما وصف
ناقته بالنكاه والنشاط واما قوله وابيض موشى القميص كانما عصى بشفقه
ان يكون جفنه والمعلى الناقة ما بعث لها ولدا والوجه الثالث ان يكون المعنى انكم

بالملل

ثم اضحوا كانهم ورق جف فالوت به الصبا والدبور
الى الدهر والقفا فيها وقال
ذو الرهر وابيض موشى القميص العتيق بغشه على ظهر معلا
سفير كريم نسبا

لا نقطع عنكم فضله واحسانه حتى تملوا من سؤاله فجعلهم ملل على الحقيقة وسمى فعله تعالى
مللا وليس بملل في الحقيقة للازدواج ومشاكلة اللفظين في الصورة وان اختلفا
في المعنى ومثل هذا قول الله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وجزاء
سيئة سيئة مثلها ومثله قول عمرو بن كلثوم التغلبي ألا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق
جهل الجاهلينا وانما اراد المجازاة على الجهل لان العاقل لا يفخر بالجهل ولا يتمدح به
والوجه الرابع ان يكون اراد [illegible] الى الصحيح وان قوله يمل بالفتح [illegible]
وعلى هذا يكون له معنيان احدهما انه لم يعاقبكم بالنار حتى تملوا عبادته وتعرضوا عن [illegible]
لان الملتبين [illegible] بل الرجل [illegible] اذا استووا في [illegible]
ان الله لا يمل [illegible] حتى [illegible] والمعنى الثاني ان يكون اراد انه لا يسرع الى عقابكم
بل يحلم عليكم رفقا بكم حتى تملوا حلمه وتستعجلوا اعدائه بركوبكم المحارم وتتابعكم في المآثم
روي انه قيل للفرزدق هل حسدت احدا على شيء من الشعر فقال لا لم احسد احدا على شيء الا ليلى الاخيلية في قولها
ومخرق عنه القميص تخاله بين البيوت من الحياء سقيما
لا تقربن الدهر آل مطرف لا ظالما ابدا ولا مظلوما
ويروى ان ظالما فيه ابدا وان مظلوما على انني قد قلت
وركب كان الريح تطلب عندهم لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الليل وهي تلفهم الى شعب الاكوار من كل جانب
اذا ابصروا نارا يقولون ليتها وقد خصرت ايديهم نار غالب
وليست ابيات الفرزدق بدون ابيات ليلى بل هي اجزل الفاظا واشد اسرا الا ان ابيات ليلى اطبع وانصع وقد كان الفرزدق مشهورا بالحسد على الشعر والاستكثار للقليل والا
في استحسان [illegible] وقد روي ان الكميت بن زيد الاسدي لما عرض على الفرزدق ابياتا
من قصيدته التي اولها
اطربت ام رحل [illegible] ام [illegible] وكيف [illegible] شيب [illegible] يشتعل
[illegible] لقوس المجد [illegible] حيث الجدود على الاحساب تنتضل
احرزت من [illegible] واحدة فلا [illegible] والا [illegible] الشمس [illegible]
الا [illegible] والبدر [illegible] الا [illegible] حسده الفرزدق وكان [illegible]

وانما سلم في الخطابة لخروجه عن اسلوب الشعر لما بهره من حسن الابيات واذهله اعجابه
ولم يتمكن من تأمل فضلها جملة عدل بها وضعها الى معنى الخطابة وحسد الفرزدق على الشعر واعجابه
بجيده من اول دليل على حسن نقده له وجودة بصيرته فيه وانه كان يطرب للجيد منه فضل
طرب ويعجب منه فضل عجب ويميل [illegible] على [illegible] فيه وانه مستقل للكثير القادر
من جهته فان كثيرا من الناس قد بلغ بهم الهوى في الاعجاب والاستحسان لما يظهر
منهم من شعر الفحل الى ان يمتنعوا من محاسن غيرهم فيتقلوا منهم الكثير والابيات للفرزدق
التي ذكرناها خبر مشهور نسنده اول اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابن دريد قال
حدثنا ابو حاتم قال حدثنا ابو عبيدة عن يونس قال دخل الفرزدق على سليمان بن عبد
الملك وهو نصيب الشاعر فقال سليمان للفرزدق انشدني فانشده الابيات
التي تقدم ذكرنا فاسود وجه سليمان وغاظه فعله وكان ظن انه ينشده مدحا له فلما رأى
نصيب ذلك قال الا انشدك فانشده
اقول لركب قافلين لقيتهم قفا ذات اوشال ومولاك قارب
قفوا خبروني عن سليمان انني لمعروفه من اهل ودان طالب
فعاجوا فاثنوا بالذي انت اهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب
فقال سليمان انت اشعر اهل جلدتك وفي بعض الاخبار ان الفرزدق
قال ذلك في نصيب حين سأله عنه سليمان ويروى ايضا انه لما انشد نصيب
ابياته قال له سليمان احسنت ووصله ولم يصل الفرزدق فخرج وهو يقول وخير الشعر اكرمه
رجالا وشر الشعر ما قال العبيد ولا شبهة في ان ابيات الفرزدق متقدمة
في الجزالة والرصانة على ابيات نصيب وان كان نصيب قد اغرب وابدع في
قوله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب الا ان ابيات نصيب وقعت موقعها
ووردت في حال تليق بها وابيات الفرزدق جاءت في غير موضعها وعلى غير وجهها
فلهذا قدمت ابيات نصيب على الفرزدق مع تقدمه في الشعر وتبرزه فيه الى الذروة
العليا والغاية القصوى شريف الاباء كريم البيت له ولآبائه مآثر لا
تدفع ومفاخر لا تجحد والفرزدق لقب لقب به وليس باسمه وانما لقب بذلك لجهامة

وجهه وغلط لان الفروة هي القطعة والفحمة من العجين وقيل انها الجزة الغليظة التي تتخذ النساء ومنها الفتوت واسمه همام بن غالب وكنيته ابو فراس وقيل كان يكنى في شبابه بابي مكية وهي اغرب كنيته وكان شيعيا مائلا الى بني هاشم ونزع في آخر عمره عما كان عليه من القذف والفسق وراجع طريقة الدين على انه لم يكن في خلال فسقه منسلخا من الدين جملة ولا مهملا لامره اصلا ومما يشهد بذلك ما اخبرنا به علي بن محمد الكاتب عن ابي بكر محمد بن يحيى الصولي عن ابي حفص القلانسي عن عبد الله بن سوار عن موية بن عبد الكريم عن ابيه قال دخلت على الفرزدق فجعلت احادثه فسمعت صوت حديد يتقعقع فتاملت الامر فاذا هو مقيد الرجلين فسالت عن السبب في ذلك فقال اني اليت على نفسي الا انزع القيد من رجلي حتى احفظ القرآن واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني ابو ذر القراطيسي قال حدثني ابن ابي الدنيا قال حدثنا الرياشي عن الاصمعي عن سلمة بن مسكين قال قيل للفرزدق علام تقذف المحصنات فقال والله لقد احب الي من عيني يا ابن اخي ان يعذبني بعدها وروي انه تعلق باستار الكعبة وعاهد الله على ترك الهجاء والقذف الذين كان ارتكبهما فقال

الم ترني عاهدت ربي وانني لبين رتاج قائما ومقام
على حلفة لا اشتم الدهر مسلما ولا خارجا من في زور كلام
اطعتك يا ابليس تسعين حجة فلما انقضى عمري وتم تمامي
فزعت الى ربي وايقنت انني ملاق لايام الحتوف حمامي

وروى الصولي عن الحسين بن الفياض عن ادريس بن عمران قال جاءنا الفرزدق فتذاكرنا رحمة الله تعالى وسعتها فكان اوثقنا بالله تعالى فقال له رجل الك هذا الرجاء والمذهب وانت تقذف المحصنات وتفعل ما تفعل فقال اتروني لو اذنبت الى ابوي اكانا يقذفانني في تنور وتطيب انفسهما بذلك قلنا لا بل كانا يرحمانك قال فانا والله برحمة ربي اوثق مني برحمتهما اخبرنا ابو

المرزباني قال حدثنا محمد بن ابراهيم قال حدثنا عبد الله بن ابي سعيد الوراق قال حدثنا محمد بن محمد بن سليمان الطفاوي قال حدثني ابي عن جدي قال شهدت الحسن البصري في جنازة النوار امراة الفرزدق وكان الفرزدق حاضرا فقال له الحسن وهو عند القبر ما اعددت يا ابا فراس لهذا المضجع قال شهادة ان لا اله الا الله منذ ثمانين سنة فقال له الحسن هذا العمود فاين الطنب وفي رواية اخرى انه قال نعم ما اعددت ثم قال الفرزدق في الحال

اخاف وراء القبر ان لم تعافني اشد من الموت التهابا واضيقا
اذا جاءني يوم القيامة قائد عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من اولاد آدم من مشى الى النار مغلول القلادة ازرقا
يقاد الى نار الجحيم مسربلا سرابيل قطران لباسا محرقا

قال فرايت الحسن يدخل بعضه في بعض وقال حسبك وقال ان رجلا راى الفرزدق بعد موته في منامه فقال له ما فعل الله بك فقال عفا عني بتلك الابيات فاما ما يدل على تشيعه وميله الى بني هاشم ما اخبرنا به ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني عمر بن داود العماني قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي بن سابق قال حدثنا ابو لبيد قال جاء الكميت الى الفرزدق فقال يا عم اني قد قلت قصيدة اريد ان اعرضها عليك فقال قل فانشده

طربت وما شوقا الى البيض اطرب

فقال له الفرزدق الا م طربت ثكلتك امك فقال

ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

ولم يلهني دار ولا رسم منزل ولم يتطربني بنان مخضب

فقال له الا م طربت فقال

فلا انا ممن يزجر الطير همه اصاح غراب ام تعرض ثعلب
ولا السانحات البارحات عشية امر سليم القرن ام مر اعضب

فقال الا م طربت لا ام لك فقال

ولكن الى اهل الفضائل والنهى وخير بني حواء والخير يطلب

فقال الفرزدق هؤلاء بنو دارم فقال الكميت

الى النفر البيض الذين بحبهم الى الله فيما نابني اتقرب

فقال الفرزدق هؤلاء بنو هاشم فقال الكميت

بني هاشم رهط النبي فانني بهم ولهم ارضى مرارا واغضب

فقال الفرزدق والله

وزجرتهم الى سواتهم لذهب قولك باطلا ومما يشهد لصحة ما ذكرناه ما اخبرنا به ابو عبيد الله المرزباني
قال حدثنا الحسن بن محمد بن طالب قال حدثني جدي يحيى بن الحسن العلوي قال
حدثني الحسين بن محمد بن طالب قال حدثني غير واحد من اهل الادب ان
علي بن الحسين حج فاستجهر الناس جماله وتشوفوا له وجعلوا يقولون من هو
فقال الفرزدق هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقي النقي الطاهر العلم *
تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم * اذا رأته قريش قال
قائلها * الى مكارم هذا ينتهي الكرم * يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم *
من جده دان فضل الانبياء له * وفضل امته دانت له الامم * يغضي حياء ويغضى
من مهابته * فلا يكلم الا حين يبتسم * اي القبائل ليست في رقابهم * لاولية هذا او له
نعم * من يعرف الله يعرف اولية ذا * فالدين من بيت هذا ناله الامم * وفي رواية الغلابي
ان هشام بن عبد الملك حج في خلافة عبد الملك او الوليد وهو حدث السن فاراد
ان يستلم الحجر فلم يتمكن من ذلك لتزاحم الناس عليه فجلس ينتظر خلوة فاقبل علي بن
الحسين عليهما السلام وعليه ازار ورداء وهو من احسن الناس وجها واطيبهم رائحة
وبين عينيه سجادة كانها ركبة عنز فجعل يطوف بالبيت فاذا بلغ الحجر تنحى الناس
له حتى يستلمه هيبة له واجلالا فغاظ ذلك هشاما فقال رجل من اهل الشام فقال
وكان حاضرا لكني اعرفه وذكر الابيات وهي اكثر مما رويناه وانما تركنا بيانها
معروفة قال فغضب هشام وامر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة فبلغ
ذلك علي بن الحسين عليهما السلام فبعث الى الفرزدق باثني عشر الف درهم
وقال اعذرنا يا ابا فراس فلو كان عندنا في هذا الوقت اكثر منها لوصلناك به فردها
الفرزدق وقال يا ابن رسول الله ما قلت الذي قلت الا غضبا لله ولرسوله وما كنت لارزأ
عليه شيئا فردها عليه واقسم عليه في قبولها وقال له قد رأى الله مكانك وعلم نيتك و
شكر لك ونحن اهل بيت اذا انفذنا شيئا لم نرجع فيه فقبلها فجعل الفرزدق يهجو
هشاما وهو محبوس فمما هجاه به قوله * أيحبسني بين المدينة والتي * اليها قلوب الناس يهوي منيبها

الحجر

لهشام من هذا فقال هشام لا اعرفه لئلا يرغب فيه اهل الشام

مجلس آخر

تأويل آية

يقلب رأسا لم يكن رأس سيد * وعينا له حولاء باد عيوبها
ان سأل سائل فقال ما عندكم في تأويل قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل
الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وظاهر هذه
الآية يقتضي انه تعالى ما شاء ان يكونوا امة واحدة وان يجتمعوا على الايمان والهدى
وضد اختلاف ما يذهبون اليه ثم قال ولذلك خلقهم فلا يخلو من ان يكون عنى انه للاختلاف
خلقهم او للرحمة ولا يجوز ان يعني الرحمة لان الكناية عن الرحمة لا تكون بلفظ ذلك ولو اراد
تعالى الرحمة لقال تعالى ولتلك خلقهم فلما قال تعالى ولذلك خلقهم كان رجوعه الى الاختلاف
اولى وليس يبطل حمل الآية على الاختلاف من حيث لم يكن مذكورا فيها لان
الرحمة ايضا غير مذكورة فيها وانما دل عليها قوله تعالى الا من رحم ربك فدل على الرحمة
فكذلك قوله تعالى مختلفين دال على الاختلاف على ان الرحمة هي رقة القلب
والشفقة وذلك لا يجوز على الله تعالى ومتى تعدى بها ما ذكرناه لم يعن بها الا العفو
واسقاط الضرر وما جرى مجراه عن مستحقه وهذا ايضا لا يجوز ان يكونوا مخلوقين له
على مذهبكم لانه لو خلقهم للعفو لما حسن منه عقاب المذنبين ومؤاخذة المستحقين
الجواب يقال له اما قوله تعالى ولو شاء ربك فانما عنى به المشية التي ينضم اليها الالجاء
ولم يعن تعالى المشية على سبيل الاختيار وانما اراد تعالى ان يخبرنا عن قدرته و
انه ممن لا يغالب ولا يعصى مقهورا من حيث كان قادرا على الجاء العباد و
اكراههم على ما اراده منهم فاما لفظة ذلك في الآية فحملها على الرحمة اولى من حملها على
الاختلاف بدليل العقل وشهادة اللفظ فاما دليل العقل فمن حيث علمنا انه تعالى
كره الاختلاف والذهاب عن الدين ونهى عنه وتوعد عليه فكيف يجوز ان يكون
شائيا له ومجريا بخلق العباد اليه واما شهادة اللفظ فلان الرحمة اقرب الى
هذه الكناية من الاختلاف وحمل اللفظ على اقرب المذكورين اليها اولى في لسان
العرب واما ما طعن به السائل وتعلق به من تذكير الكناية وان الكناية عن الرحمة
لا تكون الا مؤنثة فباطل لان تأنيث الرحمة غير حقيقي واذا كني عنها بلفظ التذكير

كانت الكناية على المعنى لان معناها هو الفضل والانعام كما قالوا اسرني كلمتك يريد
سرني كلامك قال الله تعالى هذا رحمة من ربي ولم يقل هذه رحمة من ربي وانما اراد
هذا فضل من ربي قالت الخنساء فذلك يا هند الرزية فاعلمي ونيران حرب
حين شب وقودها اراد به الرزء قال امرؤ القيس برهرهة رخصة رودة
كخرعوبة البانة المنفطر فقال المنفطر ولم يقل المنفطرة لانه ذهب الى الغصن و
قال آخر هنيئا لسعد ما اقتضى بعد وقعتي بناقة سعد والعشية بارد فذكر الوصف
لانه ذهب الى العشي وقال الآخر قامت تبكيه على قبره من لي من بعدك يا عامر
تركتني في الدار ذا غربة قد ذل من ليس له ناصر فقالت ذا غربة ولم تقل ذات
غربة لانه اراد شخصا ذا غربة وقال زياد الاعجم ان السماحة والشجاعة ضمنا قبرا بمرو
على الطريق الواضح فقال ضمنا ولم يقل ضمنتا قال الفراء لانه ذهب الى ان السماحة
والشجاعة مصدران والعرب تقول قصارة الثوب يعجبني لان تانيث المصادر
يرجع الى الفعل وهو مذكر وقال الفرزدق تجوب بنا الفلاة الى سعيد اذا ما الشاة
في الارطاة قالا فذكر الوصف لانه اراد التيس فاما الارطاة فهي واحدة
الارطى وهو شجر ينبت في الرمل يستظل بظله الظباء من شدة الحر ونادى القوم
قال الشماخ اذا الارطى توسد ابرديه خدود جوازئ بالرمل عين وقوله الامر القول
لا يمنع القول على ان قوله تعالى الا من رحم ربك كما يدل على الرحمة يدل ايضا على
ان رحم اذا جعلنا الكناية بلفظ ذلك عن ان رحم كان التذكير موضوعا لان الفعل
مذكر ويجوز ايضا ان يكون قوله ولذلك خلقهم كناية عن اجتماعهم على الايمان وكونهم
فيه امة واحدة ولا محالة انه تعالى لهذا خلقهم ويطابق هذه الآية قوله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون قد قال قوم في قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس
امة واحدة ان معناه انه لو شاء ان يدخلهم اجمعين الجنة فيكونوا في وصول جميعهم الى
النعيم امة واحدة واجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها
في انه اراد هديها الى طريق الجنة فعلى هذا التاويل ايضا يمكن ان يرجع لفظة ذلك

الى ثوابهم اجمعين اي الجنة لانه تعالى انما خلقهم للمصير اليها والوصول الى نعيمها
فاما قوله تعالى ولا يزالون مختلفين فمعناه الاختلاف في الدين والذهاب
عن الحق فيه بالهوى والشبهات وذكر ابو مسلم محمد بن بحر في قوله مختلفين وجها
غريبا وهو ان يكون معناه ان خلف هؤلاء الكافرين يخلف سلفهم في
الكفر لانه سواء قولك خلف بعضهم بعضا وقولك اختلفوا كما سواء قولك
قتل بعضهم بعضا واقتتلوا ومنه قولهم لا افعل ذلك ما اختلف العصران والجديدان
اي جاء كل واحد منهما بعد الآخر فاما الرحمة فليست رقة القلب كما ظنها
لكنها فعل النعم والاحسان يدلك على ذلك ان من احسن الى غيره
وانعم عليه وصف بانه رحيم به وان لم يعلم منه رقة القلب عليه بل وصفهم بالرحمة
من لا يعهدون منه رقة القلب اقوى من وصفهم الرقيق القلب بذلك لانه
مستقر النعم والتفضل والاحسان على من لا رقة عنده اكثر منها على الرقيق القلب
وقد علمنا ان من رق قلبه لو امتنع من الافضال والاحسان لم يوصف بالرحمة
وان انعم وصف بذلك فوجب ان يكون معناها ما ذكرناه على انه لا يمتنع ان
يكون معنى الرحمة في الاصل ما ذكرتم ثم انتقل بالتعارف الى ما ذكرناه بالتعليل يره
وقد وصف الله تعالى القرآن بانه هدى ورحمة من حيث كان نعمة ولا رقة في
القرآن ما ظنوه وانما وصفت رقة القلب بانها رحمة لانها مما تجاوره الرحمة
التي هي النعمة في الاكثر وتوجد عنده فيجعل مجاز وصف الشهوة بانها محبة لما كانت
توجد عندها المحبة في الاكثر وليست الرحمة مختصة بالعفو بل تستعمل في ضروب النعم
وصنوف الاحسان الا ترى انا نصف المنعم على غيره المحسن اليه بالرحمة وان لم يسقط
عنه ضررا ولا تجاوز له عن زلة وانما سمي العفو عن الضرر وما جرى مجراه رحمة من حيث
كان نعمة لان النعمة باسقاط الضرر تجري مجرى النعمة بايصال النفع فقد بان بهذه
الجملة فساد الامر و[illegible] سؤال فان قيل اذا كانت الرحمة هي النعمة
وعندكم ان نعم الله تعالى شاملة للخلق اجمعين وانه منعم على جميعهم لا يستثنى من رحم من

بجملة المكلفين ان كانت الرحمة هي النعمة وكيف يصح اختصاصها بقوم دون قوم
وهي عندكم شاملة عامة قلنا لا شبهة في ان نعم الله تعالى شاملة للخلق اجمعين
غير ان في نعمه ايضا ما يختص بها بعض العباد اما للاستحقاق او لسبب يقتضي الاختصاص
فاذا حملنا قوله تعالى الا من رحم ربك على النعمة بالثواب فالاختصاص ظاهر لان
ثم لا يكون الا مستحقة فمن استحق الثواب باعماله وصل الى هذه النعمة ومن لم يستحقه
لم يصل اليها وان حملنا الرحمة في الاية على النعمة بالتوفيق للايمان واللطف الذي لا يصح
بعده فعل الايمان كانت هذه النعمة ايضا مختصة لانه تعالى انما لم يعم بها سائر
المكلفين من حيث لم يكن في معلومه تعالى ان لهم توفيقا وان في الافعال ما
يختارون عنده الايمان فاختصاص هذه النعمة ببعض العباد ولا يمنع من شمول نعم اخر
لهم كما ان شمول تلك النعمة لا يمنع من اختصاص هذه

تاويل خبر

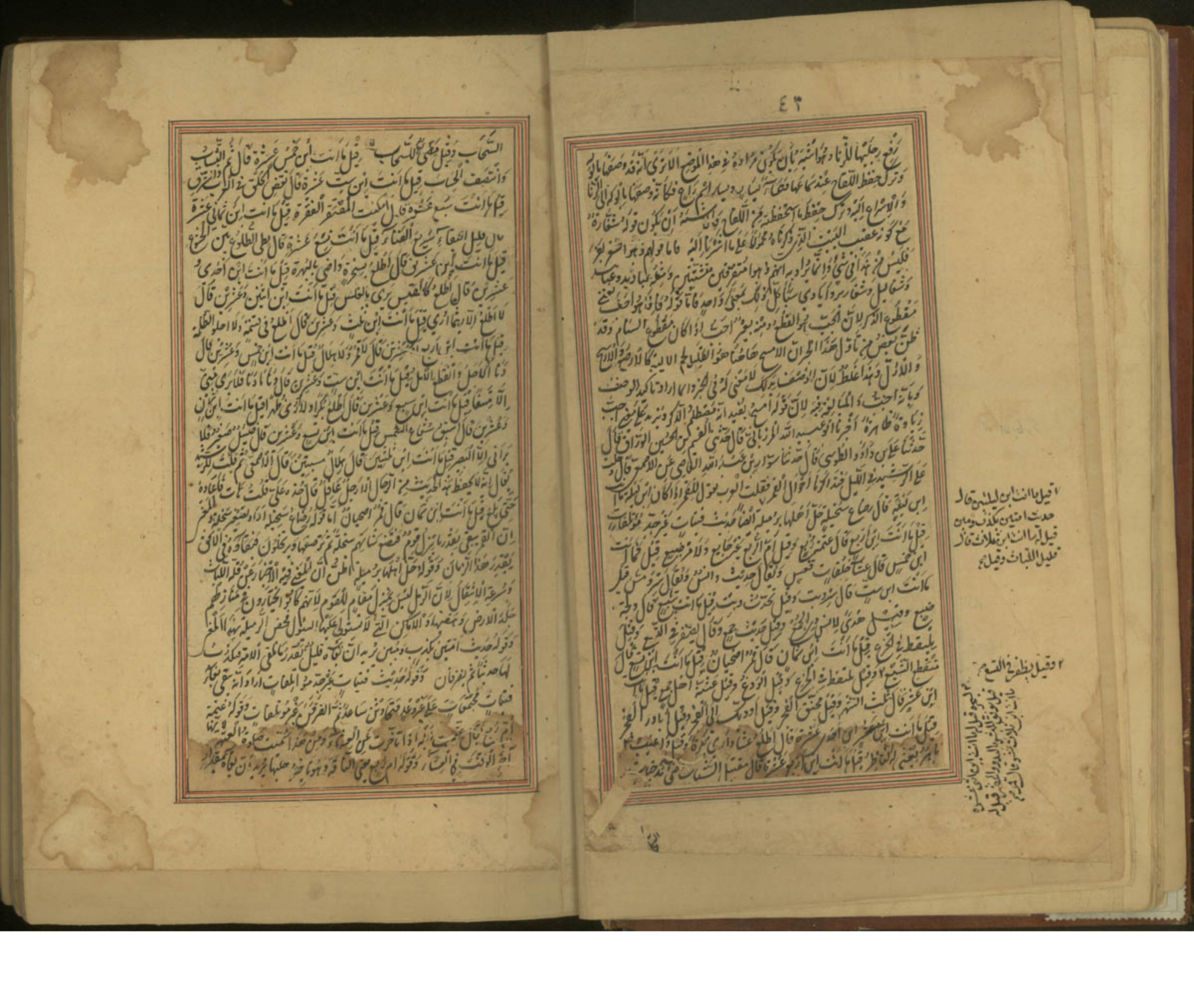
روى ابو مسعود البدري عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان مما ادرك الناس
من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت وفي هذا الخبر وجوه من التاويل
ثلثة احدها ان يكون معناه اذا عملت العمل لله تعالى وانت لا تستحي من الناظر من
اليك ولا تخوفهم ان ينسبوك فيه الى الرياء صنعت ما شئت لان فكرك فيهم
ومراقبتك لهم يقطعانك عن استيفاء شروط عملك وما يجب من القيام بحقوقه
وحدوده فاذا اطرحت الفكر توفرت على استيفاء عملك والوجه الثاني ان
من لم يستحي من المعاير والفضائح صنع ما شاء وقال ظاهره الامر والمعنى
تغليظ وانكار مثل قوله تعالى اعملوا ما شئتم وقوله عز وجل فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر وهذا نهاية التغليظ والزجر والاخبار عن ركوب الذنب في اطراح الحياء ويجري
مجرى قولهم بعدا ان فعل فلان كذا وكذا فليفعل ما شاء وبعدا ان اقدم على كذا فليقدم
على ما شاء والمعنى المبالغة في عظم ما ارتكبه وقبح ما اقترفه والوجه الثالث ان يكون معنى الخبر
اذا لم تفعل ما يستحي منه يعني مستحيا فافعل ما شئت لانه لا قبيح فيه من فنون القبائح الا و
والحياء صاحبه ومن شأن من يفعله اذا فرغ ان يستحي منه فمتى جانبت ما

ما يستحيي منه من افعاله فقد جانب سائر القبائح وما عدا القبيح من الافعال فهو حسن وقريب
هذا مما جرى خبر يروى فيما اظن عن نبينا عليه السلام ان رجلا جاءه فاسترشده الى
خصلة تكون فيها جماع الخير فقال عليه السلام اشترط عليك الا تكذبني ولم اسالك عما
وراء ذلك فهان على الرجل ترك الكذب فاجابه والمعاهدة على اجتنابه دون سائر
القبائح وشرط على نفسه ذلك فلما انصرف جعل كلما هم بقبيح يفكر ويقول ان راث
كوساءني عنه عليه السلام ما كنت قائلا له لانني ان صدقته افتضحت عنده وان كذبت
نقضت العهد بيني وبينه فكان ذلك سببا لاجتنابه سائر القبائح وهكذا المعنى في الخبر
الذي تاولناه لان في اجتناب ما يستحيي منه اجتنابا لسائر القبائح

تاويل خبر

روى محمد بن الحنفية عن ابيه امير المؤمنين عليه السلام انه قال قد كثر
على مارية القبطية ام ابراهيم عليه السلام في ابن عم لها قبطي كان يزورها ويختلف
اليها فقال لي النبي عليه السلام خذ هذا السيف وانطلق اليه فان وجدته عندها
فاقتله فقلت يا رسول الله اكون في امرك اذا ارسلتني كالسكة المحماة امضي لما امرتني
به ام الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال لي النبي عليه وآله السلام بل الشاهد يرى
ما لا يرى الغائب فاقبلت متوشحا بالسيف فوجدته عندها فاخترطت السيف فلما
اقبلت نحوه عرف اني اريده فاتى نخلة فرقي اليها ثم رمى بنفسه على قفاه وشغر
رجليه فاذا انه اجب امسح ما له مما للرجال قليل ولا كثير فغمدت السيف
ورجعت الى النبي عليه وآله السلام فاخبرته فقال الحمد لله الذي يصرف عنا اهل البيت
قال الشريف المرتضى قدس الله روحه ونور ضريحه في هذا الخبر احكام غريبة ونحن نبدأ بالاحكام
ثم نتلوها بغريبه فاول ما فيه ان لقائل ان يقول كيف يجوز ان يأمر الرسول عليه السلام
بقتل رجل على التهمة بغير بينة ولا ما يجري مجراها الجواب عن ذلك ان القبطي جائز
ان يكون من اهل العهد الذين اخذ عليهم ان لا يجري منهم احكام المسلمين وان يكون الرسول
عليه السلام تقدم اليه بالانتهاء عن الدخول على مارية فخالف واقام على ذلك وهذا نقض
العهد وناقض العهد من اهل الكفر مؤذن بالمحاربة والمؤذن بها مستحق للقتل فاما قوله عليه السلام





حلب أخلافها لها دلة دلة في أول الربيع وهو أول النتاج والولد في هذا الوقت يسمى ربعا
اذا كان ذكرا فان كان انثى فهي ربعة فان كان في آخر النتاج قيل هبع للذكر وللانثى
هبعة وقوله عشاء خلفات قعس فالخلفات الحوامل قد استبان حملها واحدتها
خلفة وهي واحدة المخاض ولا واحدة للمخاض من لفظها وانما قال عشاء خلفات لانها
لا تعشى الى ان تغيب الشمس في هذه الليلة والعشاء الداخلة الظهر الخ
وقوله سردبت يريد انه لا يبقى الا بقدر ما يبر الانسان ثم يغيب وقوله قمر اضحيان
اي ضاح بارز ويقال قمر اضحيان بالتنوين فيهما وقمر اضحيان بالاضافة ومنه قيل
ليلة اضحيانة اذا كانت نقية البياض وقوله منقطع الشسع اراد انه يبقى بقدر ما يجد
شسع من قد يمشي به حتى ينقطع وقوله منقطع الخرج اي انه مضى البلح
لو انقطعت مخنقة فتاة فيها شذور منفصلة يخرج ما ضاع منها في الضياء
وتعاريه وقوله اضحى بالبهرة يعني بوسط الليل لان بهرة الشيء وسطه وقوله المكتنه
المقتفر العفرة فالمقتفر الذي تبع الآثار ومعفرة موضعه الذي يقصده

مجلس سابع تاويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالى ومن كان في
هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا فقال كيف يجوز ان يكونوا في الآخرة
عميا وقد تظاهر الخبر عن الرسول عليه السلم ان الخلق يحشرون كما بدؤا سالمين
من الآفات والعاهات وقال الله تعالى كما بدأكم تعودون وقال كما بدأنا اول
خلق نعيده وعدا علينا وقال عز وعلا فبصرك اليوم حديد الجواب يقال
له في هذه الآية اربعة اوجه احدها ان يكون العمى الاول انما هو عن تامل الآيات
والنظر في الدلالات والعبر التي اراها الله تعالى المكلفين في انفسهم وفيما
يشاهدون ويكون العمى الثاني هو عن الايمان بالآخرة والاقرار بما يجازى به المكلف
فيها من ثواب او عقاب وقد قال قوم ان الآية متعلقة بما قبلها من قوله تعالى
ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الى قوله ولقد كرمنا بني آدم
وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا

سه اجوبه

تفضيلا ثم قال تعالى ومن كان في هذه اعمى اي عما غيب عنه من نعم الآخرة اعمى ويكون
قوله تعالى في هذه ... كناية عن النعم لا عن الدنيا ويقال
ان ابن عباس سأله سائل عن هذه الآية فقال اتل ما قبلها وتدبرها وقيل
يريد انه اعمى عن الجنة والثواب يعني انه لا يهتدي الى طريقهما ولا يوصل اليهما
لفقد الحجة اذا سئل ووقف ومعلوم ان من ضل عن معرفة الله تعالى والايمان به يكون
في القيامة منقطع الحجة مفقود المعاذير والجواب الثالث ان يكون العمى الاول
عن المعرفة والايمان والثاني بمعنى المبالغة في الاخبار عن عظيم ما يناله هؤلاء الكفار
والجهال بما يدخل عليهم من الخوف والغم والحزن الذي ازاله الله تعالى عن المؤمنين
العارفين بقوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومن عادة العرب ان يسمي من
اشتد همه وقوي حزنه بانه اعمى سخين العين ويصفون المسرة بانه قرير العين كما
قال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون والجواب
الرابع ان يكون العمى الاول عن الايمان والثاني هو الآفة في العين على سبيل
العقوبة كما قال تعالى ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت
بصيرا والخلق نعيده على ان المعنى فيه الاخبار عن الاقتدار وعدم المشقة في الاعادة
كما انها معدومة في الابتداء ويجعل ذلك نظير قوله تعالى وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده
وهو اهون عليه ويتاول قوله تعالى فبصرك اليوم حديد على ان معناه انا اخبار عن
قوة المعرفة وان الجاهل بالله تعالى في الدنيا يكون عارفا به في الآخرة وتقول العرب
فلان بصير بهذا الامر وزيد البصر بكذا من عمرو ولا يريدون ابصار العين بل العلم
والمعرفة ويشهد بهذا التاويل قوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك
غطاءك فبصرك اليوم حديد اي كنت غافلا عما انت الآن عارف به فلما
كشفنا عنك الغطاء بان اعلمناك وجعلناك في قلبك المعرفة عرفت وعلمت فاما
الخبر الذي تضمن روايته فهو خبر واحد ولا حجة في مثله واذا عرف لفظه امكن
تاوله على ما يطابق هذا الجواب فنذهب الى الاجوبة الاول نجعل العمى الاول

يعني في هذه النعم ومن هذه العبر فهو في الآخرة اعمى ح

والجواب الثاني من كان في هذه اي في هذه الدنيا اعمى عن الايمان بالله والمعرفة بما اوجب عليه المعرفة فهو في الآخرة ح

قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ويتجه بهذا الجواب بتاويل قوله تعالى كما بدأنا اول

وان في معاني الآفة في العين فان عورض بقوله تعالى ونحشره يوم القيامة أعمى أي ناديا على
عن الثواب او عن الحجة وقال في قوله تعالى لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ان معناه
كنت بصيرا في اعتقادي وظني ثم حيث كنت أرى الهداية الى الثواب وطريق الجنة
والمحصل من هذه الجملة انه لا يجوز ان يراد بالعمى الثاني والاول جميعا الآفة في العين لانه
يودي الى ان كل من كان موؤف البصر في الدنيا من مومن وكافر وطالح ... ان يكون
كذلك في الآخرة وهذا باطل وبمثله يبطل ان يراد بلفظ أعمى الثانية المبالغة بمعنى أفعل
من فلان ويبطله ايضا ان العمى الذي هو الخلقة لا يتعجب منه بلفظ افعل وانما يقال
ما اشد عماه ولا يجوز ان يراد بالعمى الاول عمى العين والثاني العمى عن الثواب او الجنة
لانا نعلم ان من عميت عينه في الدنيا من يستحق الثواب ويوصل الجنة ولا يجوز ان يراد
بالاول والثاني العمى عن المعرفة والايمان لا على طريق المبالغة والتعجب ولا على غير ذلك لانا
نعلم ان الجهال بالله تعالى المؤمنين في الدنيا غير موقنين لا يجوز ان يكونوا في الآخرة
كذلك فضلا عن ان يكونوا اعلى ... في هذه الحال لان المعارف في الآخرة ضرورية
تشترك فيها جميع الناس فلم يبق بعد الذي ابطلناه الا ما دخل في الاجوبة وعلى الاجوبة
الثلثة الاول اذا أريد بالعمى الثاني المبالغة والتعجب كان في موضعه لان عمى القلب مما
يتعجب منه بلفظ افعل وان لم يحمل ذلك على المبالغة ولمن اجاب بالجواب الرابع ان لا يحمل
قوله تعالى فهو في الآخرة أعمى لفظ تعجب بل يجعله اخبارا عن عماه من غير تعجب وان عطف
عليه بقوله تعالى واضل سبيلا ويكون تقدير الكلام ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى
واضل سبيلا فان قيل ولم زعمتم ان التعجب من الخلق بلفظ افعل قلنا قد قال النحويون في
ذلك ان الالوان والعيوب لا يتعجب منها بلفظ التعجب وانما يعدل فيها الى اشد
واظهر وما جرى مجراهما قالوا لان الالوان والعيوب قد ضارعت الاسماء وصارت خلقة
كاليد والرجل ونحو ذلك فلا يقال ما اسوده واعوره كما لا يقال ما ايداه وارجله وانما يقال
ما اشد سواده كما يقال ما اشد يده ورجله واعتلوا بعلة اخرى ايضا الى ان الفعل من الالوان
والعيوب يكثر افعل نحو احمر واعور واحول ... والتعجب لا يدخل فيما زاد على

منه أحرف من الافعال ألا ترى انه لا يدخل في الثلاثي واسحنجر واعوج لزيادته على ثلثة
أحرف فان قيل لهم قد قالوا عورت عينه وحولت قالوا هذا منقول عن افعل
وهو في الحكم زائد على ثلثة احرف بدلالة صحة الواو فيه كما صحت في اسود
وابيض ولولا انه منقول من ذلك لاعتلت الواو فقلبت فقيل عارت وحالت كما قيل خاف
وهاب ويحكى عن الفراء في ذلك جوابان احدهما ان افعل في التعجب فيه زيادة
على وصف قبله اذا قال القائل افضل واجمل فهو زائد في الوصف من فاضل وجميل فلم
يقولوا ما ابيض زيدا لئلا يسقط المزيد ولا يكون قبل ابيض وصف يزيد ابيض
عليه يخالف لفظه كما خالف افضل واجمل فاضلا وجميلا فلما فاتهم في ابيض واحمر
علم المزيد ادخلوا عليه ما يبين الزيادة فيه فقالوا ما اظهر حمرة زيد وما اشد سواد عمرو ولان
اظهر يزيد على ظاهر واشد يزيد على شديد والجواب الآخر ان التعجب مبني على زيادة يصلح
ان يتقدمها نقص وتقصير عن بلوغ التناهي فقالوا ما اعلم زيدا لو اعلى زيادة علمه
لانه في قولهم عالم وعليم لما يبلغوا في التناهي مبلغ اعلم ولم يقولوا ما ابيض زيدا لان
البياض لا يتاتى منه زيادة بعد نقص فعدلوا الى التعجب باشد وابين وما جرى مجراهما
وهذا الجواب ليس بشيء لان الالوان قد يتاتى فيها الزيادة بعد نقص وقد يدخل
فيها المفاضلة الا ترى ان ما حله قليل اجزاء البياض يكون انقص حالا في البياض مما
حله الكثير من الاجزاء والجواب الاول الذي حكيناه عن الفراء اصوب وان كان
ما قدمناه عن البصريين هو المعتمد وقد انشد بعضهم معترضا على ما ذكرناه قول الشاعر

يا ليتني مثلك في البياض ابيض من اخت بني اباض

وانشد ايضا

اما الملوك فانت اليوم الأمهم لوما وابيضهم سربال طباخ

فاما البيت الاول فان ابا العباس المبرد حمله على الشذوذ وقال ان الشاذ النادر لا يطعن به في الاصول
المتفق على صحتها ويجوز ان يقال ايضا في البيت الثاني ان ابيض فيه ليس
هو الذي للمفاضلة وانما هو افعل الذي مؤنثه فعلاء كقولك ابيض وبيضاء

وتجري ذلك مجرى قولهم هو احسن الناس وجهاً وشرّهم خُلقاً فكان الشاعر قال و
مبتغضهم فلما اضاف انتصب ما بعده لتمام الاسم وهذا احسن من حمله على الشذوذ ويمكن
فيه وجه آخر وهو ان ابيض في البيت وان كان في الظاهر عبارة عن اللون فهو في
المعنى كناية عن اللؤم والبخل فحمل لفظ التعجب على المعنى دون اللفظ ولو انه اراد با
بيضهم بياض الثوب ونقاءه على الحقيقة لما جاز ان يتعجب بلفظ افعل فالذي جرى على
هذا اللفظ ما ذكرناه فاما قول المتنبي ابعد بعدت بياضاً لا بياض
له لانت اسود في عيني من الظلم ❊ فقد قيل فيه ان قوله لانت اسود في عيني كلام تام
ثم قال من الظلم اي من جملة الظلم كما يقال حر من احرار ولئيم من لئام اي من جملتهم قال الشاعر
وابيض من ماء الحديد كانه شهاب بدا والليل داج عساكره ❊ فكانه قال وابيض كائن
من ماء الحديد وقوله من ماء الحديد وصف لابيض وليس متصل به كاتصال من بافعل في
قولك هو افضل من زيد ولفظة من في بيت المتنبي في موضع لانها وصف للاسود
واذا اريدت للمفاضلة والتعجب كانت منصوبة الموضع باسود كما يقال زيد خير منك
لمنك في موضع نصب بخير كانه قال فضلك بخيرك اي فضلك في الخير وهذا التأويل
المذكور في بيت المتنبي ويمكن ان يقال في قول الشاعر ابيض من اخت بني اباض
ويحمل على انه اراد من جملتها ومن قومها ولم يرد التعجب وتاوله على هذا الوجه اولى من حمله على
الشذوذ فاما قول المتنبي ابعد بعدت بياضاً لا بياض له فالمعنى الظاهر للناس فيه انه اراد
لا ضياء له ولا نور ولا اشراق من حيث كان حلوله مخوفاً مؤذناً بتقضي الاجل وهذا الجري
معنى ظاهر الا انه يمكن فيه معنى آخر وهو ان يريد انك بياض لا لون بعده لان البياض آخر
الالوان في الشعر فجعل قوله لا بياض له بمنزلة قوله لا لون بعده وانما سوغ ذلك لان البياض
هو الآتي بعد السواد فلما نفى ان يكون للشيب بياض كان نفياً لان يكون بعده لون
وقد اختلف القراء في فتح الميم وكسرها من قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى
فقرا ابن كثير ونافع وابن عامر بفتح الميمين معاً وكذا عاصم في رواية ابي بكر وحمزة والكسائي
بكسر الميمين فيهما معاً وفي حفص عن عاصم لا بكسرهما وكسر ابو عمرو الاولى وفتح الآخرة لكل وجه

التعجب

اما من ترك امالة الجميع فانه قوله حسن لان كثيراً من العرب لا يميلون هذه الفتحة ومن امال الجميع
فحجته قوله انه نحا بالالف نحو الياء ليعلم انها تنقلب الى الياء واما قراءة ابي عمرو بامالة الاولى
وفتح الثانية فوجه قوله انه جعل الثانية افعل من كذا مثل افضل من فلان واذا جعلها كذلك
لم تقع الالف في آخر الكلمة لان آخرها انما هو من كذا وانما تحسن الامالة في الاواخر
وقد حذف شيء من افعل الذي هو للتفضيل الجار والمجرور جميعاً وهما مرادان في المعنى مع الحذف
وذلك نحو قوله تعالى يعلم السر واخفى والمعنى واخفى من السر فكذلك قوله في فهو في
الآخرة اعمى واضل سبيلاً المعنى اعمى منه في الدنيا واعمى من غيره ويقوي هذه الطريقة ما عطف
عليه من قوله تعالى واضل سبيلاً فكما ان هذا لا يكون الا على افعل من كذا كذلك المعطوف
عليه تاويل خبر روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال تقيء الارض
افلاذ كبدها مثل الاسطوان من الذهب والفضة فيجي القاتل فيقول في مثل هذا قتلت ويجي
القاطع للرحم فيقول في مثل هذا قطعت رحمي ويجي السارق فيقول في مثل هذا قطعت يدي
ثم يتركونه ولا يأخذون منه شيئاً معنى تقيء اي تخرج ما فيها من الذهب والفضة وذلك
من علامات قرب الساعة وقوله عليه السلام تقيء تشبيه واستعارة من حيث كان اخراجاً
واظهاراً وكذلك تسميته عليه السلام ما في الارض من الكنوز كبداً تشبيه بالكبد الذي في
بطن البعير وغيره وفي هذا للعرب مذهب معروف قال قرة بن ابي مكان السعدي يصف
قدراً نصبها للاضياف تعيث قدري لحم الارض قد لبثت من
الصقيع فلا تجده قنساً ❊ لها ازير بزمل اللحم ازملت عن العظام اذا ما استحمشت
غضباً ❊ ترمي الفلاة بنبل غير طائشة وقفاً اذا انت من تحتها لهبا ❊
فوصفها بالغضب تشبيهاً واستعارة فاما الازير فهو الغليان والعرب تقول للجوفه
ازير مثل ازير المرجل والازمل الصوت واستحمشت اي غضبت يقال احمشت الرجل
اغضبته وقال النابغة الجعدي في مثل الاستعارة سألتني عن اناس هلكوا شرب
الدهر عليهم واكل ❊ فوصف الدهر بالاكل والشرب تشبيهاً واستعارة وقال قوم
معنى البيت شرب اهل الدهر عليهم بعدهم واكلوا واختلف اهل اللغة في الافلاذ فقال

يعقوب بن السكيت الفلذ لا يكون إلا للبعير وهو قطعة من كبده ولا يقال فلذ الشاة
ولا فلذ البقرة ويقال أعطني فلذا من الكبد وفلذة من الكبد قال أعشى باهلة تكفيه حزة
فلذ إن ألم بها من الشواء ويروي شربه الغمر القدح الصغير قال يعقوب ولا يقال
أعطني حزة من سنام ولا من لحم إنما هي الحزة في الكبد خاصة فإذا أرادوا
ذلك من السنام واللحم قالوا أعطني حذية من لحم وهي القطعة الصغيرة وفلذة من سنام
وقال الطوسي عن أبي عبيد عن الأصمعي حذية وحزة من لحم إذا كانت مقطوعة
فإذا كانت مجتمعة قلت أعطني بضعة من لحم وهبرة من لحم ووذرة من لحم ومثل هذا
الحديث قوله تعالى وأخرجت الأرض أثقالها معناه أخرجت ما فيها من الكنوز وقال
قوم يعني تعالى به الموتى وأنها أخرجت موتاها وسمى تعالى الموتى ثقلا تشبيها بالحمل
الذي يكون في البطن لأن الحمل يسمى ثقلا قال الله تعالى فلما أثقلت دعوا الله والعرب
يقول للسيد الشجاع ثقلا على الأرض فإذا مات سقط عنها بموته ثقل قالت الخنساء
ترثي أخاها صخرا أبعد ابن عمرو من آل الشريد حلت به الأرض أثقالها معناه أنه لما مات
حل عنها بموته ثقل لسودده وشرفه وقال قوم معنى حلت به زينت موتاها وهو مأخوذ
من الحلية وقال الشمردل اليربوعي يرثي أخاه وحلت به أثقالها الأرض وانتهى لمثواه
منها وهو عف شمائله وروى أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب فقال قال زهير
بن أبي سلمى المزني بيتا ثم أكدى فمر به النابغة الذبياني فقال له يا أبا أمامة أجز
قال وماذا قال تزال الأرض إما مت خفا وتحيا ما حييت بها ثقيلا نزلت بمستقر
العز منها فماذا قال فأكدى والله النابغة وأقبل كعب بن زهير وهو غلام فقال له أبوه
أجز يا بني فقال وماذا فأنشده البيت الأول ومن الثاني نزلت بمستقر العز
منها فقال كعب فتمنع جانبيها أن تزولا فقال زهير أنت والله ابني فأما حص
الكبد فهو ما يشتمل عليه البطن لأنه من أطايب الجزور والعرب تقول أطايب
الجزور السنام والملحاء والكبد قال المرتضى رحمة الله عليه وإني لأستحسن قول الخنساء
وقد قيل لها مدحت أخاك حتى هجوت أباك فقالت جارى أباه فأقبلا وهما

يتعاوران ملاءة الحضر حتى إذا نزت القلوب وقد لزت هناك العذر بالعذر
وعلا هتاف الناس أيهما قال المجيب هناك لا أدري برزت صحيفة وجه والده ومضى
على غلوائه يجري أولى فأولى أن يساويه لولا جلال السن والكبر وهما كأنهما
وقد برزا صقران قد حطا إلى وكر وقال أبو قيل لأبي عبيدة ليس هذه الأبيات
في مجموع شعر الخنساء فقال أبو عبيدة العامة أسقط من أن نجاد عليها بذلك ولعمري
إنها قد بلغت في مدح أخيها من غير أن تزري على أبيها النهاية لأنها جعلت تقدم
أبيه له عن قدرة منه على المساواة وعن غير تقصير منه وأنه إنما أفرج له عن السبق
لحقه ولسنه وكبره وسنه فكأن الخنساء نظرت في هذا المعنى إلى قول زهير يصف
حمار وحش فشج بها الأماعز وهي تهوي هوي الدلو أسلمها الرشاء فليس
لحاقه كلحاق إلف ولا كنجاء منه نجاء نقدمه إذا اختلفت عليها تمام السن
منه والذكاء ويشبه أن يكون الكميت أخذ من الخنساء قوله في مخلد بن يزيد بن
المهلب ما إن أرى كأبيك أدرك شأوه أحد ومثلك طالبا لم يلحق بجاريك
له فضيلة سنه وتلوت بعد مصليا لم تسبق إن تنزعا فلفضيلة سبقه ويحمل
شأو أبيك لم تجار ولئن لحقت به على ما قد مضى من بعد غايته فأنجح وأعلق
ويشبه هذا المعنى قول المؤمل بن أميل الكوفي المحاربي يمدح المهدي في حياة المنصور
لئن فت الملوك وقد توافوا إليك من السهولة والوعور لقد فات
الملوك أبوك حتى بقوا من بين كاب أو حسير وجئت وراءه تجري حثيثا وما بك
حين تجري من فتور فقال الناس ما من ذين إلا بمنزلة الخليق من الجدير فإن سبق
الكبير فأهل سبق له فضل الكبير على الصغير وإن بلغ الصغير مدى كبير فقد خلق الصغير
من الكبير ومن هذا المعنى قول الشاعر جيادا جرت في حلبة فتعاطت على قدر
الأسنان والعرق ومثاله هذا المعنى بعض الشيء وإن لم يذكر فيه السن
تفضيل الكبر قوله هو الجواد فإن يلحق بشأوهما على تكاليفه فمثله لحقا أو يسبقاه
على ما كان من مهل فمثل ما قدما من صالح سبقا وروي أن عبد الله بن جعفر

بن خالد البرمكي جارية شاعرة فاراد ان يبلوها فقال لها قولي في معنى بيتي زهير اللذين ذكرتهما
فقالت: بلغت اذ كدت يحيى او لحقت به فلم تخلهما خالد اني شاو فتسبق لكني مضى
وتلا يحيى فانت له تال تقللت دون الركض بالعنق ومن احسن ما قيل من المساواة
والمقارنة وهو اصل في هذا المعنى مناسب له قول عيال بن شبل: اذا اخترت
من قوم خيار خيارهم فكل بني عبد المدان خيار جرو العنان واحد فضل سهم
بان قيل قد فات العذار العذار او قول الكميت: من قبل انوه لسابق ان
قيل فات العذار العذار افضله قول العتابي وهو مليح جدا: كما تعاذف جردا
في اعنتها سبقا باذانها قرا وبالعذر واول من سبق الى هذا المعنى زهير فقوله
يصف مطاردة البازي للقطاة ومقاربته لها دون السماء وفوق الارض
قدرهما عند الذنابى فلا فوت ولا درك وقد لحظ ابو نواس هذا المعنى فقوله يمدح
الفضل بن الربيع ويذكر مقاربته لابيه في المجد والسودد: ثم جرى الفضل وانثنى قدما
دون مداه من غير تربيق فقيل راتاستهما براد الغاية والفضل سابق الفوق ويشاكل
ذلك قول البحتري في ابن ابي سعيد الثغري: جد كجد ابي سعيد انه ترك الشمال كانه
لم يشرف فسامحه اخلاقه وهي الودي للمعتدي وهي الندى للمعتفي فاذا جرى
من غاية وجريت من اخرى التقى شاواكما في المنصف ويشبه ايضا قوله:
فاذا رايت شمايل ابني صاعد ادت اليك شمايل ابني مخلد كالفرقدين اذا
تامل ناظر لم يعل موضع فرقد عن فرقد واما قول الخنساء يتعاوران ملاءة
الحضر فهي تسمى بالملاءة الغبار وقال عدي بن ابي قاح وكانه نظر الى الهاني قوله
يصف حمارا واتانا: يتعاوران من الغبار ملاءة بيضاء محدثة هما نسجاها بالطوع
اذا اوطيا مكانا حاسيا واذا السنابك اسهلت نشراها وهذا المعنى وان كان
هو معنى الخنساء بعينه فقد زاد في استيفاء عليها زيادة ظاهرة حاذق اجلها
بالمعنى احق منها وقد ابتدأ بهذا المعنى رجل من بني عقيل فقال من قصيدة: ثيران
من كل نسج الغبار عليها قميصين اسمالا ويرتديان تاديل آيته اذا سال سايل عن ...

وجاؤوا

وجاؤوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان
على ما تصفون فقال وصف الدم بانه كذب والكذب من صفات الاقوال لا من صفات
الاجسام واي معنى لوصف الصبر بانه جميل ومعلوم ان صبر يعقوب عليه السلام على
فقد ابنه يوسف عليه السلام لا يكون الا جميلا ولم ارتفع الصبر وما المقتضي لرفعه الجواب
يقال انما الكذب ههنا بمعنى المكذوب عليه وفيه مثل قولهم هذا ماء سكب وتراب صب يريدون
بقولهم مسكوب ومثله ايضا قولهم ماء غور ورجل صوم وامراة نوح قال الشاعر:
تظل جيادهم نوحا عليهم مقلدة اعنتها صفونا اراد بقوله نوحا اي نائحة عليهم
ومثله قول العرب ما لفلان معقول يريدون بذلك ماله عقل وماله على هذا الامر مجلود يريدون
ماله جلد قال الشاعر: حتى اذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفؤاده معقولا وانشد ابو العباس
ثعلب: قد والذي سمك السماء بقدرة بلغ العزاء فادرك المجلود وقال الفراء و
غيره يجوز في النحو بدم كذبا بالنصب على المصدر لان جاؤوا به معنى كذبوا كذبا كما قال
جل وعز والعاديات ضبحا فنصب ضبحا على المصدر لان العاديات بمعنى الضابحات
وانما كان دما مكذوبا فيه لان اخوة يوسف عليه السلام ذبحوا سخلة ولطخوا قميص يوسف
بدمها وجاؤوا اباهم بالقميص وادعوا اكل الذيب له فقال لهم يعقوب عليه السلام ع يا بني
لقد كان هذا الذيب رفيقا حين اكل ابني ولم يخرق قميصه قالوا بل قتله اللصوص
قال فكيف قتلوه وتركوا قميصه وهم الى قتله وقد قيل انه كان في قميص يوسف
ثلث آيات حين قد قميصه من دبر وحين القي على وجه ابيه فارتد بصيرا وحين
جاؤوا عليه بدم كذب فنبه ابوه على ان الذيب لو اكله لخرق قميصه واما وصف
الصبر بانه جميل فلان الصبر يكون جميلا وغير جميل وانما يكون جميلا اذا قصد به وجه الله
وفعل للوجه الذي وجب فلما كان في هذا الموضع واقعا على الوجه المحمود وصفه
بذلك وقد قيل انه اراد صبرا لا شكوى فيه ولا جزع ولو لم يصفه بذلك لظن
مصاحبة الشكوى او الجزع له واما ارتفاع قوله فصبر جميل فقد قيل ان المعنى فشاني
صبر جميل والذي اعتقده صبر جميل وقال قطرب معناه فصبري صبر جميل وانشدوا

شكا الي جملي طول السرى * يا جملي ليس الي المشتكى * صبر جميل فكلانا مبتلى
معناه فليكن منك صبر جميل وقد روي ان في قراءة ابي فصبرا جميلا بالنصب وذلك
يكون عن الاغراء والمعنى فاصبري يا نفس صبرا جميلا قال ذو الرمة * الا انما مي فصبرا
بلية * وقد يبتلي الحر الكريم فيصبر * وقال الاخر * ابى الله ان تبقى لحي بشاشة * فصبرا على
ما شاء الله لي صبرا * وفي تاويل حديث الحديث ان قيس بن عاصم قال اتيت النبي
عليه السلام فقال هذا سيد اهل الوبر فقلت يا رسول الله ما المال الذي ليس
علي فيه تبعة من طالب ولا ضيف فقال عليه السلام نعم المال اربعون والكثر
ستون وويل لاصحاب المئين الا من اعطى الكريمة ومنح الغزيرة ونحر السمينة
فاكل واطعم القانع والمعتر وفي رواية اخرى الا من اعطى من رسلها واطرق فحلها وافقر
ظهرها ومنح غزيرتها واطعم القانع والمعتر فقلت يا رسول الله ما اكرم هذه الاخلاق
وحسنها انه لا يحل بالوادي الذي فيه ابلي من كثرتها فقال فكيف تعطي تصنع في
العطية قلت اعطي البكر واعطي الناب قال فكيف تصنع في المنحة قلت اني
لامنح المائة قال فكيف تعطي الطروقة قلت يغدو الناس بالبهم فلا يوزع رجل عن
جمل يخطمه فيمسكه ما بدا له حتى يكون هو الذي يرده وفي الرواية الاخرى فكيف تصنع في
الاطراق قلت يغدو الناس فمن شاء ان ياخذ راس بعير ذهب به قال
فكيف تصنع في المنحة قلت لامنح في السنة المائة قال فمالك احب اليك ام
مال مواليك قلت لا بل مالي فان مالك ما اكلت فافنيت او اعطيت فامضيت وفي
الرواية الاخرى ولبست فابليت وسائره لمواليك قلت لا جرم والله لئن رجعت
اليها لاقلن عددها فلما حضره الموت جمع بنيه فقال يا بني خذوا عني فانكم لن تاخذوا
عن احد هو انصح لكم مني لا تنوحوا علي فان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لم يكن يناح عليه و
قد سمعته نهى عن النياحة وكفنوني في ثيابي التي كنت اصلي فيها وسودوا اكابركم
فانكم اذا سودتم اكابركم لم يزل لابيكم فيكم خليفة واذا سودتم اصاغركم هان اكابركم
على الناس وزهدوا فيكم واصلحوا عيشكم فان فيه غنى عن طلب الناس واياكم والمسالة

قال فكيف تصنع بالافقار
قلت اني لافقر الناب
المدبرة والضرع الصغير

فانها اخس كسب المرء واذا دفنتموني فاخفوا قبري عن بكر بن وائل فقد كانت بيننا
خماشات في الجاهلية فلا امن سفيها منهم ان ياتي امرا يدخل عليكم عيبا في دينكم اما قوله
الكثر ستون فمعناه الكثير يقول العرب نسيل الله الكثر ونعوذ بالله من القل اي
نسأله الكثير ونعوذ به من القليل وقال الشاعر * فان الكثر اعياني قديما * ولم اقتر
لدن اني غلام * وقال الاخر * وقد يقصر القل الغنى دون همه * وقد كان لولا القل
طلاع انجد والمراد يعني الماكرام مالي وامنح الغزيرة اي اعطيها من يحلبها ويرد وفي
ذلك الحديث العارية مؤداة والمنحة مردودة والدين مقضي والزعيم غارم
فالمنحة الناقة او الشاة يدفعها الرجل الى من يحلبها وينتفع بلبنها ثم يردها عليه والزعيم
الكفيل ويقال له ايضا القبيل والقبير والجميل ومنه قوله تعالى وانا به زعيم وقال الشاعر
فلست بامر فيها بسلم ولكني على نفسي زعيم وقال اخر * قلت كفى لك رهن
بالرضا فازعمي يا هند قالت قد وجب * معناه الكفي وبردي واقبلي من القبيل
الذي هو الكفيل ايضا وقال الفراء القانع هو الذي يسالك فما اعطيته
قبل والمعتر الذي يجلس عند الذبيحة ويمسك عن السوال فكانه يتعرض بالمسالة ولا يصرح
بها يقال قنع الرجل قناعة اذا رضي وقنع قنوعا اذا سال فاما قوله لا جرم فقال
قوم معنى جرم كسب وقالوا في قوله تعالى لا جرم ان لهم النار ان لا رد على الكفار
ثم ابتداء فقال جرم ان لهم النار بمعنى كسب قولهم ان لهم النار وقال الشاعر
نصبنا راسه في جذع نخل بما جرمت يداه وما اعتدينا اي بما كسبت وقال
اخرون معنى جرم حق وتاول الاية بمعنى تحقق قولهم ان النار وانشدوا * ولقد
طعنت ابا عيينة طعنة * جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا * اراد حققت وروى
الفراء فزارة بالنصب على معنى كسبت الطعنة فزارة الغضب وقال الفراء لا جرم
في الاصل مثل لا بد ولا محالة ثم استعملته العرب في معنى حقا وجاءت فيه بجواب
الايمان فقالوا لا جرم لاقومن كما قالوا والله لاقومن وفيها لغات يقال لا جرم
ولا جرم بضم الجيم وتسكين الراء ولا جرم بحذف الميم ولا ذا جرم قال الشاعر * ان

كلا يا والذي لا ذا حرم لأشهدن اليوم بدر أي النجم بدر المعين ذا التنقا سبق الكلم الفرد
مبلغ كل شيء قال الشاعر: لا أفنا الدهر أكبهم بأربعة ما اجترت النيب او حنت
الى بلد، الناب الناقة المسنة وجمعها نيب ومثلها الشارف ويقال للبعير اذا كبر
انعم عود وللانثى عودة قال الشاعر: عود على عود على عود خلق القدم الاول يموت
بالترك ويحيى بالعمل، وهذا من ابيات المعاني ومعناه بعير عود على طريق متقادم
وسمي الطريق بانه عود لتقادمه شبهها بالبعير وقوله يموت بالترك ويحيى بالعمل اراد انه
اذا سلك طريق ظهرت اعلامه ووضحت طرقه واهتدى سالكه لسلوكه ولم يضل
عن قصده فكان هذا كالحياة له واذا لم يسلك طمست اثاره وانمحت فلم يهتد فيه الى
القصد وكان ذلك كالموت له واما الحاشات فهي الحابات والواحات في الحابات
قال ذو الرمة يصف الحمار والاتن: رباع لها مذ اورق العود عنده خماشات ذحل
ما يراد امتثالها، يريد بقوله ما يراد امتثالها اي ما يراد اقتصاصها يقال امثلني من هذا
الرجل واقدني واقصني بمعنى واحد واما قوله لا يورع رجل اي لا يحبس ولا يمنع يقال
ورعت الرجل توريعا اذا منعته وكففته والورع هو المتحرج المانع نفسه مما يدعوه اليه
يقال ورع ورعا ورعة قال لبيد: أكل يوم هامتي مقزعة لا يمنع الفتيان من
حسن الرعة، ويقال ما ورع ان فعل كذا وكذا اي ما كذب فاما الودع بالفتح فهو الجبان
فاما الطروقة التي قد حان لها ان تطرق وهي الحقة وقوله في الرواية الاخرى الا من
اعطى من رسلها فالرسل اللبن والافقار هو ان تركبها الناس ويحملهم على ظهرها ماخوذ
من فقار الظهر والاطراق للدخول هو ان ينزيها الفحل … على اناث ابله وذكر الاطراق
في هذه الرواية احب الي من الطروقة لانه قد تقدم من قوله انه يعطي الناب والبكر
والقرح والحاية فلا معنى للاعادة ذكر الطروق وقوله في الجواب بعده والناس خلال الورع
الاخير عن حمل كظلمه فيمسكه ما بدا الاثم برده لا يحمل غير الاطراق ولا يليق بمعنى الردفة
وكان قيس بن عاصم شريفا في قومه حليما ويكنى ابا علي وكان الاحنف بن قيس يقول
انما تعلمنا الحلم من قيس بن عاصم اتي بقاتل ابنه فقال رعبتم الفتى واقبل عليه

فقال

فقال يا بني لقد نقصت عددك واوهنت ركنك وفتت في عضدك واشمت عدوك
واسأت بقومك خلوا سبيله وما حل حبوته ولا تغير وجهه وقال ابن الاعرابي قيل
لقيس بن عاصم بما ذا سدت قال بثلاث ببذل الندى وكف الاذى ونصر المولى
وذكر المدائني قال كان قيس بن عاصم يقول لبنيه اياكم والبغي فما بغى قوم قط الا
قلوا وذلوا وكان الرجل من بنيه يظلمه بعض قومه فينهى اخوته عن ان ينصروه وقيس بن عاصم
هو جعل لحوفزان بن شريك الشيباني طعنة في يوم جدود وسمي الحارث الحوفزان وقال
سوار بن حيان المنقري: ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة سقته نجيعا من دم الجوف اشكلا
وحمران قسرا انزلته رماحنا فعالج غلا في ذراعيه مقفلا، وفي يوم جدود يقول قيس
بن عاصم: جزى الله يربوعا باسوأ سعيها اذا ذكرت في النائبات امورها، ويوم
جدود قد فضحتم ذماركم، وسالمتم والخيل تدمي نحورها، ستحطم سعد والرباب انوفكم كما حز
في انف القضيب جريرها، القضيب الناقة المقتضبة الصعبة وفي قيس يقول عبدة
بن الطبيب: عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء ان يترحما، سلام
امرئ جللته منك نعمة اذا زار عن شحط بلادك سلما، فما كان قيس هلكه هلك
واحد ولكنه بنيان قوم تهدما، قال المرتضى رضه ذاكرني بعض الاصدقاء بقول ابي وجزة
السعدي وهو يعني ناقته: وابرزتها من بطن مكة بعدما اصات المنادي بالصلاة فاعتما
وسالني اجازة هذا البيت بابيات تنضم اليه واجعل الكناية فيه كانها كناية عن امراة
لا عن ناقة فقلت في الحال: فطيب ريا المقام وضوئت باشراقها بين الحطيم وزمزما
فيا رب ان لقين وجها تحية في ركبها بالمدينة سيهما، تجافين عن مس الدهان
وطالما عصمن عن الحناء كفا ومعصما، وكم من جليد لا يخامره الهوى شنن عليه الوجد
حتى تتيما، اهان لهن النفس وهي كريمة والقى اليهن الحديث المكتما، تسفهت
لما ان مررت بدارها وعوجلت دون الحلم ان تتحلما، فعجت تقري دارها
متنكرا … مصرفا عن النطق اعجما، ويوم وقفنا للوداع وكلنا يعد مطيع الشوق
من كان اخرما، نصرت بقلب لا يعنف في الهوى وعين متى استمطرتها قطرت

قوله

وما كان ابو دهبل من شعراء قريش وممن جمع الى الطبع التجويد واسمه وهب بن زمعة
بن اسيد بن احيحة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح واسمه تيم بن عمرو بن
هصيص بن كعب بن لوي بن غالب وكان اسم تيم جمحا واسم اخيه زايدا وهما
ابنا عمرو بن هصيص فاستبقا الى غاية فمضى تيم عن الغاية فقيل جمح تيم فسمي جمحا ووقف
عليها زيد فقيل زيد فسمي سهما فاما كنيته فهي مشتقة من الدهبلة وهي المشي المتثاقل
يقال دهبل الرجل دهبلة اذا مشى مشيا ثقيلا واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني
قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا احمد بن يحيى النحوي قال حدثنا عبد الله بن شبيب
قال قيل لابي عمرو بن العلاء ما يعجبك من شعر ابي دهبل الجمحي فقال قوله يا عم حم ذاك
عام وغمت الناي والمنجا يا عم شيخك وهو ذو شرف يرعى الذمار ويكرم الصهر والله
ما احببت حبكم لا ثيبا خلقت ولا بكرا ان كان ذا السحر منك فلا تربي على وحدي
سحرا احدى ابي او دكلفت بها حلت بلا ترة لنا وترا وترى لها دلا اذا نطقت
تركت بنات فواده صعرا كتساقط الرطب الجني من الافنا لا نثرا ولا نزرا ومقالها
فيكم عركت لها جنبي اربها لك العذرا ادم بدر كم عدلت به عما يحادل معدلا
وغرا قالت بعيم لنا النجرية بوما نحيم عند ما شهرا الان اقيم لحاجة عرضت الا
لابلي فيكم عذرا اذا اجمعت برحلة خرعت واذا المنا لم تقذ لكرا اني لا رضى
به واري الحسن حديثكم شكرا وروى ابو عمرو الشيباني لابي دهبل بالبيت من يجنح
الموروف يمنوحي بذوق رجال نخب ما صنعوا وليست رزق رجال مثل نايلهم
قوت كقوت ووسع كالذي وسعوا وبروى ضيقا كضيق ووسعا كالذي
اتسعوا وليست للناس حظا في وجوههم تبين اخلاقهم فيه اذا اجتمعوا وليست
ذا الفحش لاقى فاحشا ابدا ووافق الحلم اهل الحلم فاتدعوا ولابي دهبل في قتل
الحسين بن علي صلوات الله عليهما تبيت السكارى من امية نوما وبالطف قتلى
ما ينام حميمها وما افسد الاسلام الا عصابة تامر نوكاها ودام نعيمها وصارت قناة
الدين في كف ظالم اذا مال منها جانب لا يقيمها اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني

محمد بن ابراهيم قال حدثنا احمد بن يحيى قال روى ابو عمرو الشيباني لابي دهبل وقال
يقال انها لمجنون اترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة اني اذا لصبور
هبوني امرا منكم اضل بعيره له ذمة ان الذمام كبير وللصاحب المتروك اعظم حرمة
على صاحب من ان يضل بعير عفا الله عن ليلى الغداة فانها اذا وليت حكما
علي تجور وروى ابو عمرو الشيباني لابي دهبل وقد رواه ابو تمام في الحماسة اقول
والركب قد مالت عمائمهم وقد سقى القوم كاس النشوة السهر يا ليت اني بانوابي
وراحلتي عبد لاهلك هذا الشهر موتجر ان كان ذا قدر يعطيك نافلة ونحرمنا
ما انصف القدر واخبرنا المرزباني قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال مثل قول ابي
دهبل ولو تركونا لا هدى الله امرهم فلم يجدوا قولا من الشر يسمج لاوشك
صرف الدهر تفريق بيننا وهل يستقيم الدهر والدهر اعوج قول البحتري لكنه
ردوني يشكو لي استطال عمره وتمنى موته لي اراني ان عشت اطرافي
استعجل الدهر وفيه كاف تخترم الالف عن الالوف وضله عدمت ابن
عم لا تزال كانه وان لم اتره منطو لي على وتر بعين على الدهر والدهر مكتف وان
استعفه لا يعفني على الدهر قال المرتضي رضه ومثل الجميع قول ابي احمد عبيد الله
بن عبد الله بن طاهر الي كم يكون العتب في كل ساعة ولا تملين القطيعة والهجرا
رويدك ان الدهر فيه كفاية لتفريق ذات البين فانتظري الدهرا تاويل
آية ان سال سائل فقال ما وجه التكرار في سورة الكافرين وما الذي حسن اعادة النفي
لكونه عابدا ما يعبدون وكونهم عابدين ما نعبد وذكر ذلك مرة واحدة يغني وما وجه
التكرار ايضا في سورة الرحمن لقوله فباي آلاء ربكما تكذبان الجواب يقال له قد ذكر
ابن قتيبة في معنى التكرار في سورة الكافرين وجها وهو ان قال القرآن لم ينزل
دفعة واحدة وانما كان ان نزوله شيئا بعد شيء والامر في ذلك ظاهر فكان
المشركين اتوا النبي عليه السلام فقالوا له استلم بعض الهتنا حتى نؤمن بك ونصدق
بنبوتك فامره الله تعالى بان يقول لهم لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون

ما عبدتم غير واحدة من الزمان وجاوزه فعالوا اعبد بعض الهتنا ونسلم لبعض اصنامنا
يوما او شهرا او حولا لنفعل مثل ذلك بالهك فامره تعالى بان القول لهم ولا انا
عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ان كنتم لا تعبدون الهي الا بهذا الشرط
فانكم لا تعبدونه ابدا وقد طعن بعض الناس على هذا التاويل بان قال انه يقتضي شرطا
وتخصيصا لا يدل عليه ظاهر الكلام وهو ما شرطه في قوله ولا انتم عابدون ما اعبد قال فاذا
كان ما نفاه عن نفسه من عبادتهم ما يعبدون مطلقا غير مشروط فكذا ما علمه خبره وهذا
الطعن غير صحيح لانه لا يمتنع اثبات شرط بدليل وان لم يكن في ظاهر الكلام ولا يمتنع
عطف المشروط على المطلق بحسب قيام الدلالة وعن هذا السوال اجوبة كل واحد
منها اوضح مما ذكره ابن قتيبة اولها ما حكي عن ابي العباس ثعلب انه قال انما حسن التكرار
لان تحت كل لفظ معنى ليس هو تحت الاخرى وتلخيص الكلام قل يا ايها
الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انا عابد ما عبدتم في المستقبل ولا انتم عابدون
ما اعبد في هذه الحال ايضا فاختص الفعلان منه ومنهم بالحال وقال من بعد ولا انا
عابد ما عبدتم في المستقبل ولا انتم عابدون ما اعبد فيما تستقبلون فاختلف
المعاني وحسن التكرار لاختلافها ووجب ان تكون السورة على هذا مخصوصة
بمن المعلوم من حاله انه لا يؤمن وقد ذكر مقاتل وغيره انها نزلت في ابي جهل والمستهزئين
ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم احد والمستهزئون هم العاص بن وائل والوليد
بن المغيرة والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث وعدي بن قيس الجواب الثاني
وهو جواب الفراء ان يكون التكرار للتاكيد كقول المجيب مؤكدا بلى بلى والممتنع
مؤكدا لا لا ومثله قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وانشد الفراء
وكائن وكم عندي لهم من صنيعة ايادي ثنوها علي واوجبوا وانشد ايضا كم نعمة كانت
لكم كم وكم وانشد ايضا نعق الغراب ببين غدوة كم كم وكم بفراق ليلى ينعق وقال
[illegible] اردت لنفسي بعض الامور فاولى لنفسي اولى لها [illegible] وهو ان [illegible]
[illegible] الاصنام التي تعبدونها ولا انتم عابدون ما اعبد انتم غير عابدين [illegible]

الساعة وفي هذه الحال

مستهزئين

الذي انا عابده اذا اشركتم به واتخذتم الاصنام وغيرها معبودة من دونه وانما
يكون عابدا له من اخلص العبادة له دون غيره وافرده بها وقوله ولا انا عابد ما عبدتم
اي لست اعبد عبادتكم وما في قوله ما عبدتم في موضع المصدر كما قال تعالى والارض
وما طحاها ونفس وما سواها اراد وطحيه اياها وتسويته لها وقوله تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون
في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون بفرحكم ومرحكم قال الشاعر يا اربع سلامة
بالمنحنى بخيف سلع جادك الوابل ان تمس وحشا فبما قد ترى بهن ذات معمورا بها
اهل اراد فرب دهر كنت معمورا اهلا ومعنى قوله ولا انتم عابدون ما اعبد اي لستم عابدين
عبادتي على نحو ما ذكرناه ولم يكرر الكلام الا لاختلاف المعاني وتلخيص ذلك ان النبي
صلى الله عليه واله قال للكفار لا اعبد الهكم ومن تدعونه من دون الله ولا انتم عابدون
الهي ان زعمتم انكم عابدون الهي فانتم كاذبون اذ كنتم من غير الجهة التي امركم بها
تعبدونه فاما الاخر مثل عبادتكم ولا انتم ما دمتم على ما انتم عليه تعبدون مثل عبادتي
فان قيل اما اختلاف المعبودين فلا شبهة فيها فما الوجه في اختلاف العبادة قلنا انه
صلى الله عليه واله كان يعبد من يخلص له العبادة ولا يشرك به شيئا وهم يشركون فاختلفت
عبادتاهما ولانه ايضا كان يتقرب الى معبوده بالافعال الشرعية التي تقع على
وجه العبادة وهم لا يفعلون تلك الافعال ويتقربون بافعال غيرها ويعتقدون جهلا
انها عبادة وقربة فان قيل ما معنى قوله لكم دينكم ولي دين وظاهر هذا الكلام يقتضي
اباحتهم المقام على اديانهم قلنا في هذا الكلام ثلاثة اجوبة اولها ان ظاهر الكلام وان كان
ظاهره اباحة فهو وعيد ومبالغة في النهي والزجر كما قال تعالى اعملوا ما شئتم وثانيها
انه اراد لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني فحذف الجزاء لدلالة الكلام عليه وثالثها
انه اراد لكم جزاؤكم ولي جزائي لان نفس الدين هو الجزاء قال الشاعر اذا
ما لقونا لقيناهم ودناهم مثل ما يقرضونا فاما التكرار في سورة الرحمن فانما حسن
للتقرير بالنعم المختلفة المعدودة فكلما ذكر نعمة انعم بها قرر عليها ووبخ على التكذيب
بها كما يقول الرجل لغيره الم احسن اليك بان خولتك الاموال الم احسن

بالمنحنى

اليك بان خلصتك من المكاره، الم احسن اليك بان فعلت بك كذا وكذا فيحسن منه التكرير لاختلاف ما يقرره به وهذا كثير في كلام العرب واشعارهم قال مهلهل بن ربيعة يرثي اخاه كليبا

على ان ليس عدلا من كليب ۞ اذا ما ضيم جيران المجير
على ان ليس عدلا من كليب ۞ اذا رجفت مخبأة الخدور
على ان ليس عدلا من كليب ۞ اذا رجف العضاه من الدبور
على ان ليس عدلا من كليب ۞ اذا ما اعلنت نجوى الامور
على ان ليس عدلا من كليب ۞ اذا خيف المخوف من الثغور
على ان ليس عدلا من كليب ۞ غداة بلابل الامر الكبير
على ان ليس عدلا من كليب ۞ اذا ما خار جاش المستجير

وقالت ليلى الاخيلية ترثي توبة بن الحمير

لنعم الفتى يا توب كنت ولم تكن ۞ لتسبق يوما كنت فيه تحاول
لنعم الفتى يا توب كنت اذا التقت ۞ صدور العوالي واستشال الاسافل
لنعم الفتى يا توب كنت لخائف ۞ اتاك لكي تحمي ونعم المجامل
ونعم الفتى يا توب كنت وقد بدت ۞ على الخيل ترهبا ونعم المنازل
لعمري لانت المرء ابكي لفقده ۞ ويكثر تسهيدي له لا اوائل
لعمري لانت المرء ابكي لفقده ۞ بجد ولو لامت عليه العواذل
لعمري لانت المرء ابكي لفقده ۞ ولو لام فيه ناقص الراي جاهل
لعمري لانت المرء ابكي لفقده ۞ اذا كثرت بالملحمين التلاتل
ابى لك ذم الناس يا توب كلما ۞ ذكرت امور محكمات كوامل
ابى لك ذم الناس يا توب كلما ۞ ذكرت سماح حين تاوي الارامل
فلا يبعدنك الله يا توب انما ۞ لقيت حمام الموت والموت عاجل
فلا يبعدنك الله يا توب انما ۞ كذاك المنايا عاجلات واجل
فلا يبعدنك الله يا توب والتقت ۞ عليك الغوادي المدجنات الهواطل

فخرجت في هذه الابيات عن تكرار الى تكرار لاختلاف المعاني التي عددتها على نحو ما ذكرناه، وقال الحارث بن عباد

قربا مربط النعامة مني ۞ لقحت حرب وائل عن حيال

ثم كرر قوله قربا مربط النعامة مني في ابيات كثيرة من القصيدة للمعنى الذي ذكرناه، وقالت ابنة عم النعمان بن بشير ترثي زوجها وحدثني اصحابنا ان مالكا قدرت ... السيف غير كوال وحدثني اصحابنا ان مالكا خفيف على الحدثان غير ثقيل وحدثني اصحابنا ان مالكا ... كماض الشفرتين اصقيل وهذا المعنى اكثر من ان

على ان ليس عدلا من كليب

ونعم الفتى يا توب جارا وصاحبا ۞ ونعم الفتى يا توب حين تناضل

٢ عوض [illegible]

يطوف

فصيه وهذا هو الجواب عن التكرار في سورة المرسلات لقوله فويل يومئذ للمكذبين فان قيل اذا كان حسن التكرار في سورة الرحمن ما عدده من الالاء والنعم فقد عدد في جملة ذلك ما ليس بنعمة وهو قوله يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران وقوله هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم ان فكيف يحسن ان يقول بعقب هذا فباي الاء ربكما تكذبان وليس هذا من النعم قلنا الوجه في ذلك ان فعل العقاب وان لم يكن نعمة فذكره ووصفه والانذار به من اكبر النعم لان في ذلك زجرا عما يستحق به العقاب وبعثا على ما يستحق به الثواب وانما اشار بقوله تعالى فباي الاء ربكما تكذبان بعد ذكر جهنم والعذاب فيها الى النعمة بوصفها والانذار بعقابها وهذا ما لا شبهة في كونه نعمة

مجلس آخر ... سيدنا الشريف المرتضى رضه وكان في الجاهلية وقبل الاسلام قوم يقولون بالدهر ونفي الصانع واخرون مشركون يعبدون غير خالقهم ويستنزلون الرزق من غير رازقهم اخبر الله تعالى عنهم في كتابه وضرب لهم الامثال وكرر عليهم البيان والاعلام فقد نشا بعد هؤلاء جماعة ممن يتستر باظهار الاسلام ويحقن باظهار شعاره والدخول في جملة اهله دمه وماله زنادقة ملحدون وكفار مشركون فمنهم من الاسلام المظاهر والجبهم خوف القتل الى المساواة وبلية هؤلاء على الاسلام اعظم واغلظ لانهم يدغلون في الدين ويتوهمون على المستضعفين بجاش رابط وراي جامع فعل من قد امن الوحشة ووثق بالانسة بما يظهره من لباس الدين الذي هو منه على الحقيقة عار وبابوابه غير متوار كما يحكى ان عبد الكريم بن ابي العوجاء قال لما قبض عليه محمد بن سليمان وهو والي الكوفة من قبل المنصور واحضره للقتل وايقن بمفارقة الحياة لئن قتلتموني لقد وضعت في احاديثكم اربعة الاف حديث مكذوبة مصنوعة والمشهورون من هؤلاء هم الوليد بن يزيد بن عبد الملك وابن المقفع حماد الراوية وحماد بن الزبرقان وحماد عجرد وعبد الله بن المقفع وعبد الكريم بن ابي العوجاء وبشار بن برد ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد الحارثي وصالح بن عبد القدوس الازدي وعلي بن الخليل الشيباني وغير هؤلاء ممن لم نذكره وهم وان كان عددهم كثيرا فقد افلج الله واذلهم بما شهدت به دلائله الواضحة وحججه اللائحة على عقولهم من الضعف وارائهم من

التحف ونحن نذكر من اخبار كل واحد ممن ذكرناه وشعره في دينه نبذة ونومي
فيها الى جملة والذي دعانا الى التشاغل بذلك وان كانت عنايتنا
بغيره اقوى مسئلة من نرى اجابته ونؤثر موافقته فتكلفناه لمن من اجله مع انه
غير خال من الفائدة ينفع علمها ويفيد روايتها وحفظها اما الوليد
فكان مشهورا بالالحاد متظاهرا بالعناد غير محتشم في اطراح الدين احدا ولا
مراقب فيه بشرا وفي الحديث ولد لاخي ام سلمة زوج النبي صلعم غلام فسموه الوليد
فقال النبي صلعم سميتموه باسم فراعنتكم ليكونن في هذه الامة رجل يقال له الوليد
اشر على هذه الامة من فرعون على قومه قال الاوزاعي فسألت الزهري عنه فقال ان
استخلف الوليد بن يزيد والا فهو الوليد بن عبد الملك اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني
قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال كان الوليد بن يزيد
بن عبد الملك قد هم ان يبني قبة فوق البيت الحرام يشرب عليها الخمور ويشرف
على الطواف فقال بعض المجان لقد رايت المجوسي البنا فوق الكعبة وهو يقدر موضع
او كان القبة فلم تمر تلك الليلة حتى وافى الخبر بقتل الوليد واخبرنا ابو عبيد
الله المرزباني قال اخبرني عبد الله بن يحيى العسكري عن ابي اسحق الطلحي قال
اخبرني احمد بن ابراهيم بن اسمعيل بن ابي الغالية عن بعض اهل العلم قال اتي يزيد بن
الوليد وهو الملقب بالناقص لما ولي انشدت بين يديه رجلا سمع شيئا من الوليد الا اخبر
به فقام ثور بن يزيد فقال اشهد لسمعته يقول

اسقيانا وابن حرب ... واسترانا بازار
وانركا من طلب الجنة ... يسعى في خسار
ساسوس الناس حتى ... يركبوا دين الحمار

واخبرنا المرزباني قال
اخبرني احمد بن خالد النخاس قال حدثنا محمد بن مكحول قال اتى الوليد يوما
المصحف وكان خطه كانه اصابع وجعل يرميه بالسهام وهو يقول

تذكرني الحساب ولست ادري ... احقا ما تقول من الحساب
فقل لله يمنعني طعامي ... وقل لله يمنعني شرابي

قال السيد
رضي الله عنه

رضي الله عنه ويله من هذه الجراة على الله تعالى وبلاطو بلاً وما اقدر الله عز وجل ان يمنعه
طعامه وشرابه وحيوته وما اولى اللعين باليم العقاب وتشديد العذاب لولا انا نعلم
به الجنة وننظم به التكليف من تاخر المستحق من الثواب والعقاب وتبعيد هما من احوال
الطاعات والمعاصي اخبرنا ابو عبد الله المرزباني قال حدثني احمد بن كامل قال كان الوليد
بن يزيد زنديقا وانه افتتح المصحف يوما فراى فيه واستفتحوا وخاب كل جبار
عنيد فاتخذ المصحف غرضا ورماه بالسهام حتى مزقه وهو يقول اتوعد كل جبار عنيد
فها انا ذاك جبار عنيد اذا ما جئت ربك يوم حشر فقل لله مزقني الوليد
فاما حماد الراوية فكان منسلخا من الدين زاريا على اهله مدمنا لشرب الخمور وارتكاب
الفجور قال عمرو بن بحر الجاحظ كان منقذ بن زياد الهلالي ومطيع بن اياس ويحيى
بن زياد وحفص بن ابي وردة وقاسم بن زنقطة وابن المقفع ويونس بن ابي
فروة وحماد بن عجرد وعلي بن الخليل وحماد بن ابي ليلى الراوية وحماد بن الزبرقان
ووالبة بن الحباب وعمارة بن حمزة بن ميمون ويزيد بن الفيض وجميل بن محفوظ
المهلبي وبشار بن برد المرعث وابان اللاحقي يجتمعون على الشراب وقول الشعر
ويهجو بعضهم بعضا وكلهم كان متهما في دينه وعمل يونس بن ابي فروة كتابا في مثالب
العرب وعيوب الاسلام بزعمه وصار به الى ملك الروم فاخذ به منه مالا وقال
احمد بن يحيى النحوي قال قال رجل يهجو حماد الراوية

نعم الفتى لو كان يعرف ربه ... ويقيم وقت صلاته حماد
بسطت مشافره الشمول فانفه ... مثل القدوم يسنه الحداد
وابيض من شرب المدامة وجهه ... فبياضه يوم الحساب سواد
لا يعجبنك بزه ولباسه ... ان المجوس ترى لها اسباد

وقد كان حماد الراوية
مشهورا بالكذب وعمل الشعر واضافته الى الشعراء المتقدمين ودسه في اشعارهم
حتى ان كثيرا من الرواة قالوا قد افسد حماد الشعر لانه كان رجلا يقدر على صنعته
فيدس في شعر كل رجل منهم ما يشاكل طريقته فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم وهذا
لا يعارضه ان المتكلم والاعلى الالي ... فيه فسق وتهاون بالكذب في الرواية فاما

ذكر حماد الراوية

حماد بن الزبرقان

فاما حماد بن الزبرقان فهذه طريقته في التحرّم والتهتك حدثنا ابو الحسن علي بن محمد
الكاتب قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا الاشنانداني قال دعا حماد بن الزبرقان
ابا الغول النهشلي الى منزله وكانا يتقارضان فانتهره ابو الغول فلم يزل المفضل
به حتى اجابه وانطلق معه فلما رجع الى المفضل قال له ما صنعت انت وحماد
قال اصطلحنا على ان لا امره بالصلوة ولا يدعوني الى شرب الخمر ثم انشد المفضل
قوله نعم الفتى لو كان يعرف ربه وذكر الابيات التي تقدمت وفي الرواية الاولى
منسوبة الى هجاء حماد الراوية واما حماد عجرد فشهرته في الضلالة كشهرة الحمادين و
كان يرمى مع ذلك بالثنوية وحدثنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا علي بن
ابي عبد الله الفارسي قال حدثني ابي قال حدثني ابن مهروية قال حدثنا علي بن
عبد الله بن سعد قال حدثني السري بن الصباح الكوفي قال دخلت على
بشار بالبصرة فقال لي يا ابا علي اما اني فقد اوجعت صاحبكم وبلغت منه يعني حماد بن
عجرد قلت بماذا يا ابا معاذ قال بقولي فيه يا ابن نهيا رأس علي ثقيل
واحتمال الرأسين خطب جليل فادع غيري الى عبادة ربين فاني بواحد مشغول
فقلت لم ادعه في عماه ثم قلت قد بلغ حماد هذا الشعر وهو يرويه على خلاف
هذا قال فما يقول قال قلت فادع غيري الى عبادة ربين فاني عن واحد مشغول
فلما سمعه اطرق ثم قال احسن والله ابن الفاعلة ثم قال اني لا احتشمك فلا تنشده
احدا ابدا بهذا البيت وكان اذا سئل عنها قال هذا هجائي واخبرنا المرزباني قال حدثني
علي بن هارون عن عمه يحيى بن علي عن عمر بن شبة قال حدثني خلاد الارقط قال
قال بشار بلغني ان رجلا كان يقرأ القرآن وحماد ينشد الشعر فاجتمع الناس
على القارئ فقال حماد علام تجتمعون فوالله ما اقول احسن مما يقول فمقته الناس
على هذا وروى ابن شبة عن ابي عبيدة قال كان حماد عجرد يعير بشارا بالقبح
كان عظيم الجسد مجدورا طويلا جاحظ العينين قد تغشاهما لحم احمر فلما قال حماد فيه
والله ما الخنزير في نتنه بربعه في النتن او خمسه بل ريحه اطيب من ريحه ومسه الين

حماد عجرد

من مسه ووجهه احسن من وجهه ونفسه افضل من نفسه وعوده اكرم من عوده وجنسه
اكرم من جنسه قال بشار ويلي على الزنديق لقد نفث بما في صدره قيل وكيف
ذاك قال ما اراد الزنديق الا قول الله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن
تقويم فاخرج الجحود بها مخرج الهجاء وهذا احسن من بشار وتغلغل شديد لطيف
ولكن جعل نفي الالحاد وتاكيد الوصف به واخرج ذلك مخرج المبالغة وذكر
الوراق في حماد عجرد لو ان ماني وديصانا وعصبتهم جاؤوا اليك لما قلنا لك زنديق
انت العبادة والتوحيد مذ خلقا وذا التزندق نيرنج لمخاريق فاما ابن المقفع فان
جعفر بن سليمان روى عن المهدي انه قال ما وجدت كتاب زندقة قط
الا واصله ابن المقفع وروى ابن شبة قال حدثني من سمع ابن المقفع وقد مر ببيت
نار المجوس بعد ان اسلم فلمحه وتمثل يا بيت عاتكة الذي اتعزل حذر
العدى وبه الفؤاد موكل اني لامنحك الصدود وانني قسما اليك مع الصدود
لاميل وروى احمد بن يحيى ثعلب قال قال ابن المقفع يرثي يحيى بن زياد
وقال الاخفش الصحيح انه يرثي بها ابن ابي العوجاء رزئنا ابا عمرو ولا حي
مثله فلله ريب الحادثات بمن وقع فان تك قد فارقتنا وتركتنا ذوي
خلة ما في انسداد لها طمع فقد جر نفعا فقدنا لك اننا امنا على كل الرزايا
من الجزع قال ثعلب البيت الاخير يدل على مذهبهم في ان الخير ممزوج بالشر
والشر ممزوج بالخير واخبرني علي بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولي
قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي من حفظه قال حدثنا خالد بن خداش قال كان
الخليل بن احمد يحب ان يرى عبد الله بن المقفع ويحب ذلك فجمعهما عباد بن عباد
المهلبي فتحادثا ثلاثة ايام ولياليهن فقيل للخليل كيف رايت عبد الله قال ما رايت
مثله وعلمه اكثر من عقله وقيل لعبد الله كيف رايت الخليل قال ما رايت
مثله وعقله اكثر من علمه قال قال المغيرة فصدقا فان عقل الخليل اداه الى ان كان
ازهد الناس وجهل ابن المقفع اداه الى ان كتب امان لعبد الله بن علي فقال فيه

ابن المقفع

ومتى غدر امير المؤمنين بعمه عبد الله فنساؤه طوالق ودوابه حبس وعبيده
احرار والمسلمون في حل من بيعته فاشتد ذلك على المنصور وخاصة امر
البيعة فكتب الى سفيان بن معوية المهلبي وهو امير البصرة من قبله بقتله فقتله
وكان ابن المقفع مع قلة دينه جيد الكلام فصيح العبارة له حكم وامثال مستفادة
من ذلك ما روي من ان يحيى بن زياد الحارثي كتب اليه يلتمس معاقدته الاخاء
والاجتماع على المودة والصفاء فاخر جوابه فكتب اليه يحيى بابا آخر شعرا وكتب اليه
ان الاخاء رق فكرهت ان املك رقي قبل ان اعرف حسن ملكتك وكان
يقول ذلل نفسك بالصبر على الجار السوء وعلى العشير السوء وعلى الجليس السوء
فان ذلك لا يكاد يخطئك وكان يقول اذا نزل بك مهم فانظر فان كان
مما له حيلة فلا تعجز وان كان مما لا حيلة له فلا تجزع ودعا عيسى بن علي الى الغداء
فقال اعز الله الامير لست يومي للكرام اكيلا قال ولم قال لاني مزكوم والزكمة
قبيحة الجوار مانعة من عشرة الاحرار وكتب الى بعض اخوانه اما بعد فتعلم العلم
ممن هو اعلم به منك وعلمه من انت اعلم به منه فانك اذا فعلت علمت
ما جهلت وحفظت ما علمت وقال لبعض الكتاب اياك والتتبع لوحشي
الكلام طمعا في نيل البلاغة فان ذلك هو العي الاكبر وقال لآخر عليك بما سهل
من الالفاظ مع التجنب لالفاظ السفلة وقيل له ما البلاغة قال التي اذا سمعها الجاهل
ظن انه يحسن مثلها وقال لا تحدث من تخاف تكذيبه ولا تسأل من تخاف
منعه ولا تعد ما لا تقدر على انجازه ولا تضمن ما لا تثق بالقدرة عليه ولا ترج ما
تعنف برجائه ولا تقدم على ما تخاف العجز منه وقال لبعض اخوانه اذا اصبت
ملكا فاعلم انهم قد ينسبون الى قلة الوفاء فلا ينسونك قلبك استبطاءه واترك البر
احد قلبه سكنا الا ظهر على لسانه ان كان سخيفا وعلى وجهه ان كان حليما وكان
يقول ان مما يسلي العاقل عن الدنيا علمه بان الارزاق لم تقسم فيها على قدر
الاحطار فاما ابن ابي العوجاء فقد ذكرنا ما روي عن اعترافه بدسه في الاحاديث

ابن ابي العوجاء

النبي عليه السلام احاديث مكذوبة روي انه راى عبدلا قد كتب عليه [illegible]
فقال لصاحبه لم كتبت هذا عليه فقال لئلا يسرق فقال قد راينا مصحفا يسرق
ولبشار رحمه الله قل لعبد الكريم يا ابن ابي العوجاء بعت الاسلام بالكفر
موقنا لا تصلي ولا تصوم فان صمت فبعض النهار صوما رقيقا لا تبالي اذا
اصبت من الخمر عتيقا ان لا يكون عتيقا ليت شعري غداة حليت في الحلة
حنيفا حليت ام زنديقا فاما بشار بن برد فروى المازني قال قال
رجل لبشار اتاكل اللحم وهو مباين لديانتك يذهب الى انه ثنوي فقال
بشار ان هذا اللحم يدفع عني شر هذه الظلمة قال المبرد وروي ان بشارا كان
يتعصب للنار على الارض ويصوب راي ابليس في الامتناع من السجود و
روي له النار مشرقة والارض مظلمة والنار معبودة مذ كانت النار وروي لبعض اصحابه
قال كنا اذا حضرت الصلوة نقوم اليها ونقعد بشار فنجعل حوالي ثوبه ترابا لننظر هل
يصلي فنعود والتراب بحاله لم يقم الى الصلوة واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني
علي بن ابي عبد الله الفارسي قال اخبرنا ابي قال حدثني ابن مهرويه عن احمد بن خلاد
قال حدثني ابي قال كنت اكلم بشارا وارد عليه سوء مذهبه الى الالحاد وكان يقول
لا اعرف الا ما عاينت[2] ملتحين وكان الكلام يطول بيننا فقال ما اظن الامر
يا ابا خالد الا كما يقال انه خذلان ولذلك اقول طبعت على ما فيّ غير مخير هواي
ولو خيرت كنت المهذبا اريد فلا اعطى واعطى ولم ارد وغيب عني ان انال
المغيبا واصرف عن قصدي وعلمي مقصر فامسي وما اعقبت الا التعجبا
قال الجاحظ كان بشار صديقا لواصل بن عطاء الغزال قبل ان يظهر مذاهبه
المكروهة وكان بشار مدح واصل بن عطاء وذكر خطبته التي نزع منها الراء
وكانت على البديهة فقال تكلف القول والاقوام قد حفلوا وحبروا
خطبا ناهيك من خطب فقام مرتجلا تغلي بداهته كمرجل القين لما حف
باللهب وجانب الراء لم يشعر به احد قبل التصفح والاغراق في الطلب ومثل

بشار بن برد

٢ او عاينته

قول بعضهم في واصل: ويجعل البر قمحا في تكلمه، وجانب الراء حتى احتال للشعر، ولم يطق
مطرا والقول يعجله، فعاذ بالغيث اشفاقا من المطر. فلما اظهر بشار مذاهبه هتف به
واصل وقام بذكره وتكفيره وقصده فقال بشار فيه: ما لي اشايع غزالا له عنق
كنقنق الدو ان ولى وان مثلا، عنق الزرافة ما بالي وبالكم، تكفرون رجالا كفروا
رجلا. فلما تتابع على واصل ما يشهد بالحاده قال عند ذلك اما لهذا الاعمى الملحد اما لهذا
المشنف المكتني بابي معاذ من يقتله والله لولا ان الغيلة سجية من سجايا الغالية
لدسست اليه من يبعج بطنه في جوف منزله على مضجعه او في يوم حفله ثم كان لا يتولى ذلك
الا عقيلي او سدوسي. فعدل واصل بن عطاء من الغزل الى الاعمى ومن الكافر الى الملحد
ومن المرعث الى المشنف، ومن بشار الى ابي معاذ ومن الفراش الى المضجع وزاد
قوم فقالوا ومن ارسلت الى دسست ومن يبقر الى يبعج ومن داره الى منزله ومن
المغيرية الى الغالية والاول اشبه بان يكون مرضيا لا وما ذكرت ثانيا فقد يقع استعماله
من غير عدول عن استعمال الراء، فاما قوله ولا يتولى ذلك الا عقيلي او سدوسي فلان بشارا
كان مولى لهم وذكر بني سدوس لان بشارا كان نزل فيهم. واما لقب بشار
بالمرعث فقد قيل فيه ثلاثة اقوال احدها انه لقب بذلك لبيت قاله وهو: قال
ريم مرعث فاتر الطرف والنظر، لست والله نائلي قلت او يغلب القدر،
والقول الثاني انه كان لبشار رعثتان احداهما عن يمينه والاخرى عن شماله
وكان اذا اراد لبسه ختمه عليه ختام من غير ان يحل ارتشيته استرسال الجبين وتدليتهما
بالرعاث وهي القرطة فقيل المرعث وقال ابو عبيدة انما سمي المرعث لانه
كان يلبس في صباه رعاثا وهذا هو القول الثالث وكان بشار يعد ثانيا في الشعر
حتى ان كثيرا من الرواة يجوز ان يقدم عصره عليه من المحدثين اخبرنا المرزباني عن محمد
بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن يحيى اليشكري قال قيل لابي حاتم من اشعر الناس قال
من يقول: ولها مبسم كغر الاقاحي، وحديث كالوشي وشي البرود، نزلت في السواد
من حبة القلب، ونالت زيادة المستزيد، عندها الصبر عن لقائي وعندي زفرات

الغيلة ع

مقصود انه

يأكلن صبر الحديد يعني بشارا وقال كان يقدم على جميع الناس ولما قال بشار: بني امية
هبوا طال نومكم، ان الخليفة يعقوب بن داود، ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله
بين الزق والعود، بلغ المهدي ذلك فوجد عليه وكان سبب القتلة. مجلس اخر فاما مطيع بن
اياس الكناني فاخبرنا ابو عبيد الله المرزباني عن علي بن هارون عن عمه يحيى بن علي
عن ابي ايوب المدني عن احمد بن ابراهيم الكاتب قال اخبرنا ابي قال رأيت بنتا
لمطيع بن اياس قد اتي بها في اول ايام الرشيد فاقرت بالزندقة وقرأتها ثابت
وقالت هذا شيء علمنيه ابي فقبل الرشيد توبتها وردها الى اهلها وقال محمد بن داود
بن الجراح في اخبار مطيع بن اياس انه كان يرمى بالزندقة وروي انه لما حضرته الوفاة
احاطه اهل بيته فاقبلوا يقولون قل يا مطيع لا اله الا الله ولا يقول حتى اذا صارت
نفسه في ثغرة نحره تنفس ثم اهوى الى الكلام فقالوا له قل لا اله الا الله فتكلم كلاما ضعيفا
فتسمعوا له فاذا هو قول: أأسف نفسي على الزمان وفي اي زمان وفتني الا زمان،
حين جاء الربيع واستقبل الصيف وطاب الطلاء والريحان، قال المرزباني وهذا
الحديث يرده الهيثم بن عدي ليحيى بن زياد فاما يحيى بن زياد الحارثي فهو يحيى بن عبيد الله
بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان الحارثي الكوفي وزياد بن عبيد الله وهو خال
ابي العباس السفاح ويكنى يحيى ابا الفضل وكان يعرف بالزندقة وكانوا اذا وصفوا
انسانا بالظرف قالوا هو اظرف من الزنديق يعنون يحيى لانه كان ظريفا وهذا المعنى قصده
ابو نواس بقوله: تيه مغن وظرف زنديق، قال الصولي وانما قال ذلك لان
الزنديق لا يرتدع عن شيء ولا يمتنع عما يدعى اليه فنسبه الى الظرف لمساعدته على كل شيء
وقلة خلافه وروي انه قيل ليحيى بن زياد وهو يجود بنفسه قل لا اله الا الله فقال لم يبق
الا الخيط والخلاخل، ثم اغمي عليه فلما افاق اعيد عليه القول فقال: وهل نبل تعلى
بالمراجل، وروي محمد بن يزيد قال قال مطيع بن اياس يرثي يحيى بن زياد وكان اخاه:
جيبا مسعدي بالمدامع غير ملتف: يا اهل بكوا لقلبي القرح، وللدموع الهوامل السفح،
راحوا بحجر الى مغيبة في القبر بين التراب والصفح، راحوا بحبي وكونا عدني [illegible]

مطيع بن اياس

يحيى بن زياد



لم تشكو ولم ترح، يا خير من يحسن البكاء له اليوم ومن كان أمس للمدح، قد ظفر الحزن بالسرور وقد
أديل مكروهنا من الفرح، ولمطيع يرثيه: انظر إلى الموت كيف بادهه والموت مقدامة
على البهم، لو قد تدبرت ما صنعت به قرعت سنا عليه من ندم، فاذهب بمن
نشيت أن ذهبت به ما يعدم للرزق من ألم. وأما صالح بن عبد القدوس
فكان متظاهرا بالمذهب الثنوية ويقال إن أبا الهذيل العلاف ناظره فقطعه ثم قال
له على أي شيء تعزم يا صالح فقال أستخير الله وأقول بالاثنين فقال أبو الهذيل
فأيهما استخرت لا أم لك وروي أن أبا الهذيل ناظره في مسألة مشهورة في الامتزاج
الذي ادعوه بين النور والظلمة فأقام عليه الحجة والقطع فأنشأ يقول: أبا الهذيل
جلاك الله يا رجل، فأنت حقا لعمري معضل جدل. وروي أنه رآه يصلي صلوة تامة
من الركوع والسجود فقيل له ما هذا ومذهبك معروف فقال سنة البلد وعادة الجسد
وسلامة الأهل والولد ويقال إنه لما أراد المهدي قتله على الزندقة جاء إليه يكذب
وقال إلا أقر بهذا قال وما هو قال كتاب الزندقة قال صالح أو لو قرأت بأمير المؤمنين
أفتقتلني على ما لا تعرف قال فإني أعرف قال صالح فقد عرفته ولست بزنديق و
كذلك أقرأه ولست زنديق وذكر محمد بن يزيد المبرد قال ذكر بعض الرواة أن صالحا
لما نوظر فيما قرف به من الزندقة بحضرة المهدي قال له المهدي ألست القائل في حفظك
ما أنت عليه: رب سر كتمته فكأني أخرس أو ثنى لساني خبل، ولو أني أبديت
للناس علمي لم يكن لي في غير حبسي أكل. فقال صالح إني أتوب وأرجع فقال له هيهات
ألست القائل: والشيخ لا يترك عاداته حتى يوارى في ثرى رمسه، إذا ارعوى
عاوده جهله كذا الضنى عاد إلى نكسه، ثم قدم فقتل ويقال إنه صلب على الجسر ومن
شعره وهو في الحبس قوله: خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الأحياء
فيها ولا الموتى، إذا دخل السجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا، ونفرح
بالرؤيا فجل حديثنا إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا، فإن حسنت لم تأت
عجلى وأبطأت وإن قبحت لم تحتبس وأتت عجلا. طوى دوننا الأخبار سجن

ممنع

صالح بن عبد القدوس

ممنع له حارسان تهدي العيون ولا يهدى، قبرنا ولم ندفن فنحن بمعزل عن الناس
لا نخشى فنغشى ولا نغشى، ألا أحد يأوي لأهل محلة مقيمين في الدنيا وقد
فارقوا الدنيا. قال المرتضى رضي الله عنه وأظن أن ابن الجهم لحظ قول صالح
فنغشى ولا نغشى في قوله يصف الحبس: بيت يجدد للكريم كرامة ويزار فيه
ولا يزور ويحفد. فأما علي بن الخليل فذكر محمد بن داود قال كان علي بن
الخليل وهو مولى يزيد بن مزيد الشيباني ويكنى أبا الحسن وهو كوفي يتهم
بالزندقة فطلبه الرشيد عند قتله الزنادقة فاستتر طويلا ثم قصد الرقة وبها
الرشيد فمدحه ومدح الفضل بن الربيع وروي أنه لما قعد الرشيد للمظالم
بالرقة حضر شيخ حسن الهيئة حسن الخضاب معه قصيدة فأشار بها فأمر
الرشيد بأخذها منه فقال يا أمير المؤمنين أنا أحسن قراءة لها من غيري فإن رأى أن يأذن
لي في قراءتها فعل فقال إني شيخ كبير لا آمن الاضطراب إذا قمت فإن رأيت
أن تأذن لي بالجلوس فعلت فقال اجلس فجلس ثم أنشأ يقول:
يا خير من وخدت بأرحله نجب الركاب بمهمه جلس، تطوى السباسب
في أزمتها طي التجار عمائم البرس، لما رأتك طالعة سجدت لوجهك طلعة الشمس
خير الخلائق أنت كلهم في يومك الماضي وفي أمس، وكذاك لا تنفك خيرهم تمسي
وتصبح فوق ما تمسي، من عصبة طابت أرومتها أهل العفاف ومنتهى القدس
فوق النجوم فروع نبعتهم ومع الحضيض منابت الغرس، إني رحلت إليك من
فزع كان المتوكل عنده ترسي، ماذاك إلا أنني رجل أصبو إلى بقر من الإنس بقر
أوانس لا قرون لها يقتلن بالتطويل والحبس، وأحاديث الفتيان بينهم حلاها
مثل مجاجة الورس، للماء في خافاتها حبب نظم كنظم صحائف الفرس، والله
يعلم في بقيته ما إن أضعت إقامة الخمس، فقال له هارون من أنت قال علي
بن الخليل الذي يقال إنه زنديق قال أنت آمن وكتب إلى حمدويه أن
لا يعرض له ومن تركنا ذكره من هؤلاء أكثر ممن ذكرناه وإنما اعتمدنا من كان

علي بن الخليل

الشمس

بهذه الجملة والاشهر وامره فيها اظهر واوردنا مع ذلك قليلا من كثير وجملة من تفصيل
واذ قد ذكرنا جملة من اخبار اهل الضلالة والمعاندين للجهالة حسب ما استشكلنا فنحن نتبعها
بشيء من اخبار اهل التوحيد والعدل ونلمع حكاياتهم ومستحسن كلامهم ليعلم الفرق بين
من رنجت بيعته وخسر من صفقته فقد حسبنا الله ذلك واعلم ان اصول التوحيد والعدل
ماخوذ من كلام امير المؤمنين صلوات الله عليه وخطبه فانها تتضمن من ذلك ما لا زيادة
عليه ولا غاية وراءه ومن تامل المأثور في ذلك من كلامه عليه السلام علم ان جميع
ما اسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه وجمعه انما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك
الاصول وروي عن الائمة من ابنائه عليهم السلام من ذلك ما لا يكاد يحاط به كثرة ومن احب الوقوف
عليه وطلبه من مظانه اصاب منه الكثير الغزير الذي في بعضه شفاء للصدور السقيمة و
نتاج للعقول العقيمة ونحن نقدم على ما نريد ذكره شيئا مما روي عنهم في هذا الباب
فمن ذلك ما روي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال وهو يصف الله تعالى بمضادته بين الاشياء
علم ان لا ضد له وبمقارنته بين الامور علم ان لا قرين له ضاد النور بالظلمة والخشونة
باللين واليبوسة بالبلل والقر بالحرور مؤلف بين متعادياتها مفرق بين متدانياتها
وروي انه عليه السلام سئل بم عرفت ربك فقال بما عرفني به نفسه قيل وكيف عرفك
فقال لا تشبهه صورة ولا يحس بالحواس ولا يقاس بقياس الناس وقيل له
عليه السلام كيف يحاسب الله الخلق فقال كما يرزقهم قيل له كيف يحاسبهم
ولا يرونه فقال كما يرزقهم ولا يرونه وسأله رجل فقال اين كان ربنا قبل ان يخلق
الخلق والسماء والارض فقال عليه السلام اين سؤال عن مكان وكان الله ولا
مكان وروي عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام انه سأله محمد الحلبي فقال هل رأى رسول الله
صلى الله عليه وآله ربه قال نعم رآه بقلبه فاما ربنا جل جلاله فلا تدركه ابصار الناظرين ولا
تحيط به اسماع السامعين وروي صفوان بن يحيى قال دخل ابو قرة المحدث على
ابي الحسن الرضا عليه السلام فسأله عن اشياء من الحلال والحرام والفرائض والاحكام حتى بلغ
سؤاله الى التوحيد فقال ابو قرة انا روينا ان الله تعالى قسم الكلام والرؤية

فقسم

اخبار اهل التوحيد والعدل

في نفي الرؤية

فقسم لموسى عليه السلام الكلام ولمحمد صلى الله عليه وآله الرؤية فقال الرضا عليه السلام فمن المبلغ عن الله
الى الثقلين الجن والانس انه لا تدركه الابصار ولا يحيطون به علما وليس كمثله شيء
أليس محمد رسول الله صلى الله عليه وآله قال بلى قال فكيف يجيء رجل الى الخلق
جميعا فيخبرهم انه جاء من عند الله سبحانه يدعوهم الى الله بامره وهو يقول لا تدركه الابصار
ولا يحيطون به علما وليس كمثله شيء ثم يقول انا رأيته بعيني واحطت به علما اما تستحيون
ما قدرت الزنادقة ان ترميه بهذا ان يكون يأتي عن الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه
آخر قال ابو قرة فانه يقول ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى قال عليه السلام
ان بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى حيث يقول ما كذب الفؤاد ما رأى يقول ما كذب
فؤاد محمد ما رأت عيناه ثم اخبر بما رأى فقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى وآيات الله
غير الله وقد قال الله تعالى ولا يحيطون به علما فاذا رأته الابصار فقد احاط به العلم فقال
ابو قرة افتكذب بالرواية فقال الرضا عليه السلام اذا كانت الرواية مخالفة للقرآن كذبتها وما اجمع
عليه المسلمون انه لا يحاط به علما ولا تدركه الابصار وليس كمثله شيء واتى اعرابي
ابا جعفر محمد بن علي عليه السلام فقال له هل رأيت ربك حين عبدته فقال لم
اكن لاعبد شيئا لم اره فقال كيف رأيته فقال لم تره الابصار بمشاهدة العيان بل
رأته القلوب بحقائق الايمان لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس معروف
بالآيات منعوت بالعلامات لا يجور في قضيته هو الله الذي لا اله الا هو فقال الاعرابي
الله اعلم حيث يجعل رسالته وروي ان شيخا حضر صفين مع امير المؤمنين فقال له
اخبرنا يا امير المؤمنين عن مسيرنا الى الشام أكان بقضاء من الله وقدر فقال نعم يا اخا
اهل الشام والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئا ولا هبطنا واديا ولا علونا
تلعة الا بقضاء من الله وقدره فقال الشامي عند الله احتسب عنائي يا امير المؤمنين وما اظن
ان لي اجرا في سعيي اذ كان الله قضاه علي وقدره فقال له عليه السلام ان الله
قد اعظم لكم الاجر على مسيركم وانتم سائرون وعلى مقامكم وانتم مقيمون ولم تكونوا في شيء من
حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين ولا عليها مجبرين فقال له الشامي كيف ذاك والقضاء

والقدر اللذان سرنا بهما وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا فقال له عليه السلام ويحك يا اخا اهل الشام
لعلك ظننت قضاء لازماً وقدراً حتماً لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب
وسقط الوعد والوعيد والامر من الله والنهي وما كان المحسن اولى بثواب الاحسان
من المذنب والمسيء اولى بعقوبة الذنب من المحسن تلك مقالة عبدة الاوثان وحزب
الشيطان وخصماء الرحمن وشهداء الزور وقدرية هذه الامة ومجوسها ان الله امر عباده
تخييراً ونهاهم تحذيراً وكلف يسيراً واعطى على القليل كثيراً ولم يطع مكرهاً ولم يعص مغلوباً
ولم يكلف عسراً ولم يرسل الانبياء عبثاً ولا خلق السموات والارض وما بينهما باطلاً ذلك
ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار فقال الشامي فما القضاء والقدر
اللذان كان مسيرنا بهما وعنهما قال الامر من الله بذلك والحكم ثم تلا وكان امر الله
قدراً مقدوراً فقام الشامي مسروراً فرحاً لما سمع هذا المقال فقال فرجت عني فرج الله
عنك يا امير المومنين وانشا يقول انت الامام الذي نرجو بطاعته يوم
النجاة من الرحمن غفرانا اوضحت من امرنا ما كان ملتبساً جزاك ربك بالاحسان احسانا
وروي ان ابا حنيفة النعمان بن ثابت قال دخلت المدينة فاتيت ابا عبد الله عليه السلام
فسلمت عليه وخرجت من عنده فرايت ابنه موسى عليه السلام في دهليزه قاعداً في مكتبه وهو صغير السن
فقلت له اين يحدث الغريب عندكم اذا اراد ذلك فنظر الي ثم قال يجتنب شطوط الانهار
ومساقط الثمار وافنية الدور والطرق النافذة والمساجد ويضع ويرفع بعد ذلك حيث شاء
فلما سمعت هذا القول نبل في عيني وعظم في قلبي فقلت له جعلت فداك ممن المعصية
فنظر الي ثم قال اجلس حتى اخبرك فجلست فقال ان المعصية لا بد ان تكون من العبد
او من ربه او منهما جميعاً فان كانت من الله تعالى فهو اعدل وانصف من ان يظلم عبده ويأخذه
بما لم يفعله وان كانت منهما فهو شريكه والقوي اولى بانصاف عبده الضعيف وان كانت
من العبد وحده فعليه وقع الامر واليه توجه النهي وله حق الثواب والعقاب ووجبت الجنة
والنار قال فلما سمعت ذلك قلت ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ونظم هذا
المعنى شعراً فقيل لم تخل افعالنا اللاتي نذم لها احدى ثلاث خلال حين ناتيها اما ان

يطع م

يضع

الأذنب

الحسن البصري

تفرد بارينا بصنعتها فيسقط اللوم عنا حين ننشيها او كان يشركنا فيها فيلحقه ما سوف
يلحقنا من لائم فيها او لم يكن لالهي في جنايتها ذنب فما الذنب الا ذنب جانيها سيعلمون
[illegible] ام الرحمن جانيها واجلة من تظاهر من المتقدمين
بالقول بالعدل الحسن بن ابي الحسن البصري واسم ابيه يسار من اهل ميسان مولى لبعض
الانصار وكان اسم امه خيرة مملوكة لام سلمة زوج النبي عليه السلام ويقال
ان ام سلمة رض كانت تاخذ الحسن اذا بكا فتسكته بثديها وكانت تدر عليه فيقال
ان الحكمة التي اوتيها الحسن من ذلك وبلغ الحسن من السن تسعاً وثمانين سنة فمن
تصريحه بالعدل ما رواه علي بن الجعد قال سمعت الحسن يقول من زعم ان المعاصي من الله
جاء يوم القيمة مسوداً وجهه ثم قرا ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة
وقال داود بن ابي هند سمعت الحسن يقول كل شي بقضاء وقدر الا المعاصي وكان
الحسن بارع الفصاحة بليغ المواعظ كثير العلم وجميع كلامه في الوعظ وذم الدنيا وجله
ماخوذ لفظاً ومعنى او معنى دون لفظ من كلام امير المومنين علي بن ابي طالب صلوات الله
عليه فهو في ذلك القدوة والغاية فمن ذلك قوله عليه السلام شيئان بعد ما بينهما
من الآخر احدهما اكثر شي في الدنيا والآخر اقل شي في الدنيا العبر والاعتبار وقوله عليه السلام
مثل الدنيا والآخرة مثل المشرق والمغرب متى ازددت من احدهما قرباً ازددت
من الآخر بعداً وقوله شتان بين عملين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب
مؤنته ويبقى اجره وقوله في صفة الدنيا ما اصف من دار اولها عناء وآخرها فناء وفي
حلالها حساب وفي حرامها عقاب من صح فيها امن ومن مرض فيها ندم ومن استغنى
فتن ومن افتقر حزن وقوله في كلام له قل ايها الذام للدنيا والمغتر بغرورها متى استهوتك
اليك بل متى غرتك ابمضاجع آبائك من البلى ام بمضاجع امهاتك تحت الثرى كم
قرضت بكفيك وكم عالجت بيديك تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء
مثلت لك بهم الدنيا نفسك وبمصرعهم مصرعك قال المرتضى رضي الله عنه ونهر
باب ان وجدنا فيه اعترفنا من نهج بحر زاخر او شؤبوب غمام ماطر وكل قول في هذا

الباب لقائل اذا اهتف اليه او قويس به كان كاضافة القطرة الى الغمرة والحصاة الى الجمرة
وانما اشرنا اليه اشارة واومانا اليه ايماء ثم نعود الى ما كنا فيه ومن ان اعجب ما سمع
كلام الحسن البصري فقال المؤمن فصيح اذا لفظ وفصيح اذا نطق [illegible] بين لما يوما
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال ثم قال ان قوما غدوا في المطارف
العتاق والعمائم الرقاق تطلبون الامارات وتضيعون الامانات يتعرضون البلاء
وهم منه في عافية حتى اذا اخافوا من فوقهم من اهل العفة وظلموا من تحتهم من اهل الذمة
اهزلوا دينهم واسمنوا براذينهم ووسعوا دورهم وضيقوا قبورهم الم ترهم قد جددوا
والثياب واخلقوا الدين يتكي احدهم على شماله فياكل من غير ماله طعامه وغصب مسخرة و
خدمه سخرة ثم يدعو بالحلو بعد الحامض وبالحار بعد البارد والرطب بعد اليابس حتى اذا اخذته
الكظة تجشا من البشم ثم قال يا جارية ائتي بهاضوم يهضم الطعام يا احمق
لا والله لن تهضم الا دينك اين جارك اين يتيمك اين مسكينك اين ما امرك الله
به عز وجل وذكرنا الحجاج فقال اتانا اعيمش اخفش له جميمة يرجلها واخرج الينا بنانا قصيرا
والله ما عرق فيها عنان في سبيل الله فقال بايعوني فبايعناه ثم رقي هذه الاعواد ينظر الينا
بالتصغير وننظر اليه بالتعظيم يامرنا بالمعروف ويجتنبه وينهانا عن المنكر ويرتكبه وروي عن
عمر قال قال الحسن ان هذه القلوب طلعة فاقدعوها فانكم ان تطيعوها تنزع بكم الى شر غاية
وحادثوا هذه النفوس فانها سريعة الدثور قال عيسى بن عمر فحدثت بذلك ابا عمرو بن العلاء
فعجب من فصاحته وكان يقول في بعض كلامه ما شئت ان ترى احدهم ابيض بضا
يملخ في الباطل ملخا ينفض مذرويه يقول ها انا ذا فاعرفوني قال والبض نحو الرخص اللحم
وليس هو من البياض على لفظة قوم لانه قد يكون الرخاصة مع الادمة واما قوله يملخ
فان الملخ هو التثني والتكسر يقال ملخ الفرس اذا لعب قال رؤبة يصف الحمار بها
معتزم التجليح ملاخ الملق والمذروان فرع الاليتين قال عنترة احولي ينفض استك مذرويها
لتقتلني فها انا ذا عمارا وانه قول ابي عبيدة وقال ابن قتيبة [illegible] ليس المذروان
فرع الاليين حسب بل هما الجانبان من كل شيء تقول العرب جاء فلان ينفض مذرويه

ويضرب عطفيه وينفض مذرويه وهما منكباه وذكر ابو مسحل [illegible] وهي اطراف الثوب لقول
تنفخ الشيب مذرويه [illegible] وانما سميتا بذلك لانهما يذريان [illegible]
والذرا وهو الذرى [illegible] الشيب قال وهذا اصل الحرف ثم استعير للمنكبين والاليتين
والطرفين من كل شيء قال امية بن ابي عائذ الهذلي يذكر قوما علام [illegible] المذارو
[illegible] في الشمال اراد قوما ينفض طرفا ما فلا معنى لوصف الرجل الذي ذكره
الحسن بانه يحرك البتة ولانه شان من يسنح ويثني على نفسه ويقول هذا انا
فاعرفوني ان يحرك البتة واني ارادانه يضرب عطفيه وهذا مما يوصف به المرح
المختال وربما قالوا جاء فلان ينفض مذرويه اذا اتوعد وتهدد وذلك اذا تكلم وحرك راسه
[illegible] قال المرتضى رضي الله عنه ليس الذي ذكره ابو عبيد
ببعيد لان من شان المختال الذي يزهى بنفسه ان يهتز ويتثنى او يحرك اعطافه
واعضاءه [illegible] جملة ما يهتز ويتحرك لانهما بارزان من جسمه فيظهر فيهما الاهتزاز
وانما خص المذروان بالذكر مع ان غيرهما يتحرك ايضا [illegible] لهذا المختال
والمتهجن بفعله وقول ابن قتيبة ليس من شان من يسنح ان يحرك البتة ليس بشيء لان
الاغلب من شان المختال التبذخ والاهتزاز وتحريك الاعطاف على ان [illegible]
فيما قاله لانه ليس من شان كل متوعد ان يحرك راسه وينفض مذرويه فاذا قال ان
ذلك هو الاغلب والاكثر قيل له مثله وكان الحسن يقول يا ابن آدم جمعا جمعا شدا شدا
شدا شدا في وعاء وشدا في وكاء وركوب الذلول ولبس اللين حتى قيل مات
فافضى والله الى الآخرة فطال حسابه وكان يقول مسكين ابن آدم مكتتم الاجل مكتوم
العلل اسير جوع صريع شبع ان [illegible] تؤلمه البقة وتقتله الشرقة [illegible]
[illegible] وكان يقول [illegible] الامل الاماني والعمل وكتب الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان
طول البقاء الى فناء فخذ من فنائك الذي لا يبقى لبقائك الذي لا يفنى والسلام وكان
يقول اذا رايت رجلا ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة وسال رجل ما حالك فقال ما حال
من امسى واصبح ينتظر الموت ولا يدري ما يفعل الله به وكان يقول يا ابن آدم

بعثت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان يكتبان عملك فاعمل ما شئت واكثر
واقلل وفي خبر آخر وكل بك ملكان كريمان ريقك مداده ولسانك قلمها ... وروي
ابو بكر الهذلي قال لما قدم عمر بن هبيرة واليا على العراق نزل واسطا فبعث الى
الشعبي والى الحسن البصري فقال لهما ان يزيد بن عبد الملك عبد اخذ الله ميثاقه
للخلافة وقد اخذ منا اخذنا واعطيناه عهودنا ومواثيقنا وصفقة ايدينا فوجب علينا
السمع والطاعة فانه يبعثني الى ... غير سابل اياه الا انه لم يزل يبعث الي بالتقية اقوم
تقتلهم او في الضياع تقبضها او في الدور تهدمها فنوليه من ذلك ما ولاه الله
فما تريان فاما الشعبي فقال قولا فيه بعض اللين واما الحسن فانه قال يا عمر اني انهاك
عن الله ان تتعرض له فان الله مانعك من يزيد ولا يمنعك يزيد من الله انه يوشك
ان ينزل اليك ملك من السماء فيستنزلك من سريرك ويخرجك من سعة قصرك
الى ضيق قبرك ثم لا يوسع عليك الا عملك ان هذا السلطان انما جعل ناصرا لدين
الله فلا تركبوا دين الله وعباد الله بسلطان الله تذللونهم به فانه لا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق عز وجل وذكر عن الشعبي انه قال كان والله الحسن اكرمنا عليه وروي ابو بكر
بن عياش قال قال مسلمة بن عبد الملك للحسن عظني فقال اذا زلت عن المنبر
فاعمل بما تكلمت فقال عظني قال او كنت فعلت قال نعم ما كنت تحب ان يأتي
اليك فأته الى من وليت وعن ثابت البناني قال قال رجل للحسن اخذ عطاكم
ام ادعه حتى اخذه من حسناتهم يوم القيمة فقال له قم ويحك خذ عطاءك
فان القوم مفاليس من الحسنات يوم القيمة وولد للحسن غلام فهناه بعض اصحابه
فقال الحسن نحمد الله على هبته ونستزيده من نعمه ولا مرحبا بمن ان كنت غنيا
اذهلني وان كنت فقيرا اتعبني لا ارضى بسعي له سعيا ولا بكدي له في الحيوة كدا حتى اشفق
عليه من الفاقة بعد وفاتي وانا في حال لا يصل الي من همه حزن ولا من فرحه
وكان الحسن يقول لو لم يكن من شوم التراب الا انه جاء الى احب خلق الله فخدعه
لكان ينبغي للعاقل ان يتركه يعني الفضل [illegible] جاء انه يهودي فقال [illegible]

فاعمل ...

عن عطيتك ما علم ما جازي به احدا من اهل ملكك وبه تخلص من ... لانه لم يدع له بالثواب
الذي لا يستحقه الكفار ... العوض الذي يستحقه الكافر مع استحقاق العقاب
وكان الحسن يقول ليس للفاسق المعلن بالفسق غيبة ولا لاهل الاهواء والبدع
غيبة ولا للسلطان الجائر غيبة فقال في قوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة قال العلم والعبادة وفي
الآخرة حسنة قال الجنة وخرج الحسن في جنازة معها نوائح فقال له رجل اما ترى يا ابا سعيد
هذا او نرجع فقال له الحسن ان كنت كلما رأيت قبيحا تركت له حسنا اسرع
ذلك في دينك وذكرت عنده الدنيا احلام نوم او كظل زائل ان اللبيب بمثلها لا يخدع
وكان يتمثل اليوم عندك دلها وحديثها وغدا لغيرك كفها والمعصم وعن ابي عبيدة
قال لما وقع الحجاج ... اراد ... في الناس ان يخرجوا فيدعوا الى الخروج
الناس وخرج الحسن فاجتمع عليه الناس في مجلس فاهل الشام على بعضهم ان يقتلوه
فجعل يقول انظروا اخبث الاخبثين وافسق الفاسقين فاما اهل السماء فمقتوك
واما اهل الارض فغروك ثم قال ان الله تعالى الميثاق الذي اخذه على اهل العلم ليبيننه
للناس ولا يكتمونه ثم انصرف وبلغ ذلك الحجاج فقال يا اهل الشام وهم حوله ايجيء
عبيد من عبيد اهل البصرة فيتكلم فينا بما تكلم به ولا يكون عند احد منكم تغيير ولا
نكير قالوا فمن ذلك املكك الله اسقيناه دمه فقال علي به وامر بالنطع والسيف فاحضرا
ووجه اليه فلما دنا الحسن من الباب حرك شفتيه والحاجب ينظر اليه فلما دخل قال له
الحجاج ههنا واجلسه قريبا من فرشه وقال له ما تقول في علي وعثمان قال اقول قول
من هو خير مني عند من هو شر منك قال موسى لفرعون اذ قال ما بال القرون الاولى
قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى علم علي وعثمان عند الله فقال الحجاج
انت سيد العلماء يا ابا سعيد ... ولقد احضر السيف والنطع
فلما اقبلت رأيتك قد حركت شفتيك بشيء فما قلت قال قلت يا عدتي عند كربتي
ويا صاحبي عند شدتي ويا وليي في نعمتي ويا الهي واله ابائي ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
ارزقني مودته واصرف عني اذاه ومعرته ففعل ربي عز وجل ذلك وكان الحسن

واتقم ليقوتوم

ثم دعا بغالية فغلل بها لحيته
خرج الحسن اتبعه الى حد
فقال يا ابا سعيد ...

يقول ما زال النفاق مقموعاً حتى عمّم هذا عمامته وقلّد سيفاً يعني الحجاج وروى ابو بكر الهذلي
ان رجلاً قال للحسن يا ابا سعيد ان الشيعة تزعم انك تبغض علياً عليه السلام فاكب
يبكي طويلاً ثم رفع رأسه فقال لقد فارقكم بالامس رجل كان سهماً من مرامي الله عز وجل
على عدوه ربّاني هذه الامة وذو شرفها وفضلها وذو قرابة من النبي صلى الله عليه وآله قريبة
لم يكن بالنؤومة عن امر الله ولا بالغافل عن حق الله ولا بالسروقة من مال الله اعطى
القرآن عزائمه فيما له وعليه فاشرف منها على رياض مونقة واعلام بيّنة ذلك علي بن
ابي طالب يا لكع وكان الحسن اذا اراد ان يحدث في زمن بني امية عن امير المؤمنين
ع قال قال ابو زينب وشهد الحسن جنازة فقال ان امرأ هذا اوله لينبغي ان يحذر منه
وان امرأ هذا آخره فينبغي ان تزهد فيه وعن حميد الطويل قال خطب رجل الى الحسن
بنته فكنت السفير بينهما فرضيه واراد ان يزوجه فاثنيت عليه ذات يوم وقلت وازيدك
يا ابا سعيد ان له خمسين الفاً قال له خمسين الفاً ما اجتمعت خمسون الفاً من حلال قلت
يا ابا سعيد والله انه ما علمت لورع مسلم فقال اذا كان جمعها من حلال فقد ضنّ بها
عن حق لا يجري والله بيني وبينه صهر ابداً وقيل لعلي بن الحسين عليهم السلام ان
الحسن البصري قال ليس العجب ممن هلك كيف هلك وانما العجب ممن نجا كيف نجا فقال
عليه السلام انا اقول ليس العجب ممن نجا كيف نجا انما العجب ممن هلك كيف هلك
مع سعة رحمة الله تعالى واتى عليه السلام الحسن البصري وهو يقص عند الحجر فقال
اترضى يا حسن نفسك للموت قال لا قال فعملك للحساب قال لا قال فثمّ دار للعمل
غير هذه الدار قال لا قال فلله في ارضه معاذ غير هذا البيت قال لا قال فلم تشغل الناس
عن الطواف مجلس آخر وممن تظاهر بالعدل واشتهر به واصل بن عطاء الغزّال
ويكنى ابا حذيفة وقيل انه مولى بني ضبة وقيل مولى بني مخزوم وقيل مولى بني هاشم وورد
انه لم يكن غزّالاً وانما لقب بذلك لانه كان يكثر الجلوس في الغزالين عند صديق
له يعرف بابي عبد الله الغزال وذكر المبرد ان واصلاً كان يلزم الغزالين ليعرف
المتعففات من النساء فيجعل صدقته لهن فلقب بذلك كما لقب ابو سلمة

حفص

حفص بن سليمان بالخلال وهو وزير ابي العباس السفاح ولم يكن خلالاً وانما كان منزله
بالكوفة بقرب الخلالين وكان يجلس عندهم فسمي خلالاً ومثله ابو علي الحرمازي
وهو مولى لبني هاشم وانما لقب بذلك لانه كان ينزل في بني الحرماز وابراهيم بن
يزيد الخوزي وليس من الخوز ولكنه كان ينزل بمكة شعب الخوز وابو سعيد المقبري لانه
ينزل المقابر وكان واصل الثغ في الراء قبيح اللثغة وكان يخلص من كلامه الراء
ويعدل عنها في سائر محاوراته وقد ذكرنا طرفاً من ذلك في اخبار بشار بن برد وذكر
ابو الحسن البردعي المتكلم ان انساناً سأل عمرو بن عبيد او غيره عن شيء من القدر بحضرة
واصل بن عطاء فتكلم السائل بشيء اغضب عمرواً فاجابه عمرو بجواب لم يرضه واصل فقال
له واصل ابلك واجوبة الغضب فانها مذمومة والشيطان يحضر معها وله في تصاريفها
همزة وقد اوجب الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله ان يستعيذ من همزات الشياطين
وان يكونوا معه لقوله اعوذ بك من همزات الشياطين الى خاتمة الآية وقيل ما شاهد ان احداً
اجاب فتثبّت في خواتمه وما يطلق به لسانه فلحقه لوم فقال البردعي انظر الى واصل
كيف كلم عمرواً فاخرج الراء من كلامه فقال موضع والشيطان يحضرها يكون معها وقد
اوجب الله على نبيه ولم يقل امره وان يكونوا معه بدلاً من قوله ان يحضروه ثم قال
الى خاتمة الآية ولم يقل الى آخر الآية قال المرتضى رضي الله عنه ومما لم يذكره البردعي عدل
عن افتتاح الآية من اجل الراء لان اولها وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين
ولولا قصده للعدول لكان ذكرها واجباً من ابتدائها لا سيما وفي ابتدائها تعليم وتوقيف
على كيفية دعائه والاستعاذة به وقيل ان رجلاً قال له كيف تقول ارجع الفرس
قال ابعد الجواد وقال له آخر كيف تقول ركب فرسه وجر رمحه فقال استوى على جواده
وسحب عامله وذكر ابو الحسن الخياط ان واصلاً كان من اهل مدينة الرسول صلى الله
عليه وآله ومولده سنة ثمانين او احدى وثمانين وكان واصل ممن لقي ابا هاشم
عبد الله بن محمد بن الحنفية وصحبه واخذ عنه وقال قوم انه لقي اباه محمداً عليه السلام
وذلك غلط لان محمداً توفي سنة ثمانين او احدى وثمانين وواصل ولد سنة ثمانين ومات

٢ ومات سنة ...

هو اول من اظهر المنزلة بين المنزلتين لان الناس كانوا في اسماء اهل الكبائر من اهل الصلوة
على اقوال كانت الخوارج تسميهم بالكفر والشرك والمرجئة تسميهم بالايمان وكان
الحسن واصحابه يسمونهم بالنفاق فاظهر واصل القول بانهم فساق غير مؤمنين
ولا كفار ولا منافقين وكان عمرو بن عبيد من اصحاب الحسن وتلامذته فجمع بينه
وبين واصل ليناظره فيما اظهر من القول بالمنزلة بين المنزلتين فلما وقفوا على اجتماعهما
ذكروا ان واصلا اقبل ومعه جماعة من اصحابه الى حلقة الحسن وفيها عمرو بن عبيد جالس
فلما نظر الى واصل وكان في عنقه طول واعوجاج قال ارى عنقا لا يفلح صاحبها وسمع
ذلك واصل فلما سلم عليه قال له يا ابن اخي ان من عاب الصنعة عاب الصانع
للتعلق الذي بين المصنوع والصانع فقال له عمرو بن عبيد يا ابا حذيفة قد وعظت
فاحسنت ولن اعود الى مثل الذي كان مني وجلس واصل في الحلقة وسئل ان
يكلم عمروا فقال واصل لعمرو لم قلت ان من اتى كبيرة من اهل الصلوة استحق
اسم النفاق فقال عمرو لقول الله عز وجل والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا
باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم
الفاسقون ثم قال في موضع آخر ان المنافقين هم الفاسقون فكان كل فاسق
منافقا اذا كانت الالف واللام للمعرفة موجودين في الفاسق فقال له واصل
اليس قد وجدت الله تعالى يقول ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون
فاجمع اهل العلم على ان صاحب الكبيرة يستحق اسم ظالم كما يستحق اسم فاسق فالا اخرت صاحب
الكبيرة من اهل الصلوة لقول الله تعالى والكافرون هم الظالمون فعرف بالالف واللام
التعريف اللذين في قوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون كما قال
في القاذف واولئك هم الفاسقون وسميته منافقا لقوله تعالى ان المنافقين هم
الفاسقون فامسك عمرو ثم قال له واصل يا ابا عثمان ايما اولى ان تستعمل في اسماء
المحدثين من امتنا ما اتفق عليه اهل الفرق من اهل القبلة او ما اختلفوا فيه فقال عمرو
بل ما اتفق عليه اولى فقال له واصل اتجد اهل الفرق على اختلافهم يسمون

صاحب الكبيرة

قال السيد الرضي والزيدية تسميه مؤمنا فاسقا

ظالم كالفسق

صاحب الكبيرة فاسقا ويختلفون فيما عدا ذلك من اسمائه لان الخوارج تسميه مشركا فاسقا
والشيعة تسميه كافر نعمة فاسقا يعني بالشيعة الزيدية والحسن يسميه منافقا فاسقا واجمعوا على
تسميته بالفسوق واختلفوا فيما عدا ذلك من اسمائه والواجب ان يسمى بالاسم الذي اتفق عليه
وهو الفسق لاتفاق المختلفين عليه ولا يسمى بما عدا ذلك من الاسماء التي اختلف فيها فيكون
صاحب الكبيرة فاسقا ولا يقال فيه انه مؤمن ولا منافق ولا مشرك ولا كافر فهذا اشبه
باهل الدين فقال عمرو ابن عبيد بيني وبين الحق عداوة والقول قولك فليشهد علي
من حضر اني تارك للمذهب الذي كنت اذهب اليه من نفاق صاحب الكبيرة من اهل
الصلوة قائل بقول ابي حذيفة في ذلك واني قد اعتزلت مذهب الحسن في هذا الباب
فاستحسن الناس هذا من عمرو وقيل ان اسم الاعتزال انما اختص بهذه الفرقة
لاعتزالهم مذهب الحسن بن ابي الحسن في تسمية مرتكب الكبيرة من اهل القبلة بالنفاق
وحكي غير ذلك وقيل ان قتادة بعد موت الحسن البصري كان يجلس مجلسه وكان هو وعمرو
بن عبيد جميعا رئيسين متقدمين في اصحاب الحسن فتحرجت بينهما نفرة فاعتزل عمرو
مجلس قتادة واجتمع عليه جماعة من اصحاب الحسن وكان قتادة اذا جلس مجلسه سال عن
عمرو بن عبيد واصحابه فيقول ما فعلت المعتزلة فسموا بذلك قال المرتضى رضي الله عنه
اما ما الزمه واصل ابن عطاء لعمرو بن عبيد او لا فغير لازم واما ما تكلم به ثانيا
فغير واجب ولا لازم لان الاجماع وان لم يوجد في تسمية صاحب الكبيرة بالنفاق
او غير ذلك من الاسماء كما وجد في تسميته بالفسق فغير ممتنع ان يسمى بذلك لدليل
غير الاجماع في الشرع وان كان دليلا على صحة فليس فقده دليلا على فساده ووجود
انما الزم عمروا ان يعدل عن التسمية بالنفاق للاختلاف فيه ويقتصر على التسمية
بالفسق للاتفاق عليه وهذا باطل ولو لزم ما ذكرناه للزمه ان يقال قد اتفق اهل
الصلوة على استحقاق صاحب الكبيرة من اهل القبلة الذم والعقاب ولم يتفقوا على
استحقاقه التخليد في العقاب او نقول انهم اجمعوا على استحقاقه للعقاب ولم يجمعوا
على قبل المستحق فيجب ان نقول بما اتفقوا عليه دون ما اختلفوا فيه فاذا قيل استحقاقه

بالغرة

الاعتزال

او وجود الاجماع

للمخلوق او فعل المستحق به من العقاب وان لم يحكموا عليه فقد علم بدليل غير
الاجماع قيل له مثل ذلك فيما عوّل عليه ونبطل على كل حال ان يكون الاختلاف
في القول دليل على وجوب الامتناع منه ونها ابعض مما لكل كثيرة ذكرها يطول
على ان المقدمة التي قدمها لا تشبه ما الزم عليها لان الاجماع اولى من الاختلاف
فيما يتعارض ويتقابل والاجماع والاختلاف في الموضع الذي تكلم عليه واصل وعمرو في
مكانين لان الاجماع هو على تسميته بالفسق والاختلاف هو في تسميته باسم من
الاسماء فلا تعارض بينهما وله ان ياخذ بالاجماع في موضع ويعول فيما الاختلاف فيه على
دلالة غير الاجماع لان فقد الاجماع من القول لا يوجب بطلانه ويحكى ان واصلا كان يقول
اراد الله من العباد ان يعرفوه ثم يعملوا قال الله تعالى يا موسى اني انا الله فعرّفه نفسه ثم قال
اخلع نعليك فبعد ان عرفه نفسه امره بالعمل قال والدليل على قوله عز وجل ان الانسان
لفي خسر الا الذين آمنوا اي صدقوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر
علموا وعملوا وروى المبرد قال حدثت ان واصل بن عطا اقبل في رفقة فاحسوا
بالخوارج وكانوا قد اشرفوا على العطب فقال واصل لاهل الرفقة ان هذا ليس من شانكم
فاعتزلوا ودعوني واياهم فقالوا شانك فقال الخوارج ما انت واصحابك قال مشركون
مستجيرون ليسمعوا الكلام ويعقلوا حدوده فقالوا قد اجرناكم قال فعلمونا احكامكم فجعلوا يعلمونه
احكامهم وجعل هو يقول قد قبلت انا ومن معي قالوا فامضوا مصاحبين فانكم اخواننا قال
ليس ذلك لكم قال الله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله
ثم ابلغه مامنه فابلغونا مامننا فساروا باجمعهم حتى بلغوا الامن ويحكى ان محمدا وابراهيم ابني
عبد الله بن الحسن كانا مع عمرو وعاهداه اصل الى القول بالعدل فاستجابا له وذلك بالحج واصل
ودعا الناس بمكة والمدينة وحكى ابو القاسم البلخي ان عبد الله بن الحسن قال لابنه محمد
بابي كل خصالك محمودة الا قولك بالقدر فقال له يا ابت افترى اني اقدر على تركه ولا اقدر
على تركه فورد الكلام على رجل عاقل وقال لا اعاتبك عليه ابدا قال ابو القاسم يقول ان كنت
اقدر على تركه فهو قولي وان كنت لا اقدر فلم تعاتبني على شيء لا اقدر على تركه فاما عمرو

ذكر عمرو بن عبيد

بن عبيد فيكنى ابا عثمان وهو مولى لبني العدوية من بني تميم قال الجاحظ هو عمرو بن عبيد بن باب
وباب من سبي كابل من سبي عبد الرحمن بن سمرة وكان باب مولى لبني العدوية
قال وكان ابوه عبيد شرطيا وكان عمرو متزهدا فكانا اذا اجتازا على الناس قالوا
هذا شر الناس ابو خير الناس فيقول ابو عبيد صدقتم هذا ابراهيم وانا تارخ بن ناحور
قال علي بن الجعد هو عبيد بن باب وكان ابوه ابا الحكم بن ايوب قال وكان باب
مكاتبا له وكان منروف فقال له وكان باب وكان فارسيا وللفرزدق منه هجو مشهور
تركناه وذكرناه لشهرته وفحش فيه وذكر ابو الحسين الخياط ان مولد عمرو بن عبيد
وواصل بن عطا جميعا في سنة ثمانين ومات عمرو بن عبيد في سنة اربع واربعين
ومائة وهو ابن اربع وستين سنة وروي ان عمرا استاذن على المنصور فدخل
عليه الربيع فقال بالباب رجل قال اني عمرو بن عبيد وكان على المنصور جبة
محققة فقال ويلك يا ربيع عمرو بالباب قال نعم قال ايذن له فصلى على مصلى ابيض فاتاه به
فالقاه عليهم قال له فرمى خلفي فغطى الجبة وازرر علي قال الربيع ولم اكن ارى واحدا
يوقره المنصور حتى رايت عمرو بن عبيد قال فدخل عليه رجل ادم مرفوع الكدية عليه
اثر السجود حسن الادب حسن اللسان كانه لم يزل مع الملوك في توقيره للخليفة واعظامه
اياه قال فسلم فاجلسه المنصور ليجلس معه فابى ان يجلس بين يديه فساله واحتفى
به فلما اراد عمرو القيام قال له يا ابا عثمان اوصني قال ان ما في يديك لو بقي
له عن احد وانما هو شيء صار اليك وقد كان في يد غيرك فهلك فلو دام لك لبلغ
في يد الاول والسلام وعن الاصمعي قال قال مطر الوراق لعمرو بن عبيد اني لارحمك مما يقول
الناس فيك فقال عمرو اسمعتني اقول فيهم شيئا قال لا قال فارحمهم وقال خالد بن صفوان
لعمرو بن عبيد لم لا تاخذ مني فتنفقني دنيا ان كان عليك وتصل رحمك فقال له عمرو اما
فليس علي واما صلة رحمي فلا يجب علي وليس عندي قال فما يمنعك ان تاخذ مني قال يمنعني
انه لم ياخذ احد من احد شيئا الا ذل له وانا اكره ان اذل لك ويقال
ان ابا جعفر اتى عمرو بن عبيد في المسجد الحرام فسلم عليه وجلس اليه وقال له يا ابا عثمان

ما تقول في قول الله ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فقال له ذلك في
محبة القلوب التي لا يستطيعها العبد ولم يكلّفه الله فاما العدل بينهن في القسم والنفقة
والكسوة والنفقة فهو مطيق لذلك وقد كلفه بقوله ولا تميلوا كل الميل فتذروها
فتذروها كالمعلقة بمنزلة من ليست ايّماً ولا ذات زوج فقال له ابي لكنه هذا والله
هو الحق ويقال ان عمرو بن عبيد اتى يونس بن عبيد يعزيه عن ابنه فقال له ان
اباك كان اصلك وان ابنك فرعك وان امرءاً ذهب اصله وفرعه لحريّ ان يقلّ
بقاؤه فقيل ان عبد الله بن عبد الاعلى اخذ هذا المعنى فقال صحبتك قبل الروح اذ
انا نطفة · تصان بمكنون اللطائف مصونها · ارى المرء وثّابا على ما يهمّه وما نالها فطال اذا
حلّت بنفس ربوبها · فماذا انتقاء الفرع من بعد اصله · سيلقى الذي لاقى الاصول
غصونها · واول من سبق هذا المعنى امرؤ القيس في قوله

شعر

فبعض اللوم عاذلتي فاني · ستكفيني التجارب وانتسابي · واحذو نحوك لبيد
في قوله · فان انت لم تنفعك علمك فانتسب · لعلك تهديك القرون الاوائل ·
· · · فان لم تجد من دون عدنان والدا · ودون معد فلتزعك العواذل · واخذه
ايضا نحو له · تمنّى ابنتاي ان يعيش ابوهما · وهل انا الا من ربيعة او مضر · ونظر
اليه محمود الوراق وابراهيم العباس الصولي اما محمود الوراق ففي قوله · اذا
ما انتسبت الى آدم · فلم تك بينكما فرات · وجازت سنوك بك الاربعين ·
وصرت الى الجانب الاخشن · ورث اللباس خلال السواد · فاصبحت في
شبه الاشهب · فكيف تؤمل طول الحياة · ان كان حظك لم يوهب · واما
ابراهيم فانه يعني الى ابي وجد ابن متقلّب بموعظ رآها في ابيه كما رايت ابي
وكان ابو نواس نظر الى هذا المعنى في قوله · وما الناس الا هالك وابن
هالك · وذو نسب في الهالكين عريق · اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو في ثياب صديق · · · · مجلس آخر
قال روي ان عمرو بن عبيد دخل على معوية بن عمرو بن العلابي وهو يجود بنفسه فقال

ان الله

الى عرق الثرى وشجت عروقي
وهذا الموت يسلبني شبابي

معنى قوله

وكان ابا نواس

ان الله تعالى تعهدك في حال الصحة بالعمل بجوارحك وقلبك ورفع عنك في هذه الحال
عمل الجوارح ولم يكلفك الا العمل بقلبك فاعط بقلبك ما يحب له عليك وروي
ان قوما اجتمعوا الى عمرو بن عبيد فذاكروا السخاء فاكثروا في وصفه وعمرو ساكت
فسألوه عما عنده فقال ما احسن صفته ان السخي من جاد بماله تبرعا وكف عن اموال
الناس تورعا وذكر اسحق بن الفضل الهاشمي قال اني لعلى باب المنصور يوما والى جنبي
عمارة بن حمزة اذ طلع عمرو بن عبيد على حمار فنزل عن حماره ثم رفع البساط برجله
وجلس دونه فالتفت الي عمارة فقال لا تزال بصرتكم قد رمتنا منها باحمق فما فصل
كلامه من فيه حتى خرج الربيع وهو يقول ابو عثمان عمرو بن عبيد قال فوالله ما دل
على نفسه حتى ارشد اليه فاتكاه يده ثم قال اجب امير المؤمنين جعلت فداك
فمر متكئا عليه فالتفت الى عمارة فقلت ان الرجل الذي استحمقته قد ادخل
وتركنا فقال كثيرا ما يكون ذلك فاطال اللبث ثم خرج الربيع وهو متكئ عليه والربيع
يقول يا غلام حمار ابي عثمان فما برح حتى اتى بالحمار فاقره على سرجه وضم نشر ثوبه
واستودعه الله فاقبل عمارة على الربيع فقال لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل ما لو فعلتموه
بولي عهدكم لقضيتم ذمامه قال فما غاب عنك مما فعل به الخليفة اكثر فقال عمارة
فان اتسع لك الحديث فحدثنا فقال الربيع ما هو الا ان سمع الخليفة بمكانه
فما امهل حتى امر بمجلس ففرش لبودا ثم انتقل اليه والمهدي معه وعليه سواده وسيفه
ثم اذن له فلما دخل عليه سلّم عليه بالخلافة فرد عليه وما زال يدنيه حتى اتكاه
فخذه وتحفى به ثم سأله عن نفسه وعن عياله يسميهم رجلا رجلا وامراة امراة ثم قال
يا ابا عثمان عظنا فقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم والفجر وليال عشر والشفع
والوتر ومر فيها الى آخرها وقال يا ابا جعفر ان ربك لبالمرصاد قال فبكى بكاء
شديدا حتى كانه لم يسمع تلك الآيات الا تلك الساعة فقال زدني فقال ان الله
قد اعطاك الدنيا باسرها فاشتر نفسك منه ببعضها واعلم ان هذا الامر الذي
صار اليك انما كان في يد من كان قبلك ثم افضى اليك وكذلك يخرج منك

الى من هو بعدك وانى احذرك ليلة تمخض صبيحتها عن يوم القيامة قال اشد من بكائه
الاول حتى رجف جنبه وفي رواية اخرى انه لما انتهى الى اخر السورة
قال يا امير المؤمنين ان ربك لبالمرصاد لمن عمل مثل عملهم ان ينزل بهم مثل ما نزل بهم
فاتق الله فان من وراء بابك نيرانا تأجج من الجور ما يعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسول
الله فقال يا ابا عثمان انا اكتب اليهم في الطوامير نامرهم بالعمل بالكتاب والسنن فان
لم يفعلوا فما عسى ان نصنع فقال لم مثل اذن الفارة تجزيك من الطوامير الله
تكتب اليهم في حاجة نفسك فينفذونها وتكتب اليهم في حاجة الله فلا ينفذونها
انك والله لو لم ترض من عمالك الا بالعدل اذا لتقرب اليك به من لا نية له فيه قال
الشريف المرتضى رضي الله عنه رجعنا الى نسق الحديث فقال له سليمان بن مجالد
رفقا يا امير المؤمنين فقد اتعبته منذ اليوم فقال له بمثلك ضاع الامر وانتشر لا ابا لك
وماذا خفت على امير المؤمنين ان يبكي من خشية الله وفي رواية اخرى ان سليمان
بن مجالد لما قال له ذلك رفع راسه فقال من انت فقال ابو جعفر او لا تعرفه يا ابا عثمان
قال لا ولا ابالي ان لا اعرفه قال هذا اخوك سليمان بن مجالد فقال هذا اخو الشيطان
ويلك يا ابن ام مجالد خزنت نصيحتك عن امير المؤمنين ثم اردت ان تحول بينه
وبين من اراد نصيحته يا امير المؤمنين ان هؤلاء اتخذوك سلما لشهواتهم فانت كالماسك
بالقرنين وغيرك يحلب فاتق الله فانك ميت وحدك ومبعوث وحدك ومحاسب
وحدك ولن يغني عنك هؤلاء من ربك شيئا فقال له المنصور يا ابا عثمان اعني
باصحابك استعن بهم قال له اظهر الحق يتبعك اهله فقال بلغني ان محمد بن عبد الله بن
الحسن كتب اليك كتابا قال قد جاءني كتاب يشبه ان يكون كتابه قال فبما ذا
اجبته قال او ليس قد عرفت رايي في السيف ايام كنت تختلف الينا اني
لا اراه قال اجل ولكن تحلف لي ليطمئن قلبي قال لئن كذبتك تقية لاحلفن
لك تقية فقال والله انت الصادق البار وقد امرت لك بعشرة الف درهم تستعين بها
على زمانك قال لا حاجة لي فيها قال والله لتاخذنها قال والله لا اخذنها فقال له المهدي

يحلف

يحلف امير المؤمنين (margin: وتحلف صح) فترك المهدي واقبل على المنصور فقال من هذا الفتى قال هذا
ابني محمد وهو المهدي وهو ولي العهد فقال والله لقد سميته اسما ما استحقه بعمل والبسته
لبوسا ما هو من لبوس الابرار ولقد مهدت له امرا امتع ما يكون به اشغل
ما يكون عنه ثم التفت الى المهدي فقال نعم يا ابن اخي اذا احلف (margin: ابوك حلف صح) عمك لان اباك
اقدر على الكفارة من عمك فقال المنصور يا ابا عثمان هل من حاجة قال نعم قال
ما هي قال لا تبعث الي حتى اتيك قال اذا لا نلتقي قال عن حاجتي سالتني
ثم ودعه ونهض فلما ولى اتبعه بصره وانشأ يقول كلكم طالب
صيد كلكم يمشي رويد غير عمرو بن عبيد وروي ان هشام
بن الحكم دخل البصرة فاتى حلقة عمرو بن عبيد فجلس فيها وعمرو لا يعرفه فقال
لعمرو اليس قد جعل الله لك عينين قال بلى قال ولم قال لانظر بهما في ملكوت السموات
والارض فاعتبر قال وجعل الله لك فما قال نعم قال ولم قال لاذوق المطعوم
واجيب الداعي ثم عدد الحواس كلها ثم قال وجعل لك قلبا قال نعم قال ولم
قال لتؤدي اليه الحواس كلها ما ادركته فيميز بينها قال فانت لم يرض لك ربك
تعالى اذ (margin: اذ خلق) خلق لك خمس حواس حتى جعل لها اماما ترجع اليه ارضى لهذا الخلق الذي
جشى بهم العالم الا يجعل لهم اماما يرجعون اليه فقال له عمرو ارتفع حتى ننظر في
مسالتك ثم دار هشام في حلق البصرة حتى اختلفوا وروى ابو عبيدة
قال دخل عمرو بن عبيد على سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بالبصرة
فقال له سليمان اخبرني عن صاحبك يعني الحسن حين يزعم ان عليا عليه السلام
قال اني وددت ان كنت اكل الحشف بالمدينة ولم اشهد مشهدي هذا
يعني يوم صفين فقال عمرو بن عبيد لم يقل هذا الا انه ظن (margin: ظن صح) ان امير المؤمنين عليه السلم
سئل كلمة يقول ودّ انه كان ياكل الحشف بالمدينة ولم تكن هذه الفتنة فقال
له فوفي عبد الله بن العباس يفتينا في القملة والنملة وكان راسا في الناس في ليلة
فقال له وكيف تقول هذا وابن عباس لم يفارق عليا عليه السلام حتى قتل

وشهد على الحسن عليه السلام انه اخذ مال بيت مال البصرة مع حاجة علي عليه السلام الى الاموال وهو يفرغ بيت مال الكوفة في كل خميس ويرشه وقالوا انه قيل فيه فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة وهذا باطل. وقال الجاحظ نازع رجل عمرو بن عبيد في القدر فقال له عمرو ان الله تعالى قال في كتابه ما يزيل الشك عن قلوب المؤمنين في القضاء والقدر قال تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون ولم يقل لنسألنهم عما قضيت عليهم او قدرته فيهم او اردته منهم او شئته لهم وليس بعد هذا الا الاقرار بالعدل والسكوت عن الجور الذي لا يجوز على الله تعالى. قال خلاد الارقط حدثني رجل عن عمرو بن عبيد قال سمعته في الليلة التي مات فيها يقول اللهم انك تعلم انه لم يعرض لي امران قط احدهما لك فيه رضى والآخر لي فيه هوى الا قدمت رضاك على هواي فاغفر لي. ومر ابو جعفر المنصور على قبره بمران وهو موضع على اميال من مكة على طريق البصرة فانشأ يقول:

صلى الاله عليك من متوسد ... قبرا مررت به على مران

قبرا تضمن مؤمنا متخشعا ... عبد الاله ودان بالقرآن

واذا الرجال تنازعوا في شبهة ... فصل الخطاب بحكمة وبيان

فلو ان هذا الدهر ابقى صالحا ... ابقى لنا عمرا ابا عثمان

فاما ابو الهذيل العلاف فهو محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي وقال ابو القاسم البلخي هو من موالي عبد القيس وولد سنة اربع وثلثين ومائة وقيل انه توفي في اول ايام المتوكل سنة خمس وثلثين ومائتين وكان سنه مائة سنة. قال المرتضى لكن ابا الهذيل في آخر عمره خرف الا انه لم يكن يذهب عليه معرفة المذهب والقيام بحجته وكف بصره قبل وفاته واخذ ابو الهذيل الكلام عن عثمان الطويل صاحب واصل بن عطاء وقيل ان ابا الهذيل بلغه ان رجلا يهوديا قدم البصرة فقطع جماعة من متكلميها فقال لعمه يا عم امض بي الى هذا اليهودي حتى اكلمه فقال له عمه يا بني كيف تكلمه وقد عرفت خبره وانه قطع مشايخ المتكلمين فقال لا بد ان تمضي بي اليه قال فوجدته يقرر الناس على نبوة

ابن عمرو بن عبيد

ابو الهذيل العلاف

ايامه

موسى عليه السلام فاذا اعترفوا له بها قال نحن على ما اتفقنا عليه الى ان تجمعوا على ما تدعونه فتقدمت اليه وقلت أسألك ام تسألني فقال بل اسألك فقلت ذاك اليك فقال لي اتعترف بان موسى عليه السلام نبي صادق ام تنكر ذلك فتخالف صاحبك فقلت ان كان موسى الذي تسألني عنه هو الذي بشر بنبيي عليه السلام وشهد بنبوته وصدقه فهو صادق نبي وان كان غير من وصفت لك فذلك شيطان لا اعترف بنبوته فورد عليه ما لم يكن في حسابه ثم قال افتقول ان التورية حق فقلت هذه المسألة تجري مجرى الاولى ان كانت هذه التورية التي تسألني عنها هي التي تتضمن البشارة بنبيي عليه السلام فذلك حق وان لم تكن كذلك فليست بحق ولا اقر بها فبهت وافحم ولم يدر ما يقول ثم قال احتاج الى ان اقول لك شيئا بيني وبينك فظننت انه يقول شيئا من الخير فتقدمت اليه فسارني فقال امك كذا وكذا وام من علمك لا يكني وقدر انه اثب به فيقول وثبوا بي وشغبوا علي فاقبلت على من كان في المجلس فقلت اعزكم الله الستم قد وقفتم على مسألته اياي وعلى جوابي اياه قالوا نعم قلت اليس عليه ان يرد جوابي ايضا قالوا بلى قلت لهم فلما سارني شتمني بالشتم الذي يوجب الحد وشتم من علمني وانما قدر اني اثب عليه فيدعي انا واثبناه وشغبنا عليه وقد عرفتكم شأنه بعد الانقطاع فانفروني فاخذته الايدي من كل وجه فخرج من البصرة هاربا. وعن ابي العيناء قال قال لي ابو الهذيل ما معنى الخسف فقلت ان يقلب الارض فيجعل اعلاها اسفلها وقال ان لا يمكني اليوم بالارض فانه ليبا الناس وقال ابو الهذيل قال لي المعذل بن غيلان العبدي وكان من سادة عبد القيس وكان يجتمع عليه اهل النظر يا ابا الهذيل ان في نفسي شيئا من قول القوم في الاستطاعة فبين لي ما يذهب بالريب عني فقلت خبرني عن قول الله تعالى وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون هل يخلو من ان يكونوا كذبهم لانهم مستطيعون للخروج وهم تاركون له او باستطاعة الخروج فيهم وليس يخرجون فقال انهم لكاذبون الى

ياء احتاج الى ان اقول لك شيئا بيني وبينك فظننت انه يقول شيئا في الخبر فقعدت اليه فسارني فقال

ادم

هم مستطيعون للخروج وهم يكذبون بقول لسنا نستطيع ولو استطعنا لخرجنا فالذي هو (الله)
بهذا الوصف اي يكون على وجه آخر يقول انهم لكاذبون اي ان اعطيتهم الاستطاعة
لم يخرجوا فكيف يكون معهم الاستطاعة على الخروج ولا يخرجون فجعل كل حال
قد كانت الاستطاعة على الخروج ولا يكون الخروج ولا يعقل للآية معنى يا ليت
غير الوجهين اللذين وصفنا ** وحكى سليمان الرقي ان ابا الهذيل لما ورد
سر من رأى نزل في غرفة الى ان يطلب له دار يطلع كر قال فجزت به
فقلت يا ابا الهذيل انزل في مثل هذا المنزل فانشدني ** يقولون زين المرء
باني رحله الا ان زين الرجل باني راكبه ** وعن ابي مجالد قال رايت
رجلا وقد سال ابا الهذيل وهو في الوراقين يتغير وضاح فقال من جمع بين الاختين
يا ابا الهذيل فقال له يا ابن اخي اما اهل البصرة فانهم يقولون القواد ودون ولا احب
اهل بغداد يخالفونهم في هذا القول فما تقول انت فخجل الرجل وسكت قال ابو الهذيل
قلت لرجل حمص ما الحركة ولم يتمه وزعم قوم انه اللاحق خبرني عن قول الله تعالى
الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة وذكر القاذف فقال اجلدوه
ثمانين جلدة فايهما اكثر قال حد الزاني قلت بكم قال بعشرين قلت فخبرني عن الجلد
اهو يد الجلاد قال لا قلت افهو السوط قال لا قلت فهو ظهر المجلود قال لا قلت
افهو الانفراج الذي بين السوط وظهر المجلود قال لا قلت افثم شيء غير هذا قال
لا قلت فانما تقول ان لا شيء بعشرين فانقطع ** وقال ابو الهذيل قلت لمجوسي
ما تقول في النار قال بنت الله قلت فالبقر قال ملائكة الله قص اجنحتها وحطها
الى الارض يحرث عليها قلت فالماء قال نور الله قلت فالبقر قال فالجوع والعطش
قال هما فقر الشيطان وفاقته قلت فمن يحمل الارض قال بهمن الملك
قلت ما في الدنيا شر من المجوس اخذوا ملائكة الله فذبحوها ثم غسلوها بنور الله
ثم شووها ببنت الله ثم دفعوها الى فقر الشيطان وفاقته ثم سلحوها على راس بهمن
اعز ملائكة الله تعالى فانقطع المجوسي وخجل مما لزمه ** ودخل ابو الهذيل يوما على المخ

بن

بن سهل بفم الصلح حقه فقال رجل من اهل النجوم قال من اهل صناعة الحساب ام (الاحكام)
قال الاحكام قال ذلك علم يبطل افاسئله فاخذ ابو الهذيل تفاحة من بين يديه فقال
اكل هذه ام لا قال نعم كلها فوضعها ابو الهذيل وقال لست آكلها قال فتعيدها الي يدك
فاعيد النظر فوضعها واخذ غيرها فقال له الحسن لم اخذت غيرها قال لئلا يقول لا تاكلها
فاكلها خلافا عليه فيقول قد اصبت في المسئلة الاولى وقال نعمان المنانى يوما لابي
الهذيل دل على حدوث العالم بغير الحركة والسكون فقال له ابو الهذيل مثلك مثل
رجل قال لخصمه احضر مني الى القاضي ولا تحضر بعينك ** وذكر محمد بن الجهم صاحب
الفراء قال رايت ابا الهذيل وقد جاء الى الديوان في ايام المامون فسال سهل
بن هرون ان يكتب له كتابا في حاجة الى حفصويه صاحب الجيش ثم نهض
ابو الهذيل فاملى على سهل بن هرون ** ان الفم اذا سالك حاجة لابي
الهذيل خلاف ما ابدي ** فاذا اتاك لحاجة فامدد له حبل الرجاء بخلف الوعد
والق من لم تكفيا لتحسن ظنه بغير منفعة ولا رفد حتى اذا طالت بشقاوة
جده ** ورجا الغنى فاحبه بالرد ** وان استطعت له المضرة فاجتهد فيها
تغير بالبلغ الجهد ** وانظر كلامي فيه فالزم برخلف الزمان منك في النقد
وكذاك فافعل غير محتشم ان احببت النسك في ابي الهذيل ** قال الشريف
ابو ... رضي الله عنه ونشبه هذا المعنى ما خبرنا به ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني
محمد بن ابي الازهر قال حدثنا اصحابنا قال كان لي صديق فجاءني يوما فقال لي
اريد الخروج الى فلان العامل واحب ان يكون معي اليه وسيلة وقد سالت
من صديقه فقيل ابو عثمان الجاحظ وهو صديقك فاحب ان تاخذ كتابه لي اليه
بالعناية قال فصرت الى الجاحظ فقال في اي شيء جاء ابو عبد الله فقلت مسلما
وقاضيا للحق وفي حاجة لبعض اصدقائي وهي كذا وكذا فقال لا تشغلنا الساعة
عن المحادثة فاتي في غد اوجه اليك بالكتاب فلما كان من الغد وجه الي بالكتاب
فقلت لابني وجه بهذا الكتاب الى فلان ففيه حاجته فقال لي ان ابا عثمان

وعنده فتى قد رفع مجلسه فقال ابو الهذيل من هذا الذي قد رفعه الامير لنوقفه بمعرفته

بعيد الثورة ... ان تفضه وتنظر ما فيه ففعلت فاذا في الكتاب كتابي اليك
مع من لا اعرفه وقد كلمني فيه من لا اوجب حقه فان قضيت له حاجة لم احمدك
وان رددته لم اذممك فلما قرات الكتاب رجعت الى الجاحظ من فوري
فقال يا ابا عبد الله قد علمت انك انكرت ما في الكتاب فقلت اوليس
موضع نكرة قال لا هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن اعتني به فقلت لا والله
ما رايت رجلا اعلم بطبعك وما جبلت عليه من هذا الرجل لانه ما حسب الا انه
علمت انه لما قرا الكتاب قال ام الجاحظ عشرة الف ام من لسانه فقلت
يا هذا اتشتم صديقنا فقال هذه علامة فيمن اشكره ** وفي رواية اخرى ان ابا
العيناء سلم الكتاب الى صاحب الحاجة فقال له فض الكتاب فقال انه مختوم فقال
ابو العيناء طينته اهون من طينته قال الشريف المرتضى رضي الله عنه واظن ان ابا
العيناء نبه على فض الكتاب وقراءته بخبر طرفة بن العبد والمتلمس الضبعي المشهور
وذلك انهما وفدا على عمرو بن هند فنادماه واختصا به ثم افضى الامر الى ان
هجاه كل واحد منهما وعرض به في الشعر المشهور في الرواية فحنق عليهما وهم بقتلهما
ثم اشفق من ذلك فاراد قتلهما بيد غيره وكان على طرفة احنق فعلم انه ان قتله
هجاه المتلمس فكتب لهما كتابا الى البحرين وقال لهما اني قد كتبت لكما بصلة
فاشخصا لتقبضاها فخرجا من عنده والكتابان في ايديهما فمرا بشيخ جالس على
ظهر الطريق منكشف العورة يتبرز ومعه كسر خبز ياكل منها ويتناول
القمل من ثيابه فيقصعه فقال احدهما هل رايت اعجب من هذا الشيخ فسمع الشيخ
مقالته فقال وما ترى من عجبي ادخل طيبا واخرج خبيثا واقتل عدوا وان اعجب
مني من يحمل حتفه بيده وهو لا يدري فاوجس المتلمس في نفسه خيفة وارتاب
بكتابه ولقيه غلام من اهل الحيرة فقال اتقرا يا غلام قال نعم ففض خاتم كتابه ودفعه
الى الغلام فقراه فاذا فيه اذا اتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا
فاقبل على طرفة فقال له تعلم والله لقد كتب فيك بمثل هذا فادفع كتابك الى

الغلام

الغلام يقراه عليك فقال كلا والله ما كان ليجترئ على قومي بمثل هذا ثم لم يلتفت الى
قول المتلمس والقى المتلمس كتابه في نهر الحيرة ** قذفت بها بالثني من جنب كافر
كذلك اقنو كل قط مضلل • رضيت لها بالماء لما رايتها يجول بها التيار في
كل جدول • وقال المتلمس ايضا من مبلغ الشعراء عن اخويهم خبرا فتصدقهم بذاك
الانفس • اودى الذي علق الصحيفة منهما ونجا حذار حبائه المتلمس • القى صحيفته
ونجت كوره وجناء مجمرة المناسم عرمس • عيرانة طبخ الهواجر لحمها فكان
نقبتها اديم املس • اطرفة بن العبد انك خائن • بساحة الملك الهمام تحرس
الق الصحيفة لا ابا لك انه يخشى عليك من الحباء النقرس • النقرس هاهنا
الداهية ومضى طرفة بكتابه الى البحرين فامر المعلى بن حنش العبدي فقتل
فقال المتلمس ** عصاني فما لاقى رشادا وانما تبين في امر الغوي عواقبه •
فاصبح محمولا على ظهر آلة تمج نجيع الجوف منه ترائبه • فلا تحللاها تعالوك فوقها
وكيف توقى ظهر ما انت راكبه • ولحق المتلمس بالشام وهجا عمرا وبلغه ان
عمرا يقول لئن وجدته بالعراق لاقتلنه فقال ** آليت حب العراق الدهر
اطعمه والحب ياكله في القرية السوس • وجرى المثل بصحيفة المتلمس فقال
الفرزدق يذكر الشعراء الذين ادركوه اشعارهم ** وهب القصائد لي النوابغ
اذ مضوا وابو يزيد وذو القروح وجرول • واخو بني قيس وهن قتلنه • ومهلهل
الشعراء ذاك الاول • يعني بالنوابغ النابغة الذبياني والجعدي ونابغة بني
شيبان ويعني بابي يزيد المخبل السعدي وجرول هو الحطيئة وذو القروح امرؤ القيس
واخو بني قيس هو طرفة ومعنى قوله وهن قتلنه يعني القصائد التي هجا بها عمرو بن
هند ويقال ان صاحب المتلمس وطرفة في هذه القصيدة هو النعمان بن المنذر
وذلك اشبه بقول طرفة ** ابا منذر كانت غرورا صحيفتي ولم اعطكم في الطوع
مالي ولا عرضي • ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر اهون من
بعض • وابو منذر هو النعمان بن المنذر وكان النعمان بعد عمرو بن هند وقدم

كافر نهر بالحيرة واقنو اقتني والقط الكتاب والتيار معظم الماء وكثرته

النوابغ ثلثة

بشر المعتمر

طرفة النعمن فلا يجوز ان يكون عمرو عمله وشبهه ان يكون البعض من النعمان مجلس
لبشر بن معتمر وكان ابو سهل بشر بن المعتمر من وجوه اهل الكلام
ويقال ان جميع معتزلة بغداد كانوا من مستجيبيه وقال ابو القسم البلخي ابشر
من اهل بغداد وقيل من اهل الكوفة وذكر الجاحظ انه كان يوما
كان يوما في مجلسه وعنده اصحابه وفيهم مجبر يسائلهم ويقول انتم تحمدون الله
على ايمانكم وهم يقولون نعم فيقول لهم فكان يحب ان يحمد على ما لم يفعله وقد ذم
ذلك في كتابه فيقولون له انما ذم من احب ان يحمد على ما لم يفعل مما لم يعن
عليه ولم يدع اليه وهو يشغب اذ اقبل ثمامة بن اشرس فقال بشر للمجبر قد سالت
القوم فاجابوك وهذا ابو معن فاسأله فسأله عن المسألة فقال هل يجب عليك
ان تحمد الله على الايمان قال لا بل هو يحمدني عليه لانه امرني به ففعلته وانا احمده
على الامر به والتقوية عليه والدعاء اليه فانقطع المجبر فقال بشر شنعت فسهلت
قال الجاحظ وكان بشر يقع في ابي الهذيل العلاف وينسبه الى النفاق فقال
وهو يصف ابا الهذيل لان يكون لا يعلم وهو عند الناس يعلم احب من ان يعلم
ويكون عند الناس لا يعلم ولان يكون من السفلة وهو عند الناس من العلية احب اليه
من ان يكون من العلية وهو عند الناس من السفلة وان يكون نبيل المنظر سخيف المخبر احب
اليه من ان يكون نبيل المخبر سخيف المنظر وهو بالنفاق اشد عجبا منه بالاخلاص
ولباطل مقبول احب اليه من حق مدفوع وللبشر اشعار يحتج بها على اهل المقالات
وذكر الجاحظ انه لم ير احدا اقوى من المخمس المزدوج على ما قوي عليه بشر وانه
كان اكثر في ذلك واقدر من ابان اللاحقي وهو القائل شعر ان كنت تعلم ما
اقول وما تقول فانت عالم او كنت تجهل ذا وذاك فكن لاهل العلم لازم اهل
الرياسة من ينازعهم رياستهم فظالم سهرت عيونهم وانت عن الذي قاسوه حالم
لا تطلبن رياسة بالجهل انت لها مخاصم لولا مقامهم رايت الدين مضطرب
الدعائم فاما ابو اسحق ابرهيم بن سيار النظام فانه كان متقدما في العلم بالكلام

النظام

حسن الحفاظ شديد التدقيق والغوص على المعاني وانما اداه الى المذاهب الباطلة التي تفرد
بها واستشنعت منه تدقيقه وتغلغله وقيل انه مولى للزياديين من ولد العبيد وكان
ازرق جرى على احد ابائه وقيل للنظام ما الاختصار فقال الذي احضاره فساد
وقال رجل اتنوف فلانا المجوسي فقال النظام اكل الذي خلق وسطر اسنه كما يفعل
اليهودي فقال النظام لا مجوسيا عرفت ولا يهوديا وصفت قال الجاحظ وذكر
النظام عبد الوهاب الثقفي فقال هو احلى من امن بعد خوف وبرء بعد سقم وخصب
بعد جدب وغنى بعد فقر وطاعة المحبوب وفرج المكروب ومن الوصال الدائم مع
الشباب الناعم وللنظام شعر صالح فمنه شعر يا تاركي جسدا بغير فؤاد اسرفت في
الهجران والابعاد لو كان يمنعك الزيارة اعين فادخل الي بعلة العواد
كيما اراك وتلك اعظم نعمة ملكت يداك بها منيع قيادي ان العيون
على القلوب اذا جنت كانت بليتها على الاجساد ولم توهمه ظني
فالم خده فكان مكان الوهم من نظري اثر ومر بقلبي خاطرا فجرحته ولم
ار خلقا قط يجرحه الفكر يمر فمن لين وحسن تعطف يقال به سكر وليس به سكر
ويقال ان ابا العتاهية قال انشدت النظام شعر اذا ما الهم الدهر لم يلحظ تمشت
بمحاسنه الكلوم فقال ينبغي ان يبادم هذا الحكم وابيات النظام تتضمن معنى
بيت ابي العتاهية ولسنا ندري ايهما اخذ من صاحبه والنظام يكرر هذا
المعنى في شعر كثيرا فمن ذلك قوله شعر رق فلو بزت سرابيله علقه الجو
من اللطف يجرحه اللحظ بتكراره ويشتكي الايماء بالطرف وحكي ان النظام
جاء به ابوه وهو حدث الى الخليل بن احمد ليعلمه فقال له الخليل يوما يمتحنه وفي يده قدح
زجاج يا بني صف لي هذه الزجاجة فقال امدح ام اذم قال بل امدح فقال
نعم تريك القذى ولا تقبل الاذى ولا تستر ما وراءها قال فذمها قال سريع
كسرها بطيء جبرها قال فصف هذه النخلة وأومأ الى نخلة في داره
فقال امدح ام اذم قال بل امدح قال هي حلو مجتناها باسق منتهاها ناضر اعلاها

وصافحه كفي فالم كفه من صفح كفي في انامله عقر

٢ قال السيد المرتضى رحمه

قال فذمها قال هي صعبة المرتقى بعيدة المجتنى محفوفة بالاذى قال الخليل يا بني نحن
الى التعلم احوج ، قال الشريف المرتضى رضي الله عنه هذه بلاغة من النطاف حسنة
لان البلاغة هي وصف الشيء مدحا وذما باقصى ما يقال فيه ويشبه بهذا المعنى
قول لبيد المشهور في هجائه للبقلة التي امتحن بهجائها واختبر بذمها فقال فيها ابلغ
ما يقال في مثلها وذلك ان عمارة وانسا وقيسا والربيع بني زياد العبسيين وفدوا
على النعمن بن المنذر ووفد عليه العامريون بنو ام البنين وعليهم ابو البراء عامر
بن مالك بن جعفر بن مالك وهو ملاعب الاسنة وكان العامريون
ثلثين رجلا وفيهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر وهو يومئذ غلام له ذوابة وكان
الربيع بن زياد ينادم النعمن ويكثر عنده ويتقدم على من سواه وكان يدعى الكامل
لشطاطه وبياضه وكماله فضرب النعمن قبته على ابي براء واجرى عليه وعلى
من كان معه النزل وكانوا يحضرون النعمن لحاجتهم فافتخروا يوما بحضرته وكاد
العبسيون يغلبون العامريين وكان الربيع اذا خلا بالنعمن طعن فيهم وذكر معايبهم
ففعل ذلك مرارا لعداوته لبني جعفر لانهم كانوا اسروه فصد النعمن عنهم
حتى نزع القبة عن ابي براء وقطع النزل ودخلوا عليه يوما فراوا منه جفاء
وقد كان قبل ذلك يكرمهم ويقدم مجلسهم فخرجوا من عنده غضابا وهموا بالا
ولبيد في رحالهم يحفظ امتعتهم ويغدو بابلهم فيرعاها فاذا امسى انصرف بها
فاتاهم تلك الليلة فاذا هم يتذاكرون امر الربيع فقال لهم ما لكم تتناجون فكتموه وقالوا
اليك عنا فقال اخبروني فلعل لكم عندي فرجا فزجروه فقال والله لا احفظ لكم متاعا
ولا اسرح لكم بعيرا او تخبروني وكانت ام لبيد عبسية في حجر الربيع فقالوا ان خالك
قد غلبنا على الملك وصد عنا وجهه فقال لهم هل تقدرون ان تجمعوا بيني وبينه
غدا حين يقعد الملك فارجز به رجزا ممضا مولما لا يلتفت اليه النعمن
بعده ابدا قالوا وهل عندك ذلك قال نعم قالوا انا نبلوك بشتم هذه البقلة
وقدامهم بقلة دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة فروعها بالارض تدعى

التربة

التربة فاقتلعها من الارض واخذها وقال هذه البقلة التربة التفلة الرذلة التي
لا تذكي نارا ولا تؤهل دارا ولا تسر جارا عودها ضئيل وفرعها كليل وخيرها قليل
بلدها شاسع ونبتها خاشع واكلها جائع والمقيم عليها قانع اقصر البقول فرعا
واخبثها مرعى واشدها قلعا فتحا بالجار ها وخذوا بي غدا الى اخي بني عبس ارجعه
عنكم بتعس ونكس واتركه من امره في لبس فقالوا نصبح ونرى فيك رأينا
فقال لهم عامر انظروا الى غلامكم هذا فان رايتموه نائما فليس امره بشيء انما
يتكلم بما جاء على لسانه وان رايتموه ساهرا فهو صاحبكم فرمقوه بابصارهم فوجدوه
قد ركب رحلا يكدم واسطته حتى اصبح فلما اصبحوا قالوا انت والله صاحبه
فحلقوا راسه وتركوا له ذوابتين والبسوه حلة وغدوا به معهم فدخلوا على
النعمن فوجدوه يتغدى ومعه الربيع وليس معه غيره والدار والمجالس مملوة
بالوفود فلما فرغ اذن للجعفريين فدخلوا عليه والربيع الى جانبه فذكروا للنعمن
حاجتهم فاعترض الربيع في كلامهم فقال لبيد وقد دهن احد شقي راسه و
ارخى ازاره وانتعل نعلا واحدة وكذلك كانت الشعراء تفعل في الجاهلية
اذا ارادت الهجاء فمثل بين يديه وقال ، يا رب هيجا هي خير من دعه ، اذ لا تزال
هامتي مقزعه ، نحن بنو ام البنين الاربعه ، ونحن خير عامر بن صعصعه ،،
المطعمون الجفنة المدعدعه ، والضاربون الهام تحت الخيضعه ، مهلا
ابيت اللعن لا تاكل معه ، ان استه من برص ملمعه ، وانه يدخل
فيها اصبعه ، يدخلها حتى يواري اشجعه ، كانما يطلب شيئا ضيعه ، فلما
فرغ لبيد التفت النعمن الى الربيع يرمقه شزرا وقال اكذلك انت قال كذب
والله ابن الحمق اللئيم فقال النعمن اف لهذا الطعام خبثت علي طعامي
فقال الربيع ابيت اللعن اما اني قد فعلت بامه وكانت في حجره فقال
لبيد انت لهذا الكلام اهل اما انها من نسوة غير فعل وانت المرء قال هذا
في يتيمة وجدت في رواية اخرى اما انها من نسوة فعل قال ذلك لانها كانت

حتى يوم الربيع فغشيها الى النعمان وصدقه عليها فجبها له ولزم دار الملك لهم جميعا فاخرجوا واعتاد على الى براءة القبة وانصرف الربيع الى منزله فبعث اليه النعمان بضعف ما كان يحبوه به وامره بالانصراف الى اهله فكتب اليه اني قد تخوفت ان يكون قد وقع في صدرك ما قال لبيد ولست برائم حتى تبعث الي من يجردني ليعلم من حضرك من الناس اني لست كما قال فارسل اليه انك لست صانعا بانتفائك مما قال لبيد شيئا ولا قادرا على ما زلت به الالسن فالحق باهلك ثم كتب النعمان في جملة ابيات جوابا عن ابيات كتبها اليه الربيع مشهورة

قد قيل ذلك ان حقا وان كذبا • فما اعتذارك من شيء اذا قيلا •

واخبرنا بهذا الحديث ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال اخبرنا ابو حاتم عن ابي عبيدة واخبرنا ايضا المرزباني قال حدثني محمد بن احمد الكاتب قال حدثنا احمد بن عبد الله بن ناصح النحوي قال اخبرنا محمد بن زياد عن الكلبي عن عبد الله بن مسلم البكاري وكان قد ادرك الجاهلية وفي حديث كل واحد زيادة على الآخر ولم نأت بجميع الخبر على وجهه بل اسقطنا منه ما لم نحتج اليه واوردنا ما ذكرنا دون بعضه بالغاطب واما قوله نحن بنو ام البنين الاربعة فانه نصب على المدح والاختصاص والعرب تنصب على المدح والذم جميعا وام البنين بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن صعصعة وكانت تحت مالك بن جعفر بن كلاب فولدت له عامر بن مالك ملاعب الاسنة وطفيل بن مالك فارس قرزل وهو ابو عامر بن الطفيل وقرزل فرس كانت له وربيع بن مالك ابا لبيد وهو ربيع المقترين ومعوية بن مالك معود الحكام وانما سمي معود الحكام لقوله

اعود مثلها الحكام بعدي • اذا ما الحق في الاشياع نابا •

وولدت عبيدة الوضاح فهؤلاء خمسة وقال لبيد اربعة لان الشعر لم يمكنه غير ذلك اما الجفنة المدعدعة فهي المملوءة واما الخضعة فان الاصمعي يذكر ان لبيدا قال الخضعة يعني الجلبة فسرته الرواة وقيل ان الخضعة اصوات وقع السيوف والخضعة البيضة التي تلبس على الراس والخضعة الغبار والقول يحتمل ذلك واما ابيت

اللعن

اللعن فان ابا حاتم قال سألت الاصمعي عنه فقال معناه ابيت ان تأتي من الامور ما تلعن عليه واما الاشاجع فهي العروق والعصب على ظهر الكف وقد روي الكل يوما من متغرغرة والقرع تساقط بعض الشعر والصوف وبقاء بعضه فقال كبش اقرع ونعجة قرعاء فاما الجاحظ فهو ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب مولى لابي القلمس عمرو بن قلع الكناني ثم الفقيمي وذكر المبرد قال ما رأيت احرص على العلم من ثلثة الجاحظ والفتح بن خاقان واسمعيل بن اسحق القاضي فاما الجاحظ فانه كان اذا وقع في يده كتاب قرأه من اوله الى آخره اي كتاب كان واما الفتح بن خاقان فانه كان يحمل الكتاب في خفه فاذا قام من بين يدي المتوكل للبول او الصلاة اخرج الكتاب ونظر فيه وهو يمشي حتى يبلغ الموضع الذي يريده ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه الى ان يأخذ مجلسه واما اسمعيل بن اسحق القاضي فاني ما دخلت عليه قط الا وفي يده كتاب ينظر فيه او يقلب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه قال الشيخ تفرد الجاحظ بالقول بان المعرفة طباع وهي مع ذلك فعل للعباد على الحقيقة وكان يقول في سائر الافعال انها تنسب الى العباد على انها وقعت منهم طباعا وانها وجبت بارادتهم وليس بجائز ان يبلغ واحد لا يعرف الله تعالى والكفر عنده من معاند او عارف قد استغرقه حبه لمذهبه وشغفه به والفه وعصبيته فهو لا يشعر بما عنده من المعرفة بخلافه وكان الجاحظ ملازما لمحمد بن عبد الملك الزيات وكان منحرفا عن احمد بن ابي داود للعداوة التي بين احمد ومحمد فلما قبض على محمد بن الزيات هرب الجاحظ فقيل له لم هربت فقال خفت ان اكون ثاني اثنين اذ هما في التنور يريد ما صنع بمحمد بن عبد الملك من ادخاله تنورا فيه مسامير كان هو صنعه ليعذب الناس فيه فعذب فيه حتى مات وروي انه اتي بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفي عنقه سلسلة وهو مقيد في قميص سمل فلما نظر اليه ابن ابي داود قال والله ما علمتك الا متناسيا للنعمة كفورا للصنيعة معددا للمساوي وما فتئت باستصلاحي لك ولكن الايام لا تصلح منك لفساد طويتك ورداءة دخلتك وسوء

اخبارك وغالب طبعك فقال الجاحظ خفض عليك ايدك الله فوالله لان يكون الامر
لك علي خير من ان يكون عليك ولان اسيء وتحسن احسن في الاحدوثة عنك
من ان احسن فتسيء ولان تعفو عني في حال قدرتك اجمل بك من الانتقام
مني فقال ابن ابي داود قبحك الله فوالله ما علمتك الا كثير تزويق اللسان
وقد جعلت ثيابك امام قلبك ثم اصطفيت فيه النفاق والكفر يا غلام
صر الى الحمام وامط عنه الاذى فاخذت عنه السلسلة والقيد وادخل الحمام
وحمل اليه تخت من ثياب وطويلة وخف فلبس ذلك ثم اتاه فصدره في مجلسه
ثم اقبل عليه وقال الان حدثنا يا عثمان وقال المبرد سمعت الجاحظ يقول
الحذر من تامن فانك على حذر ممن تخاف وقال الجاحظ قلت لابي يوسف
الخوزي اتشاء من خلق المعاصي قال الله قلت فمن عذب عليها قال الله قلت
فلم قال لا ادري والله وكان الجاحظ يقول ينبغي للكاتب ان يكون رقيق حواشي
الكلام عذب ينابيعه اذا حاور سدد سهم الصواب الى غرض المعنى لا تكلم
العامة بكلام الخاصة ولا الخاصة بكلام العامة وقال سوار بن ابي شراعة عرضت
عند الجاحظ اني اكتب خطا رديا في ورق ردي متقارب السطور فقال
لي احسبك تحت ورثتك فقلت وكيف ذاك قال لاني اراك تسيء بهم فيما
تخلفه وذكر ابو العباس المبرد قال سمعت الجاحظ ينشد لبعض الجبل اذاه انت
والله احوج الى هوان من كريم الى اكرام ومن علم الى عمل ومن قدرة الى عفو ومن
نعمة الى شكر وقال المبرد قال لي الجاحظ يوما انشدت مثل قول اسمعيل بن القاسم
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه • على نائبات الدهر حين تنوب • فقلت نعم قول
كثير وعنه اخذ فقلت لها يا عز كل مصيبة • اذا وطنت يوما لها النفس ذلت
بنتهي الاحباب بالناس ولا نقد واقتفاه • يتجاجا من ابو الجماز فيه كتابه
من ابو الجماز الا من براه • اخبرنا المرزباني قال اخبرنا علي بن هارون قال انشدنا
وكيع قال انشدنا ابو العيناء قال انشدنا الجاحظ لنفسه في الخضاب • زرقتنا

كابني

وروى يموت بن المزرع لخاله
عمرو بن بحر الجاحظ في الجماز يهجو
لسب الجماز مقصورا اليه منتهاه
صح

مرتضى هلال • ما عجلت الي بالسؤال • مالي اراك فاني الشان • كانما كرعت في جربال •
ما منعه مسكك من استاني • تنح قذا ابي ومن خيانة • قوله كانما كرعت في جربال يليح قوى
ورانشه شعر الجاحظ للبثنه وضعف كلامه وذكر ابو العيناء قال حدثني ابراهيم بن رباح
قال انشد الجاحظ بمدحني • براحتين اثري باخوانه • فقل عنهم شبا العدم و
ذكره الحزم ريب الزمان • فبادر بالعرف قبل الندم • قال ابراهيم فما اكثرت بها الحمد
من ابي داود فقال انشد بيتها يمدحني بهما ثم لعنت محمد بن الجهم فقال قد انشد
فيهما يمدحني بهما لعنت محمد بن الجهم فقال قد انشد بيتها يمدحني بهما وقال يموت
بن المزرع سمعت خالي الجاحظ يقول لا اعرف شعرا افضل من قول ابي نواس
ودار ندامى عطلوها وادلجوا • بها اثر منهم جديد ودارس • مساحب
من جر الزقاق على الثرى • واضغاث ريحان جني ويابس • حبست بها صحبي فجددت
عهدهم • واني على امثال تلك لحابس • ولم ادر من هم غير ما شهدت به • بشرقي ساباط الديار
البسابس • اقمنا بها يوما ويوما وثالثا • ويوما له يوم الترحل خامس • تدار علينا الراح في عسجدية •
حبتها بانواع التصاوير فارس • قرارتها كسرى وفي جنباتها • مها تدريها بالقسي الفوارس
فللخمر ما زرت عليه جيوبها • وللماء ما دارت عليه القلانس • قال الجاحظ فانشدتها
ابا شعيب القلال فقال يا ابا عثمان لو نقر هذا الشعر لطن قلت ويلك ما تفارق
الجرار والخزف حتى • اخذ ابو نواس قوله • ولم ادر منهم غير ما شهدت به • بشرقي
ساباط الديار البسابس • من ابي خراش الهذلي في قوله • ولم ادر من القى عليه رداءه •
ولكنه قد سل عن ماجد محض • ويقال ان ابا خراش اول من مدح من لا يعرفه
وذلك ان خراش بن ابي خراش اسر هو وعروة بن مرة فطرح رجل من القوم
رداءه على ابي خراش حتى شغل القوم بقتل عروة ونجاه فلما تفرغوا اليه قال افلت
مني ويقال بل راه في الاسر رجل من بني عمر فالقى عليه رداءه وليجره به وقال له النجاء
فقال ابو خراش في ذلك • حمدت الهي بعد عروة اذ نجا • خراش وبعض
الشر اهون من بعض • فوالله لا انسى قتيلا رزئته • بجانب قوسى ما مشيت على الارض

بلى انها تعفو الكلوم وانما *** نوكل بالادنى وان جل ما يمضي ، ولم ادر من القى عليه رداءه
على انه قد سل عن ماجد محض ، واخبرنا المرزباني قال اخبرنا ابراهيم بن محمد بن شهاب
قال حدثنا ابو الحسن احمد بن محمد الربعي المتكلم قال صرت الى منزل الجاحظ في اول
ما قدمت من بلدي وقد اعتل علته التي فلج فيها فاستاذنت عليه فخرج الي الخادم
من منزله فقال يقول لك وما تصنع بشق مائل ولعاب سائل ولون حائل فانصرفت عنه
وذكر يموت بن المزرع قال وجه المتوكل في السنة التي قتل فيها ان يحمل اليه الجاحظ من البصرة
وسال الفتح ذلك فوجده لا فضل فيه فقال لمن اراد حمله وما يصنع امير المؤمنين بامرئ ليس بطائل
ذي شق مائل ولعاب سائل وفرج بائل وعقل زائل ولون حائل وذكر المبرد
قال سمعت الجاحظ يقول انا من جانبي الايسر مفلوج فلو قرض بالمقاريض ما
علمت ومن جانبي الايمن منقرس فلو مر به الذباب لالمت وفي حصاة لا ينسرح
الى البول معها واشد ما علي حالا احدث اسي وتوفي سنة خمس وخمسين ومائتين
والله اعلم.

مجلس آخر

تاويل آية. ان سال سائل عن قوله تعالى ليس البر
ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر و
الملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا
عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا
واولئك المتقون فقال كيف نفى تولية الوجوه الى الجهات عن البر وهو بر لا محالة
وكيف خبر عن البر بمن والبر كالمصدر ومن اسم محض وعن اي شيء كنى بالهاء
في قوله وآتى المال على حبه وما الخصوص بها كناية عنه وقد تقدمت اشياء كثيرة و
على اي شيء ارتفع الموفون وكيف نصب الصابرين وهم معطوفون على الموفين
وكيف وحد الكناية في مواضع وجمعها في اخرى فقال من آمن بالله وآتى المال واقام
الصلوة ثم قال والموفون والصابرين والجواب يقال له فيما ذكرته اولا وجوه
احدها انه تعالى اراد ليس الصلوة هي البر كله لكنه ما عددنا في الآية من ضروب

٣ ست وتسعون وقال يوما لمتطبب يشكو اليه علته اصطلحت الاضداد على جسدي ان اكلت باردا اخذ برجلي وان اكلت حارا ام

٢ وانما يفعل ذلك بالصلوة م

الطاعات

الطاعات وصنوف الواجبات فلا تظنوا انكم اذا توجهتم الى الصلوة بصلوتكم
فقد احرزتم البر باسره وحزتموه بكماله بل يبقى عليكم بعد ذلك معظمه واكثره والجواب الثاني
ان النصارى لما توجهوا الى المشرق واليهود الى بيت المقدس واتخذوا هاتين
الجهتين قبلتين واعتقدوا في الصلوة اليهما انها بر وطاعة خلافا على الرسول
عليه السلام اكذبهم الله تعالى في ذلك وبين ان ذلك ليس من البر اذ كان منسوخا
بشريعة النبي عليه السلام وانه الذي يلزم الاسود والابيض والعربي والعجمي وان البر
هو ما تضمنته الآية فاما اخباره عن البر بمن ففيه وجوه ثلثة اولها ان يكون معنى البر
البار وذا البر وجعل احدهما في مكان الآخر والتقدير ولكن البار من آمن بالله واليوم
الآخر ويجري ذلك مجرى قوله ان اصبح ماؤكم غورا اي غائرا ومثل قول الشاعر
ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت *** فانما هي اقبال وادبار ، اراد انها مقبلة ومدبرة
ومثله تظل جيادهم نوحا عليهم *** مقلدة اعنتها صفونا ، اراد نائحة عليهم ومثله هريقي
من دموعهما سجاما *** ضباع وجاوبي نوحا قياما ، والوجه الثاني ان العرب قد تخبر عن الاسم
بالمصدر والفعل وعن المصدر بالاسم فاما اخبارهم عن المصدر بالاسم فقوله تعالى ولكن
البر من آمن بالله وقول العرب انما البر الذي يصل الرحم ويفعل كذا وكذا واما اخبارهم
عن الاسم بالمصدر والفعل فمثل قول الشاعر لعمرك ما الفتيان ان تنبت
اللحى *** ولكنما الفتيان كل فتى ندي ، فجعل ان تنبت وهو مصدر خبرا عن الفتيان والوجه
الثالث ان يكون المعنى ولكن البر بر من آمن بالله فحذف الثاني واقام مقامه
كقوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم اراد حب العجل قال الشاعر وكيف
تواصل من اصبحت خلالته *** كابي مرحب ، اراد كخلالة ابي مرحب وقال النابغة
وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي *** على وعل في ذي المطارة عاقل ، اراد على مخافة وعل
وتقول العرب بنو فلان يطؤهم الطريق اي اهل الطريق وحكي عن بعضهم اطيب الناس الزبد
اي اطيب ما ياكل الناس الزبد وكذلك قولهم حسبت صياحي زيدا اي صياح زيد
وروي عن ابن عباس في قوله تعالى ليس على الاعمى حرج اي ليس على من اكل مع الاعمى حرج

٧ الطريق م

وفي قوله تعالى وردا اليهم كلمتهم قال صاحب ظلمهم وذكر انه كان راعيا نعمهم فاما كنى عنه
بالهاء في قوله فقعوا وآتى المال على حبه ففيه وجوه اربعة اولها ان يكون الهاء
راجعة الى المال الذي تقدم ذكره ويكون المعنى وآتى المال على حب المال ويضيف
الحب الى المفعول ولم يذكر الفاعل كقول القائل اشتريت طعامي كاشترائك
طعامك والمعنى كاشترائك طعامك والوجه الثاني ان يكون الكناية راجعة على
من آمن بالله ويكون المصدر مضافا الى الفاعل ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه
والوجه الثالث ان يرجع الهاء الى الايتاء الذي دل عليه آتى والمعنى واعطى المال
على حب الاعطاء ويجري ذلك مجرى قول القطامي هم الملوك وابناء الملوك
لهم والآخذون به والسادة الاول فكنى بالهاء عن الملك لدلالة قوله ابناء الملوك
عليه ومثله قول الشاعر اذا نهي السفيه جرى اليه وخالف والسفيه الى خلاف
اراد جرى الى السفه الذي دل ذكر السفيه عليه والوجه الرابع ان يكون الهاء راجعة الى الله
لان ذكره عز وجل قد تقدم فيكون المعنى وآتى المال على حب الله تعالى ذوي
القربى واليتامى فان قيل فاي فايدة في ذلك وقد علمنا الفايدة في ايتاء المال
مع محبته والضن به وان العطية تكون اشرف وامدح فما الفايدة فيما ذكرتموه
وما معنى محبة الله تعالى والمحبة عندكم هي الارادة والقديم تعالى لا يصح ان يراد
قلنا المحبة عندنا هي الارادة الا انهم يستعملونها كثيرا مع حذف متعلقها مجازا
وتوسعا فيقولون فلان يحب زيدا اذا اراد منافعه ولا يقولون يريد زيدا وعمرو انما
انه يريد منافعه لان التعارف جرى في استعمال الحذف والاختصار في المحبة
دون الارادة وان كان المعنى واحدا وقد ذكر ان قولهم زيد يحب عمرا مرتبة
على قولهم يريد منافعه لان اللفظ الاول يبنى عن انه لا يريد الا منافعه وانه لا يريد
شيئا من مضاره واخص والثاني لا يدل على ذلك فحصلت له مزية وعلى هذا المعنى يوصف الله
تعالى بانه يحب اولياءه والمؤمنين من عباده والمعنى فيه انه يريد لهم ضروبا من
من التعظيم والاجلال والثواب فاما وصف احد بانه يحب الله تعالى فالمعنى فيه انه يريد تعظيمه

وعبادته

وعبادته والقيام بطاعته ولا يصح المعنى الذي ذكرناه في محبة العباد بعضهم بعضا لاستحالة
المنافع عليه تعالى ومن جوز عليه الانتفاع لا يصح ان يكون الكلام محمولا على
هذا المعنى لانه باعتقاده ذلك فيه قد خرج من ان يكون عارفا به فمحبته في الحقيقة
لا تتعلق به فلا تتوجه اليه كما نقول في اصحاب التشبيه انهم اذا عبدوا من اعتقدوه
الها فقد عبدوا غير الله تعالى فاما الفايدة في اعطاء المال مع محبة الله تعالى
فهي ظاهرة لان اعطاء المال متى قارنه ارادة وجه الله تعالى وعبادته وطاعته
استحق به الثواب ومتى لم يقترن به لم يستحق الفاعل به ثوابا وكان ضايعا
وتاثير ما ذكرناه ابلغ من تاثير حب المال والضن به لان المحب للمال والضنين
به متى بذله واعطاه ولم يقصد به الطاعة والعبادة والمعرفة والقربة لم يستحق
شيئا من الثواب وانما يؤثر حبه للمال في زيادة الثواب متى حصل ما ذكرناه
من قصد القربة والعبادة ولو تقرب بالعطية وهو غير ضنين بالمال ولا محب له لاستحق
الثواب وهذا الوجه لم يسبق اليه في هذه الآية وهو احسن ما قيل فيها وقد
ذكر وجه آخر وهو ان يكون الهاء راجعة الى من آمن وينتصب ذوي القربى
بالحب ولا يجعل لآتى وهو منصوب لوضوح المعنى ويكون تقدير الكلام واعطى
المال في حاجة ذوي القربى واليتامى على محبة اياهم وهذا الوجه ليس فيه مزية
في باب رجوع الهاء التي وقع عنها السؤال وانما استحسن مما تقدم تقدير
انتصاب ذوي القربى بالحب وذلك غير ما وقع السؤال عنه والاجوبة الاول
اقوى واولى فاما قوله والموفون ففي رفعه وجهان احدهما ان يكون مرفوعا
على المدح لان النعت اذا طال وكثر رفع بعضه ونصب على المدح ويكون المعنى
وهم الموفون بعهدهم قال الزجاج وهذا احد الوجهين والوجه الآخر ان يكون
معطوفا على من آمن ويكون المعنى ولكن البر ذو البر المؤمنون والموفون بعهدهم
فاما نصب الصابرين ففيه وجهان احدهما المدح لان مذهبهم في الصفات
والنعوت اذا طالت ان يعترضوا بينها المدح او الذم ليميزوا الممدوح او المذموم

ويفرده فيكون غير متبع لما دل الكلام من ذلك قول الخرنق بنت بدر بن هفان
لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر النازلين بكل معترك
والطيبون معاقد الأزر فنصب ذلك على المدح ورفع ما رفعوه جميعا على ان يتبع
آخر الكلام أوله ومنهم من ينصب النازلين ويرفع الطيبين وآخرون يرفعون النازلين
وينصبون الطيبين والوجه في النصب والرفع ما ذكرناه ومن ذلك قول الشاعر
أنشده الفراء إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وذا الرأي حين تغم الأمور بذات الصليل وذات اللجم فنصب ليث
الكتيبة وذا الرأي على المدح وأنشد الفراء أيضا فليت التي فيها النجوم
تواضعت على كل غث منهم وسمين غيوث الحيا في كل محل ولزبة أسود
الشرى يحمين كل عرين ومما نصب على الذم قوله سقوني الخمر ثم
عداة الله من كذب وزور والوجه الآخر في نصب الصابرين أن يكون معطوفا على
ذوي القربى ويكون المعنى وآتى المال على حبه ذوي القربى والصابرين قال الزجاج
وهذا لا يصلح إلا أن يكون والموفون رفع على المدح للمضمرين لأن ما في الصلة
لا يعطف عليه بعد العطف على الموصول وكان تقوية الوجه الأول بأما توحيد
الذكر في موضع وجمعه في آخر فلان من لفظه لفظ الواحدة وان في الجمع
فالذكر الذي أتى بعده موحدا أجري على اللفظ وما جاء من الوصف بعد ذلك على لفظ
الجمع مثل قوله والموفون والصابرين على المعنى وقد اختلفت قراءة القراء السبعة
في رفع الراء ونصبها من قوله ليس البر فقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص
ليس البر بنصب الراء وروى هبيرة عن حفص عن عاصم أنه كان يقرأ
بالرفع والنصب وقرأ الباقون البر بالرفع والوجهان حسنان لأن كل
واحد من الاسمين اسم ليس وخبرها معرفتان فإذا اجتمعا في التعريف تكافئا
في جواز كون أحدهما اسما والآخر خبرا كما تتكافأ النكرات ومن رفع البر
أنه لا يكون البر الفاعل أولى لأنه ليس يشبه الفعل وكون الفاعل بعد الفعل

ثم يكتنفوني

أولى من

أولى من كون المفعول بعده ألا ترى أنك إذا قلت قام زيد فإن الاسم يلي الفعل
ويقول ضرب غلامه زيد فيكون التقدير في الغلام التأخير ولولا أن الفاعل أخص
بهذا الموضع لم يجز هذا كما لم يجز في الفاعل ضرب غلامه زيدا حيث لم يجز في الفاعل تقدير
التأخير كما جاز في المفعول به لوقوع الفاعل موقعه المختص وحجة من نصب البر أن ينبغي
يقول أن يكون الاسم أن وصلتها أولى لشبهها بالمضمر في أنها لا توصف كما لا يوصف
المضمر فكأنه إذا اجتمع مظهر ومضمر والأولى إذا اجتمعا أن يكون المضمر الاسم من حيث
كان أذهب في الاختصاص من المظهر حدثنا أبو القاسم عبد الله بن عثمان بن يحيى
بن خليفة قال أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن أحمد الحكيمي الكاتب قراءة عليه قال أملى
علينا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال أخبرنا ابن الأعرابي قال قال ابن الكلبي
لما كان بعد يوم الهباءة جاور قيس بن زهير النمر بن قاسط فقال لهم إني قد
جاورتكم واخترتكم فزوجوني امرأة قد أدبها الغنى وأذلها الفقر في حسب وجمال
فزوجوه ظبية بنت الكيس النمري وقال لهم إن في خلالا إني غيور وإني فخور
وإني أنف ولست أفخر حتى أبتلى ولا أغار حتى أرى ولا آنف حتى أظلم
فأقام فيهم حتى ولد له فلما أراد الرحيل عنهم قال إني موصيكم بخصال وناهيكم عن خصال
عليكم بالأناة فإن بها تنال الفرصة وتسويد من لا تعابون بتسويده وعليكم بالوفاء
فإن به يعيش الناس وإعطاء من تريدون إعطاءه قبل المسألة ومنع من تريدون وان
ستر من اللجاج وإجارة الجار على الدهر ونفس المنازل عن بيوت الأيامى وخلط
الضيف بالعيال وأنهاكم عن الرهان فإن به ثكلت مالكا أخي والبغي فإنه
قتل زهيرا أبي وعن الإعطاء في الفضول فتعجزوا عن الحقوق وعن السرف في الدماء
فإن يوم الهباءة ألزمني العار ومنع الحرم إلا من الأكفاء فإن لم تجدوا لهن الأكفاء فخير
مناكحهن القبور واعلموا أني كنت ظالما مظلوما ظلمني بنو بدر بقتلهم مالكا أخي وظلمتهم
بأن قتلت من لا ذنب له وإنما نهاكم عن الرهان فأراد المراهنة في سباق الخيل
وذلك أن قيس بن زهير راهن حذيفة بن بدر الفزاري على فرسه داحس

يجزه

الدحاقم

العاد وعليكم

والغبراء وفرسي حذيفة الخطار والحنفاء وقال بنو فزارة بل قرزل والحنفاء وكان قيس كارها
لذلك وانما هاجه بينهما بعض بني عبد الله بن غطفان وقيل بل رجل من بني
عبس والخبر في ذلك مشهور ثم وقع الاتفاق على السباق وجعلوا الغاية من
واردات الى ذات اصاد وجعلوا القصبة في يد رجل من بني ثعلبة بن
سعد يقال له حصين وبيد رجل من بني العشراء من بني فزارة وملؤوا البركة ماء وجعلوا
السابق اول الخيل يكرع فيها ثم ان حذيفة بن بدر وقيس بن زهير اتيا المدى
الذي ارسلت الخيل فيه ينظران اليها والى خروجها فلما ارسلت عارضاها
فقال حذيفة خدعتك يا قيس ترك الخداع من اجرى من مائة غلوة
وارسلها مثلا ثم ركضها ساعة فجعلت خيل حذيفة تتقدم خيل قيس فقال حذيفة
سبقت خيلك فقال قيس جري المذكيات غلاب فارسلها مثلا والمذكيات
المسان من الخيل ويروى غلاء اي كما يتغالى بالنبل ثم ركضها ساعة فقال حذيفة
انك لا تركض مركضا سبقت خيلك فقال قيس رويدا يعلون الجدد
فارسلها مثلا ويروى يعدون الجدد اي يتعدين الجدد الى الوعث
ما وقد كان بنو فزارة اكمنوا بالثنية كمينا لينظروا ان جاء داحس سابقا ... لكمه
وصدوه عن الغاية ففعلوا وجاء داحس سابقا فامسكوه ولم يعرفوا الغبراء وهي خلفه
مصلية حتى مضت الخيل واسهلت من الثنية ثم ارسلوه فتمطر في آثارها
فجعل يبدرها فرسا فرسا حتى انتهى الى الغاية مصليا وقد طرح الخيل غير الغبراء ولو
تباعدت الغاية سبقها فاستقبلها بنو فزارة فلطموها ثم حلؤوها عن البركة ثم
لطموا داحسا وقد جاءا متواليين ثم جاء حذيفة وقيس في آخر الناس وقد دفعهم
بنو عبس عن سبقهم ولطموا افراسهم وجرى من الخلف في اخذ السبق ما قد بين
الرواة وقد قيل في بعض الروايات ان الرهان والسبق كان بين حمل بن
بدر وبين قيس وفي ذلك يقول قيس: كما لاقيت من حمل بن بدر
واخوته على ذات الاصاد • فهم فخروا علي بغير فخر • وردوا دون غايته جوادي

ويا ظلسي فقال لهم

وقد دلفوا الي بفعل سوء • فالفوني لهم صعب القياد • وكنت اذا منيت بخصم سوء
دلفت له بداهية ناد • ثم ان قيسا اغار على عوف بن بدر فقتله واخذ
ابله فبلغ ذلك بني فزارة فهموا بالقتال فحمل الربيع بن زياد العبسي دية
عوف مائة عشراء متلية وقيل ان قيسا قتل ابنا لحذيفة يقال له مالك وان
حذيفة كان ارسله اليه يطلب منه السبق فطعنه فدق صلبه وان الربيع
بن زياد حمل دية مائة عشراء متلية فسكن الناس عن القتال ثم ان مالك
بن زهير نزل موضعا يقال له اللقاطة قريبا من الحاجر ونكح امراة يقال لها مليكة
بنت حارثة بن بدر فدس اليه فرسانا فقتلوه وكان الربيع بن زياد العبسي
مجاورا لحذيفة بن بدر وكانت تحت الربيع معاذة بنت بدر فلما وقفت
على الخبر قال (شعر) نام الخلي ولم اغمض حار • من سيئ النبأ الجليل الساري •
من مثله تمشي النساء حواسرا • وتقوم معولة مع الاسحار • من كان مسرورا بمقتل
مالك • فليات نسوتنا بوجه نهار • يجد النساء حواسرا يندبنه • يلطمن اوجههن
بالاسحار • قد كن يخبأن الوجوه تسترا • فاليوم حين بدون للنظار •
افبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الاطهار • ما ان ارى في قتله لذوي
النهى الا المطي تشد بالاكوار • ومجنبات ما يذقن عذوفة • يقذفن بالمهرات
والامهار • ومساعرا صدأ الحديد عليهم • فكانما طلي الوجوه بقار • فاما خبر مقتل زهير
بن جذيمة العبسي ابي قيس فاختلف الرواة في سببه فقال ان هوازن
ابن منصور كانت تؤتي الاتاوة زهير بن جذيمة ولم تكثر عامر بن صعصعة يومئذ
اقل من يدفع رغم فاتت عجوز من هوازن زهير بن جذيمة بسمن في نحي فاعتذرت
اليه وشكت السنين اللواتي تتابعت على الناس فذاقه فلم يرض طعمه فدعها
اي دفعها بقوس في يده عطل في صدرها فسقطت فبدت عورتها فغضبت
من ذلك هوازن وحقدت الى ما كان في صدورها من الغيظ وكانت يومئذ
قد اقرت بنو عامر بن صعصعة فآلى خالد بن جعفر بن كلاب فقال والله لاجعلن

في بني غراب من فزاره فبلغ ذلك حذيفه صح



اراد وتبلج على الامر ولطاره وذلك كثير والجواب الثاني ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا كمثل
الغنم التي لا تفهم نداء الناعق واضاف الله تعالى المثل الثاني الى الناعق وهو في
المعنى مضاف الى المنعوق به على مذهب العرب في قولها طلعت الشعرى وانتصبت
العود على الحرباء والمعنى وانتصب الحرباء على العود وجاز التقديم والتاخير لوضوح المعنى
وانشد الفراء س ان سراجا لكريم مفخره تحلى به العين اذا ما تجهره معناه
تحلى بالعين فقدم واخر وانشد الفراء س كانت فريضة ما تقول كما كان
الزناء فريضة الرجم والمعنى كما كان الرجم فريضة الزناء وانشد الفراء وقد خفت
حتى ما تزيد مخافتي على وعل في ذي المطارة عاقل اراد ما تزيد مخافة وعل
على مخافتي ومثله كان لون ارضه سماؤه اراد كان لون سمائه ارضه ومثله س
ترى الثور فيها مدخل الظل راسه وسائره باد الى الشمس اجمع اراد مدخل راسه
الظل وقال الراعي س وصيحة كلاب الغوث لو سدها مستوضحون يرون
العين كالاثر اراد انهم يرون الاثر كالعين وقال ابو النجم قبل دنو الافق
من جوزائه فقلت وقال العباس بن مرداس س فديت بنفسه نفسي ومالي
ولا آلوك الا ما اطيق اراد فديت نفسه بنفسي وقال ابن مقبل س ولا تهيبني
الموماة اركبها اذا تجاوبت الاصداء بالسحر اراد ولا اتهيب الموماة فهذا
كثير جدا والجواب الثالث ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا ومثلنا او ومثلهم او مثلهم
ومثلك يا محمد كمثل الذي ينعق بالغنم اي مثلهم في الاعراض ومثلك في الدعاء والتنبيه
والارسال كمثل الناعق بالغنم فحذف المثل الثاني اكتفاء بالاول ومثله قوله تعالى
وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم واراد الحر والبرد فاكتفى بذكر الحر
وقال ابو ذؤيب س عصيت اليها القلب اني لامره مطيع فما ادري ارشد
طلابها اراد ارشد ام غي فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الامر والجواب الرابع ان
يكون المراد ومثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام التي يعبدونها من دون الله
وهي لا تعقل ولا تفهم ولا تبصر ولا تسمع كمثل الذي ينعق دعاء ونداء انما السمع

مدخل الظل

صورة جملة والدعاء والنداء منصوبان على هذا الجواب بينعق والا توكيد للكلام ومعناها
الالغاء قال الفرزدق س هم القوم الا حيث سلوا سيوفهم وضحوا بلحم من محل ومحرم
والمعنى هم القوم حيث سلوا سيوفهم والجواب الخامس ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا
في دعائهم الاصنام وعبادتهم لها واستنزالهم اياها كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم ودعاها
فهي تسمع دعاءه ونداءه ولا تفهم معنى كلامه فشبه من يدعوه الكفار من المعبودات
دون الله جل اسمه بالغنم من حيث لا تعقل الخطاب ولا تفهم ولا تنفع عند نائبة ولا
لا مضرة وهذا الجواب يقارب الذي قبله وان كانت بينهما فرقة لان الاول يعتبر
ضرب المثل بما لا يسمع الدعاء ولا النداء جملة ويحسن ان يكون مقصودا الى غنم
وما اشبهها مما يسمع وان لم يفهم وهذا الجواب يقتضي ضرب المثل بما يسمع الدعاء والنداء
وان لم يفهمها والاصنام من حيث كانت لا تسمع الدعاء والنداء جملة يجب ان يكون
داعيها ومناديها اسوء حالا من منادي الغنم ويصح ان ينصرف الى الغنم وما اشبهها مما
يشاركه في السماع ويخالف في الفهم والتمييز وقد اختلف الناس في معنى فقال
اكثرهم لا يقال نعق معنى الا في الصياح بالغنم وحدها وقال بعضهم نعق معنى بالبقر والغنم
والابل والاول اظهر في كلام العرب قال الاخطل س فانعق بضانك يا جرير فانما
منتك نفسك في الخلاء ضلالا وقال اهل العلم يعني الغراب وينعق بالغين المعجمة اذا
صاح من غراب تمد عنقه وتحركها فاذا ادادها وحركها ثم صاح قيل نعب ويقال النعب
نعب الفرس ينعب وينعب نعبا ونعيبا وهو صوته ويقال فرس منعب اي
جواد وناقة نعابة اذا كانت سريعة تاويل خبر روي ان النبي صلى الله عليه واله
خرج مع اصحابه الى طعام دعوا اليه فاذا بالحسين عليه السلام وهو صبي يلعب
مع صبيته في السكة فاستقبل النبي عليه السلام امام القوم فطفق الصبي يفر مرة
ههنا ومرة ههنا ورسول الله عليه السلام يضاحكه ثم اخذه فجعل احدى يديه تحت ذقنه
والاخرى تحت فاس راسه فاقنعه وقبله وقال انا من حسين وحسين مني احب الله
من احب حسينا حسين سبط من الاسباط معنى استقبل تقدم يقال

الانباري

استنبل الرجل استنبالاً وابرنتا وابرندع ابرنداعا اذا تقدم هكذا ذكر ابن
ووجدت بعض المتقدمين في علم اللغة يحكي في كتاب له قال يقول
استنبلت الامر استنبالاً اذا استعددت له واستنبل الرجل ابرنتى
واستنبل اذا انفرد والمتنا سعارب والحرملس بكل واحد منهما ووجدت
هذا الرجل يذكر في كتابه في ابرنتا وابرندع انه من الاستعداد ومعنى طفق بازال
قال الشاعر ـ طفقت تبكي واشعدها وكلما ما طار الكبد وقاس
الراس طرف القمحدوة والمنزف على القفا ومعنى افتنعه رفعه هكذا وقال
غيره يقال افتنع ظهره افتناعاً اذا اطمأن ثم رفعه برفق فاما الاسباط فاصلها
في ولد اسحق كالقبائل في ولد اسمعيل وقال ابن الانباري هم العصبة والعصوة
بالياء والواو ومما حدثنا ابو القاسم عبيد الله بن عثمان بن عمر بن يحيى بن حنيفا
قال اخبرنا ابو عبيد الله محمد بن احمد الحكيمي الكاتب قراءة عليه قال املى علينا
ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب قال اخبرنا ابن الاعرابي انه قيل لابنة الخس ما مائة
من المعز قالت مويل يشف الفقر من ورائه مال الضعيف وحرفة العاجز
قيل فما مائة من الضان قالت قرية لا حمى بها قيل فما مائة من الابل قالت بخ جمال
ومال ومنى الرجال قيل لها فما مائة من الخيل قالت طغى عند من كانت ولا توجد
قيل فما مائة من الحمر قالت عازبة الليل وخزي المجلس لا لبن فيحلب ولا صوف
فيجز ان ارسلت عيرها ودى وان ربطته ادلى وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابي
قال قيل لابنة الخس والخسف والخصب قال بل كل ذلك فقال ما احسن شي
قالت غادية في اثر سارية في نجاء قاوية قال فيحا ارض من تغبر لان النبات
في موضع مشرف احسن وقالوا البصر نقيها اي رابية ليس بها رمل ولا حجارة
قال والبح النفاخي ونبت الرابية احسن من نبت الاودية لان السيل يقرح
النبج فيتعد في الاودية ويلقي عليه الدمن قال الشيخ المرتضى المرتضي رضي الله عنه ومما
يدل على ان نبت الرابية احسن قول الاعشى ـ ما روضة من رياض الحزن معشبة

فأما السكنى في المنازل المصطفة والبيت المصطف
صح ذكر ابن الانباري

طنى صح

الندى

خضراء جاد عليها مسبل هطل ـ وقال كثير ـ فما روضة من الحزن طيبة الثرى يمج
جنحانها وغرارها ـ بمخض الحزن للمعتفي الذي ذكرناه ومما استشهادا عن ابن الاعرابي
قال انوب تقول جاءنا بطعام لا يناوي ولبده اذا جاء بطعام كثير او في الزيادة و
وقع في امر لا يناوي ولبده يقول لا ينتهي الصبيان ولا يستعال الا الكبار من الرجال
قال المرتضى رضي الله وفي ذلك قولان آخران احدهما عن الاصمعي قال اصله من
الشدة تصيب القوم حتى تذهل الام عن ولدها فلا تناديه لما هي فيه ثم صار مثلا لكل
امر عظيم والقول الآخر عن الكلابي قال اصله من الكثرة والسعة فاذا كثر الوليد
الى السكنى لم تزجر عنه حذر الآفة ولسعة ما هم عليه ثم صار مثلا لكل كثيرة قال الفراء
وبهذا القول استشهد في كل موضع يراد به النجابة والكثرة ـ لقد شرعت لقا
يزيد بن مزيد ـ شرائع جود لا يناوي وليدها ـ ومما اسناده الذي تقدم عن ابن
الاعرابي قال دخل ورقة الاسدي على معن بن زائدة الشيباني فقال ايها الامير انا
اكربك الله ان تصنى من نفسك بحسب وضعت نفسي من رجائك فانك قد
بلغت حالاً لو اعتقني الله فيها بكريك من تضعف الرجال لعدوك بلم يكن كثيرا
واني قد قدمت الرجال واحسنت الثناء ولزمت الحفاظ ثم انشأ يقول ـ
يا معن انك لم تنعم على احد ـ فنعاب نعماك تنغيص ولا كدر ـ فانظر الي بطرف غير ذي
مرض ـ فربما صح لي طرفك النظر ـ ايام وجهك لي طلق تخبرني ـ اذا سكت
بما تخفي وتنتظر ـ ومن هواك شفيع ليس يغفلني ـ وان نابت وان قلت لي الذكر ـ
قد كنت اثرت عندي مرة اثرا ـ فقد تقارب يعفو ذلك الاثر ـ فاجر بفضلك
عظا كنت تجره ـ واجمع بفضلك ما قد كاد ينتشر ـ ما نازع العرف في البر مد علقت
كفي بحبلك الا الظفر العبر ـ وقد خشيت وهذا الدهر ذو غير ـ ان يذال الجود العز
واذ تما كان من عسر ومن ميسرة ـ فان خطك فيه الحمد والشكر ـ فقال معن بن زائدة
وما كنا اعطيناك شيئا قال بلى قال اما الذهب والفضة فليسا عندنا ولكن هات
نجائب يا رب لي يا غلام فقد قدموا اليه وكان قد نحل منهما ابن عياش ووهبت ابن بدل

الاعرابي صح

أن صح

الطوال

فاعطاها مائتين وقال غرمتني باذوقه تخي تاب قال الشريف رح وكان معن بن زائدة
جوادا شجاعا شاعرا يكنى ابا الوليد وهو معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر بن شريك بن
عمرو ومطر هو اخو الحوفزان بن شريك وكان معن من اصحاب ابن هبيرة فلما قتل رثاه معن
فقال شعر الا ان عينا لم تجد يوم واسط عليك بجاري دمعها لجمود عشية قام النائحات
وشققت جيوب بايدي مأتم وخدود فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود
وفود فانك لم تبعد على متعهد بلى كل من تحت التراب بعيد واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني
قال اخبرنا يوسف بن يحيى المنجم عن ابيه قال حدثني محمد بن القاسم مهرويه قال اخبرنا ابو
الحكم بن موسى قال حدثني ابي قال كان معن بن زائدة من اصحاب يزيد بن عمر بن هبيرة
وكان مستترا حتى كان يوم الهاشمية فانه حضره وهو متلثم فلما نظر الى القوم وقد وثبوا
على المنصور تقدم فاخذ بلجام بغلته ثم جعل يضربهم بالسيف قدامه فلما افرجوا له ونفروا
عنه قال له من انت ويحك قال انا طلبتك معن بن زائدة فلما انصرف المنصور حباه وكساه
ورتبه ثم قلده اليمن فلما قدم عليه من اليمن قال له ايه يا معن تعطي مروان بن ابي حفصة
مائة الف درهم على ان قال لك معن بن زائدة الذي زيدت به شرفا على شرف بنو شيبان
ان عد ايام الفعال فانما يوماه يوم ندى ويوم طعان قال كلا يا امير المؤمنين ولكني اعطيته
على قوله شعر ما زلت يوم الهاشمية معلما بالسيف دون خليفة الرحمن فمنعت حوزته
وكنت وقاءه من وقع كل مهند وسنان فقال له احسنت يا معن وفي خراجه وحمل
على المنصور فقال له ويلك ما اظن ما يقال فيك لاهل اليمن واعتسافك اياهم الا حقا
وكيف ذاك يا امير المؤمنين قال بلغني انك اعطيت شاعرا الكان برمك الفي وبابا روبه
من الشرف الذي لكشي مثله فقال يا امير المؤمنين انما اعطيته من فضول مالي وغلات ضياعي
وفضلات ذاتي وكعفته عن عرضي وقضيت الواجب من حقه علي وقصده اياي وملازمته
لي قال فجعل ابو جعفر ينكت بعصا في يده الارض ولم يرد عليه القول واخبرنا المرزباني
قال اخبرنا علي بن يحيى عن عبد الله بن ابي سعد الوراق عن خالد بن يزيد بن وهب بن
جرير عن عبيد الله بن محمد المعروف بمنقار من اهل خراسان وكان من ولاة الرشيد

الفعال م

قال

قال حدثني معن بن زائدة قال كنا في الصحابة سبعمائة رجل وكنا ندخل على المنصور في كل يوم
قال فقلت للربيع اجعلني في آخر من يدخل عليه فقال لست من اشرفهم فيكونوا اولهم
ولا باخسهم نسبا فتكون في آخرهم دون من فرتبتك تشبه نسبك قال فدخلت
على المنصور ذات يوم وعلي دراعة فضفاضة وسيف حنفي اقرع بنعله الارض وعمامة
قد اسدلتها من قدامي ومن خلفي فسلمت عليه وخرجت فلما صرت عند الستر صاح بي
يا معن صيحة انكرتها فلبيته فقال الي فدنوت منه فاذا به قد نزل عن فراشه الى الارض
وجثا على ركبتيه واستل عمودا من بين فراشين واستحال لونه ودرت اوداجه
وقال انك لصاحبي يوم واسط لا نجوت ان نجوت مني قال قلت يا امير المؤمنين تلك
نصرتي لباطلهم فكيف نصرتي لحقك قال فقال لي كيف قلت فاعدت عليه القول
فما زال يستعيده حتى رد العمود الى مستقره واستوى من جثائه واسفر لونه وقال
يا معن ان باليمن هنات قال قلت يا امير المؤمنين ليس لمكتوم راي وهو اول
من ارسلها مثلا فقال انت صاحبي فاجلس قال فجلست وامر الربيع باخراج كل من
كان في الدار وخرج الربيع قال لي يا معن ان صاحب اليمن قد هم بالمعصية واني اريد
ان آخذه اسيرا ولا يفوتني شيء من ماله قال قلت ولني اليمن واظهر انك قد ضممتني
اليه ومر الربيع ان يزيح علتي في كل ما احتاج اليه ويخرجني من يومي هذا لئلا ينتشر الخبر قال
فاستل عهدا من بين فراشين فوقع فيه اسمي وناولنيه ثم دعا بالربيع فقال يا ربيع
انا قد ضممنا معنا الى صاحب اليمن فازح علته فيما يحتاج اليه من السلاح والكراع ولا يمس
الا وهو راحل فاكثر توديعي وخرجت الى الدهليز فلقيني ابو الوالي فقال يا معن اعزز
علي ان تضم الى ابن اخيك قال فقلت له انه لا غضاضة على الرجل ان يضمه
سلطانه الى ابن اخيه وخرجت الى اليمن فاتيت الرجل فاخذته اسيرا وقرأت
عليه العهد وقعدت في مجلسه وروى عمر بن شبة قال اجتمع عند معن بن زائدة
ابن ابي عاصية وابن ابي حفصة والعنبري فقال لينشدني كل واحد منكم احسن بيت
قاله في فانشده ابن ابي حفصة مسحت ربيعة وجه معن سابقا لما جرى وجرى ذوو الاحساب

فقال له معن ان الجواد يعثر فيمسح وجهه من العثار والغبار وغيرهما وانشد الضمري ابيات
وبهمك المعالي دون معروفك الرسع وسامك المجد تشريف شيمة عنك من تشيخ فقال
له ما احسن ما قلت الا انك لم تسمني ولم تذكرني فمن شاء انتحله وانشد ابن ابي عاصم
ان زال معن بني زائدة لم تزل تنتدي الى بلد بغير مساف فتفضلهم عليهم وروي
انه اتي معن بن زائدة بثلاثمائة اسير فامر بضرب اعناقهم فقال له شاب منهم يا اخا شيبان
نناشدك الله ان تقتل اضيافك فقال اطلقوهم وذكر احمد بن كامل ان الخوارج
قتلت معن بن زائدة بسجستان في سنة احدى وخمسين ومائة وروي ان عبد الله
بن طاهر كان يوما عند المأمون فقال له يا ابا العباس من اشعر من قال الشعر في خلافة
بني هاشم قال امير المؤمنين اعلم بذلك قال على كل حال قال عبد الله اشعرهم الذي يقول
في معن بن زائدة: ايا قبر معن انت اول حفرة من الارض خطت للسماحة مضجعا
ايا قبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا بلى قد وسعت الجود والجود
ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا والابيات للحسين بن مطير الاسدي ويعني بقوله
على هذا المعنى ازداد ابيات: الما على معن فقولا لقبره سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا فتى
عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا ولما مضى معن مضى الجود والعلى
واصبح عرنين المكارم اجدعا

مجلس آخر

تأويل آية. ان سأل سائل فقال
ما الوجه في قوله تبارك وتعالى ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين وفي موضع آخر
ويقتلون الانبياء بغير حق وظاهر هذا القول يقتضي ان قتلهم قد يكون بحق وكذلك
ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به وقوله تعالى الله الذي رفع السموات بغير
عمد ترونها وقوله تعالى ولا تكونوا اول كافر به وقوله تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وقوله
ولا يسألون الناس الحافا والسؤال عن كل هذه الآية من وجه واحد وهو الذي
تقدم والجواب ان للعرب فيما جرى هذا المجرى من الكلام عادة معروفة ومذهبا
مشهورا عند من تصفح كلامهم وفهم عنهم ومرادهم بذلك المبالغة في النفي وتأكيده فمن ذلك قولهم
لا يرجى خيره ليس يريدون ان فيه خيرا لا يرجى وانما غرضهم انه لا خير عنده على وجه من الوجوه

ومثله

فقلنا عطشنا فقال اسقوهم
ماء فلما شربوا قالوا يا اخا شيبان
نناشدك ...

ومثله قلما رأيت مثل هذا الرجل وانما يريدون ان مثله لم ير قليلا ولا كثيرا وقال امرؤ القيس
على لاحب لا يهتدى بمناره اذا سافه العود الديافي جرجرا لاحب طريقا
واراد انه لا يهتدى بمناره انه لا منار له فيهتدى به والعود المسن من الابل والديافي
منسوب الى دياف قرية بالشام معروفة وسافه شمه والجرجرة مثل الهدير وانما اراد
ان العود اذا شمه عرف بعده وذكر ما يلحقه فيه من المشقة فجرجر لذلك وقال ابن احمر
لا تفزع الارنب اهوالها ولا ترى الضب بها ينجحر اراد ليست بها اهوال فتفزع
الارنب وقال النابغة يحفه جانبا نيق وتتبعه مثل الزجاج لم يكحل من الرمد اراد ليس
بها رمد فيكتحل له وقال امرؤ القيس وصم حوام ما يقين من الوجى كأن مكان
الردف منه على رال اراد ليس بها وجى يقين منه وقوله ما يقين من الوجى فالوجا هو الحفا ويعني
انها تتوقى بعالي وقع الفرس اذناب المشي فاراد انه لا وجا بحوافره فيتقين الارض
منه بحده والرال فرخ النعام وشبه اشرافه بعجز الرال وقال الآخر لا تغمز الساق
من اين ولا وصب ولا تعض على شرسوفه الصفر اراد ليس بساقه اين ولا وصب
فتغمزها من اجلهما وقال سويد بن ابي كاهل من اناس ليس من اخلاقهم عاجل الفحش
ولا سوء الجزع ولم يرد ان في اخلاقهم فحشا اجلا ولا جزعا غير سيء وانما اراد نفي الفحش
والجزع عن اخلاقهم ومثل ذلك قولهم فلان غير سريع الى الخنا وهم يريدون انه لا يقرب
الخنا لا انه يسرع الى الخنا وقال الفرزدق وهو يهجو ابا جعفر بن كلاب ويعيرهم بقتلى
منهم اصيبوا في بعض حروبهم مخلت النساء وهو الا الفتى حتى اذا فهم فقال
ولم يأت غير اهلها كالذي اتت به جعفر اليوم الهضبات غيرها انهم لم يحزم
تكن هجرة ولا حنطة الشام المريت خميرها يعني ان العير انما تحمل التمر او الطعام الى هجر
فحملت عليه لاء القتلى وقوله لم تكن هجرا اي لم تحمل التمر وذلك لكثرة التمر بهجر ثم
قال ولا حنطة الشام المريت خميرها ولم يرد ان هناك حنطة ليس غير خميرها زيت لكن اراد
انها لم تحمل تمرا ولا حنطة ثم وصف الحنطة بما يجانس خميرها من الزيت وعلى هذا تأويل الآيات
التي وقع السؤال عنها لانه تعالى لما قال ويقتلون النبيين بغير حق دل على ان قتلهم

لا يكون الا بغير حق ثم وصف القتل بانه لا بد ان يكون علانية من الصفة وهي نوعه على الحق وكذلك من يدع مع الله الها آخر لا برهان له به انما هو وصف لهذا الدعاء وانه لا يكون الا عن غير برهان وقوله رب الذي رفع السموات بغير عمد ترونها فوجهه ايضا انه لو كان له منار لاهتدي به فصار نفي الاشياء بالمنار نفيا لوجود المنار وقوله ولا تكونوا اول كافر به تغليظ وتاكيد في تحذيرهم من الكفر وهو ابلغ من ان يقول ولا تكفروا به وبحري مجراه قولهم فلان لا يرجع الى الخنا وقلما ادبت مثلا اذا اراد وابر تاكيد نفي الخنا ونفي رؤية المثل المذكور وكذلك قوله تعالى لا يسألون الناس الحافا معناه لا مسالة تقع منهم ومثل الاول ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا والفايدة ان كل ثمن لها لا يكون الا قليلا فصار نفي الثمن القليل نفيا لكل ثمن وفيه اوضح بحمد الله ومنه

باب في ذكر شيء من اخبار المعمرين واشعارهم ومستحسن كلامهم احد المعمرين

الحرث بن كعب بن عمرو بن وعلة بن خالد بن مالك بن ادد والمذحجي ومذحج هي ام مالك بن ادد نسب ولد مالك اليها وانما سميت مذحجا لانها ولدت على اكمة تسمى مذحجا واسمها مدلة بنت ذي منجشان قال ابو حاتم السجستاني جمع الحرث بن كعب بنيه لما حضرته الوفاة فقال يا بني قد اتى علي ستون ومائتا سنة ما صافحت يميني يمين غادر ولا قنعت نفسي بخلة فاجر ولا صبوت بابنة عم ولا كنة ولا طرحت عندي مومسة قناعها ولا بحت لصديق بسره واني لعلى دين شعيب النبي عليه السلام وما عليه احد من العرب غيري وغير اسد بن خزيمة وتميم بن مر فاحفظوا وصيتي وموتوا على شريعتي الهكم فاتقوه يكفكم المهم من اموركم ويصلح لكم اعمالكم واياكم ومعصيته لا يحل بكم الدمار وتوحش منكم الديار يا بني كونوا جميعا ولا تفرقوا فتكونوا شيعا وان موتا في عز خير من حياة في ذل وعجز وكل ما هو كائن كائن وكل جمع الى تباين والدهر ضربان فضرب رخاء وضرب بلاء واليوم يومان يوم حبرة ويوم عبرة والناس رجلان فرجل معك ورجل عليك تزوجوا الاكفاء وليستعملن في طيبهن الماء وتجنبوا الحمقاء فان ولدها الى افن ما يكون الا انه

لا راحة لقاطع القرابة واذا اختلف القوم امكنوا عدوهم منهم وآفة العدد اختلاف الكلمة والتفضل بالحسنة يقي السيئة والمكافاة بالسيئة الدخول فيها والعمل السوء يزيل النعمة وقطيعة الرحم تورث الهم وانتهاك الحرمة يزيل النعمة وعقوق الوالدين يعقب النكد ويمحق العدد ويخرب البلد والنصيحة تجر الفضيحة والحقد يمنع الرفد ولزوم الخطيئة يعقب البلية وسوء الرعة يقطع اسباب المنفعة والضغائن تدعو الى التباين ثم انشا يقول

أكلت شبابي فافنيته ... وافنيت بعد دهور دهورا
ثلاثة اهلين صاحبتهم ... فبادوا واصبحت شيخا كبيرا
قليل الطعام عسير القيام ... قد ترك الدهر خطوي قصيرا
ابيت اراعي نجوم السماء ... اقلب امري بطونا ظهورا

قوله ولا صبوت بابنة عم ولا كنة الصبوة رقة الجب والكنة امراة اخي الرجل وامراة ابن اخيه فاما المومسة فهي الفاجرة البغي واراد بقوله انها لم تطرح عنده قناعها انها لم تتبذل عنده وتنبسط كما تفعل من تريد الفجور بها وقوله يوم حبرة ويوم عبرة فالحبرة السرور والفرح والعبرة يكون من ذلك لان العبرة لا يكون الا من امر محزن مولم فاما الافن فهو الحمق يقال رجل افين اذا كان احمقا ومن امثالهم وجدان الرقين يغطي على افن الافين اي وجدان المال يغطي على حمق الاحمق وواحد الرقين رقة واما قوله النصيحة تجر الفضيحة معناه ان النصيح اذا نصح لمن لا يقبل نصيحة ولا يصغي الى موعظة فقد افتضح عنده لانه افضى اليه بسره وباح بمكنون صدره فاما سوء الرعة فانه يقال فلان حسن الرعة والتورع اذا كان حسن الطريقة ومن المعمرين المستوغر وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر وانما سمي المستوغر لبيت قاله وهو

ينش الماء في الربلات منها ... نشيش الرضف في اللبن الوغير

الربلات واحدتها ربلة وربلة بفتح الباء واسكانها وهي كل لحمة غليظة هكذا ذكر الانباري والرضف الحجارة المحماة وفي الحديث كانه على الرضف واللبن الوغير لبن يلقى فيه حجارة محماة ثم يشرب اخذ من وغرة الظهيرة وهي اشد ما يكون من الحر ومنه وغر صدر فلان يوغر وغرا اذا التهب من غضب او

وقال اصحاب الانساب عاش المستوغر ثلثمائة وعشرين سنة وادرك الاسلام
اوكاد يدركه اذ لم قال ابن سلام كان المستوغر قديما وبقي طويلا حتى قال · ولقد
سئمت من الحيوة وطولها · وعمرت من عدد السنين مئينا · مائة اتت من بعدها مائتان
لي · وازددت من عدد الشهور سنينا · هل ما بقي الا كما قد فاتنا · يوم يكر وليلة
تحدونا · وهو القائل · اذا ما المرء صم فلم يكلم · واودى سمعه الا ندايا · ولاعب
بالعشي بني بنيه · كفعل الهر يحترش العظايا · يلاعبهم وودوا لو سقوه · من الذيفان
مترعة ملايا · فلا ذاق النعيم ولا شرابا · ولا يعفى من المرض الشفايا · اراد بقوله
صم فلم يكلم اي لم يسمع ما تكلم به فاحتقر وهجر وان يريد انه لم يكلم للكبر من اشتغاله
فاعرض عن خطابه لذلك وقوله فاودى سمعه الا ندايا اراد هلك سمعه الا ان يسمع
الصوت العالي الذي ينادى به وقوله لاعب بالعشي بني بنيه فانه مبالغة في وصفه
بالهرم والخرف وانه قد تناهى الى ملاعبة الصبيان واشبههم ويشبه ان يكون
خص العشي بذلك لانه وقت رواح الصبيان الى بيوتهم واستقرارهم فيها
وقوله يحترش العظايا اي يصيدها والاحتراش ان يقصد الرجل الى جحر الضب فيضرب
بكفه فيحسبه الضب افعى فيخرج اليه فيأخذه يقال حرشت الضب فاحترشته ومن
امثالهم هذا اجل من الحرش يضرب عند الامر يستفظع ويتكلم بذلك على لسان الضب
وقال ابن دريد قال الضب لابنه اتق الحرش قال وما الحرش قال اذا سمعت حركة
بباب الجحر فلا تخرج فسمع يوما وقع المحفار فقال يا ابت اهذا الحرش فقال هذا اجل
من الحرش فجعل مثلا للرجل اذا سمع الشيء الذي هو اشد مما كان يتوقعه والذيفان السم
والعظايا جمع عظاية وهي دويبة معروفة ومن المعمرين دويد بن زيد بن نهد بن زيد بن ليث
بن سود بن اسلم بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن مرة بن مالك ابن حمير قال
ابو حاتم عاش دويد بن زيد اربع مائة سنة وستا وخمسين سنة وقال ابن دريد لما حضر
دويد بن زيد الوفاة وكان من المعمرين قال ولا اعقب الا من عاش مائة سنة
وستا وعشرين سنة فجمع بنيه فقال يا بني اوصيكم بالناس شرا لا ترحموا لهم عبرة

زيد الوفاة

ولا تقيلوا

ولا تقيلوا لهم عثرة قصروا الاعنة واطيلوا الاسنة واطعنوا شزرا واضربوا هبرا واذا
اردتم المحاجزة فقبل المناجزة والمرء يعجز لا المحالة بالجد لا بالكد التجلد ولا التبلد
والمنية ولا الدنية لا تاسوا على فايت وان عز فقده ولا تحنوا الى
ظاعن وان الف قربه ولا تطمعوا فتطبعوا ولا تهنوا فتخرعوا ولا يكون لكم
المثل السوء ان الموصين بنو سهوان اذا مت فارحبوا خط مضجعي ولا تضنوا
علي برحب الارض وما ذلك بمؤد الى روحا ولكن حاجة نفس خامرها الاشفاق
ثم مات قال ابو بكر بن دريد وفي حديث اخر انه قال اليوم يبنى لدويد بيته يا رب
نهب صالح حويته ورب قرن بطل ارديته ورب غيل حسن لويته
ومعصم مخضب ثنيته لو كان للدهر بلى ابليته او كان قرني واحدا كفيته
وقال الحصين القى على الدهر رجلا ويدا · والدهر ما اصلح يوما افسدا يفسد ما اصلحه
اليوم غدا · قوله اطعنوا شزرا واضربوا هبرا قال معنى الشزر ان يطعنه في احد
جانبيه يقال فتل بالحبل شزرا اذا فتله على الشمال والنظر الشزر نظر بموخر العين وقال
الاصمعي نظر اليه شزرا اذا نظر اليه عن يمينه وشماله وطعنه شزرا كذلك وقوله
هبرا قال ابن دريد هبرت اللحم اهبره هبرا اذا قطعته قطعا كبارا والاسم
الهبرة والهبرة وسيف هبار وهابر واللحم هبير ومهبور والمحالة الحيلة وقوله
بالجد لا بالكد اي يدرك الرجل حاجته وطلبته بالجد وهو الحظ والبخت ورجل
مجدود منه فاذا اكسرت الجيم فهو الانكماش في الامر والمبالغة فيه وقوله التجلد
ولا التبلد اي تجلدوا ولا تبلدوا وقوله فتطبعوا اي تدنسوا والطبع الدنس
يقال طبع السيف يطبع طبعا اذا كثر الصدا عليه قال ثابت قطنة العتكي
لا خير في طمع يدني الى طبع · وعفة من قوام العيش تكفيني · وقوله ولا تهنوا
فتخرعوا فالوهن الضعف والخراعة الخرع اللين ومنه سميت الشجرة الخروع
للينها وقوله ان الموصين بنو سهوان فالموصان جمع موصي وبنو سهوان ضرب
مثلا اي لا تكونوا ممن تقدم اليهم فسهوا واعرضوا عن التوصية وقالوا انه

يضرب هذا المثل للرجل الموثوق به ومعناه اذا الذين يحتاجوا الى ان يوصلوا
حوائج اخوانهم هم الذين يسهون عنها لقلة عناياتهم وانت غير غافل ولا ساه
عن حاجتي وقوله فارجعوا اي ودعوا اداء الحب السكر والروح الراحة وقوله في الحر
غيل فالغيل الساعد الممتلئ والمعصم موضع السوار من اليد ومن المعمرين زهير بن جناب
بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات
بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن
الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير قال
ابو حاتم عاش زهير بن جناب مائتي سنة وعشرين سنة واوقع مائتي وقعة و
كان سيدا مطاعا شريفا في قومه ويقال كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره
من اهل زمانه كان سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم الى الملوك
وطبيبهم والطب في ذلك الزمان شرف وحازي قومه والحزاة الكهان و
فارس قومه وله البيت فيهم والشرف منهم فاوصى الى بنيه فقال يا بني اني
قد كبرت سني وبلغت حرسا من دهري فاحكمتني التجارب والامور تجربة
واختبارا فاحفظوا عني ما اقول وعوه اياكم والخور عند المصائب والتواكل عند
النوائب فان ذلك داعية للغم وشماتة العدو وسوء الظن بالرب تعالى
واياكم ان تكونوا بالاحداث مغترين ولها آمنين ومنها ساخرين فانه ما سخر
قوم قط الا ابتلوا ولكن توقعوها فانما الانسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة
فمقصر دونه ومجاوز لموضعه وواقع عن يمينه وشماله ثم لا بد ان يصيبه قوله حرسا
من دهري يريد دهرا والحرس الدهر وقال الاخر في سكينة عشنا بذاك حرسا
والشنة المدة من الدهر والتواكل ان يكل القوم امرهم الى غيرهم من فوقهم
رجل وكل اذا كان لا يكفي نفسه ويكل امره الى غيره ويقال رجل وكلة تكلة
والغرض كل ما نصب للرمي وتعاوره اي تداوله قال الشريف المرتضى
رضي الله عنه وقد مضى ابن الدوفر متمثلا بقول زهير بن جناب الانسان في الدنيا

١٢ الحاف

١٢ الوفات

غرض تعاوره الرماة فمقصر ومجاوز لموضعه وواقع عن يمينه وعن شماله ثم لا بد ان يصيبه
اما ما في من كل الاحسان والابيات — كلي سراج الشيب في الراس
هاديا ، لمن قد اضلته المنايا لياليا ، غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه ، لشخصي اخلق
ان يصبن سواديا ، امن بعد ابداء المشيب مقاتلي ، لرامي المنايا تحسبيني ناجيا
وكان كرامي الليل يرمي ولا يرى ، فلما اضاء الشيب شخصي رمانيا ، اما البيت
الآخر فانه ابلغ فيه واغرب وما عرفت انه سبق الى معناه لانه جعل الشباب
كالليل الساتر على الانسان الحاجب بينه وبين من اراد رميه لظلمته والشيب مبدي المقاتل
هاديا الى اصابته لضوءه وبياضه وهذا في نهاية حسن المعنى واراد بقوله رماني اصابني
ومثله قول الشاعر — فلما رمى شخصي رميت سواده ، ولا بد ان يرمى سواد
الذي يرمي ، وكان زهير بن جناب على عهد كليب بن وائل ولم يكن في العرب
انطق من زهير ولا اوجه عند الملوك وكان لسداد رايه يسمى كاهنا ولم تجتمع
قضاعة الا عليه وعلى رزاح بن ربيعة وسمع زهير بعض نسائه تتكلم بما لا ينبغي للمرأة
ان تتكلم به عند زوجها فنهاها فقالت له اسكت عني والا ضربتك بهذا العمود
فوالله ما كنت اراك تسمع شيئا ولا تعقله فقال عند ذلك — الا يا لقوم لا ارى
النجم طالعا ، ولا الشمس الا حاجبي بيميني ، معزتي عند القفا بعمودها ، يكون نكيرا
ان اقول ذريني ، امينا على سر النساء وربما ، اكون على الاسرار غير امين
فللموت خير من حداج موطا ، مع الظعن لا ياتي المحل لحين ، وهو القائل ابني
ان اهلك فقد اورثتكم مجدا بنيه ، وتركتكم ارباب سادات زنادكم وريه ، من
كل ما نال الفتى قد نلته الا التحيه ، ولقد رحلت البازل الكوماء ليس لها وليه ، فالموت
خير للفتى فليهلكن وبه بقيه ، وخطبت خطبة حازم غير الضعيف ولا العييه ،
من ان يرى الشيخ البجال وقد يهادى بالعشيه ، وهو القائل ليت شعري
والدهر ذو حدثان ، اي حين منيتي تلقاني ، ابيات على الفراش خفات
ام بكفي مفجع حران ، ثائر وقد مضى من عمره ما بان منه ، لقد عمرت حتى ما ابالي

١٢ الظلمة

احتفى في صباح اومسا • وحق لمن اتت مائتان عاما عليه ان يمل من الثواء • وقوله مغزبني يعني امراته يقال مغزبة الرجل وحلته وحنته كل ذلك امراة الرجل و قوله امينا على سر النسا • فالسر خلاف العلانية والسر ايضا النكاح على غير جهة وقال الحطية • ويحرم سر جاراتهم عليهم • ويأكل جارهم انف القطاع • وقال امرؤ القيس • الا زعمت بسباسة اليوم انني كبرت وان لا يشهد السر امثالي • وكلام زهير يحتمل الوجهين جميعا لانه اذ اكبر وهرم لم تتهمه النسا بحضرته باسرارهن تهاونا به وتعويلا على ثقل سمعه وكذلك ان هرم وكبر يرجبان كونه امينا على نكاح النسا لعجزه عنهن وقوله حداج فهو جمع مفرد الحدج مركب من مراكب النسا والجمع حدوج واحداج والظعن والاظعان والهوادج والظعينة المراة في الهودج والجمع ظعائن وانما خرج عن زهيره وان قومه خرج يكون مع الظعن في حمله القتا • وقوله زنادكم ورثتها فهو جمع زند والزندة وهما عودان يقدح بهما النار في احدهما فرض وهي الانثى فالتي فيها الفرض هي الانثى والذي يقدح بطرفه وهو الذكر فسمى الزند الاب والزندة للام فكنى بزنادكم ورثتها عن تلو عنهم ما زهم تقول العرب ورثت بك زنادي اي نلت بك ما احب من النجح والنجاة ويقال للرجل الكريم وري الزناد فاما النجه فهي الملك وكانه قال كل ما بال الفتى قد نلته الا الملك وقيل النجه ههنا الخلود والبقاء والبازل الناقة التي قد بلغت تسع سنين وهي اشد ما يكون ولفظ البازل في الناقة والجمل سواء والكوما الناقة العظيمة السنام والوليه برذعة تطرح على ظهر البعير تلي جلده والنجال الذي ينجله قومه ويعظمونه ومعنى تهادى اي تمايلت اكتافه فيسندونه ويحيدونه من الضعف والتهادى المشي الضعيف وقوله اسيات فالسيات سكون الحركة ورجل مسبوت والخفات الضعف يقال خفت الرجل اذا اصابه ضعف من مرض او جوع والمنجع الذي فجع بولده او ذوائه والحرمان والمتلهف وهو هنا المحزون على تلاده ومما يروى لزهير بن جناب • اذا

فابكين

ما شئت ان تسلي حبيبا • فاكثر دونه عدد الليالي • فما سلى حبيبك مثل ناي • ولا بلّى جديدك كابتذال • مجلس الجزء من المعمرين ذو الاصبع العدواني واسمه خرثان بن محرث بن الحرث ابن ربيعة بن وهب بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان وهو الحرث بن عمرو بن قيس بن غيلان بن مضر وانما سمي الحرث عدوان لانه عدا على اخيه فهم فقتله وقيل بل فقا عينه وقيل ان اسم ذي الاصبع محرث بن خرثان بن حويرث وقيل خرثان بن حارثة ويكنى ابا عدوان وسبب لقبه بذي الاصبع ان حية نهشته على اصبعه فشلت فسمي بذلك وقال انه عاش مائة وسبعين سنة وقال ابو حاتم انه عاش ثلثمائة سنة وهو احد حكام العرب في الجاهلية وذكر الجاحظ انه كان اثرم وروي عنه • لا تعذرن عهد الشباب ولا لذاته ونباته النفر لولا اولو ما حفلت متى غوليت في خرجي الى قبري • نهبت اتيله ان رات هرمي وان الحي لتقادم ظهري • وكان لذي الاصبع بنات اربع فعرض عليهن التزويج فابين وقلن قربك وخدمتك احب الينا ثم اشرف عليهن يوما من حيث لا يرينه فقلن لتقل كل واحدة منا ما في نفسها فقالت الكبرى • الا هل اراها مرة وضجيعها اشم كنصل السيف غير مهند • عليم بادوا النسا واذا ما انتمى في سر اهلي ومحتدي • فقلن لها انت تريدين ذا قرابة قد عرفته ثم قالت الثانية • الا ليت زوجي من اناس اولي غنى • حديث الشباب طيب الثوب والعطر • لصوق باكباد النسا كانه • خليفة جان لاينام على حجر • فقلن لها انت تريدين فتى ليس من اهلك ثم قالت الثالثة • الا ليته يكسى الجمال نديه • له جفنة تشقى بها المغزو والجزر • له حكمات الدهر من غير كبرة • تشين ولا فان ولا ضرع غمر • فقلن لها انت تريدين سيدا ثم قلن للرابعة قولي فقالت لا اقول شيئا فقلن يا عدوة الله علمت ما في انفسنا ولا تعلمينا ما في نفسك فقالت زوج من عود خير من قعود فمضت مثلا فزوجهن

٢ واصلوم

٣ ويودي لاينام على حجر

اربعين وتركهن حولا كاملا ثم اتى الكبرى فقال يا بنية كيف ترين زوجك فقالت
خير زوج يكرم الحليلة ويعطي الوسيلة فقال فما مالكم قالت خير مال الابل نشرب
البانها جرعا ونأكل لحمانها مزعا وتحملنا وضعيفنا معا فقال يا بنية زوج كريم
ومال عميم ثم اتى الثانية فقال يا بنية كيف ترين زوجك قالت خير زوج يكرم
اهله وينسى فضله قال وما مالكم قالت البقر تألف الفناء وتودك السقاء
وتملأ الاناء وتنسأ مع النساء فقال حظيت ورضيت ثم اتى الثالثة
فقال يا بنية كيف ترين زوجك قالت لا سمح بذر ولا بخيل حكر قال فما مالكم
قالت المعزى قال وما هي قالت لو كنا نولدها فطما ونسلخها ادما ويروى
ادما بالفتح لم نبغ بها نعما فقال لها جذوة مغنية ويروى جدوى مغنية ثم اتى
الصغرى فقال يا بنية كيف زوجك قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال
فما مالكم قالت شر مال ما هو قالت الضأن جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن
وصم لا يسمعن وامر مغويهن يتبعن فقال ابوها اشبه امرا بعض بزه فمضت
مثلا اما قول احدى بناته في الشم اشتم فالشم ارتفاع ارنبة الانف وورود
ويقال رجل اشم وامرأة شماء وقوم شم الانوف قال حسان بن ثابت
بيض الوجوه كريمة احسابهم شم الانوف من الطراز الاول فالشمم
الارتفاع في كل شيء فيحتمل ان يكون اراد حسان بشم الانوف ما ذكرناه
من ورود الارنبة لان ذلك عندهم دليل على العتق والنجابة ويجوز ان يريد
بذلك الكناية عن نزاهتهم وتباعدهم عن دنايا الامور ورذائلها وخص الانوف
بذلك لان الحمية والغضب والانفة فيها ولم يرد طول انوفهم وهذا انه بان من
مراده لانه قال بيض الوجوه ولم يرد بياض اللون على الحقيقة وانما كنى بذلك عن
نقاء اعراضهم وجميل اخلاقهم وافعالهم كما يقول القائل جاءني فلان بوجه ابيض
وفلان ابيض الوجه بكذا وكذا وانما يعني بها ما ذكرناه وقول المرأة اشم لتصلق
بجميل الوجهين الخ وقول حسان من الطراز الاول اي افعالهم افعال ابائهم و

قال م

سلفهم

سلفهم وانهم لم يجددوا اخلاقا مذمومة لا تشبه اخلاق آبائهم واصولهم وقولها غث مهزال يمو كهند
بعينه كما يقال بعينه وعين الشيء نفسه وعلى الرواية الاخرى غير مهند اي ليس هو السيف
المنسوب الى الهند في الحقيقة وانما هو مشبه به في مضائه وقولها من سر اهلي اي
من اكرمهم واخلصهم ويقال فلان في سر قومه اي في شرفهم وصميمهم وسر الوادي اطيبه
ترابا والمحة الوسط وقول الثانية اولى عدى فانما ... ان يكون لهم الاعداء لانه
من لا عدو له فهو الفسل الرذل الذي لا خير عنده والكريم الفاضل من الناس
هو المحسود المعادى وقولها لصوق باكباد النساء يعني به المضاجعة ويحتمل ان يكون
اراد المحبة والمودة وكنت بذلك عن شدة محبتهن له ومودتهن وميلهن اليه
وهو اشبه وقولها كانه خليفة جان اي كانه حية للصورة والجان جنس من الحيات
مخففة لغزارة الشعر وقول الثالث يكسي الحمال ندبه فالندب هو الخليس وقولها
لم تحكمات الدهر يقول قد احكمته التجارب وجعلته حكيما فاما الضرع فهو الضعيف
والغمرة الذي لم يجرب الامور وقول الكبرى يكرم الحليلة ويعطي الوسيلة فالحليلة
هي امرأة الرجل والوسيلة الحاجة وقولها نشرب البانها جرعا فالجرع جمع جرعة
وهو الماء القليل في الاناء وقولها مزعا المزعة القطعة من دسم يقال ما له جرعة ولا مزعة
هكذا ذكر ابن دريد بالضم في جرعة ووجدت بخط بكريا فيقول جرعة فاذا كثرت
فينبغي ان يكون فمن روى البانها جرعا بكسر والمزعة ايضا ليزدوج الكلام فيقول
ونأكل لحمانها مزعا قال المزعة بالكسر القطعة من الشحم والمزعة ايضا بالكسر من الريش
والقطن وغير ذلك كالمزعة من الخرق والتمزيع التقطيع والتشقيق يقال
انه ليكاد يتمزع من الظلمى ومزع الظبي في عدوه يمزع مزعا اذا اسرع وقولها
معا اي جميعا اي كثير وقول الثانية تودك السقاء من الودك الذي هو الدسم
وقول الثالثة نولدها فطما الفطم جمع فطيم وهو المقطوع من الرضاع وقولها
نسلخها ادما فالادم جمع ادام الذي يؤكل يقول لو انا فطمناها عند الولادة
وسلخناها للادم من الحاجة لم نبغ بها نعما وعلى الرواية الاخرى الظان من الاديم

وقوله ذو مغتبة فالجذوة هي القطعة وقول الصنوبر جوف لا يبعن الجوف جمع جوفاء وهي العظيمة الجوف والهم العطاش من لا ينقعهم ولا يرون ومعنى قولها وام مغتبطا يتهن يبعن اي القطيع من القنان يوصف بالبلادة فكل اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابو دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال اخبرنا ابو عبيدة عن يونس قال ابن دريد واخبرنا العكلي عن خالد عن الهيثم ابن عدي عن مسعود بن كدام قال اخبرنا سعيد بن خالد الجدلي قال لما قدم عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل مصعب دعا الناس الي فرائضهم فاتيناه فقال من القوم قلنا من جديلة قال جديلة عدوان قلنا نعم فتمثل عبد الملك ؎ عذير الحي من عدوان كانوا حية الارض بغى بعضهم بعضا فلم يرعوا على بعض ومنهم كانت السادات والموفون بالقرض ومنهم حكم يقضي فلا ينقض ما يقضي ومنهم من يجير الناس بالسنة والفرض ثم اقبل على رجل قدمناه امامنا جسيم وسيم فقال ايكم يقول هذا الشعر فقال لا ادري فقلت انا من خلفه يقوله ذو الاصبع فتركني واقبل عليه فقال وما كان اسم ذي الاصبع فقال لا ادري فقلت انا من خلفه حرثان فاقبل عليه وترك وقال من ايكم كان فقال لا ادري فقلت انا من خلفه من بني ناج فاقبل على الجسيم فقال كم عطاؤك قال سبع مائة ثم اقبل علي فقال كم عطاؤك قلت اربع مائة فقال يا ابن الزعيزعة حط من عطاء هذا ثلثمائة درهم وزدها في عطاء هذا فرحت وعطائي سبع مائة وعطاؤه اربع مائة وفي رواية اخرى انه لما قال له من ايكم كان فقال لا ادري فقلت انا من خلفه من بني ناج الذي يقول فيهم الشاعر ؎ واما بنو ناج فلا تذكرنهم ولا تتبعن عيناك من كان هالكا اذا قلت معروفا لتصلح بينهم يقول وهيب لا اسالم ذلكا وروي لا احاول ذلكا فاضحى كظهر العود جب سنامه تحوم عليه الطير احدب باركا وقد روي هذه الابيات لذي الاصبع ايضا ومن ابيات ذي الاصبع قوله ؎ الا ان ذا الضغن المبين انهم فامحك حتى يبدو الناب اجمع واهدنه بالقول هونا لو بدت حقيقته ما ابدى لباب تقرع يعني اهدنه اسكنه ومن قوله ايضا ؎ اذا ما الدهر جر على

اناس شراشره اناخ باخرينا فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا معنى الشراشر هاهنا الثقل يقال القى عليه شراشره وجراميزه اي ثقله وقوله ايضا ؎ وهم الذين اذا اراد بي معقلا يمشوا الي وربتوا بالمعقل وهم الذين اذا حملت حمالة ولقيتهم فكانني لم احمل ومن قوله ايضا وهو المشهور ؎ لي ابن عم على ما كان من خلق مختلفان فاقليه ويقليني ازرى بنا اننا شالت نعامتنا فخالني دونه بل خلته دوني لاه ابن عمك لا افضلت في حسب عني ولا انت دياني فتخزوني ولا تقوت عيالي يوم مسغبة ولا بنفسك في العزاء تكفيني ان الذي يقبض الدنيا ويبسطها ان كان اغناك عني سوف يغنيني عني ... [illegible]

الاصابع ؎ فقال ولم سمي ذو الاصبع فقال لا ادري فقلت انا من خلفه نهشته حية على اصبعه فاقبل عليه وتركني

٢ الناره

٢ معضني

٢ اوالي

ويقال انه بقي الى ايام بني امية وروي انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له
يا ربيع اخبرني عما ادركت من المدى والعمر ورايت من الخطوب الماضية
قال انا الذي اقول ها انا ذا آمل الحيوة وقد ادرك عقلي ومولدي حجرا قال عبد
الملك قد رويت هذا من شعرك وانا صبي قال وانا القائل شعر اذا عاش
الفتى مائتين عاما فقد ذهب اللذاذة والفتاء فقال عبد الملك قد رويت
هذا من شعرك وانا غلام وابيك يا ربيع لقد طلبك جد غير عاثر ففصل لي عمرك
قال عشت مائتي سنة في فترة عيسى ومائة وعشرين في الجاهلية وستين سنة
في الاسلام قال فاخبرني عن فتية من قريش متواطي الاسماء قال سل عن ايهم
شئت قال اخبرني عن عبد الله بن عباس قال فهم وعلم وعطاء جذم
ومقرى ضخم قال فاخبرني عن عبد الله بن عمر قال حلم وعلم وطول كظم وبعد
من الظلم قال فاخبرني عن عبد الله بن جعفر قال ريحانة طيب ريحها لين مسها
قليل على المسلمين ضررها قال فاخبرني عن عبد الله بن الزبير قال جبل وعر ينحدر منه
الصخر قال لله درك يا ربيع ما اعرفك بهم قال قرب جواري وكثر استخباري
قال المرتضى رضي الله ان كان هذا الخبر صحيحا فيشبه ان يكون سوال عبد الملك
له انما كان في ايام عطلته لا في ايام دولته وولايته لان الربيع يقول في الخبر انه عاش
في الاسلام ستين سنة وعبد الملك ولي سنة خمس وستين من الهجرة فان كان
صحيحا فلا بد مما ذكرناه فقد روي ان الربيع ادرك ايام معاوية وقال ان الربيع عاش
مائتي سنة قال شعر الا ابلغ بني بني ربيع فاشرار البنين لكم فداء باني قد
كبرت ودق عظمي فلا تشغلكم عني النساء وان كنائني لنساء صدق فما
الّى بني ولا اساؤا اذا كان الشتاء فادفئوني فان الشيخ يهدمه الشتاء واما
حين يذهب كل قر فسربال خفيف او رداء اذا عاش الفتى مائتين عاما
فقد ذهب اللذاذة والفتاء وقال وقد بلغ عمره مائتين واربعين سنة شعر اصبح مني
الشباب قد حسرا ان ينا عني فقد ثوى عصرا ودعنا قبل ان نودعه

لما قضى

لما قضى من جمعنا وطرا ها انا ذا آمل الحيوة وقد ادرك عقلي ومولدي حجرا
ابا امرئ القيس هل سمعت به هيهات هيهات طال ذا عمرا
اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا والذئب
اخشاه ان مررت به وحدي واخشى الرياح والمطرا من بعد قوة اسر بها
اصبحت شيخا اعالج الكبرا قوله عطاء جذم اي سريع وكل شيء اسرعت
فيه فقد جذمته وفي الحديث اذا اذنت فترسل واذا اقمت فاجذم
اي اسرع والمقرى الاناء الذي يقرى فيه وقوله فما الّى بني ولا اساؤا
اي ما قصروا والالي المقصر اي لم يقصروا مجلس آخر ومن المعمرين ابو الطمحان واسمه حنظلة
بن الشرقي من بني كنانة بن القين قال ابو حاتم عاش ابو الطمحان القيني مائتي
سنة فقال في ذلك شعر حنتني حانيات الدهر حتى كاني خاتل ادنو
لصيد قصير الخطو يحسب من رآني ولست مقيدا اني بقيد ويروى
قريب الخطو قال ابو حاتم وحدثني عدة من اصحابنا انهم سمعوا يونس بن حبيب
ينشد هذين البيتين وينشد ايضا شعر تقارب خطو رجلك يا سويد وقيدك
الزمان بشر قيد وهو القائل ايضا شعر واني من القوم الذين هم هم اذا مات
منهم سيد قام صاحبه نجوم سماء كلما غار كوكب بدا كوكب تاوي اليه
كواكبه اضاءت لهم احسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه وما زال
منهم حيث كان مسود تسير المنايا حيث سارت كتائبه ومعنى البيتين
الاولين يشبه قول اوس بن حجر شعر اذا مقرم منا ذرى حد نابه تخمط فينا ناب
آخر مقرم وللطفيل الغنوي مثل هذا وهو قوله شعر كواكب دجن كلما انقض
كوكب بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب وقد اخذ الخزيمي هذا المعنى فقال
شعر اذا قمر منا تغور او خبا بدا قمر في جانب الافق يلمع ومثل ذلك شعر
خلافة اهل الارض فينا وراثة اذا مات منا سيد قام صاحبه ومثله شعر اذا سيد
منا مضى لسبيله اقام عمود الملك آخر سيد وكان فراجا العقيلي نظر الى

قول ابي الطمحان واحسن كل الاحسان في قوله: وجوه لو ان المدلجين اعتشوا بها · صدع الدجى حتى ترى الليل ينجلي · ويقارب ذلك قول جهمة بن المضرب السعدي · اضاءت لهم احسابهم فتضاءلت · لنورهم الشمس المضيئة والبدر · وانشد محمد بن يحيى الصولي في معنى قول الطمحان · من البكض الوجوه بني سنان · لو انك تستضيء بهم اضاءوا · هم حلوا من الشرف المعلى · ومن كرم العشيرة حيث شاؤوا · ولولا السماء دنت لمجد · ومكرمة دنت لهم السماء · وابو الطمحان القائل اذا كان في صدر ابن عمك احنة · فلا تستثرها سوف يبدو دفينها · وهو القائل · اذا شاء راعيها استقى من وقيعة · كعين الغراب صفوها لم يكدر · ويروى صفوها لم تكدر · والوقيعة المستنقع في الصخرة من الماء ويقال للماء اذا نزل من صخرة فوقع في بطن اخرى هو ماء الوقائع · وانشد والذي الرمة · ونلنا سقاطا من حديث كانه · جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع · ويقال للماء الذي يجري على الصخر ماء الحشرج وللماء الذي يجري بين الحصا والرمل ماء المفاصل وانشد لابي ذويب · مطافيل ابكار حديث نتاجها · تشاب كماء نبل جار المفاصل · وانشد ابو محلم لابي الطمحان · بني اذا ما سامك الذل قاهر · عزيز فبعض الذل اتقى واحرز · ولا تحم من بعض الامور تعززا · فقد يورث الذل الطويل التعزز · وهذان البيتان يرويان لعبد الله بن معوية الجعفري ويروى لابي الطمحان في هذا المعنى · يا رب مظلمة يوما لطئت لها · تمضي علي اذا ما غاب نصاري · حتى اذا ما انجلت انقضت عني عنايتها · وثبت فيها وثبة المحذري الضاري ·

ومنهم المعمرين عبد المسيح بن بقيلة الغساني وهو عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيلة وبقيلة اسمه ثعلبة وقيل الحرث وانما سمي بقيلة لانه خرج على قومه في بردين اخضرين فقيل ما انت الا بقيلة فسمي بذلك · وذكر الكلبي وابو محمد مخنف وغيرهما انه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة وادرك الاسلام فلم يسلم وكان نصرانيا · وروي ان خالد بن الوليد لما نزل على الحيرة وتحصن منه اهلها ارسل اليهم ابعثوا الي رجلا من عقلائكم وذوي اسنانكم فبعثوا اليه بعبد المسيح بن بقيلة فاقبل

بمشي حتى دنا من خالد فقال له انعم صباحا ايها الملك قال قد اغنانا الله عن تحيتك هذه فمن اين اقصى اثرك ايها الشيخ قال من ظهر ابي قال فمن اين خرجت قال من بطن امي قال فعلام انت قال على الارض قال ففيم انت قال في ثيابي قال اتعقل لا عقلت قال اي والله واقيد قال ابن كم انت قال ابن رجل واحد قال خالد ما رايت كاليوم قط اني اسئله عن الشيء فينحو في غيره قال ما اجبتك الا عما سالت فسل عما بدا لك قال اعرب انتم ام نبيط قال عرب استنبطنا ونبيط استعربنا قال فحرب انتم ام سلم قال بل سلم قال فما هذه الحصون قال بنيناها للسفيه نحذر منه حتى يجيء الحليم فينهاه قال كم اتى لك قال ثلثمائة سنة وخمسون سنة قال فما ادركت قال ادركت سفن البحر ترفا الينا في هذا الحرف ورايت المراة تخرج من الحيرة تضع مكتلها على راسها لا تزود الا رغيفا واحدا حتى تاتي ارض الشام ثم اصبحت خرابا يبابا وذلك داب الله في العباد والبلاد قال ومعه سم ساعة يقلبه في كفه فقال خالد وما هذا في كفك قال السم فقال له خالد وما تصنع به قال ان كان عندك ما يوافق قومي حمدت الله وقبلته وان كانت الاخرى لم اكن اول من ساق اليهم ذلا وبلاء اشربه واستريح من الدنيا فانما بقي من عمري اليسير قال خالد هاته فاخذه ثم قال بسم الله وبالله رب الارض والسماء الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء فاكله فتجللته غشية ثم ضرب بذقنه في صدره ساعة ثم عرق وافاق فرجع ابن بقيلة الى اهله فقال جئتكم من عند شيطان اكل سم ساعة فلم يضره فصانعوا القوم واخرجوهم عنكم فان هذا امر مصنوع لهم فصالحوهم على مائة الف درهم وانشا ابن بقيلة يقول · ابعد المنذرين ارى سواما · تروح بالخورنق والسدير · وبعد فوارس النعمان ارعى · قلوصا بين مرة والحفير · فصرنا بعد هلك ابي قبيس · كمثل الشاء في اليوم المطير · تقسمنا القبائل من معد · علانية كايسار الجزور · وكنا لا يرام لنا حريم · فنحن كضرة الضرع الفخور · نؤدي الخرج بعد خراج كسرى · وخرج من قريظة والنضير · كذاك الدهر دولته سجال · فيوم من مساءة او سرور ·

الشاهد

اخرى

لسفرين

هذا

صدره طويلا ثم عرق وافاق كانما انشط من عقال فرجع ابن بقيلة

نؤدي الخرج بعد خراج كسرى * وخرج من قريظة والنضير * كذاك الدهر دولته سجال
فيوم من مساءة او سرور * ويقال ان عبد المسيح بن بقيلة لما بنى الحيرة قصره
المعروف بقصر بني بقيلة قال * لقد بنيت للحدثان حصنا * لو ان المرء
تنفعه الحصون * طويل الراس اقعس مشمخرا * لانواع الرياح به حنين * ومما يروى
لعبد المسيح ابن بقيلة * والناس ابناء علات فمن علموا * ان قد اقل فمجفو
ومحقور * وهم بنون لام ان راوا نشبا * فذاك بالغيب محفوظ ومخفور *
وهذا يشبه قول اوس بن حجر * اني رايت الناس الا اقلهم * خفاف العهود
يكثرون التنقلا * بنو ام ذي المال الكثير يرونه * وان كان عبدا سيد الامر جحفلا
وهم لمقل المال اولاد علة * وان كان محضا في العمومة مخولا * وذكر ان
بعض مشايخ اهل الحيرة خرج الى ظهرها يختط ديرا فلما حفر موضع الاساس و
امعن في الاحتفار اصاب كهيئة البيت فدخله فاذا رجل على سرير من زجاج
وعند راسه كتابة انا عبد المسيح بن بقيلة * حلبت الدهر اشطره حياتي *
ونلت من المنى بلغ المزيد * وكافحت الامور وكافحتني * فلم اخضع لمعضلة كؤود *
وكدت انال في الشرف الثريا * ولكن لا سبيل الى الخلود * ومن المعمرين
النابغة الجعدي واسمه قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة
بن عامر بن صعصعة ويكنى ابا ليلى وروى ابو حاتم السجستاني قال كان النابغة
الجعدي اسن من النابغة الذبياني والدليل على ذلك قوله * تذكرت والذكرى
تهيج على الهوى * ومن حاجة المحزون ان يتذكرا * نداماي عند المنذر بن محرق *
ارى اليوم منهم ظاهر الارض مقفرا * كهول وفتيان كان وجوههم * دنانير
مما شيف في ارض قيصرا * فهذا يدل على انه كان مع المنذر بن محرق والنابغة
الذبياني كان مع النعمان بن المنذر بن محرق قوله كسف تغني حلي ذا المشنوف
المحلو ويقال ان النابغة غبر ثلاثين سنة لا يتكلم ثم تكلم بالشعر ومات وهو ابن
عشرين ومائة سنة باصبهان وكان ديوانه بها وهو الذي يقول في ذلك سالما

فيوم

سوى بالسنة اصوب

ورقه

في فتى فاني

فتى فاني * من الفتيان ايام الخنان * وايام الخنان ايام كانت للعرب
قد يهاج بهم فيها مرض في انوفهم وحلوقهم * مضت مائة لعام ولدت فيه *
وعشر بعد ذاك وحجتان * فابقى الدهر والايام مني * كما ابقى من السيف
اليماني * تفلل وهو ماثور جراز * اذا جمعت بقائمه اليدان *
وقال ايضا في طول عمره * لبست اناسا فافنيتهم * وافنيت بعد اناس اناسا *
ثلاثة اهلين افنيتهم * وكان الاله هو المستاسا المستعان
وروى هشام بن محمد الكلبي انه عاش مائة وثمانين سنة وروى ابن دريد
عن ابي حاتم في موضع اخر ان النابغة الجعدي عاش مائتي سنة وادرك
الاسلام وروى له * قالت امامة كم عمرت زمانه * وذبحت من عتر على الاوثان
العتيرة شاة تذبح لاصنامهم في رجب في الجاهلية
ولقد شهدت عكاظ قبل محلها * فيها وكنت اعد من فتيان * والمنذر بن
محرق في ملكه * وشهدت يوم هجائن النعمان * وعمرت حتى جاء احمد
بالهدى * وقوارع تتلى من القرآن * ولبست للاسلام ثوبا واسعا *
من سيب لا حرم ولا منان * وله ايضا في طول عمره * المرء يهوى ان يعيش *
وطول عيش ما يضره * تفنى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مره *
وتتابع الايام حتى * لا يرى شيئا يسره * كم شامت بي ان هلكت *
وقائل لله دره * ويروى ان النابغة الجعدي كان يفتخر ويقول اتيت
النبي ص فانشدته * بلغنا السماء مجدنا وجدودنا * وانا لنرجو فوق
ذلك مظهرا * فقال صلى الله عليه وآله اين المظهر يا ابا ليلى فقلت الجنة يا رسول
الله فقال اجل ان شاء الله ثم انشدته * فلا خير في حلم اذا لم يكن له
بوادر تحمي صفوه ان يكدرا * ولا خير في جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما
اورد الامر اصدرا * فقال لا يفضض الله فاك وفي رواية اخرى لا
يفضض فوك فيقال ان النابغة عاش عشرين ومائة سنة لم يسقط له سن ولا ضرس

وفي رواية اخرى قال فرايته وقد بلغ الثمانين ترف غروبه وكان كلما سقطت منه
ثنية نبتت له اخرى وكانها هو احسن الناس ثغرا ومعنى ترف تبرق وكان الما
يقطر منها قال المرتضى ويماثل قوله الى الجنة في جواب قول النبي ص الى اين يا
ابا ليلى وان كان يتضمن العكس من معناه ما روي من دخول الاخطل على عبد الملك
بن مروان مستغيثا من فعل الجحاف السلمي وانه انشده

لقد اوقع الجحاف بالبشر وقعة ... الى الله منها المشتكى والمعول
فان لم تغيرها قريش بحلمها ... يكن عن قريش مستماز ومرحل

فقال له عبد الملك الى اين يا ابن اللخناء فقال الى النار فقال لو قلت غيرها قطعت لسانك
فقوله الى النار تخلص مليح على البديهة كما تخلص الجعدي بقوله الى الجنة واول قصيدة
الجعدي التي ذكرنا منها الابيات

خليلي عوجا ساعة وتهجرا ... ولوما على ما احدث الدهر او ذرا
ولا تسألا ان الحيوة قصيرة ... فطيرا لروعات الحوادث او قرا
وان كان امر لا تطيقان دفعه ... فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا
الم تعلما ان الملامة نفعها ... قليل اذا ما الشيء ولى فادبرا
تهيج البكاء والملامة ثم ما ... يقرب منا غير ما كان قدرا
لوى انه علم الغيب عن سواه ... ويعلم منه ما مضى وتاخرا
وجال رق ما احتوى من نعي ... سهيلا اذا ما لاح ثم تغورا

يريد اني كنت بالشام وسهيلا لا يكاد يرى هناك وهذا البيت معناه مثل قول

ونحن اناس لا نعود خيلنا ... اذا ما التقينا ان تحيد وتنفرا
وننكر يوم الروع لو ان خيلنا ... من الطعن حتى نحسب الجون اشقرا
وليس بمعروف لنا ان نردها ... صحاحا ولا مستنكرا ان تعقرا

اخبرنا المرزباني قال انشدنا علي بن سليمان الاخفش قال انشدنا احمد بن يحيى قال انشدنا
محمد بن سلام وغيره للنابغة الجعدي

تلوم على هلك البعير ظعينتي ... وكنت على لوم العواذل زاريا
الم تعلمي اني رزئت محاربا ... فما لك منه اليوم شيء ولا ليا
ومن قبله ما قد رزئت بوحوح ... وكان ابن امي والخليل المصافيا
فتى كملت خيراته غير انه ... جواد فما يبقي من المال باقيا
فتى تم فيه ما يسر صديقه ... على ان فيه ما يسوء الاعاديا

وروي كان فيه

وروي كان فيه ما يسر صديقه ... اشم طويل الساعدين سميدع
اذا لم يرح للمجد اصبح غاديا

السميدع السيد ومما يروى للنابغة الجعدي

عقيلية او من هلال بن عامر ... بذي الرمث من وادي المياه خيامها
اذا ابتسمت في البيت والليل دونها ... اضاء دجى الليل البهيم ابتسامها

وذكر الاصمعي عن ابي عمرو بن العلاء قال سئل الفرزدق بن غالب عن النابغة الجعدي فقال صاحب خلقان
يكون عنده مطرف بالف وخمار بواف قال الاصمعي وصدق الفرزدق
بينا النابغة في كلام اسهل من الزلال واشد من الصخر اذ لان وذهب ثم انشد
له

سمالك هم ولم تطرب ... وبت ببث ولم تنصب
وقالت سليمى اري راسه ... كناصية الفرس الاشهب
وذلك من وقعات المنون ... ففيئي اليك ولا تعجبي
اتين على اخوتي سبعة ... وعدن على ربعي الاقرب
فادخلك الله برد الجنان ... جذلان في مدخل طيب

فلان كلامه حتى
لو ان ابا الشمقمق لو قال هذا البيت لكان رديا ضعيفا. قال الاصمعي وطريق
الشعر اذا ادخلته في باب الخير لان الا ترى ان حسان بن ثابت كان علا
في الجاهلية والاسلام فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وحمزة وجعفر وغيرهما لان شعره

مجلس تاسع عشر مسئلة تتعلق بما ذكرناه

ان سأل سائل
فقال كيف يصح ما اوردتموه من تطاول الاعمار وامتدادها وقد علمتم ان
كثيرا من الناس ينكر ذلك ويحيله ويقول انه لا قدرة عليه ولا سبيل اليه
ومنهم من ينزل في انكاره درجة فيقول ان كان جائزا من طريق القدرة
والامكان فانه مما يقطع على انتفائه لكونه خارقا للعادات وان العادات
اذا وثق الدليل بانها لا تنخرق الا على سبيل الابانة والدلالة على صدق نبي
من الانبياء عليهم السلام علم ان جميع ما روي من زيادة الاعمار على العادة
باطل مصنوع لا يلتفت الى مثله الجواب قيل له اما من ابطل تطاول الاعمار
على العادة فباطل من حيث الاحالة واخرجه عن باب الامكان فقوله ظاهر الفساد

ففيئي
ثم دنو العدم

لأنه لو علم ما العمر في الحقيقة وما المقتضي لدوامه وانقطاعه وإذا انقطع لعلم أن جواز
امتداده كما علمناه والعمر استمرار كون من يجوز أن يكون حيا وغير حي حيا
وإن شئت أن تقول هو استمرار كون الحي الذي لكونه على هذه الصفة
ابتدأ حيا وإنما شرطنا الاستمرار لأنه يبعد أن يوصف من كان حيا في حالة واحدة
حيا بأن له عمرا بل لا بد من أن يكون ذلك ضربا من الامتداد والاستمرار
وإن قل وشرطنا جواز أن يكون غير حي أو يكون لكونه حيا ابتداء احترازا
من أن يلزم عليه القديم تعالى لأنه جلت عظمته ممن لا يوصف بالعمر وإن استمر
كونه حيا فقد علمنا أن المختص بفعل الحياة القديم تعالى وفيما يحتاج إليه الحياة من
البنية وغيرها من المعاني ما يختص به عز وجل فلا يدخل إلا تحت مقدور حالي كالرطوبة
وما جرى مجراها فمتى أراد فعل القديم تعالى الحياة وما يحتاج إليه من البنية وهي
مما يجوز عليه البقاء وكذلك ما يحتاج إليه فليس من ينفي الا بضد تطرأ عليها
أو بضد ينفي ما يحتاج إليه والأقوى أنه لا ضد لها في الحقيقة وإنما ينفي بانتفاء
ما يحتاج إليه ولو كان للحياة ضد على الحقيقة لم يخل ما يقصده في هذا الباب
فمهما لم يفعل القديم تعالى ضدها أو ضد ما يحتاج إليه ولا نقض منها ما قصر بها استمر
كون الحي حيا ولو كانت الحياة الضا لا تبقى على مذهب من رأى ذلك
لكان ما قصدناه صحيحا لأنه تعالى قادر على أن يفعلها حالا فحالا ويوالي بين فعلها
وبين فعل ما يحتاج إليه فيستمر كون الحي حيا فأما ما يعرض من الهرم بامتداد الزمان
وعلو السن وتناقص بنية الإنسان فليس مما لا بد منه وإنما أجرى الله تعالى
العادة بأن يفعل ذلك عند تطاول الزمان ولا إيجاب هناك ولا تأثير
للزمان على وجه من الوجوه وهو تعالى قادر على أن لا يفعل ما أجرى العادة
بفعله وإذا ثبتت هذه الجملة ثبت أن تطاول العمر ممكن غير مستحيل وإنما
أتي من أحال ذلك من حيث اعتقد أن استمرار كون الحي حيا موجب عن
طبيعة وقوة لها مبلغ من المادة متى انتهيا إليها انقطعا واستحال أن تدوما

ولو اضافوا

ولو اضافوا ذلك إلى فاعل مختار متصرف لخرج عندهم عن باب الإحالة
فأما الكلام على دخول ذلك في العادة أو خروجه عنها فلا شك أن العادة
قد جرت في الأعمار بأقدار متقاربة يعد الزائد عليها خارقا للعادة إلا أنه
قد ثبت أن العادات قد تختلف في الأوقات وفي الأماكن أيضا
ويجب أن يراعى في العادة إضافتها إلى من هي عادة له في المكان والوقت
وليس يمتنع أن يقل ما كانت العادات به جارية على تدريج حتى يصير حدوثه
خارقا للعادات بغير خلاف ولا أن يكثر الخارق للعادة حتى يصير حدوثه
غير خارق لها على خلاف فيه وإذا صح ذلك لم يمتنع أن يكون العادات في
الزمان الغابر بها كانت جارية بتطاول الأعمار وامتدادها ثم تناقص ذلك
على تدريج حتى صارت عادتنا الآن جارية بخلافه وصار ما يبلغ مبلغ تلك الأعمار
خارقا للعادة وهذه جملة كافية فيما أوردناه

باب في الجوابات الحاضرة المسكتة التي يسميها قوم المسكتة

اعلم أن أجوبة المناظرة والمحاورة إنما يستحسن ويتزايد إذا جمعت مع الصواب
سرعة الحضور فكم من جواب أتى بعد لأي وورد بعد تقاعس لم يكن له في
النفوس حلاوة ولا أحل في القلوب محل الحاضر السريع وإن كان المتثاقل
أعرق في نسب الإصابة وأخذ بأطراف الحجة ولهذا قيل أحسن الناس
جوابا أحضرهم قريش ثم العرب وإن الموالي تأتي أجوبتها بعد لأي وفكرة
وروية وقد مدح الجواب الحاضر بجل لسان فقال صحار العبدي لمعاوية بن أبي
سفيان وقد سأله عن البلاغة فقال أن تجيب فلا تخطئ وتسرع ولا تبطئ
ثم اختصر ذلك فقال لا تخطئ ولا تبطئ ولطول الفكرة والإغراق في الروية
هذه عيوب ولأن لا يحمد فيها التسرع والتعجل كما لا يحمد فيه أو أن السرعة التي
والتأني وإنما يحمد السرعة في أجوبة المحاورة والمناظرة وتزاد الفكر والروية في الأمور
المستخرجة والأمور المستنبطة التي على الإنسان فيها مهلة وله في تأملها فسحة

ولا عيب عليهما في اطالة التأمل واعادة التصفح ولهذا قال الاحنف بن قيس اغبوا الرأي
فان ذلك يكشف لكم عن محضه وقال عبد الله بن وهب لما ارادة الخوارج على الكلام
حسن عقده واله للآخر في الراي الفطير والكلام القضيب وشاور ابن التوأم الرقاشي
فامسك عن الجواب فقال ما احب الخبز الا بائتا فاما قوطه ثلث نعوض وحمين
سرعة الجواب وكذا الجواب والسرعة بجل احد محمول على الاعراب الجواب عند الراي
والمشاورة والاحوال التي يستحب فيها التأني والتثبت وعلى الاسراع من غير تحصيل
ولا ضبط وذلك مذموم لا اشكال فيه ونعود الى ما قصدناه ويروى ان بعض الزنادقة
عليه السلم سالته متى يعرف الانسان ربه فقال عليه السلم اذا عرف نفسه و
قال اتى رسول الله صلى الله عليه واله رجل فقال اني لاكره الموت فقال عليه السلم
لك مال قال نعم قال فقدم مالك فان قلب امرء عند ماله وقال يهودي
لامير المومنين عليه السلم ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فقال عليه السلم انما اختلفنا
عنه ولم نختلف فيه ولكنكم ما جفت ارجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم
الهة قال انكم قوم تجهلون ويروى انه عليه السلم لما فرغ عن دفن الرسول عليه واله
السلم سال عن خبر السقيفة فقيل له ان الانصار قالت منا امير ومنكم امير فقال عليه السلم
فهلا ذكرت الانصار قول النبي عليه السلام يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم فكيف
يكون الامر فيهم والوصاة بهم وقيل له عليه السلم ما طعم الماء فقال طعم الحيوة وقيل له
عليه السلم كم بين المشرق والمغرب فقال عليه السلم مسيرة يوم للشمس واثنى رجل
عليه فقال له انا دون ما تقول وفوق ما في نفسك وكان عليه السلم اذا اطراه رجل
اللهم انك اعلم بي منه وانا اعلم بنفسي فاغفر لي ما لا يعلم اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني
قال حدثني عبد الواحد بن محمد الخصيبي قال حدثني ابو علي احمد بن اسماعيل قال حدثني الحسن
بن الحسن الهاشمي قال كان في زمن الرشيد رجل من الانصار يقال له نفيع وكان عريضا
قال فحضر باب الرشيد يوما ومعه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وحضر موسى بن جعفر عليهما السلم
على حمار له فتلقاه الحاجب بالبشر والاكرام واعظمه من كان هناك وعجل له الاذن فقال نفيع

لعبد العزيز

لعبد العزيز من هذا الشيخ قال اوما تعرفه قال لا قال هذا شيخ آل ابي طالب هذا
موسى بن جعفر قال ما رايت اعجز من هؤلاء القوم يفعلون هذا برجل يقدر ان
يزيلهم عن السرير اما ان خرج لاسوءنه فقال له عبد العزيز لا تفعل فان هؤلاء اهل بيت
قل ما تعرض لهم احد في خطاب الا وسموه في الجواب سمة يبقى عارها عليه مدى
الدهر قال وخرج موسى بن جعفر عليهما السلم فقام اليه نفيع الانصاري واخذ بلجام
حماره ثم قال من انت فقال يا هذا ان كنت تريد النسب فانا ابن محمد
حبيب الله ابن اسمعيل ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وان كنت تريد البلد
فهو الذي فرض الله عز وجل على المسلمين وعليك ان كنت منهم الحج اليه
وان كنت تريد المفاخرة فوالله ما رضي مشركو قومي مسلمي قومك اكفاء
لهم حتى قالوا اخرج الينا اكفاءنا من قريش وان كنت تريد الصيت والاسم
فنحن الذين امر الله تعالى بالصلوة علينا في الصلوات الفرائض في قوله اللهم صل
على محمد وآل محمد ونحن آل محمد خل عن الحمار قال فخلى عنه ويده ترعد وانصرف
بخزي فقال له عبد العزيز الم اقل لك وقال ان معوية استشار الاحنف
بن قيس في عقد البيعة لابنه يزيد فقال انت اعلم بليله ونهاره وقال احمد
بن يوسف لابي يعقوب الخريمي مدحك لمحمد بن منصور اجود من مراثيك
فيه فقال كنا نعمل للرجاء واليوم للوفاء وبينهما بون ودخل مطيع بن اياس
على الهادي في حيوة المهدي فدهش فقال السلم عليك يا امير المومنين فقيل
له مه فقال بعد امير المومنين وقال معوية لعقيل بن ابي طالب وكان جيد الجواب
حاضره انا خير لك من اخيك فقال عقيل ان اخي اثر دينه على دنياه
وانك آثرت دنياك على دينك فاخي خير لنفسه منك وانت خير لي منه
وقال له يوما ان فيكم لشبقا يا بني هاشم فقال هو منا في الرجال ومنكم في النساء
وقال له يوما وقد دخل عليه هذا عقيل عمه ابو لهب فقال عقيل هذا معوية
عمته حمالة الحطب وعمة معوية ام جميل بنت حرب بن امية وكانت امراة

ابي لهب وقال له يوماً يا ابا يزيد اين ترى عمك ابا لهب فقال له عقيل اذا
دخلت النار فانظر عن يسارك تجده مفترشاً عمتك فانظر ايهما اسوء حالا
الناكح ام المنكوح وقال له ليلة الهرير بصفين يا ابا يزيد انت معنا الليلة قال ويوم
بدر كنت معكم وقيل لسعيد بن المسيب وقد كف الا تفتح عينيك فقال الى
على من ودخل معن بن زائدة على المنصور فقال له كبرت يا معن قال في
طاعتك قال وانك لتتجلد قال على اعدائك قال وان فيك لبقية قال هي لك
وقال عبيد الله بن زياد لمسلم بن عقيل والله لاقتلنك قتلة يتحدث
بها بعدك فقال مسلم اشهد انك لا تدع سوء القتلة ولؤم الغدرة اذ لا
احد اولى بها منك وقال رجل لعمرو بن العاص لا تقر عينك وقال اذا
وقعت في الشغل وقال معوية لعمرو بن سعيد العاص الملقب بالاشدق الى من
اوصى بك ابوك قال ان ابي اوصى الي ولم يوص بي وقال عبيد الله بن
زياد بن ظبيان لابنه وقد حضرته الوفاة قد اوصيت بك فلانا فالتفت نحوه وقال
يا ابه اذا لم يكن للحي الا وصية الميت فالحي هو الميت فقال الوليد بن يزيد
لابن الرقاع العاملي انشدني بعض قولك في الخمر فانشده كميت
اذا شجت وفي الكاس وردة لها في عظام الشاربين دبيب فقال له
شربتها ورب الكعبة فقال له ابن الرقاع لئن كان نعتي لها رابك لقد رابني
معرفتك بها ولما اتى معوية نعي الحسن ~~واظهر سرورا فقال~~ بن علي عليهما السلام
بعث الى ابن عباس وهو لا يعلم الخبر فقال له هل عندك خبر من المدينة قال
لا قال اتى نعي الحسن واظهر سرورا فقال اذا لا ينسا الله في اجلك ولا يسد
حفرتك قال واحسبه قد ترك اصيبية صغارا قال كلنا كان صغيرا فكبر قال
واحسبه قد كان بلغ ستين قال مثل مولده لا يجهل قال معوية لو قال ايها
انك اصبحت سيد قومك قال اما ما دام ابو عبد الله الحسين بن علي حيا فلا قال فلما
كان من الغد اتى يزيد بن معوية ابن عباس وهو في المسجد يعزي فجلس بين

يديه جلسة الموتور واظهر حزنا وغما فلما انصرف اتبعه ابن عباس بصره وقال اذا ذهب
آل حرب ذهب حلم قريش وروي ان وفودا دخلت على عمر بن عبد العزيز فاراد
فتى منهم الكلام فقال عمر ليتكلم اكبركم فقال الفتى ان قريشا لترى فيها من هو اسن
منك فقال تكلم يا فتى وروى محمد بن سلام الجمحي قال انشد كثير عبد الملك بن
مروان على ابن ابي العاص دلاص حصينة اجاد المسدي نسجها فاذالها فقال
هلا قلت كما قال الاعشى واذا تكون كتيبة ملمومة شهباء يخشى الذائدون نهالها
كنت المقدم غير لابس جنة بالسيف تضرب معلما ابطالها فقال انه وصفه
بالخرق ووصفتك بالحزم ويشبه ذلك ما روي عن ابي عمرو بن العلاء انه لقي ذا
الرمة فقال انشدني قصيدتك ما بال عينك منها الماء ينسكب
فانشده اياها فلما انتهى الى قوله تصغي اذا شدها بالكور جانحة حتى اذا ما استوى
في غرزها تثب فقال ابو عمرو قول عمك الراعي احسن مما قلت وهو
نزالها اذا قام في غرزها كمثل السفينة او اوقر ولا تعجل المرء عند الورك وهي
بركبته ابصر فقال ذو الرمة ان الراعي وصف ناقة ملك وانا وصفت
ناقة سوقة وحكى الصولي ان اعرابيا سمع ذا الرمة ينشد بيته الذي جلبناه قال
سقط والله الرجل فاما الكور فهو للناقة مثل الركاب للدابة وهو نسع مضفور
وقوله تصغي تريد تميل راسها كانها تسمع ولانها ليست بنفور بل مودبة مقومة
والكور الرحل وقد اخذ هذا المعنى ابو نواس فاحسن نهاية الاحسان فقال يصف
ناقة في مدح الخصيب بن عبد الحميد وكانها مصغ لتسمعه بعض الحديث باذنه
وقر ولم يرض بان وصفها بالاصغاء حتى وصفها بالوقر وهو الثقل في الاذن
لان المثقل السمع يكون اصغاؤه وميله الى جهة الحديث اشد واوكد قال الشريف
المرتضى رضي الله عنه واني لاستحسن القصيدة التي من جملتها البيت الذي اوردناه
لابي نواس لانها دون العشرين بيتا وفيه نسب في اولها ووصف الناقة بابدع
وصف ثم مدح الرجل الذي قصد مدحه واقتضاه حاجته كل ذلك بطبع متدفق



واللون مرتد وانما قدمني اليك عقلي فيه لي وقال مروان بن محمد الملقب بالحمار
لحاجبه وقد ولى منهزما كر عليهم بالسيف فقال لا طاقة لي بذلك فقال والله لئن لم
تفعل لاسوءنك وقال وددت انك تقدر على ذلك وقال يحيى بن خالد لشريك
علمنا مما علمك الله يا ابا عبد الله فقال شريك اذا اعطيتم ما تعلمون علمناكم ما تجهلون
وقال المامون لمحمد بن عمران بلغني انك بخيل فقال ما اجمد في حق ولا اذوب في باطل
وقيل لابي داود الايادي ونظر الى بنيه تشويش فرسه واهتمامه يا ابا داود فقال
اشبهها بكرامتي كما اكرمتهم ولن نكرم النفس التي لا نهينها ودخل عمارة بن حمزة على
المنصور فجلس مجلسه الذي كان يجلس فيه فقام رجل الى المنصور فقال يا عمارة فاجلس
مع خصمك فقال عمارة ما هو لي بخصم قال وكيف قال ان كانت الضيعة له
فلست انازعه فيها وان كانت لي فهي له ولا اقوم من مجلس شرفني به امير المؤمنين
لاقعد في ادنى منه بسبب ضيعة وقال هشام بن عبد الملك لرجل في الكعبة سلني حاجتك
قال اني لاستحيي في بيت الله من غير الله وهرب سليمان بن عبد الملك من الطاعون فقيل له
ان الله تعالى يقول قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون
الا قليلا قال ذلك القليل نطلب وقيل ان المجوس دبروا حيلة في قارورة ترابا
وماء واستحال دودا وهوام فقال لا يحيى انا خلقت ذلك لاني كنت سبب كونه
فبلغ ذلك جعفر بن محمد عليهما السلام فقال عليه السلام فليقل كم هو وكم الذكر منه والاناث
ان كان خلقه وكم وزن كل واحدة منهن وليامر الذي يسعى الى هذا ان يرجع
الى غيره فانقطع وهرب وقال المامون للفضل بن سهل اني اخاف عليك اقول ما تعاود
فاذا ركبت فلا تركب الا في حبس فقال الفضل ما اخاف غيرك فان امنتني من نفسك
لم يقدر علي انسان وقيل لابي ثور ما تقول في خالد بن يزيد بن درهم وخالد بن سلمة وعمار
فقال بينهما في العلم كعمه ما بين ابويهما في الشرف واراد المامون تقبيل السواد وجلس سائر
الناس على ذلك فقام اليه رجل من الداخلين فقال يا امير المؤمنين ان الله سبحانه اتاك
علينا باسمه فلا تفضلنا فانصرف عن ذلك وقال رجل لابن عباس زوجني من فلانة

وكانت يتيمة في حجره فقال لا ارضاها لك لانها تستشرف قال انا اقدر صنيتها فقال
ابن عباس الآن لا ارضاها لك ويشبه هذا الجزم من وجه ما رواه
المدائني فلما ارسل عمرو بن عبد العزيز رجلا من اهل الشام وامره ان يجمع بين اياس
بن معاوية المزني وبن القسم بن ربيعة الحوشي من بني عبد الله بن غطفان فيولي
القضاء اقدمها فقدم الرجل البصرة فجمع بينهما فقال اياس للشامي سل عني وعن
القاسم فقيهي المصر الحسن وابن سيرين ممن اشار اليك بتوليته فوليه وكان
القسم ممن ياتي الحسن وابن سيرين ولم يكن اياس ياتيهما فعلم القسم انه ان سالهما اشارا
بتوليته فقال للشامي لا تسل عني ولا عنه فوالذي لا اله الا هو ان اياسا
افضل وافقه واعلم بالقضاء فان كنت عندك ممن يصدق انه ينبغي ان تقبل
مني وان كنت كاذبا فما يحل لك ان توليني وانا كاذب فقال اياس للشامي
انك جئت برجل فاقمته على شفير جهنم وافتدى نفسه من النار ان تقذفه فيها
بيمين حلفها كذب فيها يستغفر الله منها وينجو مما يخاف فقال الشامي اما اذ فطنت
لذا فاني اوليك القضاء فاستقضاه ولما احتضر معاوية سمع رجلا جعل الناس
يقولون فقال نزيد لابنه ما ندري الخدع للناس ام نحن عوتنا فقال معاوية يا بني من خدعته
فتخادع لك لينجيه منك فقد خدعته وسمع عبد الملك بن مروان ليلة قبض وهو
يجود بنفسه وقد سمع صوت قصار يقول ليتني كنت غسالا لا اعيش بما اكسب يوما
فبلغ ذلك للوهارم فقال الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ولا
نتمنى في الحياة ما هم فيه وقال الواثق للجاحظ يا امامي فقال لو كان الذي تصفني
الله عبدك ما قدرت على جحة لكثرة عيوبه فكيف اكون على دينه وقال ابن عباس
الى الخوارج وقد ارسله امير المؤمنين نشدتكم الله ايما اعلم بالتاويل والتنزيل علي
ام انتم فقالوا علي فقال البس تردون لعلي الذي حكم منكم بفضل علمه على ما لا
تعلمون فرجع اكثرهم وقال عنبسة بن ابي سفيان لعبد الله بن العباس منا قدح علي بن ابي طالب
ان يجعل احد الحكمين فقال اما والله لو بعثني لاعترضت مدارج انفاسه الطيب

اذا استف واشتف اذا الى ر ولعقدت له عقدا لا ينتقض مر برمته ولا يدرك
طرفاه ولكن سبق قدر ومضى اجل والاخص خرقة خير لامير المومنين من الدنيا و
قال ابو جعفر محمد بن علي صلوات الله عليهما الكثير امتدحت عبد الملك بن مروان
فقال الم اقل له امام الهدى انما قلت يا شجاع والشجاع هو الحية وبالاسد
والاسد هو الكلب وما غيث والغيث موات فتبسم ابو جعفر عليهما السلم
وقالت بنت وعبد الله بن مطيع لزوجها يحيى بن طلحة ما رايت الام من اصحابك
اذا ايسرت لزموك واذا اعسرت تركوك فقال هذا من كرمهم ياتونا في حال
القوه منا عليهم ويفارقونا في حال الضعف منا عنهم وقيل لابراهيم النخعي متى
كنت قال حين اصبح وراى رجل يصلي صلوة خفيفة فقيل له ما هذه
الصلوة فقال صلوة ليس فيها رياء اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال
حدثني محمد بن ابي الازهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال تزعم الرواة ان قتيبة
ابن مسلم لما فتح ويعرفهم اقدار القوم الذين ظهر عليهم فامر بدار ففرشت

[في الهامش: سمرقند افضى الى اثاث لم ير مثله والات لم يسمع بمثلها فاراد ان يرى الناس عظم ما فتح صح]

وفي صحنها قدور يرتقى اليها بسلاليم فاذا الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة
الرقاشي قد اقبل والناس جلوس على مراتبهم والحضين شيخ كبير فلما راه
عبد الله بن مسلم اخو قتيبة قال لقتيبة ائذن لي في معاتبته قال لا ترده
فانه خبيث الجواب فابى عبد الله الا ان ياذن له وكان عبد الله يضعف وكان
قد تسور حائطا الى امراة قبل ذلك فاقبل على الحضين فقال امن الباب دخلت
يا ابا ساسان فقال اجل اسن عمك عن تسور الحيطان قال ارايت هذه
القدور قال هي اعظم من ان لا ترى قال ما احسب بكر بن وائل راى مثلها
قال اجل ولا عيلان ولو راها سمي شبعان ولم يسم عيلان فقال له عبد الله يا ابا ساسان
اتعرف الذي يقول عزلنا وامرنا وبكر بن وائل تجر خصاها تبتغي من تحالف
قال اعرفه واعرف الذي يقول كان فقاح الازد حول ابن مسمع اذا عرقت
افواه بكر بن وائل فقال اعرفه واعرف الذي يقول قوم قتيبة امهم واخوهم

[في الهامش: عزلنا م]

[في الهامش: وخيبة من يخيب على غني وباهلة بن يعصر والرباب فقال اعرفه واعرف الذي يقول]

لولا

لولا قتيبة اصبحوا في مجهل قال اما الشعر فاربك تروية ولكن هل تقرا من القران شيئا
اقرا منه الكثير الطيب هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا
قال فاغضبه فقال والله لقد بلغني ان امراة الحضين حملت اليه وهي حبلى من غيره
فما تحرك الشيخ عن هيئته الاولى ثم قال على رسله وما يكون تلد غلاما على فراشي فيقال
ابن الحضين كما يقال عبد الله بن مسلم فاقبل قتيبة على عبد الله فقال لا يبعد الله غيرك
ولقي شريك النميري رجلا من بني تميم فقال له التميمي يعجبني من الجوارح البازي المطل
على نمير اتيح من السماء لها انصبابا واراد شريك بقوله اذا اصطاد القطا قول
الطرماح تميم بطرق الروم اهدى من القطا ولو سلكت طرق المكارم ضلت
وساير شريك النميري عمر بن هبيرة الفزاري على بغلة فجاوزت بغلته برذون
عمر فقال له عمر اغضض من لجامها فقال شريك انها مكتوبة فقال عمر ما اردت
ذلك فقال شريك ولا انا اردت وانما ظن شريك ان عمر اراد بقوله اغضض
لجامها قول جرير فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا
وعنى شريك بقوله مكتوبة قوله لا تامنن فزاريا خلوت به على قلوصك
واكتبها باسيار ومعنى اكتبها اشددها وانشد ابو تمام الطائي احمد بن المعتصم
قصيدته السينية التي يمدحه فيها فلما بلغ الى قوله في حلم احنف في شجاعة عامر
في جود حاتم في ذكاء اياس قال له الكندي وكان حاضرا ما صنعت شيئا قال وكيف
قال لان شعراء دهرنا قد تجاوزوا بالممدوح من كان قبله الا ترى الى قول
ابي العكوك في ابي دلف رجل ابر على شجاعة عامر باسا وغبر في محيا
حاتم فاطرق الطائي ثم رفع راسه فانشد لا تنكروا ضربي له من دونه
مثلا شرودا في الندى والباس فالله قد ضرب الاقل لنوره مثلا
من المشكاة والنبراس وقال ابن هبيرة لابي دلامة وكان مولى لبني اسد
لما ظهرت المسودة لا تجدن لك منهم عبدا اضافيا تخدمك فلما علت كلمتهم
وفشت دعوتهم قال ابو دلامة ليت الله قيض لي فيهم موالي صالحا اتخذه

[في الهامش: فقال له شريك وخاصة اذا اصطاد القطا اراد التميمي بقوله البازي قول جرير انا البازي]

[في الهامش: وغبر]

وقال يحيى بن خالد لعبد الملك بن صالح الهاشمي ان خصالك كاملة لولا
حقد فيك فقال انا خزانة تحفظ الشر والخير وقد نظر الرومي الى هذا المعنى
بما الحقد الا توأم الشكر في الفتى وبعض السجايا ينتسبن الى بعض فحيث ترى
حقدا على ذي اساءة فثم ترى شكرا على حسن القرض اذا الارض
ادت ريع ما انت زارع من البذر فيها فهي ناهيك من ارض وقال الحجاج
لحطيط الخارجي ما تقول في عبد الملك قال ما اقول في رجل انت خطيئة
من خطاياه قال فهل هممت بي قط قال نعم ولكن حال بيني وبينك فقد
اعطيت الله عهدا ان سالتني لاصدقنك وان خليت عني او
لا اطلقنك وان عذبتني لاصبرن لك فامر بقتله اما التين فهو الاصفر
الواسع قال ابن مقبل بشر وحمر زيوال النخال برانى وشدت وقعنا
ذلك البيتا وقيل لابي العتاهية لما قال وغنت مالنخال حزني ومالي
خرجت عن العروض فقال انا اكبر من العروض وقال عبد الملك بن مروان
للهيثم بن الاسود ما مالك فقال قوام من العيش وغنى عن الناس فقيل له
الم تخبره فقال ان كان كثيرا حسدني وان كان قليلا ازدراني واغتاب
الاعمش رجلا من اصحابه فاطلع الرجل على تبعة ذلك فقال له رجل من اصحابه
قل له ما قلته حتى لا يكون غيبة فقال له الاعمش بل قل له حتى لا يكون
نميمة وقال معوية لعمرو بن العاص هل غششتني منذ نصحتني فقال لا قال
بلى يوم اشرت علي بمبارزة علي بن ابي طالب عليه السلم وانت
تعلم من هو فقال عمرو دعاك رجل عظيم الخطر الى المبارزة وكنت من مبارزته
على احدى الحسنيين اما ان قتلته فقتلت قتال الاقران وازددت شرفا
الى شرفك وخلوت بملكك واما ان قتلك فتعجل مرافقة الشهداء والصالحين
والصديقين فقال معوية هذه اشنع على من الاولى قال عمرو انكنت من جهادك
في شك فتلك شر الساعة قال دعني منك الان وقيل للاحنف وقد رأى

مسيلمة الكذاب كيف هو فقال ما هو بنبي صادق ولا بمتنبي حاذق وروى المبرد
قال قال زياد لابي الاسود الديلي لولا انك كبرت لاستعنا بك في بعض
امورنا فقال ان كنت تريد الصراع فليس عندي وان كنت تريد عقلي و
رأيي فهما اوفر ما كانا وكان ابو الاسود حاضر الجواب جيد الكلام
مليح النادرة وروى عن الشعبي انه قال قاتل الله ابا الاسود ما كان اعف
اطرافه واحضر جوابه ودخل على معوية بالنخيلة فقال له معوية اكنت ذكرت
للحكومة قال نعم قال فما كنت صانعا قال كنت اجمع الفا من المهاجرين
وابناءهم والفا من الانصار وابناءهم ثم اقول يا معشر من حضر ارجل من
المهاجرين احق ام رجل من الطلقاء فلعنه معوية فقال الحمد لله الذي كفاناك
وقد روي ان ابا الاسود خطب ان يكون في الحكومة وقال لامير المؤمنين
في وقت التحكيم يا امير المؤمنين لا ترضى بابي موسى فاني قد عجمت
الرجل وبلوته وحلبت اشطره فوجدته قريب القعر مع انه يماني ولا
ادري ما يبلغ نصحه فابعثني فانه لا يحل عقدة الا عقدت لك اشد منها
واعلم قد رموك بحجر الارض فان قيل انه لا صحبة لي فاجعلني ثاني
اثنين فليس صاحبهم الامر ترب وكان في الخلاف عليهم كالنجم فابى
عليه السلم وروى محمد بن يزيد النحوي ان ابا الاسود كان نازلا في بني
قشير وكانوا يخالفونه في المذهب لان ابا الاسود كان شيعيا وكانوا
يرمونه بالليل فاذا اصبح شكى ذلك فشكاه مرة فقالوا ما نحن نرميك
ولكن الله يرميك فقال لو كان الله يرميني ما اخطأني وقال لهم يوما
يا بني قشير ما في العرب احب الي طول بقاء منكم فقالوا ولم ذاك
قال لانكم اذا ركبتم امرا علمت انه غي فاجتنبته واذا اجتنبتم امرا
علمت انه رشد فاتبعته فنازعوه الكلام فانشأ يقول

يقول الارذلون بنو قشير | طوال الدهر لا تنسا عليا

احب محمدا حبا شديدا　　وعباسا وحمزة والوصيا
احبهم لحب الله حتى　　اجي اذا بعثت الى هويا
فان يك حبهم رشدا اصبه　　ولست بمخطئ ان كان غيا

فقالوا شككت يا ابا الاسود فقال الم تسمعوا الله يقول وانا واياكم لعلى هدى
او في ضلال مبين افترون الله تعالى شك اما قولهم هويا فانها لغة هذيل
يقولون ذلك في كل مقصور مثل الهوى والعصى والفتى والقفا قال ابو ذويب
الهذلي

سبقوا هوي واعنقوا لهواهم　　فتخرموا ولكل جنب مصرع

وروي ان ابا الاسود دخل على معوية فقال له اصبحت جميلا يا ابا الاسود فلو
علقت تميمة تدفع عنك العين فقال

افنى الشباب الذي ولى وبهجته　　كر الجديدين من اب ومنطلق
لم يتركا لي في طول اختلافهما　　شيا اخاف عليه اللذعة الحدق

وروي انه دخل يوما السوق يشتري
ثوبا فقال له رجل مسلم اقاربك في هذا الثوب فقال ان لم تقاربني باعدتك
ثم قال له بكم هو قال اعطيت به كذا وكذا قال انما تخبرني عن شي فات وروي
انه كان ماشيا في طريق فقال له اركب الطريق فقال لهم الطريق لو تعدلني
ومرض ابو الاسود فقيل له هوام فقال ذلك الحمد له وقيل ان امراة ابي الاسود
خاصمته الى زياد في ولدها فقالت ايها الامير ان هذا يريد ان يغلبني على ولدي
فوالله بطني له وعاء وثديي له سقاء وحجري له فناء فقال ابو الاسود ايتها المراة
تريدين ان تغلبيني فوالله حملته قبل ان تحمليه ووضعته قبل ان تضعيه فقالت ولا
سواء حملته خفا وحملته ثقلا ووضعته شهوة ووضعته كرها فقال له زياد انها
امراة عاقلة يا ابا الاسود فادفع اليها ابنها فاخلق ان تحسن ادبه وقال رجل
لابي الاسود انت والله ظريف لفظا وظرف علم ووعاء حلم غير انك بخيل قال وما
خير ظرف لا يمسك ما فيه وسلم عليه اعرابي يوما فقال ابو الاسود كلمة مقولة فقال اتاذن لي في الدخول
قال وراك اوسع لك قال اهل عندك شيء قال نعم قال اطعمني قال عيالي احق منك قال اما رايت الله مثلك

قال الشيخ

ما انسيت نفسك وسأله رجل شيا فمنعه فقال يا ابا الاسود ما اصبحت حاتميا قال بلى قد اصبحت حاتميا
ما تدري ابليس حاتم الذي يقول اما وتي اما مانع فمبين واما عطاء لا ينهنهه
الزجر

مجلس آخر

اخبرنا المرزباني قال حدثنا ابو عبد الله ابراهيم
بن محمد بن عرفة النحوي قال لما ولي سليمان بن عبد الملك اتي بيزيد بن
ابي مسلم مولى الحجاج في جامعة وكان رجلا دميما تزدريه العين فلما راه سليمان
قال لعن الله من اجرك رسنك وولى مثلك فقال يا امير المومنين رايتني و
الامر عني مدبر ولو رايتني وهو علي مقبل لاستعظمت ما استحقرت ولا
ستجللت ما استصغرت فقال له سليمان اين ترى الحجاج ايهوي
في النار ام قد استقر فقال يا امير المومنين لا تقل هذا فان الحجاج جمع لكم الاعداء
ووطئ لكم المنابر وذرع لكم الخوف في قلوب الناس وهو غدا يأتي يوم القيامة
عن يمين ابيك عبد الملك وشمال اخيك الوليد فضعه حيث شئت
وروي ان خالد بن صفوان فاخر رجلا من بني عبد الدار الذين يسكنون اليمامة
فقال له العبدري من انت قال انا خالد بن صفوان بن الاهتم وانت ابن الاهتم
الصحيح خير من الاهتم فقال له خالد بن صفوان يا اخا بني عبد الدار اتتكلم وقد هشمتك
بنو هاشم وامتك بنو امية وخزمتك بنو مخزوم وحجبتك بنو جمح فانت عبد
درائهم تفتح اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا فقام العبدري محموما وتقدم الاشعث
بن قيس الى شريح القاضي فاغلظ له في النطق فقال له الاشعث تعلمني بك
يا ابن ام شريح لقد عهدتك وان شانك لشوين فقال له شريح انت امرؤ
تعرف النعمة في غيرك وتنساها في نفسك وروى ابو العيناء عن العتبي
قال دخل الفرزدق على سعيد بن العاص وعنده الحطيئة فلما مثل بين يديه
قال اليك فررت منك ومن زياد ولم احسب دمي لكما حلالا
فان يكن الهجاء احل قتلي فقد قلنا لشاعركم وقالا الا ترى الى الحجاج
من قريش اذا ما المرء من حدثان عالا قياما ينظرون الى سعيد كانهم يرون

به الملا فقال له الحطيئة هذا وقد ابتها الامر الشعر لانك كنت تقبل به منذ اليوم يا غلام
اقدمت امك الحجاز قال الفرزدق لا ولكن قدمه ابي اراد الحطيئة بقوله ان
كانت امك قدمت الحجاز فقد وقعت فلتبس عليها فكنت منه واراد الفرزدق
بقوله ولكن قدمه ابي اي وقع بامك وكنت انت منه ويشبه ذلك ما روي
ان الفرزدق كان ينشد شعره يوما والناس حوله اذ مر به الكميت بن زيد
فقال له الفرزدق كيف ترى شعري قال حسن فقال له الفرزدق ايسرك
اني ابوك فقال لا اما ابي فلا اريد به بدلا ولكني يسرني ان لو كنت امي فقال
له الفرزدق اكتم هذا علي عمك يا ابن اخي فما مر بي مثلها ؞ وقيل ان عبد الملك
ظفر برجل من بني مخزوم زبيري الراي فقال له لما حضر مجلسه اليس قد ردك الله
على عقبيك فقال او من رد اليك يا امير المؤمنين فقد رد على عقبيه فتبسم
عبد الملك وقال موسى بن عيسى بن موسى لشريك يا ابا عبد الله عزلوك عن القضاء
ما راينا قاضيا عزل فقال شريك هم الملوك يعزلون ويخلعون يعرض بان اباه خلع
من ولاية العهد ؞ وذكر ابو عبيدة معمر بن المثنى ان المفضل الضبي اراد
ان يهب لبعض جيرانه بالاضحى اضحية فلما لقيه قال كيف وجدت اضحيتك
قال ما وجدت لها دما يعرض بقول الشاعر ؞ ولو ذبح الضبي بالسيف لم تجد
من اللوم للضبي لحما ولا دما ؞ وروي عن المامون انه قال ما اعياني جواب
احد قط مثل جواب ثلثة احدهم ام الفضل بن سهل فاني عزيتها عن ابنها وقلت
لا تجزعي على الفضل لانه ولد لك فيها انا ابنك مكانه فقالت وكيف لا اجزع
على من جعل مثلك لي ولدا والآخر رجل احضرته زعم انه نبي الله موسى
فقلت ان الله عز وجل اخبرنا عن موسى عليه السلام انه ادخل يده في جيبه فيخرجها
بيضاء من غير سوء فقال لي متى فعل ذلك موسى اليس بعد ما قال فرعون انا ربكم فاعل
كما فعل فرعون حتى افعل كما فعل موسى والثالث ان جماعة من اهل الكوفة
قد اجتمعوا الي يشكون عاملهم فقلت ارضوا ابوا احدا اسمع منه فقال لي

العاقل

رجل منهم فقال في العامل واكثر فقلت له كذبت بل هو العفيف الورع العاقل
فذهب اصحابه يتكلمون فسكتهم ثم قال صدقت يا امير المؤمنين هو كما تقول
فواس بين رعيتك بالعدل فصرفه عنهم ودخل عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي
يوما على معوية فقال له معوية ما فعل الطرفات يعني طريفا وطرافا وطرفة قال
قتلوا مع علي عليه السلام قال ما انصفك ابن ابي طالب قدم بنيك واخر
بنيه فقال عدي بل ما انصفته اذ انه قتل وبقيت وكتب رجل الى صديق
له يقترض منه شيئا فاجابه يشكو اليه ضيق حاله فكتب اليه ان كنت كاذبا
فجعلك الله صادقا وان كنت صادقا فجعلك الله كاذبا وان كنت معذورا
فجعلك الله ملوما وان كنت ملوما فجعلك الله معذورا وسمع الاحنف
رجلا يقول ما احلم معوية فقال لو كان حليما ما سفه الحق ووصف رجل عند الشعبي
بالحلم فقال الشعبي ويحك وهل اغمد سيفه وفي قلبه على احد شيء وقال زياد
لرجل حضره اين منزلك قال وسط البصرة قال فما لك من الولد قال تسعة
فقيل لزياد ان داره اقصى البصرة عند المقابر وانه واحد فقال الرجل اما
بين اهل الدنيا والآخرة فهي وسط البصرة وكان لي عشرة بنين فقدمت
تسعة فهم لي وبقي واحد لا ادري اهو لي ام انا له وقال رجل لابن سيرين
اني وقعت فيك فاجعلني في حل فقال ما احب ان احلل مما حرم الله
عليك قال وخطب الحجاج يوم جمعة فاطال فقال له رجل ان الصلوة لا
تنتظرك وان الله لا يعذرك فامر بحبسه فجاءه اهله فشهدوا انه مجنون
فقال ان اقر عندي بالجنون اطلقته فقيل له اعترف بذلك وتخلص فقال
والله لا اقول انه ابتلاني وقد عافاني وحدث الحسن البصري بحديث فقال له
رجل يا ابا سعيد عمن فقال يا ابن اخي وما تصنع بالعمن اما انت فقد نالتك
عظته وقامت عليك حجته قيل لعبد الله بن جعفر ونظر اليه وهو يماكس في درهم
انك تماكس في درهم وانت تجود بما تجود به فقال ذلك مالي جدت به وهذا عقلي

نحلت به وروي ان ابا العينا محمد بن القسم اليماني حدث بعض الوزرين
بحديث في فضايل ابله فقال له الوزير تحلف التمر الى هجر فقال نعم اذا
اجدبت ارضها وعادم نخلها وكان ابو العينا من احضر الناس جوابا واجود
مدتها والمجهم نادرة وروي الصولي عن ابي العينا قال لما ادخلت على
المتوكل دعوت له وكلمته فاستحسن خطابي وقال لي يا محمد بلغني ان فيك شرا
فقلت يا امير المومنين ان يكن الشر ذكر المحسن باحسانه والمسي باساته فقد زكي الله
تعالى وذم فقال في التزكية نعم العبد انه اواب وقال في الذم هماز مشا بنميم
مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم فذمه الله تعالى حتى قذفه وقال الشاعر

اذا انا بالمعروف لم اثن دايبا ولم اشتم الجبس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لي الله المسامع والفما

وان كان الشر كفعل العقرب التي تلسع النبي والذمي بطبع لا بتميز فقد صان الله
عبدك عن ذلك وروي انه قال له يوما الى كم تمدح الناس وتذمهم فقال
ما احسنوا واساوا وروي انه قال المتوكل له يوما اني لافرق من لسانك فقال
ان الشريف فروقة ذو احجام وان اللئيم ذو امنة واقدام وقال له يوما
قد دخل قد اشتقتك والله يا ابا العينا فقال يا سيدي انما يشتاق الرقيق
على العبد لانه لا يصل الى مولاه فاما السيد فمتى اراد عبده دعاه وروي انه
قال له ما بقي احد في مجلسي الا وقد اغتابك وذمك عندي جرى من ذكرك غيري
فقال ابو العينا

اذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضبانا علي لئامها

وذكر ابو العينا قال المتوكل من اسخى من رايت وابخل من رايت قلت
ما رايت اسخى من احمد بن ابي داود ولا ابخل من موسى بن عبد الملك قال وكيف وقفت
على بخله فقلت رايته يحرم القريب كما يحرم البعيد ويعتذر من الاحسان كما يعتذر
من الاساة فقال اجبت الى من اطرحته فنحيته والى من اسكته فنحلته فقلت
يا امير المومنين ان الصدق ليس هو في موضع من المواضع انفق منه بحضرتك والناس

بخطوره

يغلطون فيمن ينسبونه الى السخا فاذا نسب الناس السخا الى البرامكة فانما ذلك
سخا امير المومنين الرشيد واذا نسب السخا الى الحسن بن سهل والفضل بن سهل
فانما ذلك سخا امير المومنين المامون فاذا نسبوا احمد بن ابي داود الى السخا
فذلك سخا امير المومنين المعتصم واذا نسبوا الفتح بن خاقان وعبيد الله بن
يحيى الى السخا فانما هو سخاوك والا فما بال القوم لم ينسبوا الى السخا
قبل صحبتهم الخلفا فقال لي صدقت وسري عنه وقال له المتوكل ما اشد
ما عليك ذهاب البصر فقال له فقدك رويتك مع اجماع الناس على
جمالك وقال له يوما اريد لمجالستي فقال لا اطيق ذلك وما اقول ذلك جهلا
بما لي في هذا المجلس من الشرف ولكن انا رجل محجوب والمحجوب تختلف
اليه اشارته ويخفى عليه ايماوه ويجوز ان تكلم بكلام غضبان ووجهك
راض وبكلام راض ووجهك غضبان ومتى لم امتز بين هذين هلكت
فقال صدقت وروي انه قال لولا انك ضرير لنادمتك فقال له
ان اعفيتني من روية الاهلة وقراة نقش الخواتيم فاني اصلح وقال
له المتوكل ما تقول في ابن مكرم والعباس بن رستم فقال هم الخمر والميسر
واثمهما اكبر من نفعهما فقال له بلغني انك ترد بهما فقال له قد ابتعت
الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال له يوما ان سعيد بن عبد الملك
يضحك منك فقال له ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون
وقال ابو العينا قال لي المنتصر ما احسن الجواب قال فقلت ما اسكت المبطل
وحير المحق وقيل لابي العينا ابراهيم بن نوح النصراني عليك عاتب
فقال ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وراه
زرقان وهو يضاحك نصرانيا فقال يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى اولياء فقال ابو العينا لا ينهاكم الله عن الذين
لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم اخبرنا ابو الحسن

اذا ما اندنوحي علينيم

الكلام هو المفيد المركب المفيد

الذلة

علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال اخبرنا ابو العيناء قال كان
سبب اتصالي باحمد بن داود اني تم من اهل البصرة عادوني وادعوا
علي دعاوي كثيرة منها انني رافضي فاحتجت الى ان خرجت من البصرة
الى سر من راي والقيت نفسي على احمد بن داود وكنت ملازما
في داره اجالسه في كل يوم وبلغ القوم خبري فشخصوا الى سر من
راي فقلت ان القوم قد قدموا من البصرة وهم اعلى فقال يد الله
فوق ايديهم فقلت ان لهم مكرا فقال ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين
فقلت انهم كثيرون فقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين
فقلت لله درك ايها القاضي وانت والله كما قال الصموت الكلابي
لله درك اي جنة خائف ومتاع دنيا انت للحدثان
متخمط يطا الرجال بعلية وطء الفنيق دوارج القردان
ويكبهم حتى كان رؤوسهم مأمومة تنحط للغربان ولفرط الباس
الشديد رتاجه حتى يصير كانه بابان فقال لابنه ابي الوليد اكتب
هذه الابيات فكتبها بين يديه قال الصولي حفظي عن ابي العيناء
الصموت الكلابي على انه رجل وقال لي وكيع حفظي انها الصموت
الكلابية على انها امراة ودخل ابو العيناء على الحسن بن سهل فاثنى عليه
فامر له بخمسة الف درهم فقال والله ما استكثر كثيرك ايها الامير ولا استقل
قليلك وكيف ذاك قال لا استكثر كثيرك لانك اكثر منه ولا استقل
قليلك لانه اكثر من كثير غيرك وقال له عبيد الله بن يحيى بن خاقان يوما
اعذرني فاني عنك مشغول فقال اذا فرغت لم احتج اليك وقال له
يوما قد جنيت في الغضب يا ابا عبد الله فقال له قد اجل الله قدرك
عن غضبي انما يغضب الرجل على من دونه وعلى من فوقه فلا ولكن
اخرني تقصيرك فتمنيت خيري غضبا وقال ابن عابد بن مخلد كان

من جي

من احسن من اسلم دينا واكرم صلوة وصدقة فصار الى بابه ابو العيناء
مرات كثيرة يطلب الاذن فحجب وقيل له هو مشغول بصلوات فقال
لكل جديد لذة ودخل يوما على ابي الصقر اسمعيل بن بلبل الوزير
فقال له يا ابا عبد الله ما اخرك عنا قال سرق حماري قال وكيف سرق
قال لم اكن مع اللص الذي سرقه فاخبرك بما كان قال هلا اكتريت او استعرت
او اشتريت فقال قعد بي عن الشري نسبي وكرهت منة العواري
وذلة المكاري فوهب له حمارا او وصله وداوناه ابو الصقر يوما ودفعه
فقال تدنيني حتى كاني بعضك وتقصيني حتى كاني ضدك وقال
لعبيد الله بن سليمان القضاء وقد رفعه الي لم ترفعني ولا ترفع بي راسا

وقال له يوما وقد سأله عن حاله

فقال له انا معك مغبوط الظاهر محروم الباطن وقال ان ابا علي
البصير قال لابي العيناء وكانت بينهما ملاحاة معروفة في اي وقت
ولدت قال في قبل طلوع الشمس فقال ابو علي لذلك خرجت سخاذا
سائلا لانه الوقت الذي تنتشر فيه السؤال اخبرنا ابو عبد الله المرزباني
قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثني ابو العيناء قال ما رايت قط
احسن شاهدا عند حاجة من ال عايشة فقلت له يوما كان ابو عمرو المخزومي
يصلك كثيرا ثم قد جفاك فقال فان تناء عنا لا تضرنا وان تعد
تجدنا على العهد الذي كنت تعلم ثم قال ولا ادري لمن هذا البيت
فقلت له ان ابن سلام روى عن يونس ان الفرزدق لما قال
تصرم عني ود بكر بن وائل وما خلت عني ودهم يتصرم قوارص
تاتيني ويحتقرونها وقد يملا القطر الاناء فيفعم وكان نزل عليهم حين
هرب من زياد فقال جرير بن خرقاء العجلي يجيبه لقد نوابك الدار
بكر بن وائل وردت لك الاحشاء اذ انت مجرم لياليا تمنى ان تكون
حمامة بمكة يغشاها الستار المحرم فان تناء عنا لا تضرنا وان تعد تجدنا

على العهد الذي فقال ابن عائشة انت والله باني ممن يستصدق في العلم مخايلة ويكثر عليه ولا يلبث وقال ابو العيناء يوما لابي الصقر بن بلبل وهو وزير انت والله تقرب منا اذا احتجنا اليك وتبعد عنا اذا احتجت الينا قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وهذا يشبه قول ابرهيم بن العباس الصولي ولكن الجواد ابا هشام وفي العهد مامون المغيب بطي عنك ما استغنيت عنه وطلاع عليك مع الخطوب ولعله ماخوذ منه فليس ينكر ذلك لانهما وان اجتمعا في زمان واحد في بعض الاوقات فان ابا العيناء بقي بعد ابرهيم بقاء طويلا لان ابرهيم توفي سنة ثلاث واربعين ومائتين وابو العيناء توفي سنة اثنين او ثلث وثمانين ومائتين وما حكيناه عنه من الكلام قاله لابي الصقر في وزارته وكانت بعد وفاة ابرهيم بن العباس بزمان طويل ويشبه ايضا قول ابرهيم ويوشك ان يكونا ماخوذين منه قول اوس بن حجر وليس اخوك الدائم العهد بالذي يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا ولكنه النائي اذا كنت آمنا وصاحبك الادنى اذا الحظ اعضلا ولابرهيم بن العباس ما يقارب هذا المعنى ايضا هو قوله اسد ضار اذا هيجته واب بر اذا ما قدرا يعلم الابعد ان اثرى ولا يعلم الادنى اذا ما افتقرا ويشبه ان يكون هذا ماخوذا من قول المرار الفقعسي اذا افتقر المرار لم ير فقره وان ايسر المرار ايسر صاحبه ومما يشبه قول المرار بعينه قول ابرهيم بن العباس الصولي ايضا فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت رأى خلتي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت ومن قول المتنخل الهذلي ابو مالك قاصر فقره على نفسه ومشيع غناه وهذا البيت الذي رويناه للهذلي من جملة ابيات يرثي بها المتنخل اباه وقيل يرثي اخاه واوّلها لعمرك ما ان ابو مالك بوان ولا بضعيف قواه ولا بالدله نازع يعاري اخاه اذا ما نهاه معنى قوله نازع اي خلق سوء

ينزعه ويغاري ويلاحي ويشاري ولكنه هين لين كعالية الرمح عرد نساه العرد الشديد يقال عرد وعرند اي شديد والنسا عرق معروف اذا شدته شدت مطواعة ومهما وكلت اليه كفاه معنى سدته من المساودة التي هي المسارة والسواد السرار بعينه كانه قال اذا ساررته طاوعك وساعدك وقال قوم انه من السيادة فكانه اراد اذا كنت فوقه وسدته اطاعك ولم يحسدك الى وكلت اليه شيئا كفاك وقال قوم ينشدونه اذا سسته سست مطواعة ولم اجد ذلك في روايته الا من يبادر ايامالك الى امرنا هوام نرسواه ابو مالك قاصر فقره على نفسه ومشيع غناه مجلس آخر

تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين فقال ما تأويل هذه الآية على ما يطابق العدل فان ظاهرها كانه مخالف له الجواب قيل له في هذه الآية وجوه منها ما ابتدأنا به ومنها ما سبقنا اليه فحررناه واحترزنا فيه من المطاعن واجبنا عما لعله يعرض فيه من الشبهة اولها ان يكون تعالى عنى بذلك صرفهم عن ثواب النظر في الآيات وعن العزة والكرامة اللذين يستحقهما من ادى الواجب عليه في آيات الله تعالى وادلته وتمسك بها والآيات على هذا التأويل يحتمل ان يكون سائر الادلة ويحتمل ان يكون معجزات الانبياء عليهم السلام خاصة وهذا التأويل يطابق الظاهر لانه تعالى قال ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين فبين تعالى ان صرفهم عن الآيات يستحق بتكذيبهم ولا يليق ذلك الا بما ذكرناه وثانيها ان يصرفهم تعالى عن زيادة المعجزات التي يظهرها على الانبياء عليهم السلام بعد قيام الحجة بما تقدم من آياتهم ومعجزاتهم لانه تعالى انما يظهر هذا الضرب من المعجزات اذا علم انه يؤمن عنده

من لم يؤمن بما تقدم من الآيات فاذا علم تعالى خلاف ذلك لم يظهرها وصرف الذين
علم من حالهم انهم لا يؤمنون عنها ويكون الصرف على احد وجهين اما بان لا يظهرها جملة
او بان يصرفهم عن مشاهدتها ونظرها بحيث ينتفع بها غيرهم فاذا قيل وما الفرق
بان يصرفهم عما ذكرتموه بين ابتداء المعجزات وبين زياداتها قلنا الفرق بينهما
ان المعجز الاول يجب اظهاره لازاحة العلة في التكليف ولانا نعلم صدق
الرسول المؤدي الينا ما فيه لطفنا ومصلحتنا فاذا كان التكليف يوجب تعريفنا
المصالح والالطاف لتنزاح العلة وكان لا سبيل الى معرفتها على الوجه الذي تكون
عليه لطفا الا من قبل الرسول وكان لا سبيل الى العلم بكونه رسولا الا من جهة المعجز
وجب بعثة الرسول وتحمله ما فيه مصلحتنا من الشرائع واظهار المعجز على يده لتعلق هذه
الامور بعضها ببعض ولا فرق في هذا الموضع بين ان يعلم ان المبعوث اليهم
الرسول او بعضهم يطيعون ويؤمنون وبين ان لا يعلم في وجوب البعثة وما يجب
بوجوبها لان تعريف المصالح مما يقتضيه التكليف العقلي الذي لا فرق في حسنه
بين ان يقع عنده الايمان او لا يقع وليس هذه سبيل ما يظهر من المعجزات
بعد تمام الحجة بما تقدم منها لانه متى لم ينتفع بها منتفع ويؤمن عندها من لم يؤمن
لم يكن في اظهارها فائدة وكانت عبثا فافترق الامران فان قيل كيف
يطابق هذا التاويل قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين
ومعلوم ان صرفهم عن الايات لا يكون مستحقا بذلك قلنا يمكن ان يكون
قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا لم يرد تعليل قوله تعالى سأصرف بل
يكون كالتعليل لما هو اقرب اليه في ترتيب الكلام وهو قوله تعالى وان يروا
كل اية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل
الغي يتخذوه سبيلا لان من كذب بايات الله جل وعز وغفل عن تاملها
والاهتداء بنورها ركب الغي واتخذه سبيلا وحاد عن الرشد وضل ضلالا
بعيدا ورجوع لفظة ذلك الى ما ذكرناه اشبه بالظاهر من رجوعها الى قوله سأصرف

قوله

لان رجوع اللفظة في اللغة الى اقرب المذكورين اليها اولى ويمكن ان يكون
كذبوا وان كان بلفظ الماضي المراد به الاستقبال ويكون وجهه ان التكذيب
لما كان معلوما منهم لو اظهرت لهم الايات جعل كأنه واقع وبني الخطاب
عليه ولهذا نظائر في اللغة كثيرة او يكون جوابا لمحذوف وكأنه تعالى قال اولئك
بانهم متى اظهرنا لهم اياتنا كذبوا بها ويجري ما ذكرناه اولا مجرى قوله تعالى ونادى
اصحاب النار اصحاب الجنة في انه بلفظ الماضي والمعنى الاستقبال ويمكن
ان يكون معنى سأصرف عن اياتي الذين اني لا اوتيها من هذه صفته
واذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم وكلا اللفظين يفيد معنى واحدا وليس لاحد
ان يقول هلا قال سأصرف اياتي عن الذين يتكبرون والايات ههنا
هي المعجزات التي تختص بها الانبياء عليهم السلام فان قيل فاي فائدة
في قوله تعالى على سبيل التعليل ذلك بانهم كذبوا باياتنا واي معنى لتخصيص
الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وهو لا يؤتي الايات والمعجزات الا الانبياء
عليهم السلام دون غيرهم وان كان ممن لا يتكبر قلنا لخروج الكلام مخرج التعليل
على هذا التاويل وجه صحيح لان من كذب بايات الله تعالى لا يؤتى اياته
ومعجزاته لتكذيبه وكفره وان كان قد يكون غير مكذب ويمنع من ايتاء الايات
لعلة اخرى فالتكبر والبغي بغير الحق مانع من ايتاء ايات الله تعالى وان منع
غيره ويجري هذا مجرى قول القائل انا لا اود فلانا لغدره ولا يلزم اذا لم يكن
غادرا ان يوده لانه ربما خلا من الغدر وحصل على صفة اخرى تمنع من مودته
ويجوز ان يكون الاية خرجت على ما يجري مجرى السبب وان يكون
بعض الجهال في ذلك العصر اعتقد جواز ظهور المعجزات على يد الكفار
المتكبرين فاكذبهم الله تعالى بذلك ووجه اخر وهو ان يكون المراد بالايات
العلامات التي يجعلها الله تعالى في قلوب المؤمنين ليدل بها الملائكة
على الفرق بين المؤمن والكافر فيفعلوا بكل واحد منهما ما يستحقه من التعظيم

والاستخفاف كما تاول اهل الحق الطبع والختم الذين ورد بهما القرآن
على ان المراد بهما العلامة المميزة بين المومن والكافر فيكون معنى ساصرف
عنها اي اعدل بها عنهم واخص بها المومنين المصدقين بآياتي وانبيائي
وهذا التاويل يشهد له ايضا قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها
غافلين لان صرفهم عن هذه الآيات كالمستحق بتكذيبهم واعراضهم عن آياته
تعالى وخامسها ان يريد تعالى اني اصرف من رام المنع من اداء آياتي
وتبليغها لان من الواجب عليه تعالى ان يحول بين رام ذلك وبينه ولا يمكن
منه لانه ينقض الغرض في البعثة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى والله يعصمك
من الناس ويكون الآيات ههنا القرآن وما جرى مجراه من كتب الله تعالى
التي تحملها الرسل عليهم السلام والصرف وان كان متعلقا في الآية بنفس
الآيات فقد يجوز ان يكون المعنى متعلقا بغيرها مما هو متعلق بها واداء
ان تعلقه بالثواب والكرامة المستحقين على التمسك بالآيات سائغ
ان تعلقه بما يمنع من تبليغها وادائها واقامة الحجة بها وعلى هذا التاويل لا يجعل
قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا بآياتنا راجعا الى ساصرف بل نرده الى
ما هو قبله بلا فصل من قوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان
يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا على ما بيناه في الوجه الثاني من تاويل هذه
الآية وسادسها ان يكون الصرف ههنا الحكم والتسمية والشهادة
ومعلوم ان من شهد على غيره بالانصراف عن شيء فجائز ان يقال صرفه عنه
كما يقال اكفره وكذبه وفسقه وكما قال جل من قائل ثم انصرفوا صرف الله
قلوبهم اي شهد عليهم بالانصراف عن الحق والهدى ولقوله تعالى فلما زاغوا
ازاغ الله قلوبهم وهذا التاويل يطابقه قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا بآياتنا
وكانوا عنها غافلين لان الحكم عليهم بما ذكرناه والتسمية به من موجب تكذيبهم
وغفلتهم عن آيات الله تعالى واعراضهم عنها وسابعها انه تعالى لما علم ان

ان الذين

الذين

ان الذين يتكبرون في الارض بغير الحق ينصرفون عن النظر في آياته والايمان بها
اذا اظهرها على ايدي رسله عليهم السلام جاز ان يقول ساصرف عن آياتي
ويريد تعالى ساظهرها بما ينصرفون بسوء اختيارهم عنه ويجري ذلك مجرى
قولهم سابخل فلانا وساخطئه اي ساساله ما يبخل ببذله وامتحنه بما يخطئ فيه ولا يكون
المعنى اني افعل فيه البخل والخطأ والآيات على هذا الوجه جائز ان يكون
المعجزات دون سائر الادلة الدالة على الله سبحانه وجائز ان يكون جميع
الادلة ويجب على هذا الوجه ان يكون قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا بآياتنا
غير راجع الى قوله ساصرف بل الى ما قدمنا ذكره لتصحيح الفائدة وثامنها
ان يكون الصرف ههنا معناه المنع من ابطال الآيات والحجج والقدح
فيها بما يخرجها ان تكون ادلة وحججا ويكون تقدير الكلام اني بما اؤيده من
حججي واحكمه من آياتي وبيناتي صارف للمبطلين والمكذبين عن القدح
في الآيات والدلالات ومانع لهم مما كانوا لولا هذا الاحكام والتاييد
يعترضونه ويعتمدونه من تمويههم الحق وتلبيسه بالباطل ويجري هذا مجرى قول
احدنا قد منع فلان اعداءه بافعاله الكريمة واخلاقه المهذبة وطرائقه المحمودة
من عيبه وصرفهم عن ذمه واخرس السنتهم عن الطعن عليه وانما يريد المعنى
الذي ذكرناه وان قيل اللبس في المبطلين من طعن على آيات الله تعالى
واورد الشبهة فيها مع ذلك فلما لم يرد عز وجل الصرف عن الطعن الذي
لا يؤثر ولا يشتبه على من احسن النظر وانما اراد ما قدمناه وقد يكون
في نفسه مطعونا عليه وان لم يطعن عليه طاعن كما قد يكون بالتمام الطعن
وان طعن فيه بما لا يؤثر الا ترى ان قولهم فلان قد اخرس اعداءه
عن ذمه ليس يراد انه منعهم عن التلفظ بالذم وانما المعنى فيه انه لم يجعل
للذم عليه طريقا ومجالا ويجب ايضا على هذا الوجه ان يكون قوله تعالى
ذلك بانهم كذبوا راجع الى ما قبله بلا فصل ولا يرجع الى قوله ساصرف

وثانيها ان الله تعالى لما وعد موسى عليه السلام وامته باهلاك عدوهم قال
سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق واراد جل وعز انه
يهلكهم ويصطلمهم ويجتاحهم على سبيل العقوبة لهم بما كان منهم من التكذيب
بآيات الله والرد لحججه والمروق عن طاعته دينه ووعده بهذه الحال المؤمنين
بالوفاء بها وهو تعالى اذا اهلك هؤلاء الجبارين المتكبرين واصطلمهم
فقد صرفهم عن آياته من حيث اقتطعهم عن مشاهدتها والنظر فيها بانقطاع
التكليف عنهم وخروجهم عن صفات اهله وهذا الوجه يمكن ان يقال
فيه ان العقوبة لا تكون الا مضامة للاستخفاف والاهانة كما ان الثواب
لا بد ان يكون مقترنا بالتعظيم والتبجيل واماتة الله تعالى الامم وما يفعله
بهم من بوار واهلاك لا يقترن اليه ما لا بد ان يكون مقترنا الى العقاب
من الاستخفاف ولا يخالف ما يفعله تعالى بأوليائه على سبيل الامتحان
والاختبار فكيف يصح ما ذكرتموه ويمكن ان يجاب عن ذلك بان يقال
لا يمتنع ان يضم الله تعالى الى ما يفعله بهؤلاء الكفار المتكبرين من الاهلاك
والبوار اللعن والذم والاستخفاف ويأمرنا ان نفعل ذلك بهم
فيكون ما يقع بهم من الالام على وجه العقوبة بشرطها ولا يمتنع ايضا ان يكون
الله تعالى تعبدنا بأمرهم باهلاكهم وقتلهم على وجه الاستخفاف والنكال ويضيف
ذلك الينا من حيث وقع بأمره وعن اذنه فان قيل ما معنى قوله تعالى يتكبرون
في الارض بغير الحق وكان في التكبر ما يكون بالحق قلنا في هذا وجهان احدهما
ان يكون ذلك على سبيل التأكيد والتغليظ والبيان عن ان التكبر لا يكون
الا بغير الحق وان هذه صفة له لازمة غير مفارقة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى
ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به وقوله فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم
بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق ولم يرد الا المعنى الذي ذكرناه ومثله قوله جل
ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا لم يرد الله عن النهي عن القليل دون الكثير بل اراد

بتأكيد القول بان كل ثمن يؤخذ عنها يكون قليلا بالاضافة اليها ويكون المتعوض
عنها مغبونا منحوسا خاسر الصفقة والوجه الآخر ان في التكبر ما يكون محمودا
لان من تكبر وتنزه عن الفواحش والدنايا وتباعد عن فعلها وتجنب اهلها
يكون مستحقا للمدح سالكا لطريق الحق وانما التكبر المذموم هو الواقع على وجه
النخوة والبغي والاستطالة على ذوي الضعف والفخر عليهم والمباهاة لهم ومن
كان بهذه الصفة فهو مجانب للتواضع الذي ندب الله تعالى اليه وارشد
الى الثواب المستحق عليه ومستحق بذلك المقت والذم فلهذا اشترط تعالى
ان يكون التكبر بغير الحق ويجري قوله تعالى في هذه السورة قل انما حرم ربي الفواحش
ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق يحتمل هذين الوجهين اللذين ذكرناهما
فان اريد بالبغي المكروه الذي هو الظلم وما اشبهه كان قوله تعالى بغير الحق
تأكيدا واخبارا عن ان هذه صفته وان اريد بالبغي الطلب وذلك هو اصل
في اللغة كان الشرط في موضعه لان الطلب قد يكون بالحق وبغير الحق فان قيل
فما معنى قوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا
سبيل الغي يتخذوه سبيلا وهل الرؤية ههنا العلم او الادراك بالبصر وكيف
انها يمكن ان يكون في قوله تعالى وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها محمولة
على رؤية البصر لان الآيات والادلة مما يشاهد كيف تحمل الرؤية الثانية
على العلم وسبيل الرشد انما هي طريقة ولا يصح ان يرجع بها الى المذاهب
والاعتقادات التي لا يجوز عليها رؤية البصر فلا بد اذا من ان يكون
المراد به ان رؤية العلم ومن علم طريق الرشد لا يجوز ان ينصرف عنه الى طريق
الغي لان العقلاء لا يختارون مثل ذلك قلنا الجواب عن ذلك
ثلاثة اوجه احدها ان يكون المراد بالرؤية الثانية رؤية البصر ويكون السبيل
المذكورة في الآية هي الادلة والآيات لانها مما تدرك بالبصر وتسمى
بانها سبيل الى الرشد من حيث كانت موصلة الى الرشد وذريعة الى

دعوا له ويكون سبل الغي هي الشبهات والمخاريق التي ينصبها المبطلون والملحدون
في الدين ليوقعوا بها الشبهة على أهل الإيمان وتسمى بأنها سبل الغي وإن كان
النظر فيها لا يوجب حصول الغي والوجه الثاني أن يكون المراد من حيث
كان المعلوم ممن تشاغل بها واغترّ بأهلها أنه يصير إلى الغي والوجه الثالث
أن يكون المراد بآية العلم ولا أن العلم لم يتناول كونها سبلا للرشد
وكونها سبلا للغي بل تناولها لا من هذا الوجه الآخر أن كثيرا من
المبطلين يعلمون مذاهب أهل الحق واعتقاداتهم وحججهم إلا أنهم يجهلون كونهم بها
صحيحة مفضية إلى الحق ويجتنبونها وكذلك يعلمون مذاهب المبطلين واعتقاداتهم
الباطلة الفاسدة إلا أنهم يجهلون كونها باطلة ويعتقدون صحتها بالشبهة فيتبعونها
وعلى هذا الوجه لا يجب أن يكون تعالى وصفهم بالعناد وترك الحق مع العلم به
والوجه الثالث أن يكونوا عالمين بسبل الرشد والغي ومميزين بينهما غير أنهم للميل
إلى أغراض الدنيا والذهاب مع الهوى والشهوات يعدلون عن الرشد
ويستحقونه فإن قيل فما معنى قوله تعالى ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا والتكذيب
لا يكون في الحقيقة إلا في الأخبار دون غيرها قلنا التكذيب قد يطلق في الأخبار
وغيرها ألا ترى أنهم يقولون فلان يكذب بكذا إذا كان يعتقد بطلانه كما يقولون
يصدق بكذا إذا كان يعتقد صحته ووجه التكذيب بآياتنا إلى الأخبار
التي تضمنتها كتبه الواردة على أيدي رسله عليهم السلام جائز ويكون الآيات
بأنها هي الكتب المنزلة دون سائر المعجزات فإن قيل فما معنى ذمه تعالى
لهم بأنهم كانوا عن الآيات غافلين والغفلة على هذا من فعله تعالى
لأنها السهو أو ما يجري مجراه مما ينافي العلوم الضرورية ولا تكليف على الساهي
فكيف يذم على ذلك قلنا المراد بها بالغفلة التشبيه لا الحقيقة ووجه التشبيه
أنهم لما أعرضوا عن تأمل آيات الله تعالى والانتفاع بها أشبهت حالهم
حال من كان ساهيا غافلا عنها فأطلق عليهم هذا القول كما قال تعالى

صمٌّ بكمٌ عميٌ على هذا المعنى وكما يقول القائل لمن يستبطئه ويصفه بالإعراض عنه
والتناسي(?) له أنت ميت وراقد ومالك لا تسمع ولا تبصر وما أشبه ذلك وكل
هذا واضح بحمد الله ومنه **تأويل خبر** إن سأل سائل عن الخبر المروي
عن عبد الله بن عمر أنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله إن قلوب
بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف يشاء ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وآله عند ذلك اللهم مصرف القلوب اصرف
قلوبنا إلى طاعتك وعما يرويه أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
ما من قلب آدمي إلا وهو بين إصبعين من أصابع الله فإذا شاء أن يثبته
ثبته وإن شاء أن يقلبه قلبه وعما يرويه ابن حوشب قال قلت لأم
سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله ما كان أكثر دعاء النبي عليه وآله السلام قالت
كان أكثر دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالت فقلت
يا رسول الله ما أكثر دعاءك يا مقلب القلوب فقال يا أم سلمة ليس من
آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله ما شاء أقام وما شاء أزاغ فقال
ما تأويل هذه الأخبار على ما يطابق التوحيد وينفي التشبيه أو ليس من مذهبكم
أن الأخبار التي تخالف ظاهر الأصول ولا تطابق العقول لا يجب
ردها والقطع على كذب راويها إلا بعد أن يكون لها في اللغة مخرج وتأويل
وإن كان لها ذلك فما تنكرون وتبغضون(?) ولستم ممن يقول ذلك في هذه
الأخبار فما تأويلها قلنا الجواب أن الذي يعول عليه من تكلم في تأويل هذه
الأخبار هو أن يقول الإصبع في كلام العرب وإن كانت الجارحة
المخصوصة فهي أيضا الأثر الحسن يقال لفلان على ماله وإبله إصبع أي أثر
وأثر حسن قال الراعي يصف راعيا حسن القيام على إبله
ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا
وقال طفيل الغنوي يصف فحلا كميت كركن الباب أحيا بناته

مقاليتها واستحسنتهن اصبع وقال لبيد بن ربيعة من يبسط الله عليه إصبعا بالخير
والشر بأي أولعا يملأ له منه ذنوبا مترعا وقال حميد بن ثور
أغر كلون البدر في كل منكب من الناس نعمى يحتذيها وأصبع وقال آخر
وإن زمانات تلبس فيهن ابن ذو إصبع في مسها ذو فطن وقال آخر أكرم نزارا
واسقه المشعشعا فإن فيه خصلات أربعا حلما وجودا وندى وإصبعا
والإصبع في كل ما أوردناه المراد به الأثر الحسن والنعمة فيكون المعنى ما من آدمي
إلا وقلبه بين نعمتين لله جليلتين حسنتين فإن قيل فهذا الذي ذكرتموه حكمتم أنه
أنه لم يفصل ما النعمتان وما وجه التثنية بأنهما ونعم الله تعالى على عباده كثيرة لا
تحصى قلنا يحتمل أن يكون الوجه نعم الدنيا ونعم الآخرة وثناهما لأنهما كالجنسين
أو النوعين وإن كان كل قبيل منهما في نفسه ذا عدد كثير لأن الله تعالى قد أنعم على عباده
بأن عرفهم بأدلته وبراهينه ما أنعم به عليهم من نعم الدنيا والآخرة وعرفهم ما لهم في الإعلام
بذلك والشكر عليه والثناء به من الثواب الجزيل والبقاء في النعيم الطويل ويمكن
أن يكون الوجه في تسميتهم للأثر الحسن بالإصبع هو من حيث يشار إليه بالإصبع
إعجابا به وتنبيها عليه وهذه عادتهم في تسمية الشيء بما يقع عنده وبما له علقة وقد قال
قوم وذهبوا في تأويل ذلك إلى أنها إرادة أن يقول كأنه في مكان إصبع لأن اليد
النعمة فلم يمكنها فعدل لأجل السجع إلى الإصبع لأنها من اليد وفي الإصبع التي
هي الجارحة ثماني لغات إصبع بفتح الألف والباء وإصبع بضم الألف
وكسر الباء وأصبع بضم الألف والباء وإصبع بكسر الألف والباء وأصبع
بضم الألف وفتح الباء وأصبوع بضم الألف مع الواو وفتح الباء وإصبع
بكسر الألف وفتح الباء وإصبع بكسر الألف وفي هذه الأخبار وجه آخر وهو
أوضح مما ذكرناه وأشبه بمذهب العرب في ملاحن كلامها وتصرف كنايتها وهو أن
يكون المعنى بذكر الأصابع الإخبار عن تيسر تقليب القلوب وتقليبها والفعل
فيها عليه وسهولته عليه وأن ذلك تحت قدرته ألا تراهم يقولون هذا الشيء

في خنصري

في خنصري وفي يدي وقبضتي كل ذلك إذا أرادوا تيسره وتسهله وارتفاع المشقة
فيه والمؤونة وعلى هذا المعنى يتأول المحققون قوله تعالى والأرض جميعا قبضته
يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه فكأنه عليه السلم
لما أراد المبالغة في وصفه تعالى بالقدرة على تقليب القلوب وتصريفها
بغير مشقة ولا كلفة وإن كان غيره تعالى يعجز عن ذلك ولا يتمكن منه قال
إنها بين إصبعين من أصابعه كناية عن هذا المعنى واختصارا للفظ الطويل
وجريا على مذهب العرب في إخبارهم عن مثل هذا المعنى بمثل هذا اللفظ
وهذا الوجه يجب أن يكون مقدما على الأول ومعتمدا فإنه واضح جلي ويمكن
أن يكون في الخبر وجه آخر على تسليم ما اقترحه المتأولون من أن الإصبعين
هما المخلوقتان من اللحم والدم استظهارا في الحجة ومراغمة لهم على كل وجه وهو أنه
لا ينكر أن يكون القلب يشتمل عليه جسمان على شكل الإصبعين يحركه الله تعالى
بهما ويقلبه بالفعل فيهما ويكون وجه تسميتهما بالأصابع من حيث كانا على شكلها
والوجه في إضافتهما إلى الله تعالى وإن كان أفعاله تضاف إليه بمعنى الملك والقدرة
أنه لا يقدر على الفعل فيهما وتحريكهما منفردين عما جاورهما غيره تعالى فقيل إنهما
إصبعان له من حيث اختص تعالى بالفعل فيهما على هذا الوجه لأن غيره تعالى
إنما يقدر على تحريك القلب وما هو مجاور للقلب من الأعضاء بتحريك جملة
الجسم ولا يقدر على تحريكه وتصريفه منفردا إلا هو تعالى وهو أمن من المطلب
المتأول وليس في هذه الأخبار بما هو ابهم وضعف آرائهم في أن الأصابع إنما
إذا كانت لحما ودما فهي جوارح الله تعالى وما هذا الوجه الآخر الذي ذكرناه ببعيد
على المتأول أن يورد كل ما يحتمله الكلام مما لا يدفعه حجة وإن ترتب بعضه
على بعض في القوة والوضوح ونحن نعود إلى تفسير ما لعله أن يشتبه من الأبيات
التي استشهدنا بها قوله حلما وجودا وندى وإصبعا فمعنى الحلم هو الحصافة
والنفاذ وقول الآخر وإن زمانات تلبس فيهن ابن ... فالإزمانات العصر





يعيب الانسان بالعين وذكر رجلا فقال لله حسود انفوس كذوبا
وقال عبد الله بن قيس الرقيات: يتقي اهلها النفوس عليها فعلى نحرها الرقى والتميم
وقال مضرس بن ربعي الفقعسي: واذا نموا صعدا فليس عليهم مني الخبال ولا نفوس الحسد
وقال ابن هرمة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك: فاسلم سلمت من المكاره والردى وعثارها ووقيت نفس الحسد
والنفس مقدار الدبغة تقول اعطني نفسا من دباغ اي قدر ما ادبغ به مرة والنفس الغيب يقول القائل اني لا اعلم نفس فلان اي غيبه وعلى هذا التاويل قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم غيبي وما عندي ولا اعلم غيبك وقيل ان النفس ايضا العقوبة من قولك احذرك نفسي اي عقوبتي وبعض المفسرين حمل قوله تعالى ويحذركم الله نفسه على هذا المعنى كانه يحذركم الله عقوبته وروى ذلك عن ابن عباس والحسن وآخرون قالوا المراد معنى الآية ويحذركم الله اياه وقد روي عن الحسن ومجاهد في قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك ما ذكرناه من التاويل بعينه فان قيل ما وجه تسمية الغيب بانه نفس قلنا لا يمتنع ان يكون الوجه في ذلك ان نفس الانسان لما كانت خفية الموضع نزل ما يكتمه ويجتهد في ستره منزلتها وسمي باسمها فقيل انه نفسه مبالغة في وصفه بالكتمان والخفاء وانما حسن ان يقول تعالى مخبرا عن نبيه عليه وآله السلام ولا اعلم ما في نفسك من حيث تقدم قوله تعالى تعلم ما في نفسي ليزدوج الكلام فلهذا لا يحسن ابتداء ان يقول انا لا اعلم ما في نفس الله وان حسن على الوجه الاول ولهذا نظائر في الاستعمال مشهورة مذكورة فاما الخبر الذي ذكره السائل فتاويله ظاهر وهو خارج على مذهب العرب في مثل هذا الباب معروف ومعناه ان من ذكرني في نفسه جازيته على ذكره لي واذا تقرب الي شبرا جازيته على تقربه الي وكذلك الخبر الذي تقدم قسم المجازاة

على الشيء باسمه اتساعا كما قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ويمكرون ويمكر الله والله يستهزئ بهم وكما قال الشاعر: الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
ونظائر هذا كثيرة في كلام العرب ولما اراد الله تعالى المبالغة في وصف ما يفعله بهم من الثواب والمجازاة على التقرب بالكثرة والزيادة كنى عن ذلك بذكر المسافة المضاعفة فقال ذراعا وباعا اشارة الى المعنى من ابلغ الوجوه واحسنها

مجلس آخر

تاويل آية: ان سأل سائل فقال ما تاويل قوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا وكيف يجوز ان تبلغ القلوب الحناجر مع كونهم احياء ومعلوم ان القلب اذا زال عن موضعه المخلوق فيه مات صاحبه وعن اي شيء زاغت الابصار وباي شيء تعلقت ظنونهم بالله تعالى الجواب قيل له في هذه الآية وجوه منها ان يكون المراد بذلك انهم جبنوا وفزع اكثرهم لما اشرف المشركون عليهم وخافوا من نواحيهم وبوادرهم ومن شان الجبان عند الروع اذا اشتد خوفه ان تنتفخ رئته ولهذا يقولون للجبان انتفخ سحره وليس يمتنع ان تكون الرئة اذا انتفخت رفعت القلب ونهضت به الى نحو الحنجرة وهذا التاويل قد ذكره الفراء وغيره ورواه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ومنها ان القلوب قد توصف بالوجيب والاضطراب في احوال الجزع والهلع قال الشاعر: كان قلوب ادلائها معلقة بقرون الظباء
وقال امرؤ القيس: [illegible]
اراد المبالغة في وصف نفسه واصحابه بالقلق والاضطراب ومفارقة السكون والقرار وانما خص الظبي لان قرنه اكثر تحركا واضطرابا بالنشاط والمرح وسرعة [illegible] وقد قال بعض الناس في هذا البيت ان امرأ القيس لم يصف شدة اصابته في البيت فيليق قوله على قرون الظباء بالتاويل المذكور بل وصف اماكن كان فيها مسرورا منعما الا ترى الى قوله قبل هذا البيت: الا رب يوم صالح قد شهدته بتاذف ذات التل من فوق طرطرا



على قرن أعفر على هذا الوجه أنه كان على مكان عال مشرف يشبهه لارتفاعه
بقرن الظبي وبهذا القول لابن الأعرابي والأول للأصمعي فأما قول الآخر
ألا قل خير الدهر كيف تغيرا فأصبح يرمي الناس عن قرن أعفرا
فلا يحتمل الشدة والحال المذمومة ويجوز أن يريد أن الناس فيهم غير مطمئنين
بل هم منزعجون فيقلقون كأنهم على قرن ظبي ويحتمل أن يطعنهم بقرن ظبي
كقولك رماه بداهية ويكون معنى عن بمعنى الباء فقال عن قرن
أعفر وهو يريد بقرن أعفر وقد ذكر في هذا البيت الوجهان معا فيكون
معنى الآية على هذا التأويل أن القلوب لما انقلعت وجيبها واضطرابها
بلغت الحناجر لشدة القلق ومنها أن يكون المعنى كادت القلوب من شدة
الرعب والخوف تبلغ الحناجر وإن لم تبلغ في الحقيقة فألقى ذكر كادت
لوضوح الأمر فيه ولفظة كادت للمقاربة مثل قول قيس بن الخطيم أتعرف
رسما كاطراد المذاهب لعمرة وحشا غير موقف راكب ديار التي كادت
ونحن على منى تحل بنا لولا نجاء الركائب معناه قاربت أن تحل بنا وإن لم
تحلل على الحقيقة وقوله غير موقف راكب فيه وجهان أحدهما أنه ليس بموضع
يقف فيه راكب لخلوه من الناس ووحشته والآخر أن يكون أراد به أنه
وحش إلا أن راكبا واقف به يعني نفسه وقال الشاعر
وقد كدت يوم الحزن لما ترنمت هتوف الضحى محزونة بالترنم أموت
لمبكاها أسى إن لوعتي ووجدي بسعدى شجوه غير منجم معنى المنجم المقلع وقال
ذو الرمة وقفت على ربع لمية ناقتي فما زلت أبكي عنده وأخاطبه وأسقيه
حتى كاد مما أبثه تكلمني أحجاره وملاعبه وكل هذا المعنى كادت فيه للمقاربة ومتى دخلت
النوب على كاد جحدا فقالوا ما كاد عبد الله يقوم ولم يكد عبد الله يقوم كان فيه وجهان
أجودهما قام عبد الله بعد إبطاء وإلا ... ومنه قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون
أي فعلوا بعد الإبطاء ... وجدان البقرة عسر عليهم وذهب ... أنهم ... ليتيم

لا مال لي غيرها فاشتروها من وليه بملء جلدها ذهبا فقال تعالى وما كادوا يفعلون
إما لأنهم لم يقفوا عليها أو لغلائها وكثرة ثمنها والوجه الآخر في قولهم ما كاد عبد الله
يقوم أي ما قام عبد الله ويكون لفظة كاد على هذا المعنى مطرحة لا حكم لها وعلى
هذا يحمل أكثر المفسرين قوله تعالى إذا أخرج يده لم يكد يراها أي لم يرها أصلا لأنه
جل وعز لما قال أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه سحاب ظلمات
بعضها فوق بعض كان بعض هذه الظلمات يحول بين العين وبين النظر
إلى اليد وسائر المناظر فيكد على هذا التأويل زيدت للتوكيد والمعنى إذا أخرج
يده لم يرها وقال قوم معنى الآية على هذا الجواب ليست بزائدة وقال آخرون
معنى الآية إذا أخرج يده فلم يرد أن يراها لأن الذي شاهده من تكاثف الظلمات
آيسه من تأمل يده وقرر في نفسه أنه لا يدركها بصره وحكي عن العرب أولئك
أصحابي الذين أكاد أنزل عليهم أي أريد أن أنزل عليهم وقال الشاعر كادت وكدت
وتلك خير إرادة لو عاد من لهو الصبابة ما مضى أي أرادت وأردت وقال
الأفوه الأودي فإن تجمع أوتاد وأعمدة وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا
أي أرادوا وقال بعضهم معنى قوله كدنا ليوسف أي أردنا بيوسف وقال ابن الكلبي
عن أبي صالح عن ابن عباس معناه كذلك صنعنا ليوسف قال ابن الكلبي ومما
يشهد لمن جعل لفظة يكد زائدة في الآية قول الشاعر سريع إلى الهيجاء شاك
سلاحه فما إن يكاد قرنه يتنفس أي فما إن يتنفس قرنه ويكاد زائدة للتوكيد
وقال حسان وتكاد تكسل أن تجيء فراشها في جسم خرعبة وحسن قوام معناه
وتكسل أن تجيء فراشها وقال الآخر وألا ألوم النفس فيما أصابني وألا أكاد
بالذي نلت أنجح أي لا أنجح بالذي نلت ولو لم يكن الأمر على هذا لم يكن البيت
مدحا ... عبد الصمد بن المعذل عن غيلان عن أبيه عن جده غيلان قال قدم
علينا ذو الرمة الكوفة فأنشدنا بالكناسة وهو على راحلته قصيدته الحائية التي
يقول فيها إذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح فقال له





فمن قال قام عبد الله واراد كاد ويقوم مقعدا فاما لا يفيده قوله لم يقم فاما قوله تعالى اذ زاغت الابصار فمعناه زاغت عن النظر الى كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها ويجوز ان يكون المراد زاغت اي جارت ومالت الى القصد في النظر دهشا وتحيرا فاما قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا فمعناه انكم تظنون مرة انكم تنصرون وتظهرون على عدوكم ومرة انكم تبتلون وتمتحنون بالتخلية بينهم وبينكم ويجوز ايضا ان يريد تعالى ان ظنونكم اختلفت فظن المخالفون بكم خلاف ما وعدتم به من النصر وشكوا في خبره جل وعز كما قال تعالى حكاية عنهم ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وظن المؤمنون ما طابق وعد الله تعالى لهم كما حكى جل وعز عنهم في قوله تعالى هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وكل ما ذكرناه واضح في تاويل الآية وما تعلق بها

مجلس تاويل آية

ان سال سائل عن قوله تعالى وجعلنا نومكم سباتا فقال اذا كان السبات هو النوم فكانه تعالى قال وجعلنا نومكم نوما وهذا مما لا فائدة فيه الجواب قيل له في هذه الآية وجوه منها ان يكون المراد بالسبات الراحة والدعة وقد قال قوم ان اجتماع الخلق كان في يوم الجمعة والفراغ منه كان في يوم السبت فسمي اليوم بالسبت للفراغ الذي كان فيه ولان الله تعالى امر بني اسرائيل فيه بالاستراحة من الاعمال قيل واصل السبات التمدد يقال سبتت المراة شعرها اذا حلته من العقص وارسلته قال

وان سبتته مال جثلا كانه سدى وابلات من نواضح ختعما

اراد وان ارسلته ومنها ان يكون المراد بذلك القطع لان السبت القطع والسبت ايضا الحلق يقال سبت شعره سبتا اذا حلقه وهو يرجع الى معنى القطع والنعال السبتية التي لا شعر عليها قال عنترة

بطل كان ثيابه في سرحة يحذى نعال السبت ليس بتوام

ويقال لكل ارض مرتفعة منقطعة مما حولها سبتاء وجمعها سباتا فيكون المعنى على هذا الجواب جعلنا نومكم قطعا لاعمالكم وتصرفكم ومن اجابكم بهذا الجواب يقول انما سمي يوم السبت بذلك لان بدء الخلق

كان يوم الاحد وجمع يوم الجمعة وقطع يوم السبت فرجع التسمية الى معنى القطع وقد اختلف الناس في ابتداء الخلق فقال اهل التورية ان الله تعالى ابتداه في يوم الاحد فكان الخلق في يوم الاحد والاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس والجمعة وفرغ في يوم السبت وهذا قول اهل التورية وقال آخرون ان الابتداء كان في يوم الاثنين الى يوم السبت وفرغ في يوم الاحد وهذا قول اهل الانجيل وقول اهل الاسلام فهو ان ابتداء الخلق كان في يوم السبت واتصل الى يوم الخميس وجعلت الجمعة عيدا فعلى هذا القول الاخير يمكن ان يسمى اليوم بالسبت من حيث قطع فيه بعض خلق الارض وقد روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال ان الله خلق التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الاحد ومنها ان يكون المراد بذلك انا جعلنا نومكم سباتا ليس بموت لان النائم قد يفقد من علومه وقصوده واحواله اشياء كثيرة يفقدها الميت فاراد تعالى ان يمتن علينا بان جعل نومنا الذي يضاهي فيه بعض احوال الميت ليس بموت على الحقيقة ولا يخرج لنا عن الحيوة والادراك فجعل التاكيد بذكر المصدر قائما مقام نفي الموت وسادا مسده قوله تعالى وجعلنا نومكم ليس بموت ويمكن ان يكون في الآية وجه آخر لم يذكر فيها وهو ان السبات ليس هو كل نوم وانما هو من صفات النوم اذا وقع على بعض الوجوه والسبات هو النوم الممتد الطويل السكون ولهذا يقال فيمن وصف بكثرة النوم انه مسبوت وبه سبات ولا يقال ذلك في كل نائم واذا كان الامر على هذا لم يجر قوله تعالى وجعلنا نومكم سباتا مجرى ان يقول وجعلنا نومكم نوما والوجه في الامتنان علينا بان جعل نومنا ممتدا طويلا ظاهر وهو لما في ذلك لنا من المنفعة والراحة لان التهويم والنوم الغرار لا يكسبان شيئا من الراحة بل يصحبهما في الاكثر القلق والانزعاج والهموم وهي التي تقلل النوم وتنزره وفراغ القلب ورخاء البال معهما غزر النوم وامتداده وهذا واضح قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وحدثت ابا بكر

محمد بن القسم الانباري يطعن على الجواب الذي ذكرناه اولاً ويقول ان ابن
قتيبة اخطأ في اعتماده لان الراحة لا يقال لها سبات ولا يقال سبت الرجل
بمعنى استراح واراح ويعتمد على الجواب الذي قدمنا ذكره ويقول فيما استشهد به
ابن قتيبة من قولهم سبتت المرأة شعرها ان معناه ايضاً القطع لان ذلك انما
يكون بازالة الشد او الذي كان مجموعاً به وقطعه والمقدار الذي ذكره ابن الانباري
لا يقدح في جواب ابن قتيبة لانه لا ينكر ان يكون السبات هو الراحة والدعة اذا كانت
عن نوم وان لم يوصف كل راحة بانها سبات ويكون هذا الاسم يختص الراحة
اذا كانت على هذا الوجه ولهذا نظائر كثيرة في الاسماء واذا امكن ذلك لم يكن
في امتناع قولهم سبت الرجل بمعنى استراح في كل موضع دلالة على ان السبات
لا يكون اسماً للراحة عند النوم والذي يجب على ابن قتيبة ان يصحح ان السبات
هو الراحة والدعة ويستشهد على ذلك بشعر او لغة فان البيت الذي ذكره يمكن
ان يكون المراد به القطع دون التمدد والاسترسال فان قيل فما الفرق بين جواب
ابن قتيبة وهو الحكم الذي ذكرتموه آخراً قلنا الفرق بينهما بيّن لان ابن قتيبة جعل
السبات نفسه راحة وجعله عبارة عنها واخذ يستشهد على ذلك بالتمدد وغيره
ونحن جعلنا السبات من صفات النوم والراحة واقعة عنده لا انه اسم لها ونطول
السكون فيه فلا يلزمنا ان يقال سبت الرجل بمعنى استراح لان الذي لا يستمر ما
يقع عنده حقيقة والاستراحة تقع على جهة ما عند السبات وليس السبات اياها
بعينها على ان في الجواب الذي اختاره ابن الانباري ضرباً من الكلام لان السبت
وان كان القطع على ما ذكره فلم يسمع فيه البناء الذي ذكره هو السبات ولا يحتاج في
مثل هذا البناء الى سماع عن اهل اللغة وقد كان يجب ان يورد من اي وجه اذا
كان السبت هو القطع جاز ان يقال سبات على هذا المعنى ولم نره فعل ذلك

تأويل خبر ان سأل سائل عن الخبر الذي روي عن النبي صلى الله
عليه وآله ان الميت ليعذب ببكاء اهله عليه وفي رواية اخرى ان الميت يعذب في قبره

بالنياحة

الشدّاد وما يشد به الشعر اذا اريد تخفيفه

قال ابن دريد السبات السكون والرجل مسبوت وقال الجوهري السبات والسبت السكون والراحة وقد سبت يسبت بالضم

بالنياحة عليه وقد روى هذا المعنى المغيرة بن شعبة ايضاً فقال سمعت النبي
صلى الله عليه وآله يقول من نيح عليه فانه يعذب بما نيح عليه الجواب انا اذا كنا
قد علمنا بادلة العقل التي لا يدخلها الاحتمال والاتساع والمجاز قبح مؤاخذة احد
بذنب غيره وقد علمنا ايضاً بادلة الشرع مثل قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى
فلا بد من ان نصرف ما ظاهره بخلاف هذه الادلة الى ما يطابقها والمعنى في الاخبار
التي سئل عنها ان صحت روايتها انه ان اوصى موص بان يناح عليه ففعل ذلك
بامره ووصيته فانه يعذب بالنياحة وليس معنى يعذب بها انه يؤاخذ بفعل النوح
وانما معناه انه يؤاخذ بامره بها ووصيته بفعلها وانما قال عليه السلام ذلك لان الجاهلية
كانوا يرون البكاء عليهم والنوح ويأمرون به ويؤكدون الوصية بفعله وهذا مشهور
عنهم قال طرفة بن العبد فان مت فانعيني بما انا اهله * وشقي علي الجيب يا ابنة
معبد وقال بشر بن ابي خازم لابنته عمرة عميرة
فمن يك سائلاً عن بيت بشر * فان له بجنب الردة بابا * ثوى في ملحد لا بد منه
كفى بالموت نأياً واغترابا * رهين بلى وكل فتى سيبلى * فاذري الدمع وانتحبي
انتحابا * وقد روي عن ابن عباس في هذا الخبر انه قال وهل ابن عمر انما مر رسول الله
صلى الله عليه وآله على يهودي فقال انكم لتبكون عليه وانه ليعذب في قبره وهل ابن
عمر وقد روي انكار هذا الخبر عليه ايضاً عن بعض ازواج النبي عليه وآله السلام انها
قالت لما اخبرت بروايته وهل ابو عبد الرحمن كما وهل يوم قليب بدر انما قال
عليه وآله السلام ان اهل الميت ليبكون عليه وانه ليعذب بجرمه قال الفراء يقال وهل
الرجل في الشيء يوهل وهلاً اذا ذهب وهمه الى غير الصواب ويقال وهلت الى الشيء
فانا اهل وهلاً اذا ذهب وهمك اليه ووهلت عنه اوهل وهلاً اذا نسيته
وغلطت فيه ووهل الرجل يوجل وجلاً اذا فزع والوهل الفزع فاما القليب
فهو البئر العادية القديمة قال حسان بن ثابت يذكر قتلى بدر من المشركين نناديهم

وقال آخر يكلمهم على قليب بدر من المشركين فماذا بالقليب قليب بدر من القينات
والشرب الكرام فماذا بالقليب قليب بدر من الشيزى تكلل بالسنام
منغ وهلة في ذكر القليب انه روي ان النبي عليه السلام وقف على قليب بدر
فقال هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ثم قال عليه السلام انهم يسمعون ما اقول
فانكر ذلك عليه السلم وقيل انما قال عليه السلم انهم الآن ليعلمون ان الذي كنت
اقول لهم هو الحق واستشهد عليه السلم بقوله تعالى فانك لا تسمع الموتى واهل
جماعة من قريش فيهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وغيرهم وروي عن
عبد الله بن مسعود انه قال بينا النبي عليه السلم ذات يوم قائما يصلي بمكة واناس
من قريش في حلقة فيهم ابو جهل وهشام فقال ايكم يجيء احدكم ان ياتي الجزور التي نحرها
آل فلان فياخذ سلاها ثم ياتي به حتى اذا سجد وضعه على ظهره قال عبد الله فانبعث
اشقى القوم وانا انظر اليه فجاء به حتى وضعه على ظهره قال عبد الله فلو كان لي
يومئذ منعة المنعة وجاءت فاطمة عليها السلم وهي يومئذ جويرية حتى اماطته
عن ظهر ابيها ثم جاءت حتى قامت عليهم ودس فاوسعتهم شتما فقال والله لقد
رايت بعضهم يضحك حتى انه ليطرح نفسه على صاحبه من الضحك فلما سلم النبي
عليه السلم اقبل على القوم فقال اللهم عليك بفلان وفلان فلما راوا النبي عليه
وآله السلم وقد دعا عليهم اسقط في ايديهم فوالله الذي لا اله الا هو ما سمى النبي عليه السلم
يومئذ احدا الا وقد رايته يوم بدر وقد اخذ برجله يجر الى القليب مقتولا قوله فياخذ
سلاها اي جلدتها التي فيها ولدها ما دام في بطنها وتجمع الاسلاء قال ابن حبيب
الاسلاء التي فيها الاولاد قال الاخطل يطرحن بالنحر السخال كانما ينقشن
بالاسلاء اردية العصب وقال الشماخ والعيش دائمة المناسم فخمة يقذفن
بالاسلاء تحت الاركب قال الفراء اسقط في ايديهم من الندامة وسقط
لغتان وهو بفتح الف الخر احوا ويمكن ان يكون في قوله عليه السلم تقدير
اهله وجه آخر وهو ان يكون المعنى ان الله تعالى اذا علم ... اهله وافترق علمه وما

يحظهم

ليسكا

يحفظهم عليهم بعد ... بالمرتين تالم بذلك فكان عذابا الى العذاب صح

ليس بجار مجرى العقاب الذي لا يكون الا على ذنب متقدم بل يستعمل كثيرا
فيما يشتمل الالم والضرر الا ترى ان القائل قد يقول لمن ابتداه
بضرر والالم قد عذبتني بكذا وكذا واذيتني كما يقول اضررت بي والمتني
فالمتالم يستعمل للعقاب حقيقة في الالم المبتدا ان حيث كان
اشتقاقه لفظ من المعاقبة التي لا بد من تقدم سبب لها وليس هذا في العذاب

مسألة ان سال سائل عن الخبر الذي يرويه ابو هريرة
عن النبي عليه وآله السلم ما من احد يدخله عمله الجنة وينجيه من النار قيل ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل يقولها ثلثا فقال اليس
هذا دالة على ان الله تعالى يتفضل بالثواب غير مستحق عليه ومذهبكم بخلاف
ذلك الجواب قلنا فايدة الخبر ومعناه بيان فقر المكلفين الى الله تعالى وحاجتهم
الى الطافه وتوفيقاته وهدايته وان العبد لو احوج الى نفسه وقطع الله مواد المعونة
واللطف عنه لم يدخل بعمله الجنة ولا نجا من النار فكانه عليه السلم اراد ان احدا
لا يدخل بعمله الذي لم يعنه الله تعالى عليه ولا لطف له فيه ولا ارشده اليه الجنة وهذا
هو الحق الذي لا شبهة فيه فاما الثواب فانا لا نقول بانه تفضل من الله تعالى
تفضل بسببه الذي هو التكليف ولهذا نقول ان الله لا يجب عليه شيء ابتداء
وانما يجب عليه ما اوجبه على نفسه فالثواب مما كان اوجبه على نفسه بالتكليف
وكذلك التمكين والالطاف وكل ما يوجبه ويجلبه التكليف ولولا ايجابه له على نفسه
بالتكليف لما وجب فان قيل فقد سمى الرسول عليه السلم ما يفعله تفضلا فقال
عليه السلم الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل قلنا هذا مطابق بما ذكرناه لان الرحمة
النعمة والثواب نعمة وهو فضل وتفضل من الوجه الذي ذكرناه وان حملنا قوله عليه السلم
برحمة منه وفضل على ما يفعله من الالطاف والمعونات كان الفضل فضلا وتفضلا
لا لكسبها غير واجب فاما قوله عليه السلم يتغمدني فمعناه يسترني يقال اغمدت السيف
في غمده اذا سترته قال الشاعر نصبنا وما حافوتها جو عامر كظل السما في كل ادهم مغمدا



ما غشيهم وقوله لما غشيهم يدل عليه ويستغنى به عنه لأن غشيهم من اليم لا يفهم منه
إلا الذي غشيهم وما الوجه في ذلك قلنا قد ذكر في هذا أجوبة أحدها أن يكون
المعنى فغشيهم من ماء اليم البعض الذي غشيهم لأنه لم يغشهم جميع مائه بل غشيهم
بعضه فقال تعالى ما غشيهم ليدل على أن الذي غرقهم بعض الماء وأنهم لم يغرقوا
بجميعه وهذا الوجه يحكى عن الفراء وذكره ابن الأنباري واعتمده وغيره
أوضح منه واليم البحر قال الشاعر وبنى تبع على اليم قصرا عاليا من فاعلى البناء
وثانيها أن يكون المعنى فغشيهم من ماء اليم ما غشي موسى وأصحابه وذلك أن
موسى عليه السلام وأصحابه وفرعون وأصحابه سلكوا جميعا البحر وغشيهم كلهم
إلا أن فرعون وقومه لما غشيهم غرقهم وموسى عليه السلم وقومه جعل الله لهم في
البحر طريقا يبسا قال تعالى فغشي فرعون وقومه من ماء اليم ما غشي موسى وقومه
فنجا هؤلاء وهلك هؤلاء وعلى هذا التأويل تكون الهاء والميم في قوله
ما غشيهم كناية عن غير من كنى تعالى عنه بغشيهم لأن الأولى كناية عن فرعون
وقومه والثانية كناية عن موسى وقومه وثالثها أنه غشيهم من عذاب اليم
وإهلاكه لهم ما غشي الأمم السالفة من العذاب والهلاك عند تكذيبهم أنبياءهم
وإقامتهم على رد أقوالهم والعدول عن إرشادهم والأمم السالفة وإن لم يغشهم
العذاب والإهلاك من قبل البحر فقد غشيهم عذاب وإهلاك استحقوهما
بكفرهم وتكذيبهم أنبياءهم فشبه بينهم وبين هؤلاء من حيث اشتمال العذاب
على جميعهم عقوبة على التكذيب ورابعها أن يكون المعنى فغشيهم من قبل اليم ما غشيهم
من القطع والإهلاك فيكون لفظة غشيهم الأولى للبحر والثانية للإهلاك والقطع
اللذين لحقاهم من قبل البحر ويمكن في الآية وجه آخر لم يذكر فيها وهو واضح
بين يليق بمذاهب العرب في استعمال مثل هذا اللفظ وهو أن يكون
الفائدة في قوله تعالى ما غشيهم تعظيم الأمر وتفخيمه كما يقول القائل فلان
فعل ما فعل وأقدم على ما أقدم إذا أراد التفخيم وكما قال تعالى وفعلت فعلتك التي

فعلت

فعلت وكما يقولون هذا بذا ومن جملة هذا الباب قولهم للرجل هذا هذا وأنت أنت
وفي القوم هم هم قال الهذلي شعر رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وأنكرت
الوجوه هم هم وقال أبو النجم أنا أبو النجم وشعري شعري كل ذلك إذا أراد
تعظيم الأمر وتكبيره تأويل آية أخرى إن سأل سائل
عن قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم فقال ما الفائدة في قوله تعالى من فوقهم
وهو لا يفيد إلا ما يفيده قوله تعالى فخر عليهم السقف لأن مع الاقتصار على القول
الأول لا يذهب وهم أحد إلى أن السقف يخر من تحتهم الجواب قيل له
في ذلك أجوبة أولها أن يكون على بمعنى عن فيكون معنى فخر عليهم السقف
أي خر عن كفرهم وعن جحودهم بالله تعالى وآياته كما يقول القائل اشتكى فلان عن
دواء شربه فيكون على وعن بمعنى واحد من أجل الدواء كذلك يكون الآية
فخر من أجل كفرهم السقف من فوقهم وقال الشاعر شعر أرمي عليها وهي
فرع أجمع وهي ثلث أذرع وإصبع أراد أرمي عنها لأن الكلام يعرف
رميت عن القوس فأقام على مقام عن وثانيها أنه تعالى لو قال على هذا المعنى فخر
عليهم السقف ولم يقل من فوقهم جاز أن يتوهم متوهم أن السقف خر
وليسوا تحته وثالثها أن تكون على بمعنى اللام والمعنى فخر لهم السقف فإن على
قد تقام مقام اللام وحكي عن العرب ما أغيظك علي وما أعمك علي يريدون
ما أغيظك وأعمك لي وقال الطرماح يصف ناقة شعر كأن مخواها على ثفناتها
معرس خمس وقعت للجناجن أراد وقعت على الجناجن وهي عظام الصدر
فأقام اللام مقام على وقد يقول القائل أيضا تداعت على فلان داره
واستهدم عليه حائطه ولا يريد أنه كان تحته فأخبر تعالى بقوله من فوقهم عن فائدة
لولاه ما فهمت وجاز أن يتوهم متوهم في قوله تعالى فخر عليهم السقف ما يتوهم
من قولهم خرب عليه داره ووقفت عليه دابته وأشباه ذلك وللعرب
في هذا مذهب ظريف لطيف لأنهم لا يستعملون لفظة على في مثل هذا

الموضع الا في الشر والامر المكروه الضار ويستعملون اللام في خلاف ذلك الا ترى انهم لا يقولون عمرت على فلان ضيعته بل لا بد من قولهم خربت عليه ضيعته ولا ولدت عليه جاريته بل يقولون عمرت له ضيعته وولدت له جاريته وهكذا من شأنهم اذا قالوا علي ورد علي فانه يقال في الشر والكذب وفي الخير والحق يقولون قال عني وروى عني ومثل ذلك قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان لانهم لما اضافوا الشر والكفر الى ملك سليمان حسن ان يقال تتلوا عليه ولو كان خيرا لقيل عنه ومثله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون وقوله تعالى ام تقولون على الله ما لا تعلمون قال الشاعر

عرضت نصيحة مني ليحيى ... فقال غششتني والنصح مر

وما بي ان اكون اعيب يحيى ... ويحيى طاهر الاخلاق بر

ولكن قد اتاني ان يحيى ... يقال عليه في بقعاء شر

فقلت له تجنب كل شيء ... يعاب عليك ان الحر حر

ومثله قول الفرزدق في عنبسة بن معدان المعروف بعنبسة الفيل وقد كان يتتبع شعره ويخطئه ويلحنه

لقد كان في معدان والفيل زاجر ... لعنبسة الراوي علي القصائدا

فقال علي ولم يقل عني للمعنى الذي ذكرناه وثالث الوجوه في الآية ان يكون من فوقهم تأكيدا للكلام وزيادة في البيان كما قال تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والقلب لا يكون الا في الصدور ونظائر ذلك في الكتاب والكلام العرب كثيرة

مجلس آخر

تأويل خبر ان سأل سائل عن الخبر الذي يرويه [مرفوعا] عن ابي اسحق الهجري عن ابي الاحوص عن ابي عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله قال ان هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا مأدبته ما استطعتم وان اصفر البيوت لجوف اصفر من كتاب الله تعالى فقال ما تأويله وكيف بيان غريبه الجواب قلنا المأدبة في كلام العرب هي الطعام يصطنعه الرجل ويدعو الناس اليه فشبه عليه السلام ما يكتسبه الانسان من خير القرآن ونفعه

وعائدته

وعائدته عليه اذا قرأه وحفظه بما يناله المدعو من طعام الداعي اليه وانتفاعه به يقال قد ادب الرجل يأدب ادبا فهو آدب اذا دعا الناس الى طعامه ويقال للمأدبة المدعاة وذكر الاحمر انه يقال فيها ايضا مأدبة بفتح الدال قال طرفة

نحن في المشتاة ندعو الجفلى ... لا ترى الآدب فينا ينتقر

ومعنى الجفلى انه عم بدعوته ولم يخص اذا خص بها بعضا دون بعض يقال فلان يدعو قوما دون قوم النقرى اذا خص بها قوما دون قوم ومعنى ينتقر من النقرى قال بعض هذيل

وليلة يصطلي بالفرث جازرها ... يختص بالنقرى المثرين داعيها

لا ينبح الكلب فيها غير واحدة ... عند الصباح ولا تسري افاعيها

معنى يصطلي بالفرث جازرها ان الجازر اذا شق الكرش ادخل يده لشدة البرد في الفرث مستدفئا به ومعنى يختص بالنقرى المثرين داعيها انه يختص بدعايته الى طعامه الاغنياء الذين يطمع من جهتهم في المكافاة قال الآخر

قالوا اتتنا وقد حضبت وما دتهم فقيل ايامه يوم الثلثاء

وقال الهذلي يصف عقابا

كأن قلوب الطير في جوف وكرها ... نوى القسب يلقى عند بعض المآدب

اراد جمع مأدبة وقد روي هذا الحديث بفتح المأدبة وقال الاحمر والمراد بهذه اللفظة مع الفتح هو المراد بها مع الضم وقال غيره المأدبة بفتح الدال مفعلة من الادب معناه ان الله تعالى انزل القرآن ادبا للخلق وتقويما لهم وانما دخلت الهاء في مأدبة ومأدبة والقرآن مذكر بمعنى المبالغة كما قالوا هذا شراب مطيبة للنفس وكما قال عنترة

والكفر مخبثة لنفس المنعم

وجرى ذلك مجرى قولهم رجل علامة ونسابة في باب المدح على جهة التشبيه بالداهية ورجل لحانة وهلباجة في باب الذم على جهة التشبيه بالبهيمة ويقال لطعام الاملاك وليمة ولطعام الزفاف العرس ولطعام الختان الخيرة ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام حلق الشعر العقيقة ولطعام القادم من السفر النقيعة ولطعام النفساء الخرس والذي تطعمه النفساء الخرسة قال الشاعر

اذا النفساء لم تخرس ببكرها ... غلاما ولم يسكت بحتر فطيمها

الحتر الشيء القليل

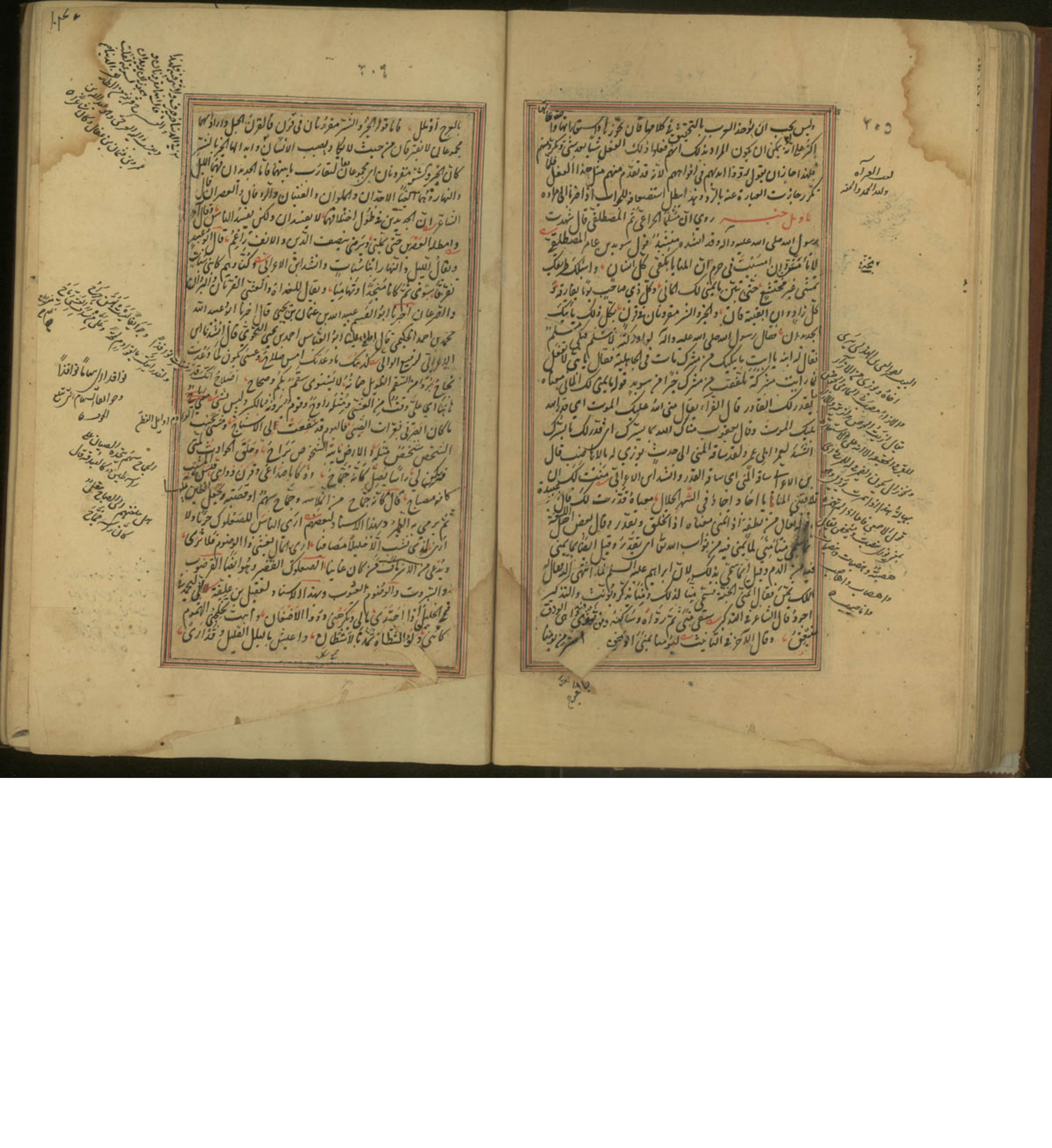




وعزه وقوله لا ترتقي الفرق في ذلاذله في راس جبل فلا تزال تنعلى كالوعل منابه
ولا بل معدى ثعلب عنه والعصرة الملجأ والنطفة الماء المجتمع في صخرة او غيرها
من بقية ماء المطر والنصب الشق في الجبل الضيق من اللهب واوسع من الشعب
والسيل المطر والوجبة الاكلة كل يوم مرة والاشكل السدر الجبلي وواحدته
اشكلة يقول فهذه النطفة والوجبة من الاشكلة عصرتاه وقوله ان لم يرعها
بالقوس معنى انها لا تبالي بالاذى حتى تحرك بالقوس قال الشريف المرتضى رضي الله عنه
وانما جعل الاصمعي انشاده تخصيص الابيات دلالة على معناها لانه يبعد ان يعرفها
ولا يعرف معناها والاعرابي انما ساله عن المعنى فاقام انشاده لها مقام تفسيرها
واستغنى الاعرابي بذلك وعلم بانه باتمامه للابيات عارف معناها وكان الاصمعي
كثيرا ما انشد شيئا من الشعر يشبه في معناه في الحال حسن ذلك ان اسحق
بن ابراهيم الموصلي انشده يوما لنفسه: اذا كانت الاحرار اصلي ومنصبي
وقام بنصري حازم وابن حازم، عطست بانف شامخ وتناولت، يداي الثريا
قاعدا غير قائم، فلما فرغ من انشاده انشد بعقب ذلك: الا ايها السائلي جاهلا
ليعرفني انا انف الكرم، نمت في الكرام بني عامر، فروعي واصلي قريش العجم قال
محمد والله بالشعر الذي نحوته وعلمت تنبيهه عليه واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال
حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال اخبرنا عون بن محمد قال حدثنا اسحق بن ابراهيم قال
ما انشدت الاصمعي شيئا قط الا انشد في مثله كانه اعده لي فانشدته يوما
للاعشى: علقتها عرضا وعلقت رجلا، غيري وعلق اخرى غيرها الرجل، فانشد
من وقته: فتلك اخت بني لوي اذ رميت، واصاب نبلك اذ رميت سواها، و
اعارها الحدثان منك مودة، واعار غيرك ودها وهواها، وذكر ابو العيناء قال كان الاصمعي
اذا سمع انسانا ينشد شعرا في معنى انشد في ذلك المعنى من غير ان يرى انه
اراده فانشده رجل قول القطامي: والناس من يلق خيرا قائلون له، ما يشتهي
ولام المخطي الهبل، فانشد قول كعب النواري: من يلق خيرا يحمد الناس امره

ومن يغو لا يعدم على الغي لائما، وروى ميمون بن هارون قال سمعت اسحق بن ابراهيم
يقول انشدت الاصمعي قول الاعشى طلبا ان ينشد في مثله وكان مع بخله بالعلم
لا يفض بمثله بعد هذا: ان تركبوا فركوب الخيل عادتنا، او تنزلون فانا معشر نزل،
فانشدني لربيعة بن مقروم الضبي: ولقد شهدت الخيل يوم طرادها، بسليم اوظفة
القوائم هيكل، فدعوا نزال فكنت اول نازل، وعلام اركبه اذا لم انزل، وروى
عن اسحق بن ابراهيم ايضا انه قال دخل الي يوما الاصمعي وعندي رئيس للمغني الزاجر
حافظ رواية فلما دخل عبث به اخو الصمت فقال له من هذا فقال هو الباهلي الذي يقول
فصحفه ثم ادوحته بالالة: يا اطيب من فيها ولا افطر لحظ، فقال له قبل ان
يستتم كلامه هو على كل حال املح من قول الحكم الخضري: يا رب جارية حوراء
ناعمة، كانها عوهة في جوف تعقود، فقال اسحق اكنت اعددت هذا الجواب
قال لا ولكن ما مر في شيء الا وانا اعرف منه طرفا، مجلس اخر تاويل اية ان سال
سائل عن قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
ذلك قولهم بافواههم فقال اي معنى لقوله تعالى بافواههم ونحن نعلم ان القول
لا يكون الا بالافواه الجواب قلنا القول يحمل معنيين في لغة العرب
احدهما القول باللسان والاخر بالقلب فالقول الذي يضاف الى القلب
هو الظن والاعتقاد ولهذا المعنى ذهبت العرب بالقول مذهب الظن
فقالوا اتقول عبد الله خارجا ومتى تقول محمدا منطلقا يريدون متى تظن قال
الشاعر: اما الرحيل فدون بعد غد، فمتى تقول الدار تجمعنا، اراد فمتى تظن الدار
تجمعنا وقال الاخر: اجهالا تقول بني لؤي، لعمر ابيك ام متجاهلينا، اراد
تظن بني لؤي وقال توبة بن الحمير: الا يا صفي النفس كيف تقولها، لو ان
طريدا خائفا يستجيرها، تخبر ان شطت بها غربة النوى، ستنعم ليلى او
تفك اسيرها، اراد كيف تظنها فلما كان القول يستعمل في الامرين
معا كان قوله تعالى بافواههم تقصر المعنى على ما يكون باللسان دون القلب





وليس يجب ان يؤخذ الوجه بالتحقيق في كلامها فان تجوزنا او استعارا فهما وا
اكثر علما انه يمكن ان يكون المراد بذلك انهم فعلوا ذلك الفعل شيئا بعد شيء وكرروه منهم
فلهذا جاز ان يقول ردوا ايديهم في افواههم لانه قد تقدم منهم مثل هذا الفعل فلما
تكرر جازت العبارة عنه بالرد وهذا ابطل استقصاءه للجواب اذا اخرنا الى مراده

تأويل خبر روي ان مسلما الخزاعي ثم المصطلقي قال شهدت
رسول الله صلى الله عليه وآله وقد انشده منشد قول سويد بن عامر المصطلقي
لا تأمنن وان امسيت في حرم ان المنايا بجنبي كل انسان واسلك طريقك
تمشي غير مختشع حتى تبين ما يمني لك الماني وكل ذي صاحب يوما يفارقه
وكل زاد وان ابقيته فان والخير والشر مقرونان في قرن بكل ذلك يأتيك
الجديدان فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لو ادركه لاسلم فبكى مسلم
فقال له ابنه يا ابت ما يبكيك من مشرك مات في الجاهلية فقال يا بني لا تفعل
فما رايت مشركة تلقفت من مشرك خيرا من سويد قوله ما يمني لك الماني معناه
يقدر لك القادر قال الفراء يقال منى الله عليك الموت اي قدر الله
عليك الموت وقال يعقوب مناك الله بما يسرك اي قدر لك ما يسرك
انشد لبعض ابي عمرو ولقد ساقه المنى الى حدث يوزي له بالاماء حنب قال
ابن الاعرابي ساقه المنى اي ساقه القدر وانشد ابن الاعرابي منيت لك ان
تلاقيني المنايا احادا احادا في الشهر الحلال معناه قدرت لك قال
تعالى من نطفة اذا تمنى معناه اذا تخلق وتقدر وقال بعض اهل اللغة
سميت منى منى لما يمنى فيه من ثواب الله تعالى اي يقدر وقيل انما سميت منى
لما يمنى فيه من الدم وقيل انما سميت بذلك لان ابراهيم عليه السلم لما انتهى اليها قال له
الملك تمن فقال اتمنى الجنة فسميت منى لذلك ومنى يذكر ويؤنث والتذكير
اجود قال الشاعر في التذكير سقى منى ثم رواه وساكنه ومن ثوى فيه واهي الودق
منبعق وقال الآخر في التانيث ليوم بمنى ...

بالروح او ملل فاما قوله الخير والشر مقرونان في قرن فالقرن الحبل واراد انهما
مجموعان لا يفترقان من حيث لا يكاد يصيب الانسان واحد منهما الا والخير بالشر
كان الخير والشر مقرونان اي مجموعان لتقاربهما بينهما فاما الجديدان فهما الليل
والنهار وهما ايضا الاجدان والملوان والفتيان والردفان والعصران قال
الشاعر ان الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس وقال آخر
واماطله العصرين حتى يملني ويرضى بنصف الدين والانف راغم قال ابو عبيد
ويقال الليل والنهار ابنا سبات وانشد ابن الاعرابي وكنا وهم كابني سبات
تفرقا سوى ثم كانا منجدا وتهاميا ويقال للغداة والعشي القرتان والبردان
والقرعان اخبرنا ابو القسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال اخبرنا ابو عبد الله
محمد بن احمد الحكيمي قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى النحوي قال انشدنا ابن
الاعرابي لرفيع الوالبي لئن منك ما وعدتك امس صلاحه وعسى تكون لما وعدت
نجاح يرد من السقم الطويل حمامه لا ينثوي سقم به وصحاح اصلاح انك قد
ما بيني اي على وقت من العشي ومثله راوح وقوم بروثه بالكبر وليس فتى
ما كان العربي نزوات الصبي فاليوم قد شفعت الى الاشباح ومشى تحنب
الشخص يشخص مثله والارض نابية الشخوص براح وحلق الحوادث لمتي
فتركن لي راسا يصل كانه جناح وكانما صداغي وقرن ذوائبي قبس المشيب
كانه مصباح قال كانه جناح من الملاسة وجناح سهم او قصبته ويجعل الطين عليها
ثم يرمي به الطير ويهذا الاسناد لبعضهم ارى الناس للصعلوك حربا ولا
ارى لذي نشب الا خليلا مصافيا اي اتمال يغني والوضوم فلا ترى
ويدعى من الاتراب من كان عاريا الصعلوك الفقير وهو ايضا القرضوب
والتروت والوضوم العتوب ويهذا الاسناد لعقيل بن علفة الى المجد ينمى
الخليل اذا احتذى بالي ويكرهني ذوو الاضغان واهبت يجلي الهموم
كانني دلو الشطاء تمد بالاشطان واعيش بالبلل القليل وقد ارى



ان الرموس مصارع الفتيان • واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني
علي بن ابي منصور قال حدثني محمد بن موسى عن دعبل بن علي قال قال عقيل وذكر
وزاد فيها • ولقد علمت لئن هلكت لتبكين قومي اذا علا النجي مكاني • قال
الشريف المرتضى رضي الله عنه وكان عقيل بن علفة قوي الشعر جيد
الكلام حكيم الالفاظ وروى المدائني قال قال عبد الملك بن مروان لعقيل بن
علفة المري ما اخبث اموالكم فقال ما نال احدنا من صاحبه نقصا قال ثم
ايها قال موارثنا قال فايها اشرف قال ما استفدناه بوقعة حولت نعما
وافادت عزا قال فما مبلغ عزكم قال ما لم يطمع فينا ولم نؤمن قال فما مبلغ جودكم
قال ما افدناه منا وابقينا به ذكرا قال فما مبلغ حفاظكم قال يدفع كل رجل عن
المستجير به كدفاعه عن نفسه قال عبد الملك هكذا فليصف الرجل قومه وروي
انه قيل لعقيل بن علفة قد عنست بناتك فما تخشى عليهن الفساد قال
كلا اني خلفت عليهن الحافظين قيل وما هما قال العري والجوع اجيعهن فلا
يأشرن واعريهن فلا يظهرن وقال له عبد الملك يوما مالك تهجو قومك قال
لانهم اشباه الغنم اذا صيح بها رفعت واذا سكت عنها رتعت قال انما تقول
البيت والبيتين قال حسبي من القلادة ما احاط بالعنق فاما معنى علفة
اسم ابيه فان ابن الاعرابي قال العلفة مثل الباقلاء الرطبة يكون تحت ابرة
من النقل وغيره وقال ابو سعيد السكري العلفة ضرب من اوعية بزر بعض النبات
مثل قشرة الباقلى واللوبيا وهو الغلاف الذي يجمع عدة حب وقيل ان
عقيلا يكنى بابي الوليد وكان عقيل غيورا موصوفا بالغيرة وروى ابو عمرو بن العلاء
انه خطب اليه ابنة له فانشأ يقول • اني وان سيق الي المهر الف وعبدان
وذود عشر • احب اصهاري الي القبر • وروى الاصمعي ان عقيلا كان يتجر
فرأى رجلا يتحدث الى النساء فاخذه فوثقه ... ربطه وربطه
وطرحه في قرية النمل فلا يعود الى محادثتهن وروى الاصمعي قال كان عقيل بن علفة

في بعض سفره ومعه ابنه العملس وابنته الجرباء فانشأ يقول • قضت وطرا من دير سعد وربما
على عجل ناطحنه بالجماجم • ثم اقبل على ابنه فقال اجز يا عملس فقال • فاصبحن بالموماة
يحملن فتية • نشاوى من الادلاج ميل العمائم • ثم اقبل على ابنته فقال اجزي يا جرباء
فقالت • كأن الكرى سقاهم صرخدية • عقارا تمشت في المطا والقوائم •
قال فاقبل على ابنته يضربها ويقول والله ما وصفتها حتى شربتها فوثب عليه اخوها
فقاتلوه ودونها فرماه احدهم بسهم فانتظم فخذه فقال عقيل • ان بني زملوني
بالدم • من يلق ابطال الرجال يكلم • ومن يكن ذا اود يقوم • شنشنة اعرفها
من اخزم • الشنشنة الطبيعة والسجية وقيل الشنشنة وهي اشبه • اجتلبه عقيل
قبل ولعقيل • وللدهر اثواب فكن في ثيابه • كلبسته يوما اجد واخلقا •
وكن اكيس الكيسى اذا كنت فيهم • وان كنت في الحمقى فكن انت احمقا •

مجلس تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى والى الله
ترجع الامور فقال كيف يصح القول بانها ترجع اليه وهي لم تخرج عن يده
الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه احدها ان الناس في دار المحنة والتكليف
وقد يغتر بعضهم بحيث يعتقدون فيهم انهم يملكون جر المنافع اليهم وصرف
المضار عنهم وقد يدخل بعضهم الشبه لتقصيرهم في النظر وعدولهم عن وجهه وطريقه
فيعبد قوم اصناما وغيرها من المعبودات الجامدة الهامدة التي لا تسمع ولا تبصر
ويعبد اخرون البشر ويجعلونهم شركاء الله تعالى في استحقاق العبادة ويضيف
كل هولاء افعال الله عز وجل منهم الى غيره فاذا جاءت الاخرة وانكشف الغطاء
واضطروا الى المعارف زال ما كانوا عليه في الدنيا من الضلالة واعتقاد الباطل
واعتقد الكل انه لا خالق ولا رازق ولا ضار ولا نافع غير الله تعالى فردوا الامور الى
الله وانقطعت امالهم من غيره وعلموا ان الذي كانوا عليه من عبادة غيره وتاميله
للضر والنفع غرور فحسن ان يقول تعالى والى الله ترجع الامور لهذا المعنى والوجه الثاني
ان يكون معنى الاية ان الامور كلها لله تعالى وفي يده وقبضته من غير خروج

فالرجوع حقيقي وقد يقول القوم قد رجع علي من فلان مكروه يعني صار الي منه مكروه
ولم يكن سبق مكروه الي قبل هذا الوقت وكذلك يقولون قد عاد الي من زيد كذا
وان وقع على سبيل الابتداء قال الشاعر فان تكن الايام احسن مرة الي فقد عادت
لهن ذنوب ... اي صارت لهن ذنوب لم تكن قبل بل كان جميلها احسانا
فحمل الآية على هذا المعنى سائغ جائز تشهد له اللغة والوجه الثالث انا قد علمنا
ان الله تعالى قد ملك العباد في دار التكليف امورا ينقطع بانقطاع التكليف وافضاء
الامر الى الدار الآخرة مثل ما ملكه الموالي من العبيد وما ملكه الحكام من الحكم وغير ذلك
فيجوز ان يريد تعالى برجوع الامر اليه انتهاء ما ذكرناه من الامور التي يملكها غيره ويملكه
وان يكون هو وحده مالكها ومدبرها ويمكن في الآية وجه آخر وهو ان يكون المراد
بها ان الامر ينتهي الى ان لا يكون موجود قادر غيره ويفني الا في وقت الانتهاء الى ما
كان عليه في الابتداء لان قبل انشاء الخلق هكذا كانت الصورة وبعد افنائهم
هكذا تصير فيكون الكناية برجوع الامر اليه على هذا المعنى وهو رجوع حقيقي لانه عاد
الى ما كان عليه متقدما ويحتمل ايضا ان يكون المراد بذلك ان الى قدرته يعود
المقدورات لان ما افناه من مقدوراته الباقية كالجواهر والاعراض الباقية
يرجع الى قدرته ويصح منه تعالى ايجاده بعينه الى ما كان عليه وان كان ذلك لا يصح
في مقدورات البشر وان كانت باقية لما دل الدليل عليه من اختصاص مقدور
العبد باستحالة العود والبقاء من حيث لم يجز فيها التقديم والتاخير وهذا ايضا حكم هو لله
تعالى المنفرد به دون سائر القادرين والله اعلم بما اراد تاويل آية اخرى
ان سأل سائل عن قوله تعالى ليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر
من اتقى وأتوا البيوت من ابوابها فقال اي معنى لذكر البيوت وظهورها وابوابها
وهل المراد بذلك البيوت المسكونة على الحقيقة او كني بهذه اللفظة عن غيرها فان
كان الاول فما الفائدة في اتيانها من ابوابها دون ظهورها واي كانت كراهية في
وجهها ومعناها الجواب قلنا في هذه الآية وجوه اولها ما ذكروه من ان رجالا من العرب

كان اذا قصد حاجة لم تقض ولم ينجح فيها رجع فدخل من مؤخر البيت ولم يدخل من بابه
تطيرا فاعلمهم الله تعالى ان ذلك من فعلهم لا اثر فيه وامرهم من التقى بما ينفعهم ويقربهم
اليه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن الطيرة فقال لا عدوى ولا طيرة ولا
هامة ولا صفر اي لا يعدي شيء شيئا وقال عليه السلام لا يورد ذو عاهة على مصح
ومعنى هذا الكلام ان من لحقت ابله آفة او مرض فلا ينبغي ان يوردها على ابل
لغيره صحاح لانه متى لحق الصحاح مثل هذه الآفة اتفاقا لا لاجل العدوى لم يؤمن من صاحب
الصحاح ان يقول انما لحق ابلي هذه الآفة من تلك الابل وهي اعدت ابلي فنهى النبي
صلى الله عليه وآله عن هذا لزوال الشك ثم عن العدوى والتطير القبيح وثانيها
ان العرب الا قريشا ومن ولدته قريش كانوا اذا احرموا في غير الاشهر الحرم
لم يدخلوا بيوتهم من ابوابها ودخلوها من ظهورها اذا كانوا من اهل الوبر واذا
كانوا من اهل المدر نقبوا في بيوتهم ما يدخلون ويخرجون منه ولم يدخلوا او يخرجوا
من ابواب البيوت فنهاهم الله تعالى عن ذلك واعلمهم انه لا معنى له وانه
ليس من البر وان البر غيره وثالثها وهو جواب ابي عبيدة معمر بن المثنى ان
المعنى ليس البر بان تطلبوا الخير من غير اهله وتلتمسوه من غير بابه وأتوا البيوت من
ابوابها معناه اطلبوا الخير من وجهه وعند اهله ورابعها وهو جواب ابي علي الجبائي
ان تكون الفائدة في هذا الكلام ضرب المثل واراد تعالى ليس البر ان تأتي
الوجه الشيء من خلاف جهته لان اتيانه من خلاف جهته يخرج الفعل عن حد الصواب
والبر الى الاثم والخطأ وبين تعالى ان البر التقوى وامر بان تأتوا الامور من وجوهها
وان تفعل من الوجوه التي حسنت ووجبت وجعل تعالى ذكر البيوت وظهورها
وابوابها مثلا لان المتأول في الامر عن وجهه كالمتأول في البيت عن بابه و
خامسها ان تكون البيوت كناية عن النساء ويكون المعنى وأتوا النساء من حيث
امركم الله تعالى والعرب تسمي المرأة بيتا قال ما لي اذا انزعها صأيت اكبر
غيرني ام بيت اراد بالبيت المرأة ومما يمكن ان يكون شاهدا للجواب الذي

حكيناه عن ابي علي الجبائي والجواب عن ابي عبيدة ايضا ما اخبرنا به ابو القسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال اخبرنا ابو عبيد الله محمد بن احمد الحكيمي قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى النحوي قال انشدنا ابن الاعرابي اني عجبت لام الكمراذ ضربت خمس راسي وما بالشيب من عار ما شقوة المرء بالاقتار يقتره ولا سعادته يوما باكثار ان الشقي الذي في النار منزله والفوز فوز الذي ينجو من النار اعوذ بالله من امر يزين لي شتم العشيرة او يدني من العار وخير دنيا مستي امر اخرة وسوف يبدي لي الجبار اسراري لا ادخل البيت احبو من مؤخره ولا اكسر في ابن العم اظفاري قوله لا ادخل البيت احبو من مؤخره يحتمل ان يريد اني لا آتي الامور من غير وجهها على احد الاجوبة في الآية ويحتمل ايضا انني لا اطلب الخير الا من اهله على جواب ابي عبيدة ويحتمل وجها آخر وهو ان يريد انني لا اقصد البيت للريبة والفساد ولان من شان من سعى الى الفساد والحرم وتعقيه البيوت لريبة ان يعدل عن ابوابها طلبا للاخفاء امره فكانه نفى عن نفسه بهذا القول القبيح ونزه عنه كما نزه بقوله ولا اكسر في ابن العم اظفاري عن مثله واراد انه لا يأتي الى ابن عمه بالسوء ولا يبالم بشيء من حيفي فاكون كانني قد جرحته باظفاري وكنى بها عن لحمه وهذه كنايات مليحة مشهورة للعرب وتجري مجرى هذه الابيات في تقاربها في المعنى وحسن الكناية قول هلال بن خثعم واني لعف عن زيارة جارتي واني لمشنوء الي اغتيابها اذا غاب عنها بعلها لم اكن لها زؤورا ولم تنبح علي كلابها وما انا بالداري احاديث بيتها ولا عالم من اي حوك ثيابها قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وقد جمعت هذه الابيات فقرا عجيبة وكنايات مليحة لانه نفى عن نفسه زيارة جارته عند غيبة بعلها وخص حال الغيبة لانها ادنى الى الريبة واخص بالتهمة وقال ولم تنبح علي كلابها اراد واني لا اطرقها ليلا مستخفيا متنكرا فتنكرني كلابها وتنبحني وهذه الكناية تجري مجرى قول الشاعر المتقدم لا ادخل البيت احبو من مؤخره

وقد روي ولم تانس الي كلابها لان الانس لا يكون الا مع المواصلة والمنزرة وقوله وما انا بالداري احاديث بيتها اراد به ايضا تاكيد نفي زيارتها وطروقها عن نفسه لانه اذا اكثر الزيارة عرف احاديث بيتها واذا لم يزرها وهجرها لم يعرف ويحتمل ان يريد اني لا اسال عن احوالها واخبارها كما يفعل اهل الفضول فنزه نفسه عن ذلك وقوله ولا عالم من اي حوك ثيابها كناية مليحة عن انه لا يجتمع معها ولا يقرب منها فيعرف صنعة ثيابها ومثل ذلك من الشعر المتقدم لحارثة بن بدر الغداني اذا الهم امسى وهو داء فامضه ولست بمضيه وانت تعاوده ولا تنزلن امر الشديدة بامري اذا هم امر عزمه فانت تزاوله وما الفتك الا لامرئ ذي حفيظة اذا صال لم ترعد عليه خصائله ولا تجعلن سرا الى غير اهله فتنقعد ان افشى عليك تجادله ولا تنبل امال البخيل تري له غنى لعبد من ادرنته اوابله ارى امال الفتيان الظلال فتارة تؤوب واخرى تخبل امال خائله ومنها امرت فيه شاورت والحضائل كل لحم مجتمع وقد رواه في هذه الابيات زيادة على القدر الذي ذكرناه اخبرنا المرزباني قال حدثنا الحسين بن علي قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثني المفضل بن محمد عن ابي المنهال المهلبي قال من الابيات السائرة قول حارثة بن بدر الغداني لعمرك ما ابقى لي الدهر من اخ حفي ولا ذي خلة لي او اصله ولا من خليل ليس فيه غوائل فشر الاخلاء الكثير غوائله وقل للفؤاد ان تراك نزوة من الروع افرخ اكثر الروع باطله ومنها افرخ السكن تقال افرخ روعه اذا سكن وما كل ما حاولته الموت دونه ولا دونه ارصاده وحبائله وذكر البيتين اللذين بعده وزاد وكن انت ترعي سر نفسك واعلمن بان اقل الناس للسر حامله اذا ما قبلت الشيء علما فقل به ولا تقل الشيء الذي انت جاهله ومما يستحسن لحارثة بن بدر قوله

لنا نبعة كانت تقينا فروعها وقد بلغت الا قليلا عروقها وانا لتستحلي المنايا
نفوسنا وتترك اخرى مرة لا تذوقها قوله لنا نبعة كانت تقينا وتثبت
رأسه قبل حين مشيبه وعود المنايا بيننا وعروقها قوله لنا نبعة كانت
تقينا فروعها مثل ضربه وانما اراد عشيرته واهل بيته وقد روى هذه الابيات
علي بن سليمان الاخفش عن ابي العباس ثعلب وزاد فيها
رأيت المنايا باديات وعودا الى دارنا سهلا الينا طريقها وقد قسمت
نفسي فريقين منهما فريق مع الموتى وعندي فريقها فبينا ترجى النفس
ما هو نازح من الامر لا تنفك وهو نما يعوقها وروى ابو العيناء قال انشد
الشعبي عبد الله بن جعفر الابيات الثلثة الاول فقال عبد الله لمن هذا
يا شعبي قال لحارثة بن بدر قال نحن احق بهذا ثم امر للشعبي باربع
مائة دينار ومن مستحسن قول حارثة ولقد وليت امارة فجمعتها
فالمال سالمة ولم اتمول ولقد منعت النصح من متنقل ولقد رددت
النصح من لم يقبل فاتى لمسه لامس لم التمس وباي حبلة حائل لم احبل
يا طالب الحاجات زجرا انجحا ليس النجاح مع الاخف الاعجل
فاصدق اذا حدثت تكتب صادقا واذا اخلفت مماريا فتحلل معن
تكتب صادقا اي تكون عند الله صادقا وقوله فتحلل اي استثن
واذا رايت الباهشين الى الندى غبرا اكفهم بريث فاعمل معنى
الباهشين المادين ايديهم الى الشيء المشتهين له واحذر
مكان السوء لا تنزل به واذا نبا بك منزل فتحول واذا ابن عمك لج
بعض لجاجة فانظر به غده ولا تستعجل واذا افتقرت فلا تكن متخشعا
ترجو النوافل عند غير المفضل استغن ما اغناك ربك بالغنى واذا تكون
خصاصة فتجمل واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابي الازهر
قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال كان حارثة بن بدر الغداني رجل تميم

سيد وقته وكان قد غلب على زياد وكان الشراب قد غلب عليه فقيل لزياد
ان هذا قد غلب عليك وهو مستهتر بالشراب فقال زياد كيف
باطراح رجل هو يسايرني منذ دخلت العراق ولم يصكك ركابي ركابه ولا
تقدمني فنظرت الى قفاه ولا تاخر عني فلويت عنقي اليه ولا اخذ علي الشمس
في شتاء قط ولا الروح في صيف قط ولا سالته عن علم الا ظننت انه
لا يحسن غيره فلما مات زياد جفاه عبيد الله ابنه فقال له حارثة ايها الامير
ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند ابي المغيرة فقال له عبيد الله ان ابا المغيرة
قد كان برع بروعا لا يلحقه معه عيب وانا حدث وانما انسب الى من
يغلب علي وانت رجل تديم الشراب فمتى قربتك وظهرت منك
رائحة الشراب لم آمن ان يظن بي فدع الشراب وكن اول داخل علي
وآخر خارج عني قال له حارثة انا لا ادعه لمن يملك ضري ونفعي افادعه
للحال عندك قال فاختر من عملي ما شئت قال توليني رامهرمز فانها ارض
عذاة وسرق فان بها شرابا وصف لي فولاه اياها فلما شخص اتاه انس
قال انس بن ابي انيس وقيل ان ابا الاسود الدؤلي اتاه يشيعه وقيل لانه
فكن جرذا فيها تخون وتسرق ولا تحقرن يا حار شيئا وجدته فحظك من
ملك العراقين سرق وباه تميما بالغنى ان للغنى لسانا به المرء الهيوبة
ينطق فان جميع الناس اما مكذب يقول بما يهوى واما مصدق يقولون
اقوالا ولا يعلمونها فان قيل ما تواحققوا لم يحققوا وهذه الابيات
تروى لابي الاسود الدؤلي واثبت بها الى حارثة لما ارادت اليه سرق
ويزاد فيها وفي حار ما في اليوم ان الذي يجي غدا يوم على الناس مطبق ولا
تعجزن فالعجز اوطا مركب وما كل من يدعى الى الخير يرزق اذا وعاك القوم
عذوك اكلا فكل حارا ما جمعت مستحقق ويقال ان حارثة بن بدر
اجاب عن هذه الابيات بقول جزاك الله خيرا من اخ قد نظمت

معروفا او عقيب كافيا اذ شربت بامر لو اذ شربت بنوره لالفيتني فيه المليك
عاصيا • ويقال ان حارثة بن بدر والاحنف بن قيس دخلا على ابن زياد
فقال لحارثة اي الشراب اطيب وكان يتهم فقال برة طاسارية واقط
عنوية وسمنة عنزية وسكرة سوسية ونطفة سرقانية فقال للاحنف
يا ابا بحر اي الشراب اطيب قال الخمر قال وما يدريك من احللت ذا لا ابتعد اعتا
الى غيرنا ومن حرمت عليه تناولها فعلمت انها اطيب الشراب ولحارثة
بن بدر يخاطب عبيد الله بن زياد ولما تغير عليه بعد اختصاصه كان به
اهان واحفى ثم تنتصحونني واني امرئ يعطى نصيحته قسرا ارايت اكف
المصلين عليكم ملاء وكفي من عطاكم صفرا • واني مع الساعي اليكم بسيفه
اذا احدث الايام من عظمكم كسرا متى تسالوني ما علي وتمنعوا الذي لي
لا استطع على ذلكم صبرا اذله بعاتبه وكم من امير قد تجبر بعد ما مريت له الدنيا
بسيفي فدرت اذا زبنته عن فواق اكثت به دعاني ولا ادعى اذا ما اقربت
اذا ما هي احلولت تحلق مقتسمي وتقسم لي منها اذا ما اخرت زبنته اي دفعه
عن ان تحلبها والفواق اجتماع اللبن في الضرع بين الحلبتين ومعنى اقربت اي
تركته تحلبها ويشبه ابيات حارثة هذه قول عبد الله بن الزبير الاسدي يعاتب
معوية ومروان واهل بيته من جملة قصيدة وهي ابيات قوته اجتدا
عطاءكم للضاربين رقابكم وندعى اذا ما كان حز الكراكر الجن اخوكم في المقنب
وسهمنا اذا ما قسمتم في الحلاق الاصابع وتدعى الا الادنى اذا ما سالتم وتلقى بتقدم
حين تسال بابه قال كان فيها الذئب في الكاس فنلك اخذناه من قبل
تاه واخر يعني من قبل ياه واخر من قبل ان تهى عنه او لنوم ما حسنا بردا ان حاكم
فنا غويت بارفلكم لو تيم له لو لا جنوب المناخر فهل تفعل الاعداء الا كفعلكم
هوان السراة واتباع العواتر وغير نعشي عنكم ما فعلتم وذكر هوان منكم
منطو جميعا اكم من غالي الحرب عنكم واعداؤكم من بين جاب وعاشر فلا تلقوا

ولست من اصلها فاذا رايت فيها خطلتي عرفت انها اطيب الشراب فاذا رايت ... وما حوال الاخ

ذكره غير يدي من مفرع الحمرة
سقي حرم الاوساط
منقص الشحم مقاربها
من سرقان
قرية فاه

الحاب الذي يحمي الخراج
والعاشر الذي ياخذ
العشر

عن هواي وجدت لم وفي الفؤاد قد توجد ناثره ولحارثة دخل في فؤاده قد يوجد بن
بدر يرثي زيادا الهفي عليك للهفة من خائف يبغي جوارك حين ليس مجير
اما القبور فانهن اوانس بجوار قبرك والديار قبور عمت فواضله فعم هلاكه
فالناس فيه كلهم ماجور ردت صنائعه اليه حياته فكانه من نشرها منشور
قال الشريف المرتضى رضي الله عنه واظن ابا تمام الطائي نظر الى قول حارثة
ردت صنائعه اليه حياته في قوله الم تمت يا شقيق الجود مذ زمن فقال
لي لم يمت كرمه • واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا عبد
يعني ابن اخي الاصمعي عن عمه قال مر حارثة بن بدر الغداني ومعه كعب مولاه
بمجلس لبني تميم مجلس من مجالس بني تميم الا قالوا مرحبا بسيدنا فقال كعب ما سمعت
كلاما قط اقر لعيني ولا الذ في سمعي مما سمعته اليوم فقال حارثة ولكني ما سمعت
كلاما قط هو اكره الي منه ثم قال ذهب الرجال فسدت غير مسود ومن
الشقاء تفردي بالسودد • اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا عبد الله بن
جعفر قال حدثني محمد بن يزيد قال قال الكناني مر حارثة بن بدر بالاحنف بن
قيس فقال لولا انك مستعجل لشاورتك فقال يا احنف كانوا يكرهون ان يشاور
والجائع حتى يشبع والظمآن حتى ينقع والمضل حتى يجد والغضبان حتى
يرضى والمحزون حتى يعتق

مجلس تاويل اية

ان سال سائل عن
قوله تعالى اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب فقال اي مدح
في سرعة الحساب وليس يظاهر وجه المدحة فيه الجواب قلنا في ذلك
وجوه اولها ان يكون سريع المجازاة للعباد على اعمالهم وان وقت الجزاء
قريب وان تاخر ويجري مجرى قوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب
وانما جاز ان يعبر عن المجازات والجزاء بالحساب لان ما يجازى به العبد
هو كفؤ لفعله ومقداره فهو حساب له اذا كان مماثلا مكافيا ومما يشهد
بان في الحساب معنى الكفاية والمكافاة قوله تعالى جزاء من ربك عطاء حسابا

توجد اي تحزن يقال
توجدت لفلان
اي حزنت له

الشقيق الاخ

الرحم
منهم لم يمت

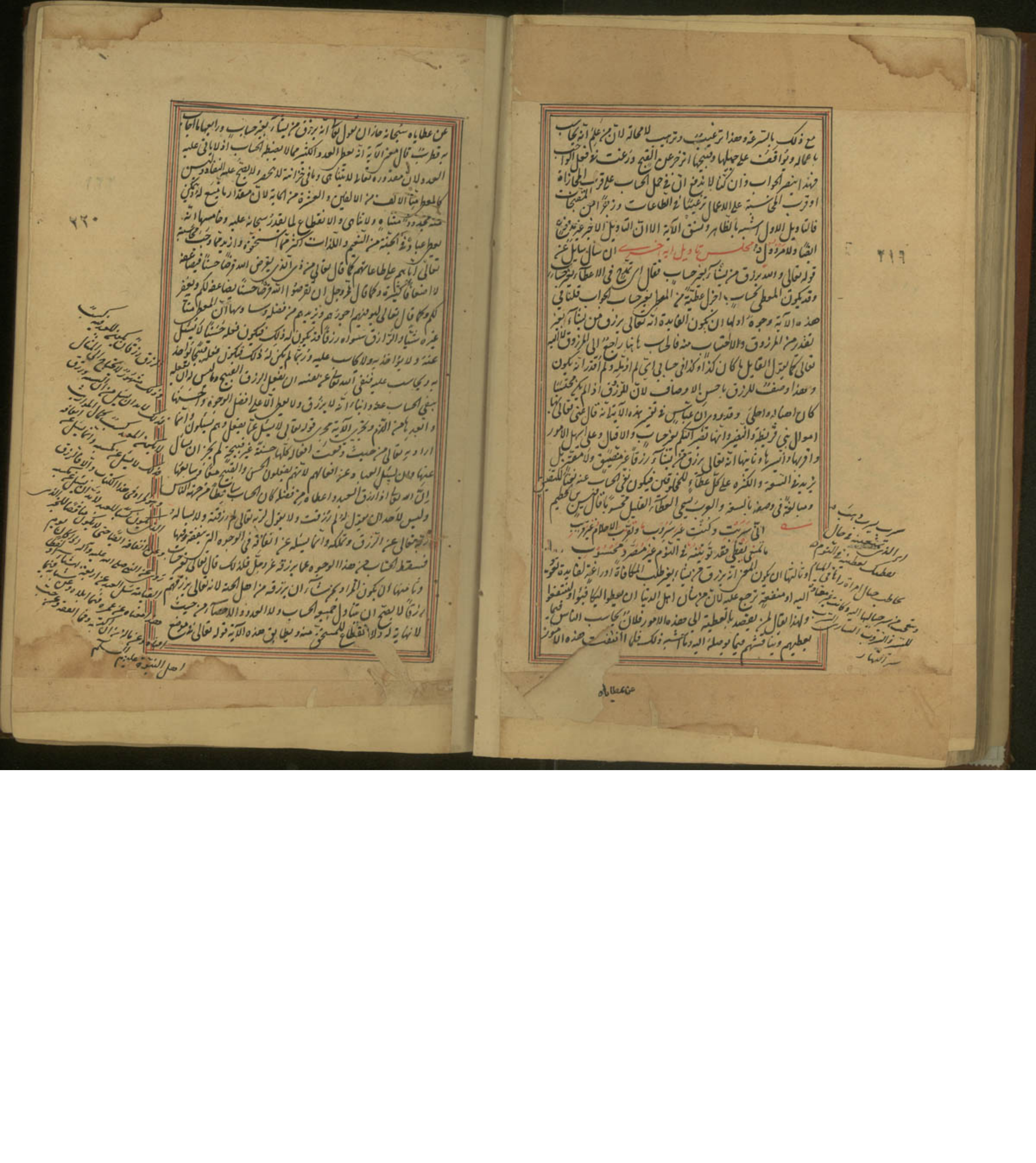
المعنى انهم



ان عطاءً كافيا ويقال احسبني الطعام يحسبني احسابا اذا كفاني قال الشاعر
واذ لا ترى في الناس حسنا يفوتها وفي الناس حسنى ان تأملت محسب
معناه كاف. وثانيها ان يكون المراد انه جل وعز يحاسب الخلق جميعا
في اوقات يسيرة ويقال ان ذلك مقدار حلب شاة لانه تعالى لا يشغله
محاسبة بعضهم عن محاسبة بعض بل يكلمهم جميعا ويحاسبهم كلهم على اعمالهم
في وقت واحد وهذا احد ما يدل على انه تعالى ليس بجسم وانه لا يحتاج في فعل
الكلام الى آلة لانه لو كان بهذه الصفة تعالى عنها لما جاز ان يخاطب اثنين
في وقت واحد بمخاطبتين مختلفتين ولكان خطاب بعض الناس يشغله
عن خطاب غيره ولكانت مدة محاسبته للخلق على اعمالهم طويلة غير قصيرة
كما ان جميع ذلك واجب في المحدثين الذين يفتقرون في الكلام الى الآلات
وثالثها ما ذكره بعضهم من ان المراد بالآية انه سريع العلم بكل محسوب وانه
لما كانت عادة بني الدنيا ان يستعملوا الحساب والاحصاء في اكثر امورهم
اعلمهم الله جل وعز انه يعلم ما يحسبون بغير حساب وانما سمى العلم حسابا لان الحساب
انما يراد به العلم وهذا جواب ضعيف لان العلم بالحساب والمحسوب لا يسمى
حسابا ولو سمي بذلك لما جاز ايضا ان يقال انه سريع العلم بل الان علمه بالاشياء
حاصل ليس بتجدد فيتوصف بالسرعة ورابعها ان الله سريع القبول لدعاء عباده
والاجابة لهم وذلك انه يسأل في وقت واحد سؤالات مختلفة من امر الدنيا
والآخرة فيجزي كل عبد بمقدار استحقاقه ومصلحته ويوصل اليه عنده ما يريد
مثله ما يستوجبه بحده ومقداره فلو كان الامر على ما يتعارفه الناس لطال العدد
واتصل الحساب فاعلمنا تعالى انه سريع اي سريع القبول للدعاء بغير احصاء
منه فيه وبحث عن المقدار الذي يستحقه الداعي وكما يحتبس المخلوقون للحساب والاحصاء
وهذا الجواب انما ينبني على دعوى لان قبول الدعاء لا يسمى حسابا لا لغة
ولا عرفا ولا شرعا وقد كان يجب على من اجاب بهذا الجواب ان يستشهد على

كما يكون بما يكون

بما يكون فيه والا فلا طائل فيما ذكره ويمكن في الآية وجه آخر وهو ان يكون المراد
بالحساب محاسبة الخلق على اعمالهم يوم القيامة وموافقتهم عليها ويكون الفائدة
في الاخبار بسرعة الاخبار عن قرب الساعة كما قال تعالى سريع العقاب وليس
لهم ان يتحولوا فهذا احق الجواب الاول الذي حكيتموه وذلك ان بينهما
فرقا لان الاول مبني على ان الحساب في الآية هو الجزاء والمكافاة على الاعمال
في هذا الجواب لم يخرج الحساب عن بابه وعن معنى المحاسبة المعروفة والمعاملة
بالاعمال وترجيحها وذلك عن الجزاء الذي يفضي الحساب اليه وقد طعن بعضهم
في الجواب الثالث الذي حكيناه عن ابي علي الجبائي في اعتماده اياه بان قال
مخرج الكلام في الآية على وجه الوعيد وليس في خفة الحساب وسرعة زمانه ما يقتضي
زجرا او لا هو مما يتوعد بمثله فيجب ان يكون المراد الاخبار عن قرب امر الآخرة
والمجازاة على الاعمال وهذا الجواب ليس ابو علي المبتدي به بل حكي عن الحسن البصري
واعتمده ايضا قطرب ابن المستنير النحوي وذكره المفضل بن سلمة وليس الطعن الذي ذكرناه
عن هذا الطاعن بمبطل له لانه اعتمد على ان مخرج الآية مخرج الوعيد وليس
كذلك لانه تعالى قال فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له
في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب
والاشبه بالظاهر ان يكون الكلام وعدا بالثواب وراجعا الى الذين
يقولون ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار
ولله يكون راجعا الى الجميع فيكون المعنى للجميع نصيبا مما كسبوا فلا يكون وعيدا
خالصا اما ان يكون وعدا خالصا او وعدا او وعيدا على انه لو كان وعيدا
خالصا على ما ذكر الطاعن لكان لقوله تعالى والله سريع الحساب على تأويل من اراد
قصر الزمان وسرعة الموافقة وجه وتعلق بالوعد والوعيد لان الكلام على
كل حال متضمن لوقوع المحاسبة على اعمال العباد والاحاطة بها خيرا وشرا وان



مع ذلك بالسرعة وهذا ترغيب وترهيب لامحالة لان من علم انه يحاسب
باعماله وتواقف على جليلها ودقيقها انزجر عن القبيح ورغبت في فعل الصواب
فهذا ابين الجواب وان كنا لا ندفع ان في حمل الحساب على قرب المجازاة
او قرب المحاسبة على الاعمال ترغيبا في الطاعات وزجرا عن المقبحات
فالتاويل الاول اشبه بالظاهر وتسق الآية الا ان التاويل الاخير غير مدفوع
ايضا [illegible] **مجلس تاويل آية اخرى** ان سال سائل عن
قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب فقال اي تمدح في الاعطاء بغير حساب
وقد يكون المعطي يحاسب باجزل عطية من المعطي بغير حساب الجواب قلنا في
هذه الآية وجوه اولها ان يكون الفائدة انه تعالى يرزق من يشاء بغير
تقدير من المرزوق والاحتساب منه فالحساب هاهنا راجع الى المرزوق لا اليه
تعالى كما يقول القائل ما كان كذا وكذا في حسابي اي لم اؤمله ولم اقدر انه يكون
وهذا وصف للرزق باحسن الاوصاف لان المرزوق اذا لم يكن محتسبا
كان اهنأه واحلى وقد روي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية انه قال يعني تعالى بها
اموال بني قريظة والنضير وانها تصير اليكم بغير حساب ولا قتال وعلى اسهل الامور
وايسرها وثانيها انه تعالى يرزق من يشاء رزقا غير ضيق ولا مقتر بل
في نهاية السعة والكثرة على كل عطاء للمخلوقين فيكون نفي الحساب عنه نفيا للتضييق
ومبالغة في وصفه بالسعة والعرب يسمي العطاء القليل محسوبا كما قال قيس بن الخطيم

اني سربت وكنت غير سروب ... وتقرب الاحلام غير قريب
ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه ... في النوم غير مصرد محسوب

وثالثها ان يكون المعنى انه يرزق من يشاء بغير طلب المكافأة او رغبة في فائدة تعود
اليه او منفعة ترجع عليه لان من شأن اهل الدنيا ان يعطوا ليكافئوا او ليستنفعوا
ولهذا يقال لمن يقصد بالعطية الى هذه الامور فلان يحاسب الناس فيما
يعطيهم ويناقشهم فيما يوصله اليهم وما اشبه ذلك فلما انتفت هذه الامور

عن عطاياه

عن عطاياه سبحانه جاز ان يقول انه يرزق من يشاء بغير حساب ورابعها ان يكون
المراد بقوله تعالى من الآية انه يعطي العدد الكثير مما لا ينضبط بالحساب اذ لا يأتي عليه
العد ولان مقدوره تعالى لا يتناهى وما في خزائنه لا ينحصر ولا يأتي عليه النفاد وليس
كالمعطي منا الالف من الالفين والعشرة من المائة لان مقدار ما يتسع له ويمكن
منه محدود متناه ولا تناهي ولا انقطاع لما يقدر سبحانه عليه وخامسها انه
يعطي عباده في الجنة من النعيم واللذات اكثر مما استحقوه وازيد مما وجب لهم بحسب
تعالى اثابهم على طاعاتهم كما قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه
له اضعافا كثيرة وكما قال عز وجل ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر
لكم وكما قال تعالى ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وسادسها ان المعطي ربما
غيره شيئا والرازق سواه رزقا فقد يكون له ذلك فيكون فعله حسنا لا يسئل
عنه ولا يؤاخذ به ولا يحاسب عليه وربما لم يكن له ذلك فيكون فعله قبيحا يؤاخذ
به ويحاسب عليه فنفى الله تعالى عن نفسه ان يفعل الرزق القبيح وما ليس له ان يفعله
بنفي الحساب عنه واخبر انه لا يرزق ولا يعطي الا على افضل الوجوه واحسنها
والبعد بها من الذم ويجري الآية مجرى قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وانما
اراد به تعالى من حيث وقعت افعاله كلها حسنة غير قبيحة لم يجز ان يسأل
عنها وان يسأل العباد عن افعالهم لانهم يفعلون الحسن والقبيح معا وسابعها
ان الله تعالى اذا رزق العبد واعطاه من فضله كان الحساب ساقطا من جهة الناس
وليس لاحد ان يقول له لم رزقت ولا يقول لربه تعالى لم رزقته ولا يسأله
تعالى عن الرزق وتملكه وانما يسأله عن انفاقه في الوجوه التي ينفقه فيها
فيسقط الحساب من هذا الوجه عما يرزقه عز وجل فلذلك قال تعالى بغير حساب
وثامنها ان يكون المراد بذلك ان يرزقه من اهل الجنة لانه تعالى يرزقهم
رزقا لا يصح ان يتناوله الحساب ولا العدد والاحصاء من حيث
لا نهاية له ولا انقطاع للمستحق منه ويطابق هذه الآية قوله تعالى في موضع



آخر فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب — تأويل خبر
إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه
قال توضؤوا مما غيرت النار فقال ما المراد بالوضوء ها هنا وعندكم أن مس
ما غيرته النار لا يوجب الوضوء الجواب أن معنى توضؤوا أي نظفوا أيديكم من الزهومة
لأنه روي أن جماعة من الأعراب كانوا لا يغسلون أيديهم من الزهومة ويقولون
فقدها أشد علينا من ريحها فأمر عليه السلم بتنظيف الأيدي لذلك فإن قيل
كيف يصح أن تحمل الخبر على اللفظ اللغوي مع انتقاله بالعرف الشرعي إلى الأفعال
المخصوصة بدلالة أن من غسل يده أو وجهه لا يقول بالإطلاق توضأت فمتى سلم
لكم أن الوضوء أصله من النظافة لم ينفعكم مع الانتقال الذي ذكرناه وكلامه عليه السلم
أخص بالعرف الشرعي وحمله عليه أولى من حمله على اللغة قلنا ليس ينكر أن يكون
إطلاق الوضوء هو المنتقل من اللغة إلى عرف الشرع والمختص بالأفعال المعينة
وكذلك المضاف منه إلى الحدث أو الصلاة وما أشبهها فأما المضاف إلى الطعام
وما جرى مجراه فباق على أصله ألا ترى أنهم لو قالوا توضأت من الطعام ومن التمر وتوضأت
للطعام لم يفهم منه إلا الغسل والتنظيف وإذا قال توضأت الإطلاق أو توضأت
من الحدث أو للصلاة فهم منه الأفعال الشرعية وليس ينكر ما ذكرناه من اختصاص النقل
لأنه كما يجوز انتقال اللفظة من فائدة في اللغة إلى فائدة في الشرع على كل وجه كذلك
يجوز أن ينتقل على وجه دون وجه ويبقى من الوجه الذي لم ينتقل منه على ما كانت عليه
في اللغة وقد ذهب كثير من الناس إلى أن إطلاق لفظة مؤمن منتقل من اللغة
إلى عرف الشرع مختص باستحقاق الثواب وإن كان مقيدا باقيا على ما كان
عليه في اللغة ومثل ذلك ما روي عن الحسن من أنه قال الوضوء قبل الطعام
ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم وإنما أراد غسل اليد بغير شك وروي عن قتادة أنه قال
غسل اليد وضوء وروي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكل وغسل يديه
ومسح ببلل يديه وجهه وذراعيه ورأسه وقال عليه السلم هكذا الوضوء مما مسته

النار

النار على أنه لو كانت هذه اللفظة منتقلة على كل حال إلى الأفعال الشرعية المخصوصة
لصح أن نحمل هذا الخبر على خلاف ذلك ونردها إلى أصلها بالأدلة وإن كان
الأولى لولا الأدلة أن تحمل على مقتضى الشرع فمن الأدلة على ما ذكرناه ما رواه
ابن عباس من أن النبي عليه السلم أكل كتف شاة وقام وصلى ولم يتوضأ
وروى عطاء عن أم سلمة قال قربت جنبا مشويا إلى النبي عليه السلم فأكل
منه وصلى ولم يتوضأ وروى محمد بن المنكدر عن جابر أنه قال كان آخر الأمرين
من رسول الله صلى الله عليه وآله ترك الوضوء مما مسته النار وكل هذه الأخبار
يوجب العدول عن ظاهر الخبر الأول لو كان له ظاهر فكيف وقد بينا أنه لا ظاهر له
فأما اشتقاق الوضوء فهو من الوضاءة التي هي الحسن فلما كان من غسل يده ونظفها
قد حسنها قيل وضاها ويقال فلان وضيء الوجه وقوم وضاء قال الشاعر
مساميح الفعال ذوو أناة مراجيح وأوجههم وضاء . والوضوء بضم الواو المصدر
وكذلك التوضؤ والوضوء بفتح الواو اسم لما يتوضأ به وكذلك الوقود لما يوقد
به النار والوقود بالضم المصدر ومثله التوقد وقد يجوز أن يكون أيضا الوقود
بفتح الواو المصدر وكذلك الوضوء بفتح الواو وكما قالوا حسن القبول للجميل القبول
مصدر وهو مفتوح الأول ولا يجوز في الوضوء والوقود بالضم إلا معنى المصدر
وحده قال جرير أهوى أراك برامتين وقودا أم بالجنينة من مدافع أودا وقال
آخر إذا استهل لاح كالوقود فوقها كنشاة البقر المطرود وآخر واخب الخنا بكل
يفاع أرض وقود النار للمتنورينا . أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا
إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إبراهيم بن المنذر
قال حدثني إبراهيم بن محمد عن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه
عن ابن شهاب قال أتيت عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود في منزله
فإذا هو مغضب ينفخ فقلت ما لي أراك هكذا قال دخلت على عاملكم هذا
يعني عمر بن عبد العزيز ومعه عبد الله بن عمرو بن عثمان فسلمت فلم يردا علي السلام فقلت



تبعث المصالح والالطاف والمعلوم من احوال المكلفين فكانه تعالى قال ان
ملتكم لا نعود فيها مع علمنا ان الله تعالى قد نسخها وازال حكمها الا ان يشاء الله
ان يتعبدنا بمثلها فنعود اليها وتلك الافعال التي كانوا متمسكين بها مع نسخها
عنهم ونهيهم عنها وان كانت ضلالا وكفرا فقد كان يجوز ذلك وليس يجري
هذه الافعال مجرى الجهل بالله تعالى الذي لا يجوز ان يكون الا قبيحا وقد طعن
على هذا الجواب فقال كيف يجوز ان يتعبدهم الله تعالى بتلك الملة مع قولهم
قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فيقال لم ينف
عودهم اليها على كل حال وانما نفى العود اليها مع كونها منسوخة منهيا عنها والذي
علقه بمشيئة الله تعالى من العود اليها هو بشرط ان يأمر بها ويتعبد بمثلها فالجواب
مستقيم لا خلل فيه وثانيها انه تعالى اراد ان ذلك لا يكون ابدا من حيث علقه
بمشيئة الله تعالى لما كان معلوما انه لا يشاؤه وكل امر علق بما لا يكون فقد نفي
كونه على ابعد الوجوه وتجري الآية مجرى قوله تعالى لا يدخلون الجنة حتى يلج
الجمل في سم الخياط وكما يقول القائل انا لا افعل كذا حتى يبيض القار ويشيب
الغراب وكما قال الشاعر وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشر
في القتلى كليب لوائل والقارظان لا يؤوبان ابدا وكليب لا ينشر ابدا فكانه
تعالى قال ان هذا لا يكون ابدا وثالثها ما ذكره قطرب بن المستنير من ان في الكلام
تقديما وتأخيرا وان الاستثناء من الكفار وقع لا من شعيب عليه السلام فكانه
تعالى قال حاكيا عن الكفار لنخرجنك يا شعيب عليه السلام وما يكون لنا ان نعود
فيها على كل حال ورابعها ان يكون الهاء التي في قوله تعالى فيها الى القرية لا الى الملة
لان ذكر القرية قد تقدم كما تقدم ذكر الملة ويكون تلخيص الكلام انا سنخرج من قريتكم
فلا نعود فيها الا ان يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد في الاظهار عليكم والظفر
بكم فنعود اليها وخامسها ان يكون المعنى الا ان يشاء الله ان يردكم الى الحق فيكون
جميعا على ملة واحدة غير مختلفة لانه تعالى لما كان حاكيا عنهم او لتعودن في ملتنا

كان

كان معناه او لتكونن على ملة واحدة غير مختلفة فحسن ان يقول تعالى من بعد الا ان
يشاء الله ان يجمعكم معنا على ملة واحدة فان قيل الاستثناء بالمشيئة انما كان
بعد قوله وما يكون لنا ان نعود فيها فكانه تعالى قال لن نعود فيها الا ان يشاء الله
فكيف يصح هذا الجواب قلنا هو كذلك الا انه لما كان معنى ان نعود فيها
هو ان تكون ملتنا واحدة غير مختلفة جاز ان يوقع تعالى الاستثناء على المعنى
فيقول الا ان يشاء الله ان نتفق في الملة بان ترجعوا انتم الى الحق فان قيل
فكان الله تعالى ما شاء ان يرجع الكفار الى الحق قلنا بل قد شاء ذلك الا انه ما
شاء على كل حال بل من وجه دون وجه وهو ان يؤمنوا ويصيروا الى الحق مختارين
ليستحقوا الثواب الذي اجرى بالتكليف اليه ولو شاء تعالى على كل حال
لما جاز الا يقع منهم فكان شعيبا عليه السلم قال ان ملتنا لا تكون واحدة ابدا
الا بان يشاء الله ان يلجئكم الى الاجتماع معنا على ديننا وموافقتنا والفائدة في ذلك
واضحة لانه تعالى لو اطلق انا لا نتفق ابدا ولا تصير ملتنا ملة واحدة لتوهم
متوهم ان ذلك مما لا يمكن على حال من الاحوال فافاد بتعليقه له بالمشيئة هذا
الوجه ويجري قوله تعالى الا ان يشاء الله مجرى قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض
كلهم جميعا وسادسها ان يكون المعنى الا ان يشاء الله ان يمكنكم من اكراهنا ويخلي
بينكم وبينه فنعود الى اظهارها مكرهين ويقوي هذا الوجه قوله اولو كنا كارهين
وسابعها ان يكون المعنى الا ان يشاء الله ان يتعبدنا باظهار ملتكم مع الاكراه
لان اظهار كلمة الكفر قد يحسن في بعض الاحوال اذا تعبد الله تعالى باظهارها ويقوي
قوله تعالى اولو كنا كارهين ويقوي هذا الوجه ايضا فان قيل كيف يجوز من نبي
من انبياء الله تعالى ان يتعبد باظهار الكفر وخلاف ما جاء به الشرع قلنا يجوز ان
يكون لم يرد بالاستثناء نفسه بل قومه فكانه قال وما يكون لنا ولا لامتي ان نعود
فيها الا ان يشاء الله ان يتعبد امتي باظهار ملتكم على سبيل الاكراه وهذا جائز
غير ممتنع تأويل **خبر** روى ابو هريرة عن النبي عليه السلام انه قال خير الصدقة

ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وقد قيل في قوله عليه السلام خير الصدقة ما ابقت غنى قولان احدهما ان خير ما تصدقت به ما فضل عن قوت عيالك وكفايتهم فاذا اخرجت صدقتك عنك الى من اعطيت خرجت من استغنائك ومن عيالك عنها ومثل الحديث الآخر انما الصدقة عن ظهر غنى وقال ابن عباس في قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو قال ما فضل عن اهلك والجواب الآخر ان يكون اراد وخير الصدقة ما اغنيت به من اعطيت عن المسألة اي تجزل له في العطية فيستغني بها وذلك مثل ان يريد الرجل ان يتصدق بمائة درهم فيدفعها الى رجل واحد فيستغني بها ويكف عن المسألة فذلك افضل من ان يدفعها الى مائة رجل لا تبين عليهم والتأويل الاول يشهد له آخر الخبر وهو قوله عليه السلام وابدأ بمن تعول ويشهد له الحديث الآخر انما الصدقة عن ظهر غنى وقوله عليه السلام اليد العليا خير من اليد السفلى قال قوم يريد ان اليد المعطية خير من اليد الآخذة وقال آخرون ان العليا هي الآخذة والسفلى هي المعطية قال ابن قتيبة ولا ارى هؤلاء الا قوما استطابوا السؤال فهم يحتجون للدناءة ولو كان هذا يجوز لقيل ان المولى من فوق هو الذي اعتق مولاه من اسفل وهو الذي اعتق والناس انما يعلون بالعطاء لا بالسؤال قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وعندي ان معنى قوله عليه السلام واليد العليا خير من اليد السفلى غير ما ذكر من الوجهين جميعا وهو ان تكون اليد هاهنا هي العطية والنعمة لان النعمة تسمى يدا في مذهب اهل اللسان بغير شك فكانه عليه السلام اراد ان العطية الجزلة خير من العطية القليلة وهذا حث منه عليه السلام على المكارم وتخصيص منه على اصطناع المعروف بأوجز الكلام واحسنه مخرجا ويشهد به هذا التأويل احد التأويلين المتقدمين في قوله عليه السلام ما ابقت غنى وهذا اشبه واولى من ان تحمل اليد على الجارحة لان من ذهب الى ذلك وجعل المعطية خيرا من الآخذة لا يستمر قوله لان فيمن يأخذ من هو خير عند الله تعالى ممن يعطي

ولفظ

وافضل منه لا يحتمل الا على الفضل في الدين واستحقاق الثواب فاما من جعل الآخذة خيرا من المعطية فقد دخل عليه هذا الطعن ايضا مع انه قد قال قولا شنيعا وحكى الامر على ما قال ابن قتيبة فان قيل كيف يصح تأويلكم مع قوله خير الصدقة ما ابقت غنى فهي لا تبقي غنى الا للعبد ان تنقص من غيرها واذا كانت العطية التي هي اجزل وافضل فلك تبقي غنى والتي تبقي غنى لعله الجزيلة وهذا تناقض قلنا اما تأويلنا مطابق للوجهين المذكورين في قوله ما ابقت غنى لان من تأوله على ان المراد بها المعطي وان خير العطية ما اغنته عن المسألة فالمطابقة ظاهرة ومن تأوله على الوجه الآخر وحمل الغنى على الغنى للمعطي واهله وافاد به فتأويلنا ايضا مطابق له لانه في العطايا التي تبقي بعدها الغنى على الاهل والاقارب جزيلة وغير جزيلة فقال خير الصدقة ما ابقت غنى بعد اخراجها والعطية الجزيلة من التي تبقي بعدها غنى خير من القليلة فمدح عليه السلام بعد ابقاء الغنى جزيل العطية وحث على الكرم والفضل اخبرنا ابو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى النحوي قال انشدنا ابن الاعرابي لثابت بن قطنة العتكي

يا هند كيف بنصب بات يبكيني	وعائر في سواد الليل يؤذيني
كان ليلى والاصداء هاجدة	ليل السليم واعيا من يداويني
لما حنى الدهر من قوسي وعذرني	شيبي وقاست امر الغلظ واللين
اذا ذكرت ابا غسان ارقني	هم اذا عرض الساهون يشجيني
كان المفضل عزا في ذوي يمن	وعصمة وثمالا للمساكين
غيثا الذي ازمة غبراء شاتية	من السنين ومأوى كل مسكين
اني تذكرت قتلى لو شهدتهم	في حومة الحرب لم يصلوا بها دوني
لا خير في العيش ان لم اجن بعدهم	حربا تبيئ بهم قتلى فتشفيني
لا خير في طمع يدني الى طبع	وغفة من قوام العيش تكفيني
لا اركب الامر تزري بي عواقبه	ولا يعاب به عرضي ولا ديني

انظر الامر تغنيني الجواب به | ولست انظر فيما ليس يعنيني
لا اغلب الجهل حلمي عند مقدرة | ولا العظيمة من ذي الظغن تبكيني
كم من عدو رماني لو قصدت له | لم ياخذ النصف مني حين يرميني

وهذه الابيات يروى بعضها لعروة بن اذينة وتداخل ابياتا له على هذا الوزن وهي التي يقول فيها لقد علمت وما الاشراف من خلقي ان الذي هو رزقي سوف ياتيني

اسعى اليه فيعنيني تطلبه | ولو قعدت اتاني لا يعنيني
كم قد افدت وكم اتلفت من نشب | ومن معاريض رزق غير ممنون
فما اشرت على يسر ولا خرجت | نفسي لخلة عسر جاء يبلوني
خيمي كريم ونفسي لا تحدثني | ان الاله بلا رزق يخليني
ولا اشارت بمالي قط مكرمة | الا يقنت الى غير مغبون
ولا دعيت الى مجد ومكرمة | الا اجبت اليه من يناديني
لا ابتغي وصل من يبغي مفارقتي | ولا الين لمن لا يبتغي ليني
اني سيعرفني من لست اعرفه | ولو كرهت وابدو واخفي يخفيني
فقطني جاهدا واجهد على اذا | لاقيت قومك فانظر اهل تقطني

وقوم مخطئون فيروون لقد علمت وما الاسراف بالسين من السرف وذلك خطا وانما اراد بالاشراف اني لا استشرف واتطلع الى ما فاتني من امور الدنيا ومكاسبها ولا اتبعها نفسي قال السيد رضي الله عنه ولي ابيات في معنى ابيات ثابت قطنة وعروة بن اذينة التي تقدمت وهي من جملة قصيدة طويلة خرجت مني منذ اثنتي عشرة سنة والابيات

تعاقبني بؤس الزمان وخفضه
وادبني حرب الزمان وسلمه | وقد علم المغرور بالدهر انه
وراء سرور المرء في الدهر غمه | وما المرء الا نهب يوم وليلة
تخب به نهب المنايا ودهمه | ليعلم برد الحياة يمسه
ويغتره روح الحياة ليتمه | وكان بعيدا من منازعة الردى

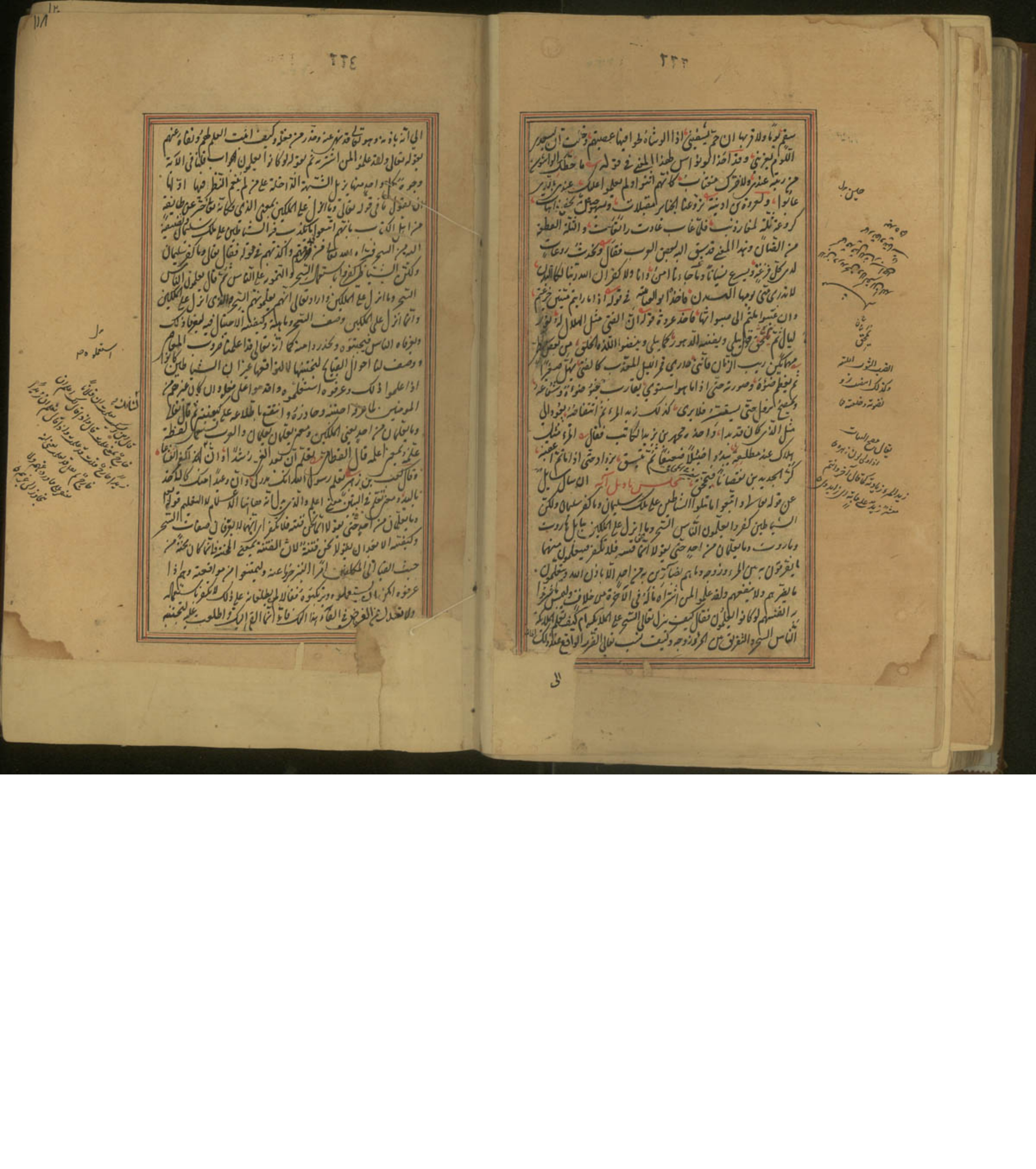
فالفتى في
كف المنية

كف المنية امه الا ان خير الزاد ما سد فاقة ومن تلاد في الذي لا اجمه وان الطوى بالغنى جس بالفتى اذ كان من كسب المذلة طعمه واني لا نهي النفس عن كل لذة اذا ما ارتقى منها الى الوجه وصمه واعرض عن نيل الثراء اذا ا جدى في بنائي سوء المقال وذمه اعيف وما الفحشاء تحمي بعيده وحسبي في صد عن الامر لمه وما العفيف من ولى عن القرب ضيقة ذي ولكن من ولى عن الشهوة حزمه ولي في معنى قوله وما الاشراف من خلقي

ما حام الرزق قلبي قبل فجاته ولا بسطت كفي الى الطالبات فلم كم قد زادت لم احفل زيادته ولو تجاوز بي ما فات في عضدي ان استحط الامر ادرك عنه مصطبرا وان ارد لا من مذهب اجد

ومعنى خام الرزق قلبي قبل فجاته اي لم اتمنه ولا تطلعت الى حضوره ولا خطر لي ببال تنزها وتقنعا والوجه في تخصيص بسط اليد في النوائب لان النوائب تخبر عنه اني الاكثر المنزه ويطلب المتعفف ممن لزم النزاهة مع الحاجة وشدة الضرورة فهو الكامل المروة ومعنى البيت الثاني ظاهر و فاما الثالث فالمراد به اني اذا كرهت شيئا تمكنت من مفارقته والنزوع عنه وليست ممن يضيق حيلته وتقصر قدرته عن استدراك ما يكره وفيه فايدة اخرى وهي انني ممن لا تملكه العادات وتقتاده الاهواء بل متى اردت مفارقة خلق الى غيره وعادة الى سواها لم يكن ذلك علي متعذرا من حيث كان زمامي على هواي السلطان والحكم له اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن ابراهيم قال حدثنا احمد بن يحيى النحوي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عروة بن عبد الله بن عروة بن الزبير قال كان عروة بن اذينة نازلا مع ابي في قصر عروة بالعقيق فسمعه ينشد لنفسه ان التي زعمت فؤادك ملها خلقت هواك كما خلقت هوى لها بيضاء باكرها النعيم فصاغها بلباقة فادقها واجلها فبك الذي زعمت بها وكلاكما ابدى لصاحبه الصبابة كلها ولعمرها





لا تفعل ثم قال تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي فيعرفون من جهتهما
ما يستعملونه في هذا الباب وان كان الملكان ما القياه اليهم لذلك
ولهذا قال تعالى ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم لما قصدوا ايثاره ان يفعلوه
ويرتكبوه لا ان يجتنبوه صار ذلك بسوء اختيارهم ضررا عليهم وتاتي ما في
قوله ما انزل موضعه جر وتكون معطوفا بالواو على ملك سليمان
والمعنى واتبعوا ما كذبت به الشياطين على ملك سليمان وعلى ما انزل
على الملكين اي معهما وعلى السنتهما كما قال تعالى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك
اي على السنتهم ومعهم وليس بمنكر ان يكون ما انزل معطوفا على ملك سليمان
وان اعترض بينهما من الكلام ما اعترض لان رد الشيء الى نظيره وعطفه على ما
هو اولى به هو الواجب وان اعترض بينهما ما ليس منهما ولهذا النظاير
في القرآن وكلام العرب كثيرة قال الله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب
ولم يجعل له عوجا قيما وقيما من صفات الكتاب حال منه لا من عوجا
وان تباعد ما بينهما ومثله يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه
كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام فالمسجد الحرام ها هنا معطوف
على الشهر الحرام اي يسئلونك عن الشهر الحرام والمسجد الحرام وحكي عن بعض
علماء اهل اللغة انه قال العرب تلف الخبرين المختلفين ثم ترمي بتفسيرهما جملة
ثقة بان السامع يرد الى كل خبره لقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل
والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وهذا واضح في مذهب العرب كثير النظاير
ثم قال تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة والمعنى انهما لا يعلمان احدا
بل ينهيان عنه ويبلغ من نهيهما عنه وصدهما عن فعله واستعماله ان يقولا انما نحن فتنة
فلا تكفر باستعمال السحر والاقدام على فعله وهذا كما يقول الرجل ما امرت فلانا
بكذا ولقد بالغت في نهيه حتى قلت له انك ان فعلته اصابك كذا وكذا اي فعل

هو نهاية

هو نهاية البلاغة في الكلام والاختصار الدال مع اللفظ القليل على المعاني الكثيرة لانه اذا
يقول له تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة عن بسط الكلام الذي
ذكرناه ولهذا نظاير في القرآن قال الله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله
اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض فلولا الاختصار لكان من
شرح الكلام ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ولو كان معه آلهة اذا لذهب
كل اله بما خلق ومثله قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين
اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي
فيقال للذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم وامثاله اكثر من ان تورد
ثم قال تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وليس يجوز ان يرجع
الضمير على هذا الجواب الى الملكين وكيف يرجع اليهما وقد نفى تعالى عنهما التعليم
بل يرجع الى الكفر والسحر وقد تقدم ذكر السحر وتقدم ايضا ذكر ما يدل على الكفر
ويقتضيه في قوله تعالى ولكن الشياطين كفروا فدل كفروا على الكفر والعطف
عليه مع السحر جائز وان كان التصريح وقع بذكر السحر دونه ومثل ذلك قوله تعالى
سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى اي يتجنب الذكرى الاشقى
ولم يتقدم تصريح بالذكرى لكن دل عليها قوله تعالى سيذكر ويجوز ايضا
ان يكون معنى فيتعلمون منهما اي بدلا مما علمهم الملكان ويكون المعنى انهم يعدلون
عما علمهم ووقفهم عليه الملكان من النهي عن السحر الى تعلمه واستعماله كما يقول
القائل ليت لنا من كذا وكذا اي بدلا منه قال الشاعر جمعت من الخيرات
وطبا وعلبة وصرا لاطراف المنية البزل ومن كل اخلاق الرجال نميمة وسعيا
الى الجار المجاور بالمحل يريد جمعت مكان الخيرات ومكان اخلاق الكرام هذه
الخصال الذميمة وقوله تعالى ما يفرقون به بين المرء وزوجه فيه وجهان احدهما ان يكونوا
يغوون احد الزوجين يحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى فيكون بذلك قد فارق
زوجه الآخر المؤمن المقيم على دينه فيفرق بينهما اختلاف النحلة والملة والوجه الآخر

ان يسعوا بين الزوجين بالنميمة والوشاية والاغراء والتمويه بالباطل حتى يؤول
امرهما الى الفرقة والمباينة وثالث الوجوه في الآية ان يحمل ما في قوله تعالى
وما انزل على الملكين على الجحد والنفي فكانه تعالى قال واتبعوا ما تتلوا الشياطين
على ملك سليمان وما كفر سليمان ولا انزل الله تعالى السحر على الملكين ولكن
الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ويكون قوله
تعالى ببابل هاروت وماروت من المؤخر الذي معناه المقدم ويكون على
هذا التأويل هاروت وماروت رجلين من جملة الناس هذان اسماهما
وانما ذكرا بعد ذكر الناس تمييزا وتبيينا ويكون الملكان المذكوران اللذان
نفى تعالى عنهما السحر جبرئيل وميكائيل لان سحرة اليهود فيما ذكر كانت تدعي ان الله
تعالى انزل السحر على لسان جبرئيل وميكائيل الى سليمان فاكذبها الله تعالى بذلك
ويجوز ان يكون هاروت وماروت يرجعان الى الشياطين كانه تعالى قال ولكن الشياطين
هاروت وماروت كفروا ويسوغ ذلك كما ساغ في قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين
يعني تعالى حكم داود وسليمان ويكون قوله تعالى على هذا التأويل وما يعلمان من
احد حتى يقولا انما نحن فتنة راجعا الى هاروت وماروت اللذين هما من الشياطين
او من الانس المتعلمين السحر من الشياطين والعاملين به ومعنى قولهما انما نحن
فتنة فلا تكفر يكون على طريق الاستهزاء والتماجن والتخالع كما يقول الماجن
من الناس اذا فعل قبيحا او قال باطلا هذا فعل من لا يفلح وقول من لا يحصل والله
ما حصلت الا على الخسران وليس ذلك منه على سبيل النصيحة للناس وتحذيرهم
من مثل فعله بل على جهة المجون والتهالك ويجوز ايضا على هذا التأويل الذي يتضمن الجحد
والنفي ان يكون هاروت وماروت اسمين للملكين ونفى عنهما انزال السحر ويكون قوله
وما انزل الملكين ويكون قوله تعالى وما يعلمان من احد يرجع الى قبيلين اولى الشياطين
الجن والانس فتحسن التثنية لهذا وقد روي هذا التأويل الاخير في حمل
ما على النفي عن ابن عباس وغيره من المفسرين وحكي عنه ايضا انه كان يقرأ وما انزل

على الملكين بكسر اللام ويقول متى كان العلجان ملكين وانما كانا ملكين وعلى هذا
القراءة لا ينكر ان يرجع قوله تعالى وما يعلمان من احد اليهما ويمكن على هذه القراءة
وجه آخر وهو ان يحمل قوله تعالى وما انزل على الملكين على الجحد والنفي وهو ان يكون
معطوفا على الذين اخبر عنهم انهم اتبعوا ما تتلوه الشياطين وتقديره على ملك سليمان واتبعوا
ما انزل على هذين الملكين من السحر ولا يكون الانزال مضافا الى الله تعالى
وان اطلق لانه جل وعز لا ينزل السحر بل يكون منزله اليهما بعض الضلال
والعصاة ويكون معنى انزل وان كان من الارض حمل اليهما لا من السماء و
انه اتى به من نجود الارض والبلاد واعاليها فان من هبط من نجد البلاد
الى غورها يقال نزل وهبط وما جرى هذا المجرى فاما قوله تعالى وما هم
بضارين به من احد الا باذن الله فيحتمل وجوها منها ان يريد تعالى بالاذن
العلم من قولهم آذنت فلانا بكذا وكذا اذا اعلمته واذنت لكذا اذا
سمعته وعلمته قال الشاعر في سماع يأذن الشيخ له وحديث مثل ماذي
مشار ومنها ان يكون الا زائدة ويكون المعنى وما هم بضارين به من احد
باذن الله ويجري مجرى قول احدنا لقيت زيدا الا انني اكرمته اي لقيت
زيدا واكرمته ومنها ان يكون اراد تعالى بالاذن التخلية وترك المنع فكانه
تعالى اراد انه لكن ان العباد لم يمنعوه وما هم بضارين من احد الا بان يخلي الله
بينهم وبينه ولو شاء لمنعهم بالقهر والقسر زائدا على منعهم بالنهي والزجر ومنها
ان يكون الضرر الذي عنى انه لا يكون الا باذنه تعالى واضافه اليه هو ما يلحق
المسحور من الادوية والاغذية والاطعمة التي تطعمه اياها السحرة فيدعون انها
موجبة لما يقصدونه فيه من الامور ومعلوم ان الضرر الحاصل عن ذلك من فعل الله
تعالى بالعادة لان الاغذية لا توجب ضررا ولا نفعا وان كان المعرض للضرر
من حيث كان كالفاعل له هو المستحق للذم وعليه يجب العوض ومنها ان يكون
الضرر المذكور انما هو ما يحصل من التفريق بين الازواج لانه اقرب اليه في ترتيب الكلام

٢ وهو يعلم وينظر في العواقب

والمعنى انهم اذا اغووا احد الزوجين فكفر فبانت منه زوجته فاستقر بذلك كانوا
ضارين له بما حسنوه له من الكفر الا ان الفرقة لم تكن الا باذن الله وحكمه
لانه تعالى هو الذي حكم وامر بالتفريق بين المختلفي الاديان فلهذا قال تعالى وما هم بضارين
به من احد الا باذن الله والذي لا نفاد له لا انقطاع وثانيها ان يكون الفائدة
في نفي العلم بعد اثباته انهم لم يعملوا بما علموه فكانهم لم يعلموا وهذا كما يقول
احدنا لغيره ما ادعوك اليه خير لك واعود عليك لو كنت تعقل وتنظر
في العواقب الا انه لم يعمل بموجب علمه يحسن ان يقال له مثل هذا القول وقال
كعب بن زهير يصف ذئبا وغرابا تبعاه ليصيبا من زاده اذا حضراني قلت
لو تعلمانه الم تعلما اني من ابراز او مرمل فنفى عنهما العلم ثم اثبته بقوله الم تعلما
اني من ازاد مرمل وانما المعنى في نفيه العلم عنهما انهما لم يعملا بما علما فكانهما
لم يعلما وثالثها ان يكون المعنى ان هؤلاء الذين قد علموا ان الآخرة لا حظ
لهم فيها مع عملهم القبيح الا انهم ارتكبوه طمعا في حطام الدنيا وزخرفها فقال
ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ان الذي آثروه وجعلوه عوضا من
الآخرة لا يتم لهم ولا يبقى عليهم وانه منقطع زائل ومضمحل باطل وان المال
الى المستحق في الآخرة وكل ذلك واضح بحمد الله

مجلس [illegible] تاويل خبر

روى عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لو كان هذا القرآن في اهاب
ما مسته النار وقد ذكر مصنفو احاديث النبي عليه وآله السلام في هذا الخبر وجوها
كلها غير صحيح ولا شاف وانا اذكرها وابين فسادها ثم اذكر الوجه الصحيح قال
ابن قتيبة ذهب الاصمعي الى ان من تعلم القرآن من المسلمين ثم القي في النار لم
تحرقه النار فكنى عليه السلام بالاهاب وهو الجلد عن الشخص والجسم واحتج
على تاويله هذا الحديث بما روي عن سليمان ابن ابي مجيد قال سمعت ابا امامة يقول اقرأوا
القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله تعالى لا يعذب قلبا وعى
القرآن قال ابن قتيبة وفي الحديث تاويل آخر وهو ان يكون القرآن لو كتب في

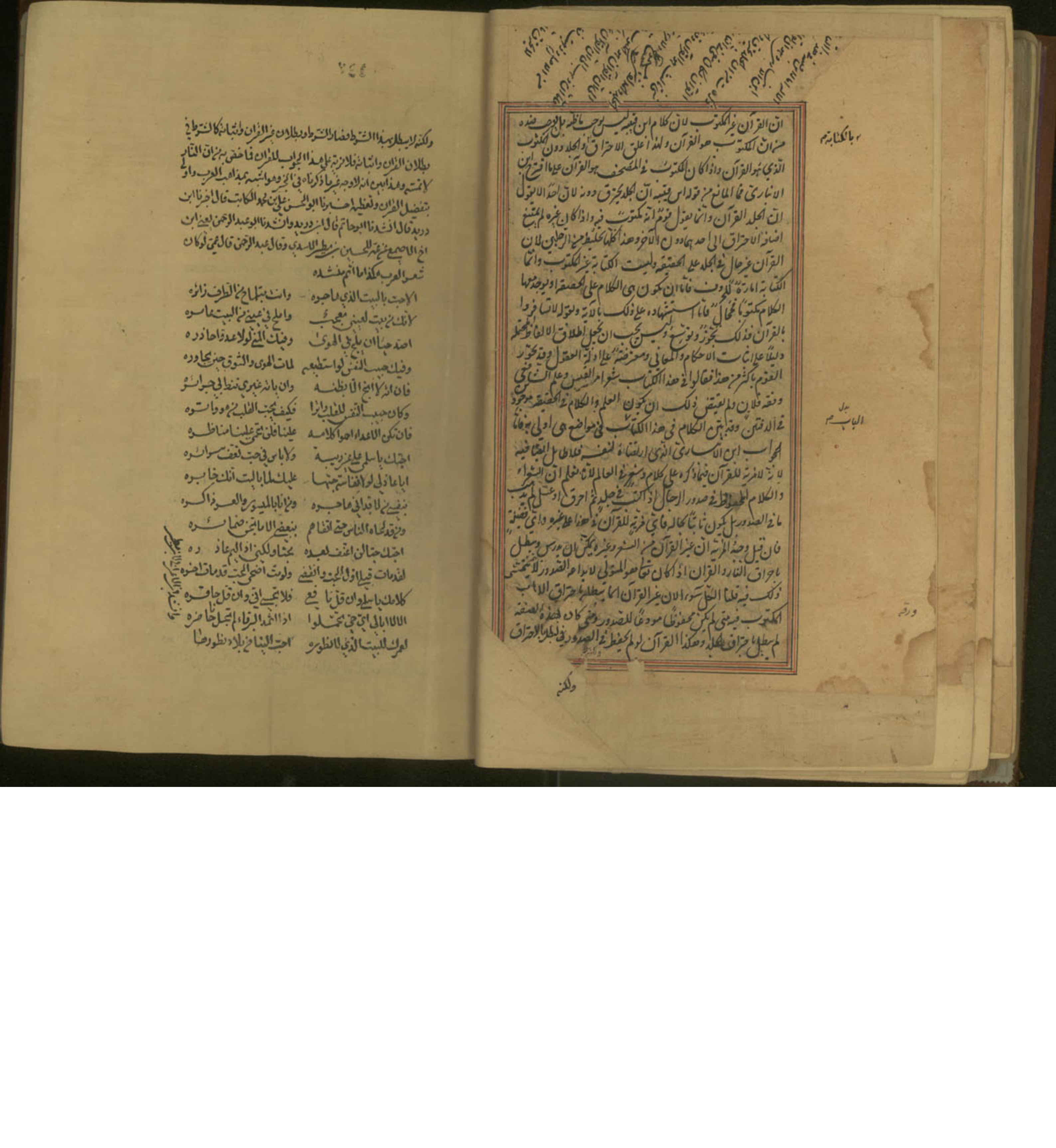
جلد

جلد ثم القي في النار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لم تحرقه النار على جهة الدلالة
على صحة امر النبي عليه السلام ثم انقطع ذلك بعده قال ويجري نحو مجرى كلام الذئب
وشكاية البعير وغير ذلك من آياته عليه السلام قال وفيه تاويل ثالث وهو ان
يكون الاحراق انما نفي عن القرآن لا عن الآيات ويكون معنى الحديث
لو جعل القرآن في اهاب ثم القي في النار ما احترق فكان النار تحرق الجلد والمداد
ولا تحرق القرآن لان الله تعالى ينسخه ويرفعه عن الجلد صيانة له عن الاحراق
وقال ابو بكر محمد بن القاسم الانباري رادا على ابن قتيبة ومعترضا عليه اعترض
ما قاله ابن قتيبة من ذلك كله فما وجدت شيئا صحيحا اما قوله الاول
فيرده ما روي عنه عليه السلام من قوله يخرج قوم من النار بعدما يحترقون فيها
فيقال هؤلاء الجهنميون طلقاء الله قال وقد روى ابو سعيد عن النبي صلى الله
عليه وآله انه قال اذا ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار قال الله تعالى
انظروا من كان في قلبه مثقال ذرة من خردل الايمان فاخرجوه منها قال
ابو بكر وكيف يصح قول ابن قتيبة ان النار لا تحرق من قرأ القرآن ولا خلاف
بين المسلمين في ان الخوارج وغيرهم ممن يلحد في دين الله ويقرأ القرآن
تحرقهم النار بغير شك واحتجاجه بخبر ابي امامة ان الله لا يعذب قلبا
وعى القرآن محمول على من قرأ القرآن وعمل به فاما من حفظ الفاظه وضيع حدوده
فانه غير داخل فيه فاما قوله من دلائل النبوة التي انقطعت بعده فما روى هذا
الحديث احد انه كان في دلائله عليه السلام ولو كان ذلك دليلا لكان
عند الناس يجعل القرآن في اهاب ثم يلقيه في النار فلا يحترق قال وقول
ابن قتيبة الثالث لا تحرق الجلد والمداد ولم تحرق القرآن غير صحيح لان
الذي يصحح هذا القول يوجب ان القرآن غير المكتوب وهذا محال
لان المكتوب في المصحف هو القرآن والدليل على هذا قوله تعالى انه لقرآن
كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون ومنه الحديث لا تسافروا

بالقرآن الى ارض العدو وانما يريد المصحف قال ابو بكر والتأويل عندنا في
هذا الخبر انه عليه السلام اراد لو كان القرآن في جلد ثم القي في النار ربما الطلبة
لا تنهاه ان احرقته فانها لا تدرسه اذ كان الله عز وجل قد ضمّنه قلوب الاخيار
من عباده والدليل على هذا قول الله عز وجل اسمه للنبي عليه السلام فيما روي اني
منزل عليكم كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان فلم يرد تعالى ان القرآن
لو كتب في شيء ثم غسل بالماء لم يتغسل وانما اراد تعالى ان الماء لا يبطله ولا يدرسه
اذ كانت القلوب تعيه وتحفظه قال ومثل هذا كثير في كتاب الله عز وجل
وفي لغة العرب قال الله عز وجل يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول
لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا فهم قد كتموا الله لما قالوا والله ربنا ما كنا
مشركين وانما اراد تعالى ولا يكتمون الله حديثا في حقيقة الامر لانهم وان كتموه في الظاهر
فالذي كتموه غير مستتر عنه قال الشريف المرتضى رضي الله عنه والوجه الصحيح في
تأويل الخبر غير ما توهمه ابن قتيبة وابن الانباري جميعا وهو ان هذا من كلامه عليه السلام
على طريق المثل والمبالغة في تعظيم شأن القرآن والاخبار عن جلالة قدره وعظم
خطره والمعنى انه لو كتب في اهاب والقي في النار وكانت النار مما
لا تحرق شيئا لجلالته وعلو شأنه لم تحرقه ولهذا نظائر في القرآن وكلام العرب
وامثالهم ظاهرة كثيرة لا تخفى على من له ادنى انس بمذاهبهم وتصرف كلامهم
فمن ذلك قوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا
من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ومعنى الكلام انا
لو انزلنا القرآن على جبل وكان الجبل مما يتصدع اشفاقا من شيء او خشية لامر
لتصدع مع صلابته وقوته فكيف بكم يا معاشر المكلفين مع ضعفكم وقلتكم
فانتم اولى بالخشية والاشفاق وقد صرح الله تعالى بان الكلام خارج مخرج
المثل بقوله وتلك الامثال نضربها للناس ومثله قوله تعالى تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ومثله قول الشاعر

اما وجلال

اما وجلال الله لو تذكرينني * كذكراك ما نهنهت للعين مدمعا * فقالت بلى والله
ذكرا لو انه * يصب على الصخر الاصم لتصدعا * ومثله فلو ان ما بي بالحصى فلق الحصى
وبالريح لم يسمع لهن هبوب * ومثله وقفت على ربع لمية ناقتي * فما زلت
ابكي عنده واخاطبه * واسقيه حتى كاد مما ابثه * تكلمني احجاره وملاعبه * وهذه
طريقة للعرب مشهورة في المبالغة يقولون هذا الكلام تعلق العصم ويهبط الجبال
ويصرع الطير ويستنزل الوعول وليس ذلك بكذب منهم بل المعنى انه لحسنه
وحلاوته وبلاغته يفعل مثل هذه الامور لو تأتت ولو كانت مما يتسهل
ويتيسر شيء من الاشياء لتسهلت به ومن اجله فاما الجواب الاول المحكي
عن ابن قتيبة فالذي يبطله زائدا على ما ذكره ابن الانباري انه لو كان الامر على
ما ذكره ابن قتيبة وحكاه عن الاصمعي لكان النبي عليه وآله السلام قد اغرانا لانه
اذا امن حافظ القرآن ومتعلمه من دخول النار والعذاب فيها ركن المكلفون
الى تعلم القرآن والاقدام على القبائح آمنين غير خائفين وهذا لا يجوز عنه عليه السلام
والمعنى في قول ابي امامة ان الله عز وجل لا يعذب قلبا وعى القرآن على ما
ذكره ابن الانباري فاما جواب ابن قتيبة الثاني فمن اين له ان ذلك مختص
بزمانه عليه السلام وليس في اللفظ ولا في غيره دلالة عليه واقوى ما يبطله انه
لو كان هذا كما ذكر لما جاز ان يخفى ذلك على جماعة المسلمين الذين رووا
جميع معجزاته وضبطوها وفي وجداننا من روى ذلك وجمهورهم غير عارف
بهذه الدلالة والآية الطائل ما توهمه فاما جوابه الثالث فباطل لان القرآن
في الحقيقة ليس يحل الجلد ولا يكون فيه حتى ينسب الاحراق الى الجلد
دونه واذا كان الامر على هذا لم يكن في قوله ان الاهاب سلم للصنف الآخر من الاحراق
بل المحترق دون القرآن فائدة لان هذه سبيل كل كلام كتب في اهاب
وغيره انه اذا احترق الاهاب سلم يضيف الاحراق الى الكلام لاستحالة
هذه الصفة عليه ومن عجائب الامور قول ابن الانباري وهذا الجواب



ان القرآن غير المكتوب لان كلام ابن قتيبة ليس يوجب ما ظنه بل يوجب ضده
من ان المكتوب هو القرآن ولهذا اعلق الاحراق والجلد دون المكتوب
الذي هو القرآن واذا كان المكتوب في المصحف هو القرآن على ما اقترح ابن
الانباري فما المانع من قول ابن قتيبة ان الجلد يحترق دونه لان احدا لا يقول
ان الجلد القرآن وانما يقول قوم انه مكتوب فيه واذا كان غيره لم يمتنع
اضافة الاحراق الى احدهما دون الآخر وهذا كله تخليط من الرجلين لان
القرآن غير حال في الجلد على الحقيقة وليست الكتابة غير المكتوب وانما
الكتابة امارة للحروف فاما ان يكون هي الكلام على الحقيقة او يوجد فيها
الكلام مكتوبا فمحال فاما استشهاده على ذلك بالآية ولقوله لا تسافروا
بالقرآن فذلك تجوز وتوسع وليس يجب ان نجعل اطلاق الالفاظ المحتملة
دليلا على اثبات الاحكام والمعاني ومعترضة على ادلة العقول وقد تجوز
القوم باكثر من هذا فقالوا في هذا الكتاب شعر امرئ القيس وعلم الشافعي
وفقه فلان ولم يقتض ذلك ان يكون العلم والكلام في الحقيقة موجود
في الدفتين وقد بينت الكلام في هذا الكتاب في مواضع هي اولى به فاما
الجواب ابن الانباري الذي ارتضاه لنفسه فلا طائل ايضا فيه
لانه لا مزية للقرآن فيما ذكره على كلام وشعر في العالم لانا نعلم ان الشعر
والكلام المحفوظ في صدور الرجال اذا كتب في جلد ثم احرق او غسل لم يذهب
ما في الصدور بل يكون ثابتا بحاله فاي فرق للقرآن في هذا على غيره واي فضيلة
فان قيل وجه المزية ان غير القرآن من الشعر وغيره يمكن ان يدرس ويبطل
باحراق النار والقرآن اذا كان تعالى هو المتولي لايداعه الصدور لا يتمشى
ذلك فيه قلنا الكل سواء لان غير القرآن انما يبطل باحراق الاهاب
المكتوب فيه متى لم يكن محفوظا مودعا للصدور ومتى كان لحفظه الصفة
لم يبطل باحراق الجلد وهكذا القرآن لو لم يحفظ في الصدور في الجلد بالاحراق

ولكنه

ولكنه لا يبطل بعد الشرط فصار الشرط او بطلان غير القرآن واثباته كالشرط في
بطلان القرآن واثباته فلا مزية على هذا الجواب للقرآن فاخفى به من ان الشعار
لا يمتنع وعندنا ان الاوجه غير ما ذكرناه في الخبر وهو اشبه بمذاهب العرب واولى
بتفضيل القرآن وتعظيمه اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن
دريد قال انشدنا ابو حاتم قال ابن دريد وانشدنا ابو عبد الرحمن ابن
اخي الاصمعي عن عمه للحسين بن مطير الاسدي وقال عبد الرحمن قال عمي لو كان
شعر العرب هكذا ما اتهم منشده

الا حب بالبيت الذي انت هاجره ... وانت بتلماح من الطرف زائره
لانك من بيت لعيني معجب ... واملح في عيني من البيت عامره
اصد حياء ان يلج بي الهوى ... وفيك المنى لولا عدو احاذره
وفيك حبيب النفس لو تستطيعه ... لمات الهوى والشوق حين يجاوره
فان انه لا ابح الا بظنة ... وان بانه غيري تنطلي سرائره
وكان حبيب النفس للقلب وابرا ... فكيف يحب القلب من هو واتره
فان تكن الاعداء احموا كلامه ... علينا فلن يحمى علينا مناظره
احبك يا سلمى على غير ريبة ... ولا باس في حب تعف سرائره
ابا عاذلي لو اقفلت حينها ... عليك لما باليت انك خابره
بنفسي من لا بد اني هاجره ... ومن انا بالميسور والعسر ذاكره
ومن قد لحاه الناس حتى اتقاهم ... ببغضي الا ما تجن ضمائره
احبك حبا لن اعنف بعده ... محبا ولكني اذا ليم عاذره
لقد مات قبلي اول الحب وانقضى ... ولو مت اضحى الحب قد مات آخره
كلامك يا سلمى وان قل نافع ... فلا تحسبي اني وان قل حاقره
الا لا ابالي اي حي تحملوا ... اذا اتهم البرقاء لم يتحمل حاضره
لعمرك للبيت الذي لا نطوره ... احب البنا من بلاد نطورها

تقلبت في الاخوان حتى عرفتهم ... ولا يعرف الاخوان الا خبيرها

فلا اصرم الخلان حتى يصارموا ... وحتى يبين واسبره لا اسيرها

فانك بعد الشر ما انت واجد ... خليلا مديما شيمة لا يديرها

وانك في غير الاخلاء عالم ... بيان الذي يخفى عليك ضميرها

فلا تك مغرورا بمسحة صاحب ... من الود لا تدري علام مصيرها

وما الجود عن فقر الرجال ولا الغنى ... ولكنه خيم الرجال وخيرها

وقد تغدر الدنيا فيضحي غنيها ... فقيرا ويغنى بعد بؤس فقيرها

وكاين ترى من حال دنيا تغيرت ... وحال صفا بعد اكدرار غديرها

ومن طامع في حاجة لن ينالها ... ومن يائس منها اتاه بشيرها

ومن يتبع ما يعجب الناس لم يزل ... مطيعا لها في فعل شيء يضيرها

فنفسك اكرم عن امور كثيرة ... فما لك نفس بعدها تستعيرها

قال السيد رض ولي في معنى قول ابن مطير وقد تغدر الدنيا والبيت الذي بعده من جملة قصيدة
وكيف التي في الدنيا ولست ارى الا امرا قد تعرى من عواريها تضلوا الهيا بامال تخيبه
كانسا ما نرى عقبى لما بنها بع وحشة الدار ممن كان يسكنها كلا اعتبار لمن قد ظل باويها
لا تكذبن فما قلبي لها وطنا وقد رايت طلولا من مغانيها واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني
قال انشدنا علي بن سليمان الاخفش قال انشدنا احمد بن يحيى ثعلب للحسين بن مطير
لقد كنت جلدا قبل ان توقد النوى على كبدي نارا بطيا خمودها ولو تركت نار الهوى لتضرمت
ولكن شوقا كل يوم يزيدها وقد كنت ارجو ان تموت صبابتي اذا قدمت ايامها وعهودها
فقد جعلت في حبة القلب والحشى عهود الهوى تولى بشوق يعيدها بمرتجة الارداف هيف خصورها
عذاب ثناياها عجاف قيودها يعني انها عجاف الثنايا واصول الاسنان من قيودها اي ان
الفعالة العلب عجاف بالخفض لحن لانه ليس من صفة الثنايا وسبيله ان يكون نصبا لانه حال من الثنايا
مخفرة الاوشاح ان عقودها باحسن ما زينتها عقودها وصفر تراقيها وحمر اكفها
وسود نواصيها وبيض خدودها وصفر التراقي بالصفرة من الطيب وحمرة الكفها من الخضاب تميتنا
حتى تزف قلوبنا رفيف الخزامي بات طل يجودها اخذ قوله مخفرة الاوشاح ان عقودها من قول

قال

من قول الملك بن اسماء بن خارجة وتزيد من اطيب الطيب طيبا ان تمسيه اين مثلك اينا
واذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا وقد روى ابو تمام الطائي
في الحماسة بعض الابيات التي ذكرناها للحسين بن مطير وروى له ايضا وشبه
ان يكون الجميع من قصيدة واحدة وكنت اذود العين ان ترد البكا فقد وردت
ما كنت عنه اذودها خليلي ما بالعيش عيب لو اننا وجدنا لايام الصبى من يعيدها
وروى ابو تمام ايضا الغزة وبعض الرواة يرويها لابن مطير
ولي نظرة بعد الصدود من الجوى كنظرة ثكلى قد اصيب وليدها هل الله عاف
عن ذنوب تسلفت ام الله ان لم يعف عنها معيدها وانشد ابو محلم
لابن مطير فيضى اليد ياسما ان لست بارحا احبك حتى يغمض العين مغمض وحبك
بلوى غير ان لا يسرني وان كان بلوى انني لك مبغض اذا انا رضت النفس
في حب غيرها اتى حبها من دونها يتعرض فيا ليتني اقرضت جلدا صبابتي واقرضني
صبرا على الشوق مقرض ولست اري ان يكون اخذ قوله اذا انا رضت النفس من قول
رجل من فزارة واعرض حتى يحسب الناس انما بي الهجر لا والله ما بي لك الهجر
ولكن اروض النفس انظر هل لها اذا فارقت يوما احبتها صبر ومن قول نصيب
واني لاستحيي كثيرا واتقي عيونا واستبقي المودة بالهجر واندر بالهجران نفسي
اروضها لاعلم عند الهجر هل لي من صبر ويشبه ان يكون اخذ قوله فيا ليتني اقرضت
جلدا صبابتي البيت من قول بعض العرب من قلبه البرق الملالي رميته بحتف كم
وصفا فكادت تقد نحول من ميسري طرف عين جلية فانسان عين العامري كليم
وللحسين في هذا المعنى ما رواه المبرد ولي كبد مقروحة من يبيعني
بها كبدا ليست بذات قروح ابى الناس ويب الناس لا يشترونها ومن يشتري
ذا علة بصحيح واخذ العباس بن الاحنف هذا المعنى فقال من ذا يعير عينه تبكي
بها ارايت عينا للبكا تعار زف البكاء دموع عينك فاستعر عينا لغيرك
دمعها مدرار اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابو عبد الله الحكيمي قال حدثنا يموت

وان كان دار
من دونها
اقرضت جلدا صبابتي

بن المرزع قال حدثنا محمد بن حميد قال كنا عند الاصمعي فانشده رجل ابيات دعبل

اين الشباب واية سلكا ... لا اين يطلب ضل بل هلكا

لا تعجبي يا سلم من رجل ... ضحك المشيب براسه فبكى

يا سلم ما بالشيب منقصة ... لا سوقة يبقي ولا ملكا

قصر الغواية عن هوى قمر ... وجد السبيل اليه مشتركا

يا ليت شعري كيف نومكما ... يا صاحبي اذا دمي سفكا

لا تاخذا بظلامتي احدا ... قلبي وطرفي في دمي اشتركا

قال فاستحسنها كل من كان في المجلس واكثروا التعجب من جودة قوله ضحك المشيب براسه فبكى فقال الاصمعي انما اخذ قوله هذا من ابن مطير الاسدي حيث يقول

اين اهل القباب بالدهنا ... اين جيراننا على الاحساء

جاورونا والارض ملبسة ... نور الاقاحي تجاد بالانواء

كل يوم باقحوان جديد ... تضحك الارض من بكاء السماء

وقد اخذه ايضا مسلم صريع الغواني في قوله

مستعبر يبكي على دمنة ... وراسه يضحك فيه المشيب

قال المرتضى رضي الله عنه ولابي الحسن العصب الاصبغ مثل هذا وهو قوله

فبكى الغمام به فاصبح روضة ... جذلان يضحك بالجميم وبزهر

مثل الجنة عليه كل طخا دثبه ... اذا اماكت اجفانها ضحك الزهر

ولابن دريد

تبسم المزن وانهلت مدامعه ... فاضحك الروض جفن الضاحك الباكي

وعانق الشمس نور ظل يلحظها ... بعين مستعبر بالدمع ضحاك

وروي عن ابي العباس المبرد انه قال اخذ ابن مطير قوله تضحك الارض من بكاء السماء من قول دكين الراجز

جن النبات في ذراها وزكا ... وضحك المزن به حتى بكى

مجلس تاويل آية

ان سال سائل عن قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولو الالباب الجواب قلنا قد ذكر في هذه الاية وجهان ظاهران في التاويل للمحتج احدهما ان يكون الراسخون في العلم معطوفين على اسم الله تعالى فكانه تعالى قال وما يعلم تاويله الا الله والا الراسخون في العلم وانهم مع علمهم به يقولون امنا به

ستى صريع الغواني لهذا البيت ... كل القبس الا ان ازوج مع العتق والحزن ... واعد وصريع الكاس ... دبه ... النحل ... نبات كشفت ... الجميم ... لست للكد ... فعال بعض ... تمر

موقع قوله يقولون امنا به موقع الحال والمعنى انهم يعلمونه قائلين امنا به كل من عند ربنا وهذا غاية المدحة لهم لانهم اذا علموا ذلك بقلوبهم واظهروا التصديق على السنتهم فمن استبعد عطفه على الاول وتقديره ان يكون قوله امنا به على هذا التاويل لا ابتداء له ... نظيره قوله ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول الى قوله شديد العقاب فذكر جملة ثم تلاها بالتفصيل وتسمية من يستحق هذا الفيء فقال للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا الى قوله انك رؤوف رحيم وقال تعالى في المهاجرين الذين تبوؤا الدار والايمان وهم الانصار يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال تعالى والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان فهذه الآيات تدل على انه لا ينكر في اية الراسخين في العلم ان يكون قوله تعالى امنا حالا لانهم مع العلم بتاويل المتشابه ولو اشكل شيء من ذلك لما اشكل قوله تعالى والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا في انه موافق لقوله والراسخون في العلم يقولون امنا به وان الصورتين واحدة ومما يشهد على ذلك من الشعر قول يزيد بن مفرغ في عبد له كان يسمى بردا فباعه ثم ندم على بيعه

وشريت بردا ليتني ... من بعد برد كنت هامه

هامة تدعو صدى ... بين المشقر واليمامه

الريح تبكي شجوها ... والبرق يلمع في الغمامه

فعطف البرق على الريح ثم اتبعه بقوله يلمع في غمامه كانه قال والبرق ايضا يبكيه لامعا في غمامه او في حال لمعانه ولو لم يكن البرق معطوفا على الريح في البكاء لم يكن للكلام معنى ولا فائدة ويمكن ايضا على هذا الوجه مع عطف الراسخين على ما تقدم واثبات العلم بالمتشابه لهم ان يكون قوله تعالى يقولون امنا به استئناف جملة واستغني فيه عن حرف العطف كما استغني في قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ونحو ذلك مما يكتفى فيه بالتباس الجملة الاولى فيستغنى به عن حرف العطف ولو عطف بحرف العطف كان حسنا ليتبين الملتبس من غير الملتبس والوجه الثاني في الاية ان يكون قوله تعالى

فقد تكاملت مدحتهم ووصفهم باداء الواجب عليهم والحجة لمن ذهب الى ما بيناه والرد على من جرى الذين



ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله فخص تعالى المتشابه بالذكر وانضافا الى
ان يكون المراد بلفظة تاويله الثانية هو المراد بلفظة تاويله الاولى وقد علمنا ان الذين
في قلوبهم زيغ انما اتبعوا تاويله على خلاف معناه ولم يطلبوا تاويله الذي هو مثاوله
فالوجه الاول اقوى وارجح ويحتمل في الآية وجه ثالث لم نجد احدا ذكره وهو ان
يكون قوله تعالى والراسخون في العلم مستأنفا غير معطوف ويكون المعنى وما يعلم
تاويل المتشابه بعينه وعلى سبيل التفصيل الا الله وهذا صحيح لان اكثر المتشابه قد
يحتمل الوجوه الكثيرة المطابقة للحق الموافقة لادلة العقول فيذكر المتأول جميعها و

والراسخون في العلم مستأنف غير معطوف على ما تقدم ثم اخبر تعالى عنهم بانهم
يقولون آمنا به ويكون المراد بانا دل على هذا الجواب المتأول لانه قد يسمى تاويلا
قال الله تعالى هل ينظرون الا تاويله يوم يأتي تاويله والمراد بذلك لا محالة المتأول
والمتأول الذي لا يعلمه العلماء وان كان الله عز وجل عالما به كيخبر وقت قيام الساعة
ومقادير الثواب والعقاب وصفة الحساب وتعيين الصغائر الى غير ذلك
فكانه تعالى قال وما يعلم تاويله جميعه على المعنى الذي ذكرناه الا الله والعلماء يقولون
آمنا به وقد اختار ابو علي الجبائي هذا الوجه وضعف الاول بان قال قوله تعالى

ويروى ساقطن الاحاديث للفتى ويروى ساقطن الحديث كانه زمن
القلوب فلا ترى وما تاثر الاجوى فى الحازم ومن مستحسن ما مضى ونمى
هذه القصيدة قوله كان لم ارح بالغبور وافتل بنفير الصبار الصحاح
السقائم ولم ار بالحدث الالف الذى له غدائر لم تحرز فارا للطائم
اذا اللهو يطبينى واذ استميل محلولك الغودين وحف المقادم واذا انا منقاد
لكل مقود الى اللهو حلاف البطالات آثم وروى ابن حبيب مقود ومعنى
حلاف البطالات اى حلاف فى البطالات مين المطا ما صلف عراقى
علم هلك ما اتفقه غير نادم ارى خير يومى الخميس وان غلا بى اللوم لم احفل
ملامة لائم فخير يومى الخميس اى احب يومى الى الذى هو احسن عندى اراد
والعقل وانشد ابو اسحق ابراهيم بن سعيان لابى حية واسمه الهيثم بن الربيع رحل
بان الشباب الشيب عنا فليت الشيب كان به الرحيل وقد كان الشباب
لنا خليلا فقد قضى ماربه الخليل لعمر ابى الشباب لقد تولى حميدا ما يراد به بديل
اذ الايام مقبلة علينا وظل اراك الدنيا ظليل وانشد المبرد قال انشدنا ابو
عثمان المازنى لابى حية زمان الصبى ليت ايامنا رجعن لنا الغاليات القصار
زمان على غراب غداف فطيره الدهر عنى فطارا فلا يبعد الله ذاك الغراب
وان هو لم يبق الا ادكارا كان الشباب ولذاته وريق الصبى كان ثوبا
معارا اريق الصبى وريقه رونقه وروقه اوله وما زاية ان رات لمتى
تلفع شيب بها فاستدارا وقلدنى منه بعد الخطام عذارا فما استطيع عذارا
اجارتنا ان ريب الزمان قبلى غال الرجال الخيارا فاما ترى لمتى بدلت افانين
منها لشيئى النفارا فقد ارتدى وحفه طلة وقد ابرز الغانيات الخمارا
اما قوله كان على غراب غداف اراد به الشباب والشعر الاسود ويشبه
ان يكون ماخوذا من قول الاعشى وما طلابك شيئا لست مدركه ان كان
عنك غراب الجهل قد وقعا ولابى حية من قصيدة اولها الا اسلم

الطلال

ابوم

اطلال خنساء والنعيم رحيما نحاها من الوشاح الى الروح اقفار خط المنجم
الما بسلمى قبل ان رمى النوى بناقده نبض الفؤاد المتيم الم تقف عاشق
لم يشق من روح نفسه ولا غفلة المسلوب غير التوهم فقلن لها سرا
فديناك لا ترح صحيحا وان لم تقتليه فالمم فالقت قناعا دونه الشمس
واتقت باحسن موصولين كف ومعصم وهذا البيت الاخير ماخوذ من
قول النابغة سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد
ولقوله فقلن لها سرا فديناك البيت خبر وهو ما اخبرنا به ابو الحسن بن محمد الكاتب
قال حدثنى محمد بن يحيى الصولى قال حدثنى الباقطانى قال اتصل بعبيد الله بن
سليمان بن وهب امر على بن العباس الرومى وكثرة مجالسته لابى الحسين
قد احببت ان ارى ابن الرومى بهذا فدخل يوما عبيد الله الى ابى
الحسين وابن الرومى عنده فاستنشده من شعره فانشده وخاطبه فرآه مضطرب
العقل جاهلا فقال لابى الحسين بينه وبينه ان لسان هذا اطول من عقله
ومن هذه صورته لا تؤمن عقاربه عند اول عتب ولا تحمد عاقبته فاخرجه
عنك فقال اخاف حينئذ ان يعلن بالمكتوم فى دولتنا ويذيعه فى مجلسنا فقال
يا بنى انى لم ارد باخراجك لطرده فاستعمل فيه بيت ابى حية النميرى
فقلن لها سرا فديناك لا ترح صحيحا وان لم تقتليه فالمم فحدث القاسم بن
فراس وكان اعدى الناس لابن الرومى وقد هجاه باهاجى كثيرة قبيحة فقال
للوزير اعزه الله اشار بان يغتال حتى يستراح منه وانا اكفيك ذلك فسمه
فى الخشكنانج فمات قال الباقطانى والناس يقولون قتله ابن فراس وانما
قتله عبيد الله فقال ابن الرومى لما رجع الى داره وقد دب السم فى اعضائه
قال ابن فراس اذا انا النهب ما راحتى لا حاجة للهب فاراه
زائد الى حرقة فكان ان احمار للنار حطب وذكر محمد بن يزيد المبرد قال
مما يفضل المتقدم من التكلف وسلامته من الزيد وبعده من الاستكراه قول

الطول م





فيكون المعنى ان الناس عجبوا من ان يكون من يموت بين الموتى ثم قال بهذا احياه نشر الله الموتى بمعنى انشر والقول الاول اظهر وما يظن الاعشى عنى غيره

مجلس ٦٣ [اخر] تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى حاكيا عن يوسف عم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فقال لم خص اليوم بالذكر فانه اراد العفو عنهم في جميع مستقبل الاوقات الجواب قلنا في هذه الآية وجوه اربعة اولها ان يكون انه لما كان هذا الوقت الذي اشار اليه هو اول اوقات التي كشف فيه نفسه واطلعهم على ما كان يستره عنهم من امره اشار الى الوقت الذي لو اراد الانتقام لابتدأ به فيه والذي متى عفا فيه ولم يراجع الانتقام وثانيها ان يوسف لما قدم توبيخهم وعدد عليهم قبيح ما فعلوه وعظيم ما ارتكبوه وهم مع ذلك يستر عنهم نفسه ولا يفصح لهم بحاله قال لهم عند تبين امره لا تثريب عليكم اليوم اي قد انقطع عنكم توبيخي وعتبي عذلي ولا يلحق عند اعترافكم بالذنب فكان ذكر اليوم والاشارة الى انقطاع العقوبة والتوبيخ وعلى ان الاوقات المتصلة تجري مجراه في زوال العنف وتمام العفو وسقوط المؤاخذة لهم على ما سلف منهم وثالثها ان يكون ذكر اليوم المراد به الزمان والحين فوضع اليوم موضع الزمان كله المشتمل على الليالي والايام والشهور والسنين كما يقول العرب للعرب قد كنت تستحسن شرب الخمر فاليوم قد تركها وعففتها يريد في هذا الزمان ولا يريد يوما واحدا بعينه ومثله قد كنت تقصر عن الجواب فاليوم ما تجارى مثلك ولا يتوقف على مشكلة يريد باليوم ما في الزمان كله قال امرؤ القيس

حلت لي الخمر وكنت امرأ عن شربها في شغل شاغل
فاليوم اشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل

ولم يقصد يوما بعينه ومثله اليوم برجهام كان يغبطنا والبوم تتبع من كانوا لنا تبعا وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع كل ذلك لا يراد بذكر اليوم في الغد الا جميع الاوقات المستقبلة ورابعها ان يكون المراد لا تثريب عليكم اليوم ثم قال

اليوم يغفر الله لكم فتعلق اليوم بالغفران وكان المعنى غفر الله لكم اليوم وقد ضعف قوم هذا الجواب من جهة ان الدعاء لا ينصب ما قبله فاما معنى التثريب فان ابا عبيدة قال لا تشعيب ولا معاتبة ولا افساد وقال الشاعر

فعفوت عنهم عفو غير مثرب وتركتهم لعقاب يوم سرمد

قال ابو العباس ثعلب يقال ثرب فلان على فلان اذا عدد عليه ذنوبه وقال بعضهم التثريب مأخوذ من لفظ الثرب وهو شحم الجوف فكانه موضوع للمبالغة في اللوم والتعنيف والتقصي الى اقصى غاياتهما

[تأويل خبر] روى ابو عبيد القسم بن سلام عن حجاج عن حماد بن سلمة عن هشام بن حسان وحبيب بن الشهيد عن ابن سيرين عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله نهى عن كسب الزمارة قال ابو عبيد قال حجاج الزمارة الزانية وقال هذا مثل حديثه الاخر نهى عن كسب البغي وقال ابو عبيد وقال غير حجاج هي الرمازة بتقديم الراء قال وقول الحجاج اثبت عندنا لانهم كانوا يكرهون اماءهم على البغاء فانزل الله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا قال فالوجه انه كسب البغي الذي نهى النبي صلى الله عليه وآله عنه قال ابو عبيد ولا اعلم من اخذت الزمارة غير اني وجدتها مفسرة في الحديث وقال ابن قتيبة الامر على ما ذكر ابو عبيدة الا انكره على من زعم انها الرمازة لان الرمازة هي الفاجرة سميت بذلك لانها ترمز اي ترمي بعينها وحاجبيها وشفتيها قال الفراء واكثر الرمز بالشفتين ومنه قول الله تعالى آيتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا فالرمازة من صفات الفاجرة ثم صار اسما لها وكذلك قيل لها هلوك لانها تتهالك على الفراش او على الرجل ثم صار اسما لها دون غيرها من النساء وان تهالكت على زوجها وقيل لها خريع للينها وتثنيها ثم صار ذلك اسما لها دون غيرها من النساء وان لانت

وفنيت لاوجاهاونحوه قولهم للبعير اعلم للشق في مشفره الاعلى ثم صار كالاسم له
وكذلك قولهم للذئب ازل لارسح ثم صار كالاسم له فالمرءة الجريبة
لا تكاد تغلق الكلام وانما تومي او ترمز او تومض او تصغر قال الشاعر
رمزت الي مخافة من بعلها من غير ان تبدو هناك كلامها * وقال الاخطل
احاديث سدّاها ابن حدراء فرقد ورمازة مالت لمن يستميلها *
وقال آخر يومضن بالاعين والحواجب ايماض برق في عماء ناصب
والعماء السحاب والناصب البعيد قال بعضهم انما قيل للفاجرة قحبة انه
من القحاب قال والقحبة [illegible] لانها تنحنح او تسعل ترمز بذلك وحكي
عن المفضل انه كان يقول في قول الناس اجبن من صافر انه الرجل يصفر
للفاجرة فهو يخاف كل شيء فاما الاصمعي فانه كان يقول للصافر ما يصفر
من الطير وانما وصف بالجبن لانه ليس من الجوارح قال ابن قتيبة ولا ادري القول
الا قول المفضل والدليل على ذلك قول الكميت بن زيد الاسدي شعر
ارجو لكم ان تكونوا في اخائكم كلبا كورها تقلي كل صفار * لما اجابت صفيرا
كان آتيها من قابس شيّط الوجعا بالنار * وهذه امرأة كان يصفر
لها رجل فتجيبه فتمثل زوجها وصفر لها فاتته فشيطها بميسم فلما عاد [illegible]
الاشارات الاختيار عندي ان زمارة بالزاي المعجمة على ما قال ابوعبيدة لحجج ثلثة
احدهن اجماع اصحاب الحديث على الزمارة والحجة الثانية ان الفاجرة
سميت زمارة لانها تحسن بنفسها وكلامها والزمر عند العرب الحسن قال
عمرو بن احمر الباهلي يصف ثورا وغناءه شعر ... ان جنانا ان سمعها زجل
اجش غناؤه وزمير * قال الاصمعي معناه غناؤه حسن كانه من مزامير داود
عليه السلام والحجة الثالثة انهم سمّوا الفاجرة زمارة لمهانتها وقلة ما فيها
من الخير من قول العرب نعجة زمرة اذا كانت قليلة الصوف ورجل
زمر المروءة اذا كان قليلها قال ابن احمر يصف فرخ القطاة شعر

يروي ليق في مهمه يقصر الشمس ما يقصر مطلنفئا لون الحصى لونه يحجر عن الذرّ
زمرة * المطلنفئ اللاصق بالارض والذرّ النمل والزمر القليل فسميت البغي
زمارة على وجه الذم لها والتصغير لشانها كما قيل لها فاجرة لميلها عن القصد قال
فجر الرجل اذا مال قال لبيد شعر فان تتقدم تغش منها مقدّما غليظا
وان اخرت فالكفل فاجر اي مائل والكفل كساء يوضع على ظهر البعير يوقي
من العرق * قال الشريف المرتضى رضي الله عنه ولا ارى لاحدى
الروايتين على الاخرى رجحانا لان كل واحد منهما قد اتت من جهة من يسكن
الى مثله ولكل منهما مخرج في اللغة وتاويل يرجع الى معنى واحد لان الرمازة
بالراء غير المعجمة يرجع معناها على ما ذكره ابن قتيبة الى معنى الفجور ومن رواها
بالزاي المعجمة فالمرجع في معناها الى ذلك ايضا على الوجهين اللذين ذكرهما ابن
الانباري فالاولى ان يكونا متساويين ويكون الراوي مخيرا فيهما اخبرنا ابو
عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال انشدنا محمد بن احمد الكاتب قال انشدنا
محمد بن يحيى قال انشدنا ابن الاعرابي للمضرب وهو عقبة بن كعب بن زهير
بن ابي سلمى * وما زلت ارجو نفع سلمى ودّها وتبعد حتى ابيض مني المسائح *
وحتى رأيت الشخص يزداد مثله اليه وحتى نصف راسي واضح * علا حاجبي
الشيب حتى كانه ظباء جرت منها سنيح وبارح * وهزة اظعان عليهن
بهجة * طلبت وريعان الصبي لي جامح * فلما قضينا من منى كل حاجة ومسح
بالاركان من هو ماسح * اخذنا باطراف الاحاديث بيننا وسالت باعناق
المطي الاباطح * وشدّت على حدب المهاري رحالها ولا ينظر الغادي الذي هو
رائح * قفلنا على الخوص المراسيل وارتمت بهن الصحاري والصفاح الصحاصح *
وانشد ابن الاعرابي * وصدّت بعيني شادن وتبسمت لحاء عن غرّ ظلم
غروب * جرى الاسحل الاحوى عليهن او جرى عليهن من فرع الاراك قضيب
اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد

بن الحسن البلخي قال حدثنا ابو حاتم قال سمعت الاصمعي يقول سمعت الرشيد يقول
قلب العاشق عليه مع معشوقه فقلت له هذا والله احسن يا امير المؤمنين
من قول عروة بن حزام لعفراء ارانى يهودنى لذكراك رعدة لها بين جلدي
والعظام دبيب وما هو الا ان اراها فجاءة فابهت حتى لا اكاد اجيب
واصرف عن رايي الذي كنت ارتأي ويعزب عني علمه ويغيب ويعصم
قلبي عذرها ويعينها علي فما لي في الفؤاد نصيب فقال الرشيد من قال
هذا فهما فاني اقوله علماً لله درك يا اصمعي فاني احد عنك بالمعنى الحق قال
الصولي فاخذه العباس بن الاحنف فقال

بهيم بحر ان الجزيرة قلبه وفيها غزال فاتر الطرف ساحره يوازره قلبي
علي وليس لي يدان بمن قلبي علي يوازره واشار اليه البحتري في قوله قلبي
الى ما ضرني داع يكثر اسقامي واوجاعي كيف احتراسي من عدوي اذا كان
عدوي بين اضلاعي فاخذه سهل بن هرون الكاتب فقال اعان طرفي على
جسمي واعطاني بنظرة وقعت جسمي على دائي وكنت غرا بما تجني علي يدي
لا اعلم ان بعضي لبعض اعدائي ولما البحتري ولست اعجب من عصيان قلبك
لي يوما اذا كان قلبي فيك يعصيني وروى ابو عكرمة الضبي عن مسعود بن بشر المازني
قال قال لنا الاصمعي يوما ما احسن ما قيل في صفة امراة عجزاء جميعها فانشد قول
الاعشى صفر الوشاحين مل الدرع بهكنة اذا تاتى يكاد الخصر ينخزل وانشد
قول من الشعر علقمة بن عبدة صفر الوشاحين مل الدرع خرعبة كانها رشا
في البيت مربوب وانشد قول ذي الرمة ترى خلقها نصفا قناة قويمة ونصفا
نقا يرتج او يتمرمر فقال احسن ما قيل فيه قول ابي وجزة السعدي اذا ما في
وقيح يكاد مرادها تطوى ويشبع ما اختص ازارها قال ابو عكرمة ومثله
قول الحرث بن خالد المخزومي نومي ان سحطا وشاحها قلق ريان من ازرارها المرط
واخبر المرزباني قال حدثنا محمد بن ابرهيم قال حدثنا ابو العيناء قال حدثنا الاصمعي قال لما

مات محمد بن ابراهيم سليمان بن علي الهاشمي وخلف على اخيه جعفر بن محمد وقد سلمان حزن
عليه حزنا شديدا ولم يطعم ثلاثا فانشدته كلمن اراكة الشقفي لعمري لئن
اشجعت عينك ما مضى من الدهر او ساق الحمام الى القبر لتستنفدن ماء
الشؤون باسره ولو كنت تمريهن من ثبج البحر فقلت نعبد الله اذ حزن باكيا
تعزونا العين منهم بحرين فان كان البكا ردها لكا على احد فاجهد بكاك
على عمر ولا تبك ميتاً بعد ميت اجنه علي وعباس وآل ابي بكر
قال فامر لي بالطعام فاكل من ساعته قوله اخن باكيا معناه رفع صوته بالبكاء
وقال قوم الخنين من الانف والحنين من الصدر وهو صوت يخرج من كل واحد
منهما واخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي
قال سمعت الثوري يقول دخلنا مع الاصمعي الى اسمعيل بن جعفر ليلة
في حاجة فانشده الاصمعي ابيات ابن هرمة اتيناك نرجي حاجة ذو وسيلة
اليك وقد تخطي لديك الوسائل وندكره انشده الله حينا على الدهر لم يدب
اليه العواذل فاقسم ما كبا زنادك قادح ولا اكذبت فيك الرجا القوابل
ولا رجعت ذا حاجة عنك علة ولا عاق خيرا عاجلا منك آجل ولا لام
فيك الباذل الوجه نفسه ولا احتكمت في الجود منك المباخل لم يزد على
هذه الابيات فقضى حاجته واجاب مسئلته قال الشريف المرتضى رضي الله عنه
ويشبه ان يكون ابن هرمة اخذ قوله ولا اكذبت فيك الرجا القوابل من قول
الحزين الكناني في زيد علي بن الحسين عليهما السلام فلما ترد ي بالحمايل واشتد
يصول باطراف القنى الذوابل تبقنت الاعدا ان سنانه يطيل
حنين الامهات الثواكل يبين فيه ميسم العز والتقى وليدا يفدي بين
ايدي القوابل واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولي
قال حدثنا محمد بن الحسن البلخي قال حدثنا ابو حاتم عن الاصمعي قال قال لي اكثم
يا اصمعي الفرق للعرب اعتذار او ندنا وودع امرا انوع فانه يحتج ويعتذر

فقلت ما اعرف ذلك يا امير المؤمنين الا لبشر بن ابي خازم الاسدي
فانه هجا اوس بن حارثة بن لام فاسره بعد ذلك واراد قتله فقالت له امه
وكانت ذات راي والله لا يمحو هجاءه الا مدحه اياك فعفا عنه فقال
بشر شعر واني على ما كان مني لنادم واني الى اوس بن لام لتائب
واني الى اوس ليقبل توبتي ويعفو عني ما حييت لراغب فهب
لي حياتي فالحياة لقائم بشكرك فيها خير ما انت واهب سامحو بمدحي
فيك اذ انا صادق كتاب هجاء سار اذ انا كاذب فقال الرشيد للاصمعي
ان دولتي لتحسن بمقامك فيها واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال حدثنا
ابن دريد قال حدثنا عبد الرحمن يعني ابن اخي الاصمعي عن عمه قال سمعت بيتين
لم احفل بهما ثم قلت اما على حال خير من موضعهما من الكتاب قال فاتي عنده
الرشيد يوما وعنده عيسى بن جعفر فاقبل على مسرور الكبير فقال يا مسرور كم
في بيت مال السرور فقال ما فيه شيء فقال عيسى هذا بيت مال الحزن فاغتم
لذلك الرشيد واقبل على عيسى فقال والله لتعطين الاصمعي سلفا على بيت
مال السرور الف دينار فوجم عيسى وانكسر فقلت في نفسي جاء موضع البيتين
فانشدت شعر اذا شئت ان تلقى اخاك معبسا وجداه في الماضين كعب
وحاتم فكشفه عما في يديه فانما يكشف اخبار الرجال الدراهم قال فتجلى الرشيد
وقال للمسرور اعط على بيت مال السرور الفي دينار فاخذت بالبيتين الفي
دينار وما كان يساويان عندي درهمين

مجلس اخر [illegible]

ان سال سائل عن قوله تعالى خلق الانسان من عجل ساريكم اياتي فلا تستعجلون
الجواب قيل له قد ذكر في هذه الآية وجوه من التاويل نحن نذكرها ونرجح
الارجح منها فاولها ان يكون المعنى المبالغة في وصفه بتعلق [illegible]
عنه فصار [illegible] عادة في استعمال مثل هذه اللفظة عند المبالغة كقولهم
لمن يصفونه بكثرة النوم ما خلقت الا من نوم وما خلق فلان الا من شر

الا انا ذوو الكثرة وقوع الشر منه وربما قالوا انما انت الاكل والشرب
وما اشبه ذلك قال الشاعر يصف بقرة شعر ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت
فانما هي اقبال وادبار اي ذات اقبال وادبار وانما اراد ما
ذكرناه من كثرة وقوع الاقبال والادبار منها وقد استشهد لهذا التاويل قوله
جل وعز في موضع آخر وكان الانسان عجولا وبما يليه قوله تعالى فلا
تستعجلون لانه وصفهم بكثرة العجلة وان من شانهم فعلها توبيخا لهم وتقريعا
ثم نهاهم عن الاستعجال باستدعاء الآيات من حيث كانوا متمكنين من
مفارقة ما طبعهم في الاستعجال وقادرين على التثبت والتايد وثانيها
ما اجاب به ابو عبيدة وقطرب بن المستنير وغيرهما من ان في الكلام
قلبا والمعنى خلق العجل من الانسان واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى
وقد بلغني الكبر اي قد بلغت الكبر وقوله عز وجل ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة
والمعنى ان العصبة تنوء بها وتقول العرب عرضت الناقة على الحوض وانما
هو عرضت الحوض على الناقة وقولهم اذا طلعت الشعرى استوى العود
على الحرباء يريدون استوى الحرباء على العود ويقول الاعشى شعر لمحقوقة ان تستجيبي
لصوته وان تعلمي ان المعان موفق يريد ان الموفق معان ويقول
الاخر شعر على العبابة ات هداجون قد بلغت نجران او بلغت سواتهم
هجر والمعنى ان السوات هي التي بلغت هجر ويقول خداش بن
زهير شعر وتركب خيل لا هوادة بينها وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر
يريد تشقى الضياطرة بالرماح ويقول الاخر شعر يمشي بعوذ النعاج كانها
عذارى ملوك في بياض ثياب يريد في ثياب بياض ويقول الاخر
حسرت كفي عن السربال آخذه فردا يجر على ايدي المفدينا يريد حسرت
السربال عن كفي ويقول ابن احمر شعر وجرد طار باطلها نسيلا واحدث
قمعها شعرا قصارا اراد طار نسيلها باطلا ويقول الاخر شعر وتسوره النائم

في قسيهم اذا ما مشوا لا يفرون من النسا اي قسيهم في اكتافهم ويقول الآخر
وهن من الاخلاف والولعان اي الاخلاف والولعان منهن ويعني
على صاحب هذا الجواب مع السني هي ان عن حمل كلامه معا على القلب
ان يقال له وما المعنى وما الفائدة في قوله عز وجل خلق الانسان من عجل ان تريد
بذلك ان الله خلق في الانسان العجلة فهذا لا يجوز لان العجلة فعل من افعال
الانسان فكيف يكون هو مخلوقة فيه لغيره وان كان كذلك ما جاز ان
ينهاهم عن الاستعجال في الآية فيقول ساريكم آياتي فلا تستعجلون لانه لا ينهاهم
عما خلقه فيهم فان قالوا لم يرد تعالى انه خلقها لكنه اراد كثرة فعل الانسان
لها وانه لا يزال يستعملها قيل له هذا الجواب الذي قد مضى من غير حاجة
الى القلب والتقديم والتأخير واذا كان المعنى يتم وينتظم على ما ذكرناه من
غير قلب فلا حاجة بنا اليه وقد ذكر ابو القسم البلخي هذا الجواب في تفسيره
واختاره وقواه وسال نفسه عليه فقال كيف جاز ان يقول فلا تستعجلون وهو
خلق العجلة فيهم واجاب بانه قد اعطاهم قدرة على مغالبة طباعهم وكفها فقد
يكون الانسان مطبوعا عليها وهو مع ذلك مامور بالتثبت قادر على ان
يجانب العجلة وذلك كخلقه في البشر شهوة النكاح وامرهم في اكثر الاوقات
بالامتناع منه وهذا الذي ذكره البلخي يصرح بان المراد بالعجل غيره وهو الطبع
الداعي اليه والشهوة المتناولة ويجب ايضا ان يكون المراد بمن هاهنا في
لان شهوة العجلة لا تكون مخلوقة من الانسان وانما تكون فيه وهذا تجوز
على تجوز وتوسع على توسع لان القلب اولا مجاز ثم هو من بعيد المجاز
ذكر العجل والمراد به غيره مجاز ثانيا واقامة من مقام في كذلك على انه تعالى
اذا نهاهم عن العجلة بقوله فلا تستعجلون اي مضى التقدم بقوله انه خلقت شهوة
العجلة فيهم او الطبع الداعي اليها انما هم على ما عبر به البلخي وهذا الى ان يكون
عذرا لهم اقرب منه الى ان يكون حجة عليهم وابين الاحوال ان لا يكون عذرا

ولا احتجاجا

ولا احتجاجا فلا يكون لتقدمه معنى وفي الجواب الاول حسن تقديم ذلك على طريق
اللوم والتوبيخ والتقريع من غير اضافة له الى عز وجل والجواب الاول اوضح
وثالثها جواب روي عن الحسن قال يعني بقوله من عجل اي من ضعف يعني النطفة
المهينة الضعيفة وهذا قريب ان كان في اللغة شاهد على ان العجل يكون عبارة
عن الضعف او معناه ورابعها ما روي ان ابا الحسن الاخفش اجاب به
وهو ان يكون المراد ان الانسان خلق من تعجيل الامر لانه تعالى قال انما
امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فان قيل كيف يطابق هذا الجواب
قوله من بعده فلا تستعجلون قلنا يمكن ان يكون وجه المطابقة انهم لما استعجلوا
بالآيات واستبطؤها اعلمهم سبحانه وتعالى انه ممن لا يعجزه شيء اذا اراده
ولا يمتنع عليه وان من خلق الانسان بلا كلفة ولا مؤونة بان قال له كن فيكون
مع ما فيه من بدائع الصنعة وعجائب الحكمة التي يعجز عنها كل قادر ويحار فيها
كل ناظر لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الآيات وخامسها ما اجاب به بعضهم
من ان العجل الطين فكانه تعالى قال خلق الانسان من طين كما قال تعالى
في موضع آخر وبدا خلق الانسان من طين واستشهد بقول الشاعر والنبع
ينبت بين الصخر ضاحية والنخل ينبت بين الماء والعجل وزعموا انا يطعنون
في هذا الجواب ويقولون ليس بمعروف ان العجل هو الطين وقد حكى صاحب
كتاب العين عن بعضهم ان العجل الحمأة ولم يستشهد عليه الا ان البيت الذي
انشدناه يمكن ان يكون شاهدا له وقد رواه ثعلب عن ابن الاعرابي في جملة
بغير من الفاظه فرواه والنبع في الصخرة الصماء منبته والنخل ينبت بين الماء
والعجل واذا صح هذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين قوله تعالى فلا تستعجلون
على نحو ما ذكرناه وهو ان من خلق الانسان مع الحكم الظاهرة فيه من الطين لا يعجزه
اظهار ما استعجلوه من الآيات او يكون المعنى انه لا يجب لمن خلق من الطين
الذليل وكان اصله هذا الاصل الحقير الضعيف المهين ان يهزأ برسل الله وآياته

الى ما رزقه ظاهرة
يقال افعل ذلك
فحاجته الى علانية

والنبت



بن مستحل وابى الذى حدثته عمرو في المجد غرتا مسنتة للناظرين كانها البدر لا يرهب
الجيران غدرته حتى يوارى ذكرنا القبر انسانا كاقوام اذا كلحت احدى السنين مجازهم
تمر اى يستحلى الغدر به كما يستحلى التمر مولاهم لحم على وضم تنتابه العقبان والنسر
نارى ونار الجار واحدة واليه قبلى تنزل القدر يقال انه كانت له امرأة
تماضه فلما قال ذلك قالت له اجل انهما نارك ونارك واحدة لانه اوقد ولم
توقد والقدر تنزل اليه قبلك لانه طبخ ولم تطبخ وانت تستطعم ما ضر جارى
ان اجاوره ان لا يكون لبيته ستر قال ويقال انها قالت له هذا البيت
اجل لو كان لبيتك ستر لهتكته اعمى اذا ما جارتي برزت حتى يوارى جارتي الخدر ويصم
عما كان بينهما سمعي وما بي غيره وقر وانشد ابن شبة لمسكين ايضا لا تحفلن
كاقوام علمتهم لم يطلبوا البنة نوما ولا ودحا اى لا تغلظهم باللحم قد علموا انشاد ارحضهم
اللحم او نضجا الا ان قائل جوع القوم قد علموا اذ السماء كسفت اى قهار زحجا يا رب
امرئ قد فرحت بينها اذ افشا في الصدر واعلى ادم خليق لم دامت خليقته
وامرج الخلق احيانا لم فرحا واقطع الخرق بالوفا زلابيه اذا الكواكب كانت في الدجى
سرجا ما انزل الله من امر فاكرهه الا سيجعل لي من بعده فرجا ما عدوتم بايديهم الى
شرف الا ارادوا فقنا فوقهم درجا وانشد ابو العباس ثعلب لم اضحك
ضيفي قبل انزال رحله ولم يلهنى عنه غزال مقنع احدثه ان الحديث من القرى
ونعلم نفسي انه سوف يهجع ومثله لغيره احادثه ضيفي قبل انزال رحله ويخصب
عندي والمكان جديب وما الخصب للاضياف ان يكثر القرى ولكنما وجه الكريم
خصيب وروى ثعلب لحاتم في الحاف العتيق والبيت بعينه ولم يلهنى عنه غزال
مقنع احدثه ان الحديث من القرى وتعلم نفسي انه سوف يهجع ومعنى قوله احدثه
ان الحديث من القرى اى اجمل على حديثه واعلم انه سوف ينام و... لحما ديثه
فاكون قد جمعت قرى والحديث الحسن من تمام القرى وقال الاصمعي احسن ما قيل في الغيرة
قول مسكين الدارمي الا ايها الغائر المستشيط علام تغار اذا لم تغر فما خير عرس

ان ينظروا

ان ينظروا او حل نفس الحالبات النظر اذا الله لم يحط ودّها فليس بحافظ الود سوط
مهر فانى ساخلى لها بينها فتحفظ لي نفسها او تذر فما خير عرس اذا خفتها
وما خير بيت اذا لم يزر ومن يراع له عرسه اذا احمد والمهيل التنفر قال الشريف
المرتضى رضي الله عنه وكان مسكين يكثر اللهج بالقول في هذا المعنى فمن ذلك قوله
وانى امرؤ لا آلف البيت قاعدا الى جنب عرسي لا افرطها شبرا
ولا مقسم لا ابرح الدهر بيتها لاجعله قبل الممات لها قبرا اذا هي لم تحصن
امام خبائها فليس بمنجيها بناء لها قصرا ولا حاملي ظني ولا قيل قائل على
غيرة حتى احيط بها خبرا فهبني امرأ راعيت ما دمت شاهدا فكيف اذا
ما غبت عن بيتها شهرا وانشد ابو العيناء عن ابى العالية لمسكين
ما احسن الغيرة في حينها واقبح الغيرة في غير حين من لم يزل متهما عرسه
مناصبا فيها لرجم الظنون يوشك ان يغريها بالذي يخاف او ينصبها
للعيون حسبك من تحصينها ضمها منك الى خلق كريم ودين لا تظهرن
منك على عورة فيتبع المقرون حبل القرين مجلس ... وتأويل آية
ان سأل سائل عن قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام ولقد همت به
وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء
انه من عبادنا وارادها وانه جلس مجلس الرجل من المرأة ثم انصرف عن ذلك
بان راى صورة ابيه يعقوب عليه السلام عاضا على اصبعه متوعدا له على
موافقة المعصية او بان نودي بالنهي والزجر على ما ورد به الحديث فالجواب
قلنا اذا ثبتت بادلة العقول التي لا يدخلها الاحتمال والمجاز ووجوه التأويلات
ان المعاصي لا تجوز على الانبياء عليهم السلام صرفنا كل ما ورد ظاهره بخلاف ذلك
من كتاب الله تعالى او سنته الى ما يطابق الادلة ويوافقها كما يفعل مثل
ذلك فيما يرد ظاهره مخالفا لما تدل عليه العقول من صفاته تعالى وما يجوز
عليه وما لا يجوز ولهذه الآية وجوه من التأويل كل واحد منها يقتضي نزاهة

نبي الله عليه السلام من العزم على الفاحشة وارادة المعصية اولها ان الهم في
ظاهر الآية متعلق بما لا يصح ان يتعلق به العزم او الارادة على الحقيقة
لانه تعالى قال ولقد همت به وهم بها فعلق تعالى الهم بهما وذاتاهما لا يجوز
ان تراد او يعزم عليهما لان الموجود الباقي لا يصح ذلك فيه ولا بد من تقدير
محذوف يتعلق العزم به وقد يمكن ان يكون ما تعلق به همه عليه السلام
انما هو ضربها او دفعها عن نفسه كما يقول القايل قد كنت هممت بفلان و
قد هم فلان بفلان اي بان يوقع به ضربا او مكروها فان قيل فاي
معنى لقوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه والدفع لها عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان
عنها قلنا يمكن ان يكون الوجه في ذلك انه لما هم بدفعها وضربها اراه الله
تعالى برهانا على انه ان اقدم على ما هم به اهلكه اهلها او قتلوه وانها تدعي عليه
المراودة عن القبيح وتقرفه بانه دعاها اليه وان ضربه لها كان لامتناعها
فيظن ذلك به من لا بصيرة له ولا علم بان مثله لا يجوز عليه فاخبر الله تعالى
بانه صرف بالبرهان عنه السوء والفحشاء ويعني بذلك القتل والمكروه الذي
كانا يوقعان به لانهما يستحقان الوصف بذلك من حيث القبح او يعني بالسوء
والفحشاء ظنهم به ذلك فان قيل هذا الجواب يقتضي ان جواب لو
لا قبيح غير مستعمل او يقتضي ان يكون لولا يتقدم جواب قلنا اما تقدم
جواب لولا فجائز مستعمل وسنذكر ما فيه عند الجواب المختص بذلك غير انه
لا نحتاج اليه في هذا الجواب لان العزم على الضرب والهم بها قد
وقع الا انه انصرف عنه بالبرهان والتقدير ولقد همت به وهم بدفعها
لولا ان رأى برهان ربه لفعل فالجواب في الحقيقة محذوف والكلام يقتضيه
كما حذف الجواب في قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله
رؤف رحيم معناه ولولا فضل الله عليكم ورحمته لهلكتم ومثله كلا لو تعلمون
علم اليقين لترون الجحيم معناه لو تعلمون علم اليقين لم تتنافسوا في الدنيا

وتنافسوا

... ادقلبي وفي يوضعوا فرقالت فذلك الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه

ويتفاخرون انفسها وقال امرؤ القيس فلو انها نفس تموت سوية ولكنها
نفس تساقط انفسا اراد فلو انها نفس تموت سوية لانقضت و
فنيت فحذف الجواب على ان من تأول هذه الآية على الوجه الذي لا يليق
بنبي الله عليه السلام واضاف العزم على المعصية اليه لا بد له من تقدير جواب محذوف
ويكون التقدير عنده ولقد همت بالزنا وهم به لولا ان رأى برهان ربه لفعله
فان قيل قوله وهم بها كقوله ولقد همت به فلم جعلتم همها به متعلقا بالقبيح وهمه بها
متعلقا بما ذكرتم من الضرب وغيره قلنا الظاهر فلا يدل على ما يتعلق به الهم والعزم
منهما جميعا وانما اثبتنا همها بانه يتعلق متعلقا بالقبيح لشهادة الكتاب
به وهي ممن يجوز عليها فعل القبيح ولم يؤمن ذلك في جوازه عليها كما امن ذلك فيه
عليه السلام والموضع الذي يشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى وقال نسوة
في المدينة امرأة العزيز تراود فتيها عن نفسه وقوله عز وجل حاكيا عنها الآن حصحص الحق
انا راودته عن نفسه فاستعصم والاخبار واردة باطباق مفسري القرآن ومتأوليه
على انها همت بالفاحشة والمعصية والوجه الثاني في تأويل الآية ان يحمل الكلام
على التقديم والتأخير ويكون تلخيصه ولقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها
ويجري ذلك مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا اني تداركتك وقتلت لولا اني
خلصتك والمعنى لولا تداركي لهلكت ولولا تخليصي لقتلت وان لم يكن وقع هلاك
ولا قتل وقال الشاعر فلا يدعني قومي صريحا لحرة لئن كنت مقتولا ويسلم
عامر وقال الآخر فلا يدعني قومي ليوم كريهة لئن لم اعجل ضربة او اعجل فقدم
جواب لئن في البيتين جميعا وقد استشهد عليه ايضا بقوله تعالى ولولا فضل الله
عليكم ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك والهم لم يقع لمكان فضل الله تعالى
ورحمته ومما يشهد لهذا التأويل ان في الكلام شرطا وهو قوله تعالى لولا ان رأى
برهان ربه فكيف يحمل على الاطلاق مع حصول الشرط وليس لهم ان يجعلوا
لولا محذوف الجواب مقدرا الا وجعلوا جوابها موجودا اولى وقد استبعد





به لقد تقدم ابا اللئام بكا • ولا براهم تمر القضاء صبغي بساكن ذي الخضي • وقد مح قلبي
ان نهت • هبوبها • قريبة عهد بالحبيب وانما • هوى كل نفس حيث كان حبيبها •
تطلع من نفسي اليك نوازع • عوارف ان الياس منك نصيبها • من قول
ذي الرمة اذا هبت الارواح من نحو جانب • به آل مي هاج شوقي هبوبها •
هوى تذرف العينان منه وانما • هوى كل نفس حيث كان حبيبها • ونبت
باياس عن نار زيارة • وشط بليلى عن دنو مزارها • وان مقيمات بمنقطع
اللوى • لاقرب من ليلى وهاتيك دارها • واخذ ذلك من قول الطائي الفقعسي
يقولون هذي ام عمرو قريبة • دنت بك ارض نحوها وسماء • الا انما قرب
الحبيب وبعده • اذا هو لم يوصل اليه سواء • ووجدت بعض اهل الادب
يظن ان ابراهيم بن العباس سبق الى هذا المعنى في قوله لكن كتبت
واتى يتنح • وابرق يميناً وارعد شمالاً • نجابك لومك منجى الذباب • حمته
مقاذره ان ينالا • لاخر ابيات • مسلم بن الوليد قد سبق الى هذا المعنى واحسن
غاية الاحسان في قوله اما الهجاء فدق عرضك دونه • والمدح عنك كما علمت
جليل • فاذهب فانت طليق عرضك انه • عرض عززت به وانت ذليل •

مجلس تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى حاكياً
عن يوسف عليه السلام قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف
عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فقال اذا كانت المحبة عندكم
الارادة فهذا تصريح من يوسف عليه السلام بارادة المعصية لان حبسه في السجن
وتخلصه من التصرف معصية من فاعله وقبيح ممن المقدم عليه وهو في القبيح
يجري مجرى ما دعي اليه من الزنا وقوله من بعد والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن
يدل على امتناعه من القبيح مشروط بمنعهن وصرفهن عن كيدهن وهذا خلاف
مذهبكم لانكم تذهبون الى ان ذلك لا يقع منه صرفهن الله عن كيدهن او لم
يصرفهن الجواب قلنا اما قوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه

فيه

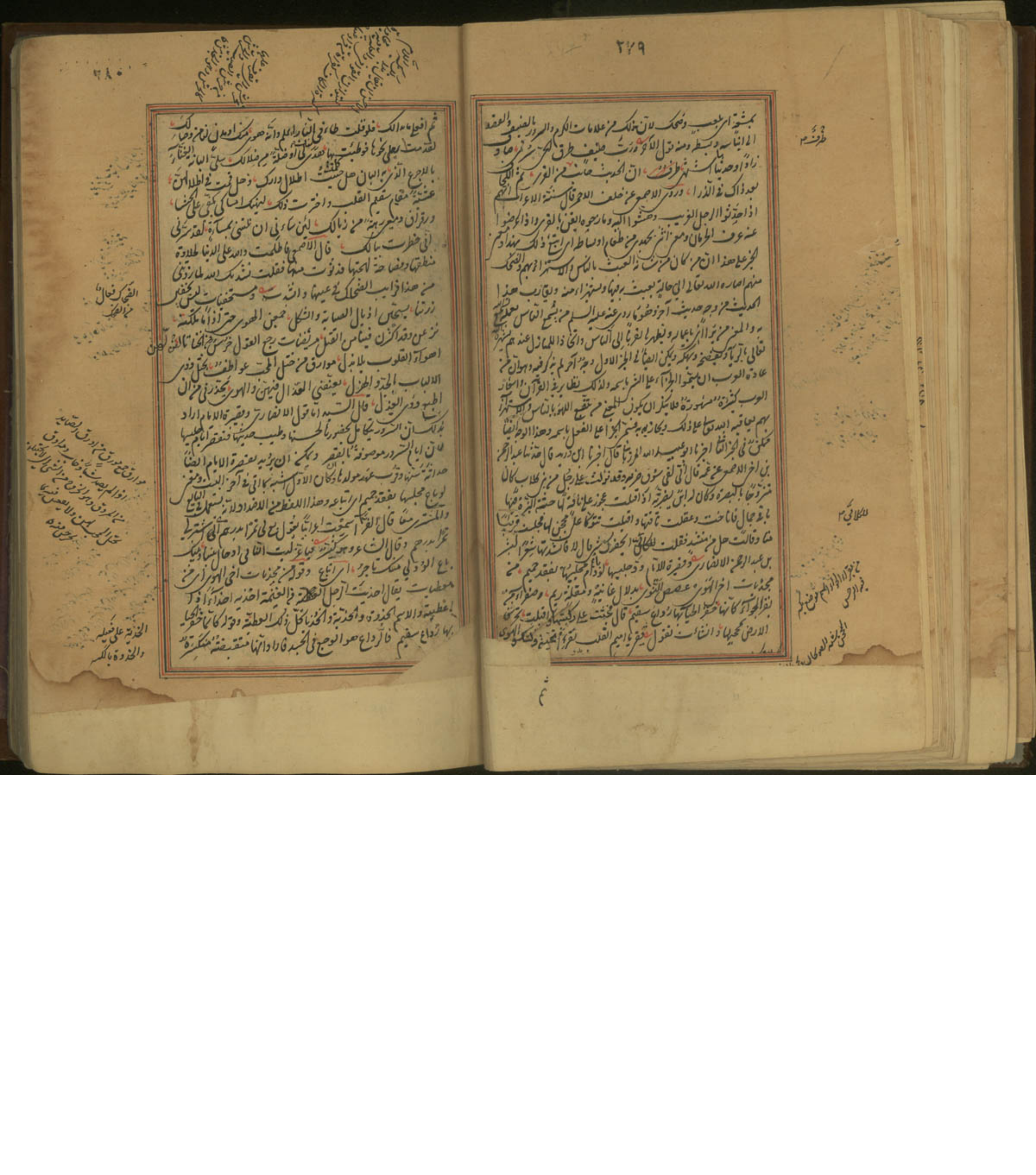
واخذ هذا

لابراهيم

ففيه وجهان من التاويل اولهما ان المحبة متعلقة في ظاهر الكلام بما لا يصح على الحقيقة
ان يكون محبوباً مراداً لان السجن انما هو الجسم والاجسام لا يجوز ان يريدها
وانما يريد الفعل فيها والمتعلق بها والسجن نفسه ليس بطاعة ولا معصية وانما
الافعال فيه قد تكون طاعات ومعاصي بحسب الوجوه التي تقع عليها فادخال
القوم يوسف عليه السلام السجن واكراههم له على دخوله معصية منهم وكونه فيه وصبره
على ملازمته والمشاق التي تناله بسببه طاعة منه وقربة وقد علمنا ان الله
لو اكره موحداً على ملازمة بعض المواضع وترك التصرف في غيره لكان
فعل المكره حسناً وان كان فعل المكره قبيحاً وهذه الجملة تبين انه لا ظاهر
لهذه الاية يقتضي ما ظنوه وانه لا بد من تقدير محذوف يتعلق بالسجن وليس
لهم ان يقدروا ما يرجع الى الجانبين من الافعال الا ولنا ان نقدر ما يرجع
الى المحبوس فاذا احتمل الكلام الامرين ودل الدليل على ان النبي صلى الله
عليه واله لا يجوز ان يريد المعاصي والقبائح اختص المحذوف المقدر بما يرجع
اليه مما ذكرناه وذلك طاعة لا لوم على مريده ومحبه فان قيل كيف يجوز
ان يقول السجن احب الي مما يدعونني اليه وهو لا يحب ما دعوه اليه
جملة ومن شان مثل هذه اللفظة ان يدخل بين ما وقع فيه اشتراك في معناها
وان فضل البعض على البعض قلنا قد يستعمل هذه اللفظة في مثل هذا
الموضع وان لم يكن في معناها اشتراك على الحقيقة الا ترى ان من خير بين ما يحبه
وما يكرهه جاز ان يقول هذا احب الي من هذا وان لم يكن مستحباً ان يقول
من غير ان يخير هذا احب الي من هذا اذا كان لا يحب احدهما جملة وانما
يسوغ ذلك على احد الوجهين دون الاخر من حيث كان المخير بين شيئين
لا يخير بينهما الا وهما مرادان له او مما يصح ان يريدهما فموضوع التخيير يقتضي
ذلك وان حصل فيها ليس هذه صورته والمجيب على هذا امر قال كذا احب
الي من كذا كان مجيباً على ما يقتضيه موضوع التخيير وان لم يكن الامران على الحقيقة

هذه اللفظة يعني لفظ
احب وهو التفضيل
احد الشيئين





من الحياء كالسقيم او يريد تغير لونها وصفرته من الحياء كما يتغير لون السقيم ويجري ذلك
مجرى قول ليلى الاخيلية ومخرق عنه القميص تخاله وسط البيوت من الحياء سقيما
اخبرنا المرزباني قال حدثني ابو عبد الله الحكيمي قال حدثني ميمون بن هارون الكاتب قال
حدثنا ابن اخي الاصمعي عن عمه قال لقيت اعرابيا بالبادية فاسترشدته الى مكان
فارشدني وانشدني ليس العمى طول السؤال وانما تمام العمى طول السكوت على الجهل
وخرجت الى البصرة فمكثت فيها حينا ثم قدمت البادية فاذا الاعرابي جالس
بمعزل ظهرا الى قوم وهو يقضي بينهم فما رأيت قضية اخطأت قضية الفاتحين
من قضيته فجلست اليه فقلت رحمك الله اما من رشوة اما من هدية اما من
صلة فقال لا اذا جاء هذا التوفيق فشكوت اليه ما القى من عذل جليلة لي اياي
في طلب المعيشة فقال لست فيها باوحد واني لمن يلك وقد قلت في ذلك
شعرا فقلت فانشدنيه فانشدني بانت تحرضني الاقتار والعدما
رأت لاخشنه المال والخدما عنفت لذاك ما الارزاق من جلد ولا من
التحيل مقسوم تروقهما يا امة الله اني لم ادع طلبا للرزق قد تعلمين الرزق
والاثر ما وكل ذلك بالاجمال في طلب لم اذق عرضا ولم اسفك لذاك دما
لو كان من جلد ذا المال من ادب لكنت اكثر من نمل القرى نعما ارضى من
العيش ما لم تخرجني معوزا تنضحي لسؤال الاغنياء فما واستشفي الفقر على الله
خالقنا يوما سيكشف عنا الفقر والعدما لا تخرجيني الى ما لو بذلت له نفسي
لاعقبك التهام والندما بالله سركي ان الله خولني ما كان خول الاعراب
والعجما بانني خولت ذاك ولا ان لا اقول لباغ حاجة نعما واني
لم اخر عقلا ولا ادبا ولم ارث والدي مجدا ولا كرما فتحسرت المرء اخرى في
معاشك من امر يجر عليك الهم والالما قال فوالله ما انشدتهما حتى حلفت
لا تعدلني ابدا حدثنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا
عبد الرحمن بن اخي الاصمعي عن عمه قال رأيت بفناء شابا من بني عذرة ما رأيت

بدويا افصح منه ولا اظرف فوالله لكأن شواظ تتلظى فاستنشدته فانشدني
فلم انسكم يوم اللوى اذ تروعت لنا ام طفل خاذل قد تخلت فقالت
سلي الحسنة ما مضى واعرف منك النفس عما اجنت فما فعلت
لا والذي انا عبده على ما بدا من حسنها اذ ادلت انت سابقات الحب الا
مقربا اليك وما تغني اذا ما استقرت هواك الذي في النفس امسى
وخلها عليه انطوت احشاؤها واستمرت وانشدته
للتي طرفك زنا روضة ذكا زندها بلى واصحابي هجود وثنتي
عطفها من غير قاصد فقلت ان سكوت الحب قالت فاني فوق وجدك
كان وجدي ولكن حال دونك ذو شذاة لفقده وبهر فقري
وبهذا الاسناد عن الاصمعي قال قعدت الى اعرابي يقال له اسمعيل بن عمار يفتل
فاذا هو يفتل اصابعه ويتلهف فقلت لغلام تلهف فانشأ يقول
عيناي مشؤومتان ويحهما والقلب حران مبتلى بهما عرفتاني الهوى
ظلمتا يا ليتني قبل عرفتهما حملتاني السحر ثم ناما وهما قل عليهما دمعهما
ساعذر القلب في هواه فما سبب هذا البلاء غيرهما وبهذا الاسناد عن
الاصمعي قال نزلت ذات ليلة في وادي بني العنبر وهو اذ ذاك معان فاصبحت
يريدون البصرة فصحبتهم فاقمت ليلى تلك عليهم واني لو صيت
مخوفه اخاف ان لا استمسك على راحلتي فلما قاموا رحلوا ايقظوني فلما
رأوا حالي ترحلوا الى وحملوني وركب احدهم ورائي يمسكني فلما امعن الركب
نادوا يجد وبها او ينشد بها فاذا منشد في سواد الليل بصوت ندي
ينشد لعمرك اني يوم بانوا فلم امت خفاتا على آثارهم لصبور غداة المنقى
اذ رميت بنظرة ونحن على متن الطريق نسير فهذا اوان تمعن للبين ليلة
فكيف اذا عليه شهور واصبح اعلام الاحبة دونها من الارض غول
نازح ومسير واصبحت بجرى الهوى متهم الثوى ازيد اشتياقا ان يحن

بعض عن الله بعد الذي ان يسعف النوى ويجمع شملاً بعدما دثر دور قال فكتب
والله الحمى حتى ما احس بها فقلت لرفيقي انزل رحمك الله فاني مستمسك فرحمك
الله عن حسن الصحبة خبر اخبرنا المرزباني قال اخبرنا محمد بن العباس قال حدثنا
محمد بن يزيد النحوي قال حدثنا بعض اصحابنا عن الاصمعي قال كان بالبصرة اعرابي
من بني تميم يتطفل على الناس فعاتبته على ذلك فقال والله ما بنيت المنازل
الا لتدخل ولا وضع الطعام الا ليؤكل وما قدمت هدية فاتوقع رسولاً
وما اكره ان اكون ثقلاً ثقيلاً على من اراه شحيحاً بخيلاً اقتحم عليه مستانساً فاضحك
ان رايته عابساً فاكل برغمه وادعه بغمه وما اخترق اللهوات طعام اطيب
من طعام لم ينفق فيه درهم ولا يعنى له خادم وانشد لنفسه كل يوم ادور
في عرصة الحي اشم القتار شم الذباب * فاذا ما رايت آثار عرس او
ختان او مجمع الاصحاب * لم اروع دون التقحم لا ارهب دفعاً ولكزة البواب
مستهيناً بما هجمت عليه غير مستاذن ولا هياب * فتراني القف ما ارفع منه
كل ما قدموه لقف العقاب * ذاك ادنى من التكلف والغرم وغيظ
البقال والقصاب * مجلس تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى
ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت
احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسئلن
ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فقال ظاهر قوله تعالى
انه ليس من اهلك يقتضي تكذيب قوله ان ابني من اهلي والنبي لا يجوز عليه
الكذب فما الوجه في ذلك وكيف يصح ان يخبر عن ابنه انه عمل غير صالح
وما المراد بذلك الجواب قلنا في هذه الآية وجوه اولها ان نفيه لان يكون
من اهله لم يتناول فيه نفي النسب وانما نفى ان يكون من اهله الذين وعده الله
بنجاتهم لانه تعالى كان وعد نوحاً بان ينجي اهله الا من يريد الى قوله تعالى قلنا احمل
فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول فاستثنى تعالى من

اهله

اهله من اراد اهلاكه بالغرق ويدل عليه ايضاً قوله نوح ان ابني من اهلي وان وعدك
الحق وعلى هذا الوجه يتطابق الامران ولا يتنافيان وقد روي هذا التاويل
بعينه عن ابن عباس وجماعة من المفسرين والجواب الثاني ان يكون
المراد بقوله تعالى ليس من اهلك اي انه ليس على دينك واراد تعالى انه كان
كافراً مخالفاً لابيه فكان كفره اخرجه عن ان يكون له احكام اهله ويشهد لهذا التاويل
قوله عز وجل على طريق التعليل انه عمل غير صالح فبين انه انما خرج من احكام اهله
لكفره وسوء عمله وقد روي هذا الوجه عن جماعة من المفسرين وحكى عن ابن
جريج انه سئل عن ابن نوح فسبح طويلاً ثم قال لا اله الا الله يقول الله تعالى ونادى
نوح ابنه وتقول ليس منه ولكنه خالفه في العمل فليس منه من لم يؤمن وروي عن
عكرمة انه قال كان ابنه ولكن كان مخالفاً له في النية والعمل فمن ثم قيل له انه ليس
من اهلك والوجه الثالث انه لم يكن ابنه على الحقيقة وانما ولد على فراشه
فقال عليه السلم انه ابني على ظاهر الامر فاعلمه الله ان الامر بخلاف الظاهر
ونبهه على خيانة امراته وليس في ذلك تكذيب خبره لانه انما اخبر عن ظنه
وعما يقتضيه الحكم الشرعي فاخبره الله تعالى بالغيب الذي لا يعلمه غيره وقد روي
هذا الوجه عن الحسن وغيره وروى قتادة عن الحسن قال كنت عنده فقال ونادى
نوح ابنه فقال لعمر الله ما هو ابنه فقلت يا ابا سعيد يقول الله تعالى ونادى نوح
ابنه وتقول ليس بابنه قال افرايت قوله ليس من اهلك قال قلت معناه
ليس من اهلك الذين وعدتك ان انجيهم معك ولا يختلف اهل الكتاب
انه ابنه فقال اهل الكتاب يكذبون وروي عن مجاهد وابن جريج مثل ذلك
وهذا الوجه بعيد اذ فيه منافاة للقرآن لانه تعالى قال ونادى نوح ابنه فاطلق
عليه اسم البنوة ولانه ايضاً استثناه من جملة اهله بقوله تعالى واهلك الا من
سبق عليه القول منهم ولان الانبياء عليهم السلام يجب ان ينزهوا عن مثل
هذه الحال لانها تعير وتشين وتغض من القدر وقد جنب الله تعالى انبياءه عليهم

ما هو دون ذلك تعظيماً لهم وتوفيراً ونفياً لكل ما ينفر عن القبول منهم وقد حمل ابن
عباس ظهور ما ذكرناه من الدلالة على ان تأول قوله تعالى في امرأة نوح وامرأة
لوط فخانتاهما على ان الخيانة لم تكن منهما بالزنا بل كانت احديهما تخبر الناس
بانه مجنون والاخرى تدل على الاضياف والمعتمد في تأويل هذه الآية هو الوجهان
المتقدمان فاما قوله تعالى عمل غير صالح فالقراءة المشهورة بالرفع وقد روي عن
جماعة من المتقدمين انهم قرؤوا انه عمل غير صالح بنصب اللام وكسر الميم ونصب
غير ولكل وجه فاما الوجه في الرفع فيكون على تقدير انه ذو عمل غير صالح
فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه واستشهد على ذلك بقول الخنساء
ما ام سقب على بو تطيف به قد ساعدتها على التحنان اظآر ترتع ما رتعت
حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار اراد فانما هي ذات اقبال
وذات ادبار وقد قال قوم ان المعنى ان ابنك هذا الذي ولد على فراشك
ليس بابنك على الحقيقة غير صالح لانه من الخيانة من امراته وهذا جواب من ذهب
الى انه لم يكن ابنه على الحقيقة والذي اخترناه وانه خلاف ذلك وقال آخرون
ان الهاء في قوله انه عمل غير صالح راجعة الى السؤال والمعنى ان سؤالك
اياي ما ليس لك به علم عمل غير صالح لانه قد وقع من نوح عليه السلام ذلك
السؤال والرغبة في قوله عليه السلام رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق
ومعنى ذلك نجه كما نجيتهم ومن يجيب بهذا الجواب يقول ان ذلك صغيرة من النبي
عليه السلام لان الصغائر تجوز عليهم ومن يمنع ان يقع من الانبياء شيء من القبائح
يدفع هذا الجواب ولا يجعل الهاء راجعة الى السؤال بل الى الابن ويكون ما
تقدم من الكلام ما تقدم فان قيل لم قال فلا تسألني ما ليس لك به علم وكيف
قال نوح عليه السلام من بعد رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم والا
تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين قيل لا يمتنع ان يكون نهي عن سؤال ما ليس
له به علم وان لم يقع منه وان يكون تعوذ عليه السلام من ذلك وان لم

يواقعه الا ترى ان الله تعالى قد نهى نبيه عن الشرك والكفر وان لم يكن ذلك وقع
منه فقال لئن اشركت ليحبطن عملك وكذلك لا يمتنع ان يكون نهاه في
هذا الموضع عما لم يقع منه ويكون عليه السلام انما سأله نجاة ابنه باشتراط
المصلحة لا على سبيل القطع وهكذا يجب في مثل هذا الدعاء فاما
القراءة بنصب اللام فقد ضعفها قوم وقالوا كان يجب ان يقال انه
عمل عملاً غير صالح لان العرب لا تكاد تقول هو يعمل غير حسن حتى تقول
عملاً غير حسن وليس وجهها بضعيف في العربية لان من مذهبهم اظهار
اقامة الصفة مقام الموصوف عند انكشاف المعنى وزوال اللبس فيقول
القائل قد فعلت صواباً وقلت حسناً بمعنى فعلت فعلاً صواباً وقلت
قولاً حسناً وقال عمر بن ابي ربيعة المخزومي ايها القائل غير الصواب اخر
النصح واقلل عتابي وقال ايضاً وكم من قتيل ما يباء به دم ومن
غلق رهن اذا الفه منى ومن مالئ عينيه من شيء غيره اذا راح
نحو الجمرة البيض كالدمى اراد وكم انسان قتيل وانشد ابو عبيدة لرجل
من بني بجيلة كم من ضعيف العقل منتكث القوى ما ان له نقض ولا ابرام
مالت له الدنيا عليه باسرها فعلم من رزق الاله ركام اعمى عليه سبيله
مكانه فيما يحاوله عليه حرام قال الشريف المرتضى رضي الله عنه اراد كم
من انسان ضعيف القوى اخبرنا المرزباني قال اخبرني محمد بن العباس
اليزيدي قال حدثنا ميمون بن هارون قال حدثنا اسحق بن ابرهيم الموصلي
قال كان محمد بن منصور بن زياد الملقب بفتى العسكر يميل الى الامتع
والتفضل ويقوم بامره قال فجئته يوماً بعد قتل محمد وعنده كان لمحمد
وقد ترك الناس واقبل عليه وسائله وتحفى به وحادثه فلما خرج لمته على ذلك
وقلت لم هذا وقد اقبلت به على تنوينك فقال هذا غلام ابي منصور ثم انشدني
وقالوا لو تجمل انى اخوها فقلت انى الحبيب اخو الحبيب لك الحب



بها بعيد لان ما سبب تبنة من قريب فقلت له كنت افعل هذا اكبر ابا اخر
كلامه وعلمه يا باسعيد ذاك اخوها وهذا اعلامها فضحك ثم قال انشدنا ابو عمرو
وقال عزه اري كل ارض اوطنتها وان خلت لها مج يزداد طيبا ترابها
واقسم لواني ارى نبحا لها وذباب الغضا حببت اني دنا بها قال
فجعلت اعجب من قرب لسانه من قلبه واجابة حفظه له متي اراده
وبهذا الاسناد عن اسحق الموصلي واجادة قال قرات على الاصمعي شعر
امرئ القيس فلما بلغت الى هذا البيت امن اجل اعرابية حل اهلها
بروض الشري عيناك تبتدران فدمعهما سح وسكب وديمة
ورش وتوكاف وتنهملان فقال الي الغرف في هذا البيت
خبار باطنا غرطا فقلت لا فسكت عني فقلت ان كان فيه فائدة
فقال نعم اما يدلك البيت على انه لفظ ملك مستهين ذي قدرة على ما يريد
قال اسحق وما رايت احدا قط مثل الاصمعي في العلم بالشعر وروى عن ابن جني
الفنا انه قال قال لي الاصمعي ما يعني امرؤ القيس بقوله فمسلك جبلي قد طرقت
ومرضع فالهيتها عن ذي تمائم محول فقلت تجزئه فقال كان معنا كاينتول
البيت معولا عن كراهتهن للرجال فكيف انا عند المجالات طل وروى
ان السبب الذي هاج التنافر بين الاصمعي وابن الاعرابي ان الاصمعي دخل
يوما على سعيد بن مسلم وابن الاعرابي حينئذ يؤدب ولده فقال لبعضهم انشد
اباسعيد فانشد الغلام ابياتا لرجل من بني كلاب رواه اياها ابن الاعرابي
رأت نضوا اسفار اميمة قاعدا على نضو اسفار فجن جنونها فقالت
من اي الناس انت ومن تكن فانك راعي صرمة لا نزينها فقلت لها
لبس الشحوب على الفتى بعار ولا خير في الرجال سمينها عليك براعي ثلة مسلحبة
يروح عليه محضها وحقينها سمين الضواحي لم تورقه ليلة وانعم ابكار الهموم
وعونها ورفع ليلة فقال له الاصمعي من رواك هذا فقال مؤدبي فاحضره وانشده

البيت فانشده ورفع ليلة فقال له الاصمعي من رواك هذا
البيت فانشده ورفع ليلة فاخذ ذلك عليه وفسر البيت فقال
انما اراد لم تورقه ليلة ابكار الهموم وعونها والنعم اي زاد على
هذه الصفة وقوله سمين الضواحي اي ما ظهر منه وهو اسمن
ثم قال الاصمعي لابن سلم من لم يحسن هذا المقدار فليس
موضع لتاديب ولد الملوك واخبرنا المرزباني قال حدثنا احمد
بن محمد المكي قال حدثنا ابو العيناء قال حدثنا الاصمعي
قال ولد بشار بن برد اكمه ينظر الى الدنيا فطا وكان ذا فطنة
وذكاء فقلت له من اين لك هذا الذكاء قال من فقدم
العمى وعدم المناظر يمنع من كثير الخواطر المذهلة فيكسب
فراغ الذهن وصحة الذكاء وانشد لنفسه يفتخر بالعمى
عميت جنينا والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن
للعلم موئلا وغاض ضياء العين للعقل وافدا القلب
اذا ما ضيع الناس حصلا وشعر كنوز الروض لاءمت
بينه بقول اذا ما احزن الشعر اسهلا واخبرنا المرزباني
قال اخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا ابو العيناء قال
حدثنا الاصمعي قال انشد رجل بشارا قول الشاعر
وقد جعل الاعداء ينتقصوننا
وتطمع فينا السن وعيون
الا انما ليلي عصي خيزرانة اذا
غمزوها بالاكف تلين فقال بشار والله
لو جعلها عصا مخ او زبد لما كان حد يثها قطع الجنان
ثم الجنان اذا قامت بسيحتها تخنث كان قوامها



من خيزران بنبسك المنى نظرة البهاء ويعرف
وجهها وجه الزمان، أخبرنا المرزباني قال حدثنا
علي بن عبد الله الفارسي قال أخبرني أبي
عن عمر بن شبة قال قال لي أبو عبيدة رحل [illegible]
إلى الشام فمدح سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مقيماً
بحران فقال له قصيدة طويلة أولها: أتاك
على طول التنائي وزينب، وما علمت أن النوى سوف
تشعب، وكان سليمان بخيلاً فأعطاه خمسة آلاف
درهم لم يصب غيرها بعد أن طال مقامه
فقال: إن امرأ منشح اليدين عن الندى
وعن العدو ومجتنب الشيطان، فلقد أروح على
اللئام مسلطاً، تلج المقيل منعم الندمان
في ظل عيش عشيرة محمودة، تندى يداي ويكفي [illegible]
فرطباني، أزمان بزّ بالشباب مذيل
وإذا أمر على من خبرائي ريم بأخوية العراق
إذا بدا برقت عليه الكلة المرجان
فالحمد لله نعيدة مقلتيك من القذى ودنو حلك
مقلتها من الهملان، فلقرب من تهوى وأنت
متيم أشفى لدائك من بني مروان، فلما رجع
إلى العراق برّه ابن هبيرة ووصله
وكان ابن هبيرة يقدمه ويؤثره لمدحه
قيساً وافتخاره بها فلما جاءت دولة
أهل خراسان عظم شأنه، وحدثنا المرزباني

قال حدثني محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا
أحمد بن يحيى النحوي قال قال الأصمعي ما وصف
أحد الثغر إلا احتاج إلى قول بشر
بن أبي حازم: يفلجن الشفاه عن أقحوان
جلاه غب سارية قطار، ولا وصف أحد اللون
بأحسن من قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:
وهي مكنونة تحير منها في أديم الخدين ماء الشباب
شف عنها محقق جندي فهي كالشمس من
خلال السحاب، ولا وصف أحد عيني امرأة
إلا احتاج إلى قول عدي بن الرقاع: لولا الحياء
وأن رأسي قد عثا فيه المشيب لزرت أم
القاسم، وكأنها وسط النساء أعارها عينيه
أحور من جآذر جاسم، وسنان أقصده النعاس
فرنقت في عينه سنة وليس بنائم، ولا وصف
أحد لجبا إلا احتاج إلى قول علقمة حميد بن
ثور: محلى بأطواق عتاق يبينها على الضر راعي
الضأن لو يتقوف، ولا وصف أحد ظليماً إلا
احتاج إلى قول علقمة بن عبدة: يظل كأن
جناحيه وجؤجؤه بيت أطافت به خرقاء مهجوم
ولا اعتذر أحد إلا احتاج إلى قول النابغة:
فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن
المنتأى عنك واسع، قال الشريف المرتضى
رضي الله عنه أما قول حميد بن ثور محلى بأطواق



عناق فانه يريد ان عليه غبار الكرم والعتق فهاد
ولا لنتيهما وسمانها حلية له من حيث كان موسوما
بهما ومعنى يبتنها على الضيف اى يبتنها ولنعيه فهذا
هذا الراعي فيعلم انه كريم معروف بذلك والتقصف
من العيافة واما قول علقمة هيق فالهيق
ذكر النعام ومعنى اطافت به خرقاء اى عملته
وابنته وقيل ان خرقاء ها هنا هي
الحاذقة وغير الحاذقة وان هذا اللفظ
يستعمل على طريق الاضداد في الحاذقة
وغير الحاذقة ومعنى مهجوم اى مهدوم وقال
الاصمعي معنى اطافت به اى عملته خرقاء في
عمله يقول قد ارسل حين حيه كانه خبا امراة خرقاء
كلما رفعت ناحية ارخت ناحية اخرى والوجه الثاني
اشبه واملح فاما قول بشر في وصف الثغر فاحسن منه
والكشف واشد استيفاء للمعنى قول البناني
كالاقحوان غداة غب سمائه جفت اعاليه
واسفله ندي وانما وصف اعاليه بالجفوف ليكون
متفرقا متفردا غير متلبد ولا مجتمع
فيشبه حينئذ الثغور ثم قال واسفله ندي حتى تكمل
نضارته بل تكون فيه الغضاضة والصقال
فيشبه غروب الاسنان التي تلمع وتبرق
وروى الرياشي قال سمعت الاصمعي يقول احسن
ما قيل في وصف الثغر قول ذي الرمة كانه
وتجلو

تجلو بفرع عن اراك كانه من العنبر الهندي والمسك يصبح
ذرى اقحوان واجه الليل وارتقى اليه الندى من رامة
المتروح هجان الثنايا مغربا لو تبسمت لاخرس عنه
كاد بالقول تفصح مجلس آخر ان سال
سائل عن قوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق
انفسهم وهم كافرون فقال كيف يعذبهم بالاموال
والاولاد ومعلوم ان لهم فيها سرورا ولذة وما وجه
قوله وهم كافرون وظاهره يقتضي انه تعالى اراد كفرهم
من حيث اراد ان تزهق انفسهم في حال كفرهم
لان القائل اذا قال اريد ان يلقاني فلان وهو لابس
او على صفة كذا وكذا فالظاهر انه اراد كونه على
تلك الصفة الجواب قلنا اما التعذيب بالاموال
والاولاد ففيه وجوه اولها ما روي عن
ابن عباس رحمه الله وقتادة وهو ان
يكون في الكلام تقديم وتاخير ويكون التقدير
فلا تعجبك يا محمد ولا تعجب المؤمنين معك اموال هؤلاء المنا
فقين ولا اولادهم في الحيوة الدنيا انما
يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة عقوبة لهم
على منعهم حقوقها واستشهد على ذلك
بقوله اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول
عنهم فانظر ماذا يرجعون والمعنى فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون
ثم تول عنهم وانشد في ذلك قول الشاعر

قول الشاعر غنيت ابدت حبد ادما منزل وطرفا بربك الاثمد الجون
احور اريد وطرفا احور بربك الاثمد الجون وقد اعتمد
هذا الوجه ايضا ابو علي قطرب وذكره ابو القسم البلخي
وابو اسحق الزجاج وثانيها ان يكون معنى التعذيب
بالاموال والاولاد في الدنيا هو ما جعله تعالى للمؤمنين
من قتالهم وغنيمة اموالهم وسبي اولادهم واسترقاقهم
وفي ذلك لا محالة ايلام لهم واستخفاف بهم وانما
اراد تعالى بذلك اعلام نبيه عليه وآله السلم والمؤمنين
انه لم يرزق الكفار الاموال والاولاد ولم يبقها في ايديهم
كرامة لهم ورضى عنهم بل للمصلحة الداعية الى ذلك وانهم
مع هذه الحال معذبون بهذه النعم من الوجه الذي ذكرناه فلا يجب
ان يغبطوا بها ويحسدوا عليها اذا كانت هذه عاجلتهم و
العذاب الاليم في النار آجلتهم هذا جواب ابي علي الجبائي وقد طعن
عليه بعض من لا تامل له فقال كيف يصح هذا التاويل مع انا قد
نجد كثيرا من الكفار لا تنالهم ايدي المسلمين ولا يقدرون
على غنيمة اموالهم وكذا اهل الكتاب ايضا خارجين عن هذه الجملة
لمكان الذمة والعهد وليس هذا الاعتراض بشي لانه لا يمتنع
ان يختص الآية بالكفار الذين لا ذمة لهم ولا عهد ممن قد
اوجب الله تعالى محاربته فاما الذين بحيث لا تنالهم الايدي
من القوة على حد لا يتم معه غنيمة اموالهم فلا يقدح في الاعتراض
بهم في هذا الجواب لانهم ممن اراد الله ان يسبى ويغنم ويجاهد
ويغلب وان لم يقع ذلك وليس في ارتفاعه بالتعذر دلالة على انه غير مراد
وثالثها ان يكون المراد بتعذيبهم بذلك كلما يدخله الله تعالى عليهم

في الدنيا

يدخله الله تعالى عليهم في الدنيا من الغموم والمصائب باموالهم و
اولادهم التي هي لهولاء المنافقين الكفار عقاب وجزاء
وللمؤمنين محنة وجالبة للعوض والنفع ويجوز ايضا ان يراد به ما يلزم
الكافر قبل موته وعند احتضاره وانقطاع التكليف
عنه مع انه حي من العذاب الدائم الذي قد اعد له واعلامه انه
صائر اليه ومنتقل الى قراره وهذا الجواب قد روي معنى
اكثره عن قوم من متقدمي المفسرين وذكره ايضا ابو علي الجبائي ايضا
ورابعها ما حكي عن الحسن البصري واختاره محمد بن جرير الطبري وقدمه على غيره
وهو ان يكون المراد بذلك ما الزمه هؤلاء الكفار من الفرائض والحقوق
في اموالهم لان ذلك يؤخذ منهم على كره وهم اذا انفقوا انفقوا فيه بغير
نية ولا عزيمة فتصير نفقتهم غرامة وعذابا من حيث لا يستحقون عليها اجرا
وهذا وجه غير صحيح لان الوجه في تكليف الكافر اخراج الحقوق من ماله كالوجه
في تكليف المؤمن ذلك ومحال ان يكون انما كلف اخراج هذه الحقوق
على سبيل العذاب والجزاء لان ذلك لا يقتضي وجوبه عليه والوجه في تكليف
الجميع هذه الامور هو المصلحة واللطف في التكليف ولا يجري ذلك
مجرى ما قلناه في الجواب الذي قبل هذا من ان المصائب والغموم قد تكون
للمؤمنين محنة وللكافرين عقوبة لان تلك الامور مما يجوز ان يكون وجه حسنها العقوبة
والمحنة جميعا ولا يجوز في هذه الفرائض ان يكون لوجوبها على المكلف الا وجه
واحد وهو المصلحة في الدين فافترق الامران وليس لهم ان يقولوا ليس التعذيب في ايجاب
الفرائض عليهم وانما هو في اخراجهم اموالهم على وجه التكره والاستثقال وذلك انه
اذا كان الامر على ما ذكروه خرج الامر من ان يكون مراد الله تعالى لانه عز وجل ما اراد منهم
اخراج الاموال على هذا الوجه بل هو على الوجه الذي يكون طاعة وقربة فاذا اخرجوها كارهين
مستثقلين لم يرد ذلك فكيف تقول انما يريد الله تعالى قال السيد المرتضى قدس الله روحه وجميع



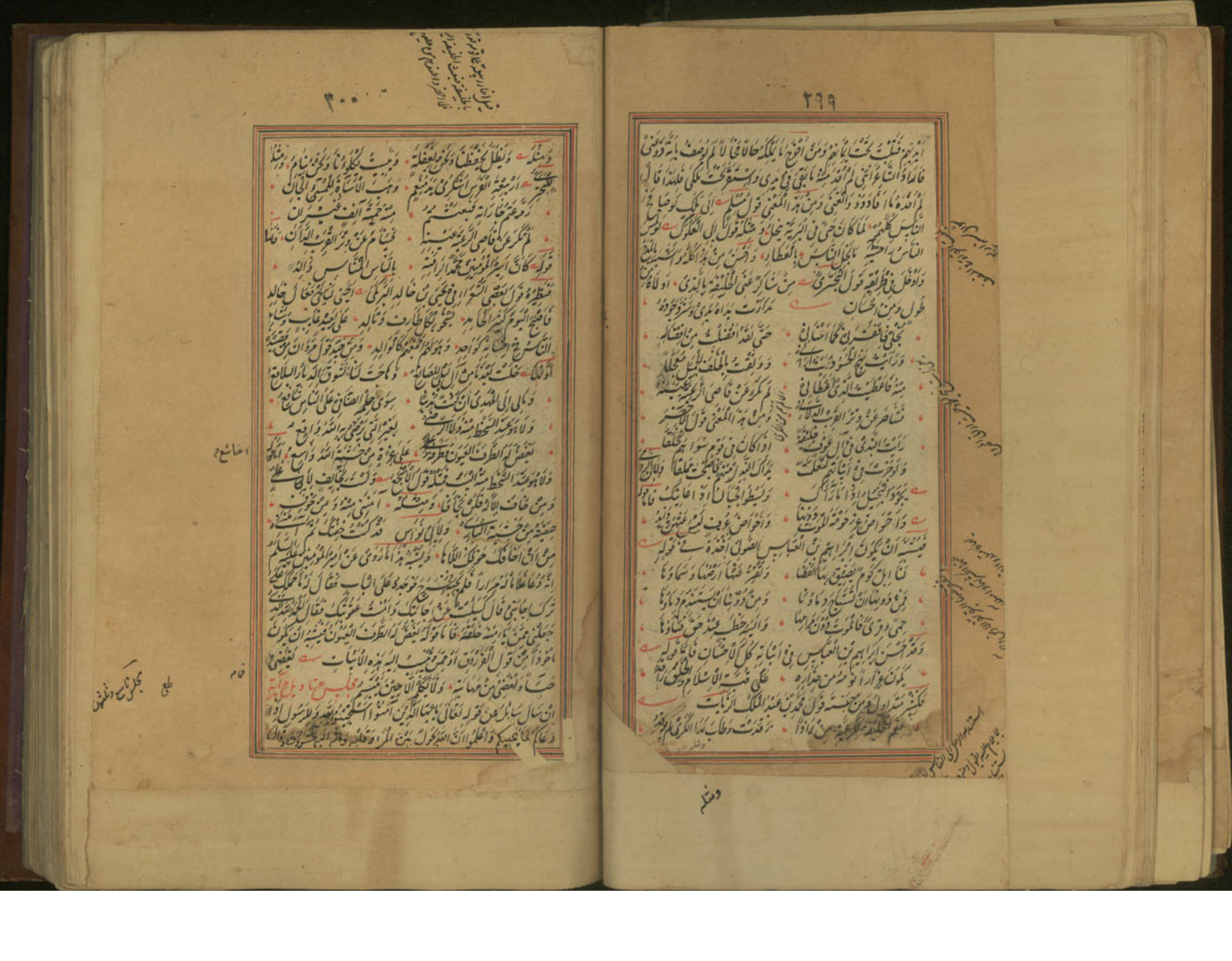
هذه الوجوه التي حكيناها في الآية من التقديم والتاخير مبنية على ان الحيوة الدنيا ظرف
للعذاب فتحمل كل متأول من القوم فرارا من ان وبل يطابق ذلك وما تحتاج عندنا
الى جميع ما تكلفوه لا الى التقديم والتاخير اذا لم تجعل الحيوة الدنيا ظرفا من
بل جعلناها ظرفا للفعل الواقع بالاموال والاولاد والمتعلق بهما لانا قد علمنا اولا
ان قوله ليعذبهم بها لا بد فيه من الانصراف عن ظاهره لان الاموال والاولاد نفسها
بما لا يكون عذابا والمراد على سائر الوجوه من التاويل الفعل المتعلق بها والمصائب
اليها سوا كان انفاقها او المصيبة بها او الغم عليها او اباحة غنيمتها واخراجها عن
ايدي مالكيها فكان تقدير الآية انما يريد الله ليعذبهم بكذا وكذا مما يتعلق باموالهم
واولادهم ويتصل بها فاذا صح هذا جاز ان تكون الحيوة الدنيا ظرفا لافعالهم
القبيحة في اموالهم واولادهم التي تغضب الله تعالى وتسخطه كانفاقهم
الاموال في وجوه المعاصي وحملهم الاولاد على الكفر والزامهم الموافقة لهم
في النحلة ويكون تقدير الكلام انما يريد الله تعالى ليعذبهم بفعلهم
في اموالهم واولادهم الواقع ذلك منهم في الحيوة الدنيا وهذا
واضح يغني عن التقديم والتاخير وسائر ما ذكروه من الوجوه
فاما قوله تعالى وتزهق انفسهم فمعناه تبطل وتخرج اي انهم
يموتون على الكفر وليس يجب اذا كان مريدا لان تزهق
انفسهم وهم على هذه الحال ان يكون مريدا للحال نفسها على
ما ظنوه لان الواحد منا قد يامر غيره ويريد منه ان يقاتل
اهل البغي وهم محاربون ولا يقاتلهم وهم منهزمون ولا يكون مريدا لحرب
اهل البغي للمؤمنين وان اراد قتالهم على هذه الحال وكذلك قد يقول
لغلامه اريد ان تواظب على المصير الي في السجن وانا محبوس وللطبيب صر الي
ولازمني وانا مريض وهو لا يريد المرض ولا الحبس وان كان قد اراد ما يكون منه في
انفسهم على هذا الجواب غير الموت وخروج النفس على الحقيقة

بالمشقة

بالمشقة الشديدة والكلفة الصعبة كما يقال قد زهقت نفس فلان حتى مات وبلغت
نفسه وخرجت روحه وما اشبه ذلك * قال الشريف المرتضى رضي الله عنه
واكثر قوم من اهل الادب باشعار المحدثين وطبقاتهم وانتهوا الى مروان
بن يحيى بن ابي حفصة فافرط بعضهم في وصفه وتقريظه وتفضيله واخرون
في ذمه وتهجينه والازراء على شعره وطريقته واتحجروا عما اعتقده فيه فقلنا
لهم كان مروان متساوي الكلام متشابه الالفاظ غير متصرف في المعاني
ولا غواص عليها ولا مدقق فيها فلذلك قلت الطبقة في شعره وتجمع
مكروه الالفاظ والمعاني وهو عند الشعر قليل الغير الا انه مع ذلك شاعر
له جودة وحذق وهو اشعر من كثير من اهل زمانه وطبقته واشعر من اهل
ويجب ان يكون دون مسلم بن الوليد في صحيح الالفاظ وتدقيق المعاني
وحسن الالفاظ ووقوع التشبيهات ودون بشار بن برد في الابيات
النادرة السائرة وكانه طبقة وليس بمقصر وبهما تشبه ولا منحط عنهما
وكان اسحق بن ابراهيم الموصلي يقدمه على بشار ومسلم وكذلك ابو عمرو
والشيباني وكان الاصمعي يقول مروان مولد وليس له علم باللغة واختلاف
الناس في اختيار الشعر اختلافهم في التنبيه على معانيه ويجب ان
تستطرف بحسب طوق من مذاهبه وطرائقه فسلك فيه ذلك ان اذكر مختار
ما وقع الي من شعره وانبه على سرقاته ونظائر شعره وان اتى ذلك في
خلال المجالس واثنائها فمما نختاره من شعره قوله من قصيدة يمدح بها
المهدي ويذكر لبابة
اعادك من ذكر الاحبة عائد * اجل فاستخفك الرسوم البوائد
يقول لحياتها ذكرت من تهوى فعاجك ذكره * فلا الذكر منسي ولا الدمع جامد
تحن وتابى ان يساعدك الهوى * وللموت خير من هوى لا يساعد
الا طالما اهديت ومنك طالعا * وجارت عليك الغانيات النواهد
تذكر ما البقار كما مقبل المها * واعناقها ادم الظباء العواقد

تساقط منهن الأحاديث غضة • تساقط در السلكة المعاقد
إليك أمير المؤمنين تجاوبت بنا • خوص كالقسي شوارد
بنا به تبار الوجيف مخيلة • بهن وهو [illegible] شاحط المتباعد
تحلى الثرى عنها ولتعيش أعين • سوام وأعناق إليك قواصد
إلى ملك تندى إذا يبس الثرى • بنايل كفيه الأكف الجوامد
وفوق مجد الناس مجدان منهما • طريف وعادي الجراثيم تالد
وأحواض عز حوله الموت • دونها وأحواض عرف ليس عنهن ذايد
أيادي بني العباس بيض سوابغ • على كل قوم بادبات عوائد
هم تعدل السمك من قبة الهدى • كما تعدل البيت الحرام القواعد
سواعد عز المسلمين وإنما • بصولات الأكف السواعد
يكون غرار النوم من حذاره • على قبة الإسلام والخلق راقد
كان أمير المؤمنين محمد الرأفته • بالناس للناس والد فأما قوله
تساقط منهن الأحاديث غضة • تساقط در السلكة المعاقد
فكثير في الشعر والظن أن أول فيه أبو حية النميري في قوله
إذا هن ساقطن الأحاديث للفتى • سقوط حصى المرجان من كف ناظم
وإنما عنى بالمرجان صغار اللؤلؤ وعلى هذا التأويل قوله تعالى يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان ومثله قول الآخر هي الدر منثور إذا ما تكلمت
وكالدر مجموعا إذا لم تكلم • ومثله من ثغرها الدر النظيم • ولفظها
الدر النثير • ونظيره قول البحتري وأحسن غاية الإحسان
ولما التقينا والنقا موعد لنا • تعجب رائي الدر حسنا ولاقط
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها • ومن لؤلؤ عند الحديث تساقط
خلوت بها ويحف الليل ملتقى • وقد هجعت إلا الغريب النجوم
كأن كلاما منه در منثر • ودر وثغرها در نظيم • ولآخر

تبسمت فرأيت الدر منتظما • وحدثت فرأيت الدر منتثرا
وتحفظ من لا رأيته يحد رؤيتها • ولكنها من أعين الناس تحفظ
وتلفظ در أي الحديث إذا حكت • ولم أر درا قبل ذلك يلفظ
ولبعض من تأخر زمانه من الشعراء أو قرب من عصرنا هذا
أظنهن وصلا أو زحمن تبسما • وأرين هجرا أو خشين مراقبا
فنظمن من در المباسم جامدا • ونثرن من در المدامع ذايبا
وليس قول أبي دهبل في صفة الحديث كتساقط الرطب الجني
من الأفنان لا نثرا ولا نزرا • من هذا الباب في شيء لأنه جمع تقدم
ذكره في وصف الشعر وهذا في وصف حسن الحديث وأبو دهبل إنما وصف
الحديث وأنه متوسط في القلة والكثرة ولازم للقصد كما تساقط الرطب
من الأفنان ويشبه أن يكون أراد القصاء مع ذلك وصفه بالحلاوة و[illegible]
تشبيهه بالرطب ثم أنه غرض طرفي غير نكر ولا معاد وقوله الرطب الجني
[illegible] الوصف له بالفصاحة والاقتصاد في القلة والكثرة ثم وصفه بالحلاوة
ونظير قول أبي دهبل قول ذي الرمة لها بشر مثل الحرير ومنطق
رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر • فأما قول مروان إلى ملك تندى إذا يبس
الثرى • بنايل كفيه الأكف الجوامد • فمثل قول أبي حية النميري في
يحيى بن خالد البرمكي ألا ترى إلى معالي كف يحيى • إنني إن [illegible]
[illegible] لو يمس البخيل راحة يحيى • لسخت نفسه ببذل النوال • ومثله قول
الخياط المدني في المهدي لمست بكفي كفه أبتغي الغنى • ولم أدر أن الجود
من كفه يعدي • فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى • أفدت وأعداني فأتلفت
ما عندي • وقد قيل إن المهدي أمر للشاعر كأنه تعرض بالهجاء [illegible]
[illegible] لم تعده شيئا بل أعداه بجوده فأتلف ماله ولم يزد الشاعر [illegible]
[illegible] وقوله وحوافي ذوي الغنى هم الذين [illegible]







وثانيها ان تخصيص ذلك بالدعاء الى الجهاد وقتال العدو فكانه تعالى امرهم [illegible]
بالاستجابة للرسول عليه السلم فيما يأمرهم به من قتال الاعداء ودفعهم عن حوزة الا[illegible]
واعلمهم ان ذلك يحييهم من حيث كان فيه قهر المشركين وتقليل عددهم وفل
حدهم وحسم اطماعهم لانهم متى [illegible] اجترأ [illegible]
واقدموا عليهم بالقتل وصنوف المكاره فلما ان كانت الاستجابة [illegible]
تقتضي الحيوة والبقاء وجرى ذلك مجرى قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة
وثالثها ما قاله قوم من ان كل طاعة حيوة ويوصف فاعلها بانه حي كما
ان المعاصي يوصف فاعلها بانه ميت. والوجه في ذلك ان الطائع اذا
كان منتفعا بحياته وكانت تؤديه الى الثواب الدائم قيل ان الطاعة حيوة
ولما كان العاصي الكافر لا ينتفع بحياته من حيث كان مصيره الى العقاب
الدائم كان في حكم الميت ولهذا يقال لمن كان منغص الحيوة غير منتفع
بها فلان بلا عيش ولا حيوة وما يجري مجرى ذلك من حيث لم ينتفع بحياته.
ويمكن في الآية وجه آخر وهو ان يكون المراد بالكلام الحيوة في الحكم لا في الفعل
لانا قد علمنا انه عليه السلم كان مكلفا مأمورا بجهاد جميع المشركين المخالفين
لملته وقتلهم وان كان عليه السلم فيما بعد كلف ذلك بشرط عدا اهل الذمة
على شروطها فكانه تعالى قال استجيبوا للرسول ولا تخالفوه فانكم اذا خالفتم
كنتم في الحكم غير احياء من حيث تعبد عليه السلم بقتالكم وقتلكم واذا اطعتم
كنتم في الحكم احياء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ومن دخله كان آمنا وانما
اراد تعالى انه يجب ان يكون آمنا وهذا حكمه وان لم يخبر بان ذلك لا محالة
واقع. فاما المجبرة فلا شبهة لهم في الآية ولا متعلق بها لانه تعالى لم يقل
انه يحول بين المرء وبين الايمان بل ظاهر الآية لا يقتضي انه يحول بينه وبين
افعاله. والذي يقتضي ظاهرها انه يحول بينه وبين قلبه وليس للايمان ولا للكفر
ذكر [illegible] يقتضي ما ظنوه وليس لنا ذلك [illegible]

بادلة

بادلة العقول. الوجه انه تعالى لا يحول بين المرء وبين ما امره به واراده
منه وكلفه فعله لان ذلك قبيح والقبائح عنه منتفية. اخبرنا ابو عبيد الله
المرزباني قال اخبرني احمد بن محمد الجوهري قال اخبرني الحسن بن عليل العنزي
قال اخبرني احمد بن عمرو بن اسمعيل بن عبد العزيز بن عمرو بن عبد الرحمن بن عوف
قال اخبرنا محمد بن خالد بن عبد الله عن الحجاج السلمي قال لما اشتد بحجر بن
حذيفة وجعه من طعنة كرز بن عامر اياه يوم بني عقيل دعا ولده ثم قال ان
الموت اهون مما اجد فايكم يطيعني قالوا كلنا نطيعك فبدأ باكبرهم فقال
قم فخذ سيفي فاطعن به حيث امرك ولا تعجل قال يا ابتاه ايقتل الرجل اباه
فاتى على القوم كلهم فاجابوه بجواب الاكبر حتى انتهى الى عيينة فقال يا ابتاه
اليس فيما تأمرني به راحة لك ولي بذلك طاعة وهو هواك قال بلى قال
فمرني كيف اصنع قال قم فخذ سيفي فضعه حيث امرك ولا تعجل فقام فاخذ
سيفه فوضعه على قلبه ثم قال يا ابتاه مرني كيف اصنع قال الق السيف
انما اردت ان اعلم ايكم امضى لما امر به فانت خليفتي ورئيس قومك
من بعدي فقال القوم انه سيقول فيما كان فاحضره فلما امسى قال

ولو اعينه من بعدي اموركم ... واستيقنوا انه بعدي لكم حامِ
اما هلكت فقد بنت لكم ... عز الحيوة بما قدمت قدام
فاستوسقوا التي فيها مروتكم ... قود الجياد وضرب القوم في الهام
والقرب من قومكم والقرب ينفعكم ... والبعد ان باعدوا والرعي للرام
ولي حذيفة اذ ولى وخلفني ... يوم النباة يتيما وسط ايتام
لا ارفع الطرف ذلا عند مهلكة ... القى العدو بوجه حده دامِ
حتى اعتقدت لوى قومي فقمت به ... ثم ارتحلت الى الجعفي بالشام
لما قضى ما قضى من حق زائره ... ثجت المطي الى النعمان من عام
المولى كانت الا بار نطلبه ... عند الملوك [illegible]

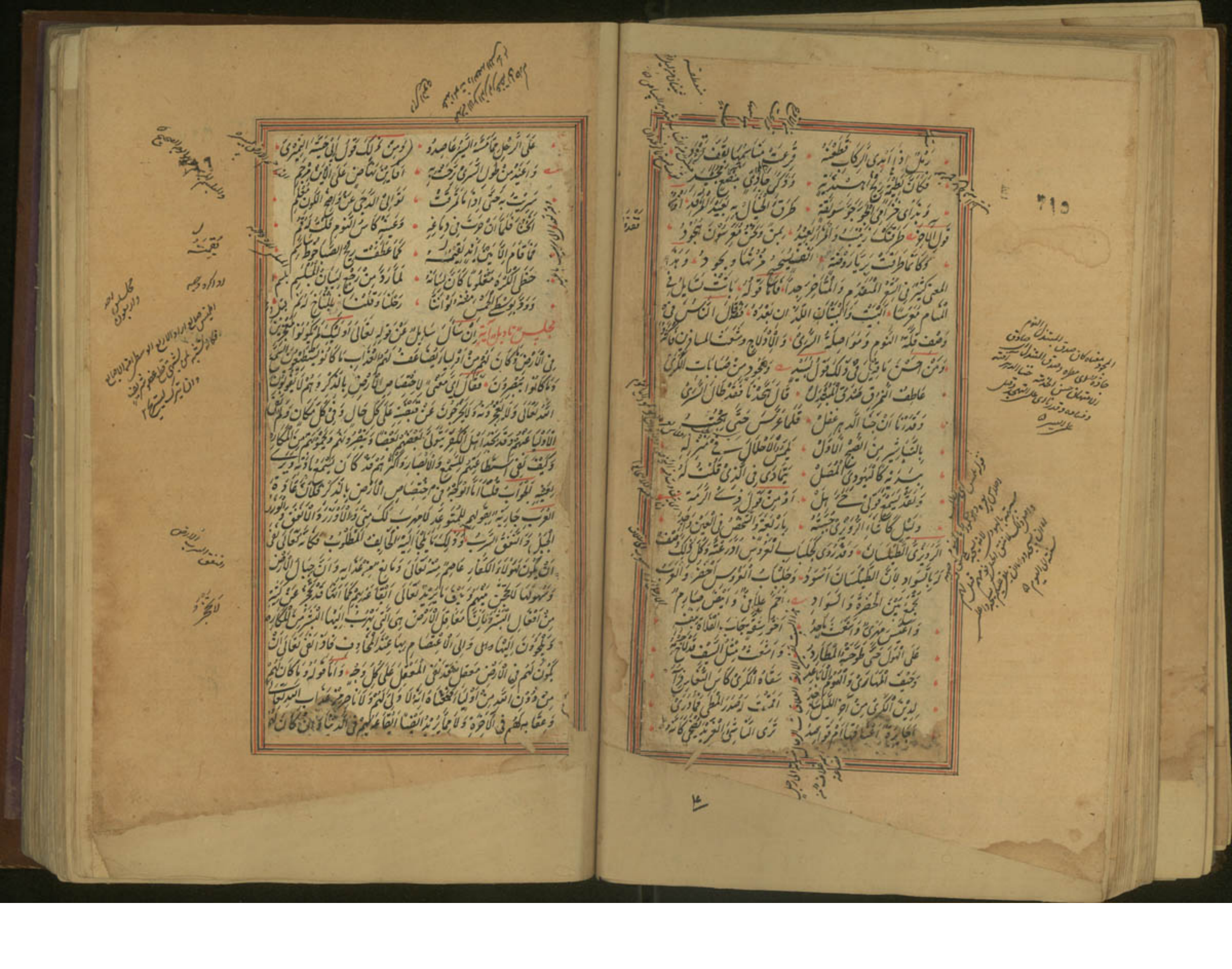












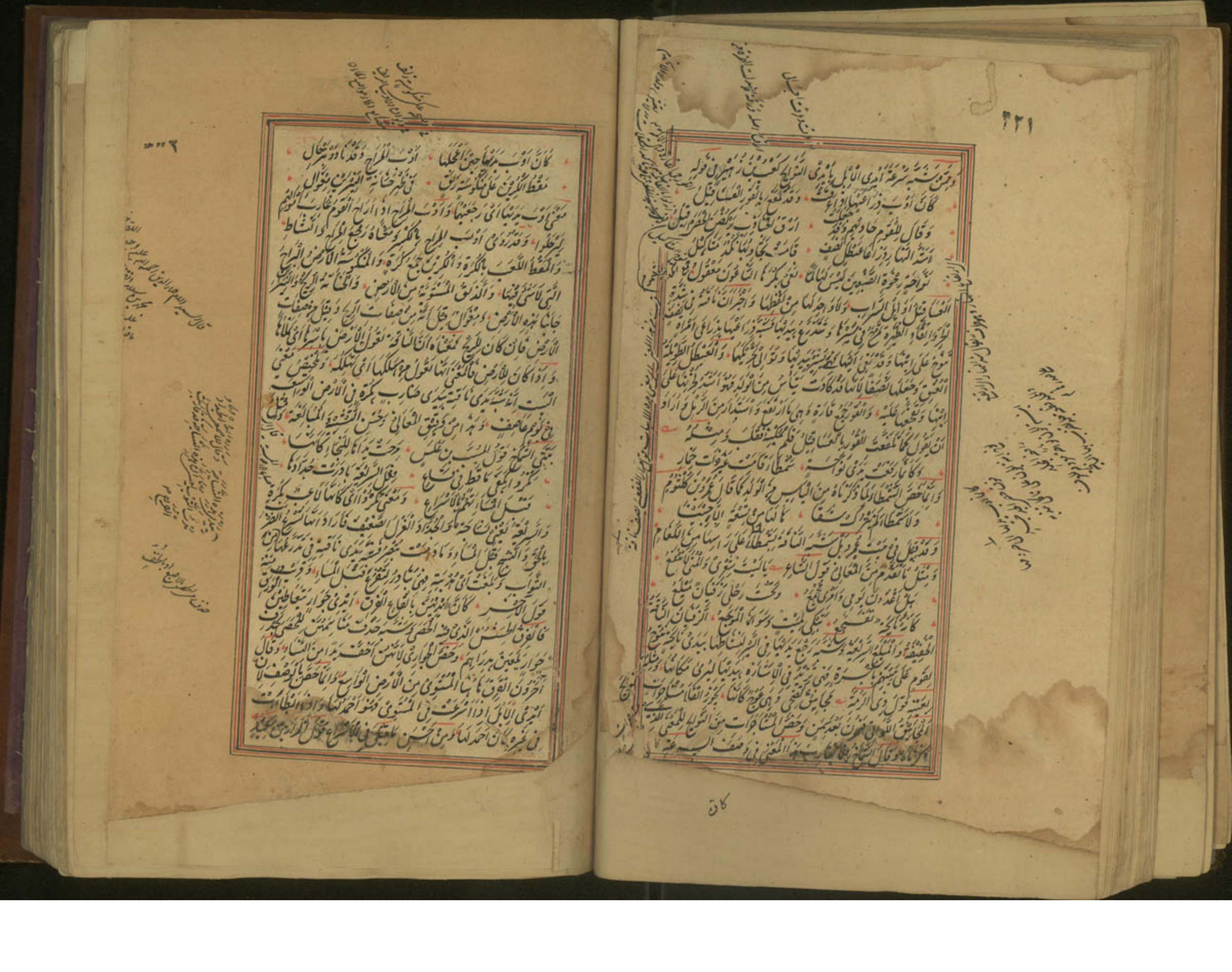
رذل اذا ابرى الركاب قطعته * ورث مناسمها بالقف تزود
فكان لطيته رجع اهشنديه * وذكر حادي بمضجع تجدد
ونزاى خرامي الجو سوالقته * طرق الخيال به بعيد المرقد
قول الآخر * طرقتك زينب والمزار بعيد * بمني ونحن معرسون هجود
وكانما طرقت بريا روضة * الغضبح غرسها وبحود * وهذا
المعنى كثير في الشعر المتقدم والمتأخر جداً * فاما قوله * باتت تسايل في
المنام معرساً * البيت والبيتان اللذان بعده * فقال الناس في
وصف قلة النوم ومواصلة السرى * والادلاج وشعث المسافرين فاكثروا
ومن احسن ما قيل في ذلك قول لبيد * ومجود من صبابات الكرى
عاطف النمرق صدق المبتذل * قال هذا فقد طال السرى
وقدرنا ان خنا الدهر غفل * قلما عرس حتى هجته
بالتباشير من الصبح الاول * يلمس الاحلاس في منزله
بيديه كاليهودي المصل * يتمادى في الذي قلت له
ولقد يسمع قولي حي هل * او من قول ذي الرمة
وليل كاثناء الرويزي جبته * بارلعة والشخص في العين واحد
الرويزي الطيلسان * وقد روي كجلباب العروس ادرعته وكل ذلك وصف
له بالسواد لان الطيلسان اسود * وجلباب العروس احمر والعرب
تجمع بين الحمرة والسواد * احم علافي وابيض صارم
واعيس مهري واشعث ماجد * اخو شقة جاب الفلاة بنفسه
على الهول حتى لوحته المطارد * واشعث مثل السيف قد لاح جسمه
وجيف المهاري والهموم الاباعد * سقاه الكرى كاس النعاس فراسه
لدين الكرى من آخر الليل ساجد * اقمت له صدر المطي فمادري
اجائرة اعناقها ام قواصد * ترى الناشي الغرنيق في كانه

على الرحل مما منه السير عاصد * او من ذلك قول ابي حية النميري
واغيد من طول السرى برحت به * اخا يمن نشاصن على الايين فرجم
سرت به حتى اذا ما تمزقت * نواحي الدجى عن واضح اللون مظلم
الحت فلما ان جرت في دماغه * وغينه كاس النوم قلت له قم
فما قام الا بين ايد تقيمه * كما عطفت ريح الصبا خوط سام
حفظ الكرى منه معلوما كان لسانه * لما رد من رجع لسان المكلم بلكم
دو وكريوسطى الحمس منه انامله * رحلنا وقلنا بالشاخ ارثم ... بين

مجلس تأويل آية * ان سال سائل عن قوله تعالى اولئك لم يكونوا معجزين
في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع
وما كانوا يبصرون * فقال اي معنى لاختصاص الارض بالذكر وهم لا يفوتون
الله تعالى ولا يعجزونه ولا يخرجون عن قبضته على كل حال وفي كل مكان ولم نفى
الاولياء عنهم وقد نجد اهل الكفر يتولى بعضهم بعضا وينصرونهم ويحمونهم من المكاره
وكيف نفى استطاعتهم للسمع والابصار واكثرهم قد كان يسمع باذنه ويرى
بعينه * الجواب قلنا اما الوجه في اختصاص الارض بالذكر فلان عادة
العرب جارية بقولهم للمتوعد لا مهرب لك مني وان الاوزر والانفق والورد
الجبل والشعق الترب * وذلك ما يلجا اليه الخائف المطلوب فكانه تعالى نفى
ان يكون لهؤلاء الكفار عاصم منه تعالى ومانع من عذابه وان جبال الارض
وسهولها لا تحجبهم منه ولا تمنع ما يريده تعالى ايقاعه بهم كما انها قد تحجز عن كثير
من افعال البشر وان معاقل الارض هي التي يهرب اليها البشر من المكاره
ويلجؤون اليها وهي والى الاعتصام بها عند المخاوف فاذا نفى تعالى ان
يكون لهم في الارض معقل فقد نفى المعقل على كل وجه * واما قوله وما كان لهم
من دون الله من اولياء فمعناه انه لا ولي لهم ولا ناصر من عذاب الله تعالى
وعقابه لهم في الاخرة ولا مانع يمنع ايقاعه بهم في الدنيا وان كان لهم











أودت ودار خليلة وسكنها * عار أقمن وأخلقت أطلالها
لم يبق بعد مقامه وظهوره * إلا الحجارة ما وإلا الحب
رفع الخليفة ناظرا أو رأسه * سيد مباركة شكرت نوالها
وحسدت حتى قيس أصبح باعثا * في حرف شيمة محتالها
ولقد حذوت لمن أطاع ومن عصى نعلا وزنت على مثالها
أما قوله قصرت حمائله الأمثل فيه قول عنترة * بطل كأن ثيابه في سرحة
يحذى نعال السبت ليس بتوأم * أو قول الأعشى * إلى ماجد كهلال السماء
أزكى وفاء ومجدا وفخرا * طويل النجاد رفيع العماد * يحمي المضاف ويعطي
الفقيرا * ومثله * طويل نجاد السيف عار جبينه * كنصل اليماني أخلصته صياقل
أو أهتم بالمعروف لم يخطره * تحوساه لم تشق نداه عوائق له * ومثله قول
طريح بن إسمعيل الثقفي * واشعث طلاع الثنايا مبارك * يغول نجاد
السيف وهو طويل * وكان الخوريزم العبدي * بعيد نجاد السيف حتى كأنه
بأعلى سناسين فالج متطوح * أو إذا اهتز في البرد اليماني خلته * هلالا بدا في جانب
الأفق يلمح * ولابي عطاء السندي * وازهر من بني عمرو بن عمر وحمائله وأن طالت
قصار * ليغضب في آل المهلب * راتيكم أعز أناس جارا * واشبعهم إذا
نهدوا إذا ما * حمائلهم وإن كانت طوالا * ترا ما من سيفا ملكهم قصارا
وللبعض بني العنبر يعني الطول * نجارت به عقيل العظام * كأنما أعمامه
بين الرجال لواء * ولاخر * أشم طويل الساعدين كأنما * يناط إلى جذع
طويل حمائله * ولابن هرمة * يناط حمائل السندي منه * بعاتق لا ألف
ولا ضئيل * ولكن * تشتغله به قواه على ناهض بعث إليه خيل * ولسالم بن دارة
يقوم مع الرمح الرديني قامة * ويقصر عنه طول كل نجاد
والبحتري * يوازي الرديني في طوله * ويقصر عنه حمائل نجاد الحسام * وللفق
طول * وطول المشرفي كفه * يمثل بالطول انتقال الغمام وهو

وطول العقال يوم الوغى * وعزة تفضل النجاد الحسام
فأما قوله ولقد حذوت لمن أطاع ومن عصى نعلا ورثت عن النبي مثالها
فقد ردد ومروان معناه في مواضع من شعره فقال * سنه أبيه منظرا
وحليه * كما حذيت يوما إلى أختها النعل * وقال في موضع آخر * أحيا لنا
سنن النبي بمثله * قد أدرك به قرن ترابها * وقال أيضا * فصحح العمر سره
مثل جبره * فجانس أدرك بالترك تقابله * وقال أيضا * نشابهتما علما
وحلما ونائلا * وحزنا إذا أم أقام وأقعدا * نشأ زعما التغليق هزي
كهذه * على أصل عرق كان أكرم متلدا * كما جانس نعلا حضرمي فقدها
على أختها لم يال أن تجودا * واخذ هذا المعنى أبو نواس فقال
تنازع الأحمدان الشبه فاتفقا * خلقا وخلقا كما قد الشراك
والأصل مع هذا قول ابن أبي ربيعة * فلما توافقنا عرفت الذي بها
كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل * ومثله للسيد محمد بن الحميري رحمه الله
تشكون أخلاق التي وبعقله * كالنعل أنت في المثال نظائرها
وقد تقدم في هذا المعنى زهير بن المكبر ثعلبة بن سيار العجلي بقوله
في يوم ذي قار يحرض قومه على القتال * من فر منكم فر عن حريمه
وجاره وفر عن نديمه * أنا ابن سيار على شكيمه
مثل الشراك قده من أديمه * وكلهم يجري على أقديمه
فأما قوله وحسدت حتى قيل أصبح باعثا البيت فمعناه قول البحتري
ألبست لي الأيام من بعد قسوة * وعاقبت لي دهري المسيء فأعتبا
والبستني النعمى التي غيرت أخي * علي فأمسى نازح الود أجنبا
ومما اختاره مروان قوله * موفق لسبيل الرشد متبع * يزينه كل ما يأتي ويجتنب
تسمو العيون إليه كلما انفرجت * للناس عن وجهه الأبواب أو حجب
له خلائق بيض لا يغيرها * صرف الزمان كما لا يصدأ الذهب

ووجدت بعض من بعد الشعر يقول ليس في شعر مروان بيت يتمثل به
غير هذا البيت الاخير من الثلاثة الابيات وكان ابن مناذر اياه
اراد بقوله وقد سأل وهو مجاور بمكة عمن بعد من الشعراء فقيل
له العباس بن الاحنف فقال انشدوني له فانشدوه

لو كنت عاتبة لسكن عبرتي ... املي رضاك وزرت غير مراقب
لكن مللت فلم تكن لي حيلة ... صد الملول خلاف صد العاتب

فقال الى ابن مناذر الخلق بين ادام تحت التراب اي لقب حجارة
قال الشريف رضي الله عنه ولا شك في قلة الامثال في شعر مروان ولكنه
ليس الى هذا الحد وهذا المعنى الذي قد تضمنه البيت قد سبق اليه القضاعي
قال طريح بن اسمعيل

جواد اذا استنه راجيا ... كفاك السؤال وان عدت عادوا
خلائقه كسبيك النضار ... لا تحيل الدهر فيها فسادا

ومثله للبحتري

راتبك يا ابن زيد الندى وزيد ... الغنى وزيد الكرم
ترتبنا على نائبات الخطوب ... بدولا وفي سابغات النعم
كذا الجوهر الذهب المعدني ... يجوز هذا وذاك القدم

وقوله الذهب المعدني فايدة لانه اذا خلص الذهب وصفي لم يكتسب
وازداد انتشر بعده لم يكن هذا الحكم ومثله للاموي لم تصيره اي لم يظهر فيه الصدا

ياني الى خلق لم تصدا طبعه ... كان جوهره من جوهر الذهب
تلك الخلق خليق بالعلى ... كسبيكة الذهب التي لا تكلف

وقد اخذ الخبزارزي هذا المعنى في قوله

فلا تعن بحرف تكلفه الصورة ... حسنها الاصلي تكفيها
ان الدنانير لا تجلى وان عتقت ... ولا تزاد على الحسن الذي فيها

ولجحظة مثله

صديق لي له ادب ... صداقة مثله حسب
رعى لي فوق ما يرعى ... واوجب فوق ما يجب
ولو نقدت خلايقه

مجلس ثالث وعشرون

لبهرج عندها الذهب

مجلس تاويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى
نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون
ان تتبعون الا رجلا مسحورا فقال لم وحد نجوى وهو خبر عن جمع وما معنى
مسحور وما جرت عادة مشركي العرب بوصف رسول الله صلى الله عليه واله
بذلك بل عادتهم جارية بقرفه بانه ساحر الجواب قلنا اما قوله تعالى
واذ هم نجوى فان النجوى مصدر يوصف به الواحد والاثنان والجمع والمذكر
والمؤنث وهو موحد على لفظه ويجري ذلك مجرى الرجال صوم [illegible]
حمد يعني بصوم صايمون وبحمد محموده وقد قال قوم ان معناه واذ هم ذو
نجوى فحذف المضاف اليه واقام المضاف اليه مقامه ويقال القوم
نجي والقوم نجية فمن وحد بنى على المصدر مذهب ومن جمع جعله منقولا
عن المصادر ملحقا برغيف وارغفة وما اشبه ذلك وقد قال الشاعر في التوحيد

اتاني نجي بعد هدو ورقدة ... ولم يك دينا قد يموت بكاذب

وانشد الفراء في الجمع

ظلت نساؤهم والقوم انجية ... يعدى عليها كما يعدى على الغنم

فاما قوله تعالى ان تتبعون الا رجلا مسحورا ففيه وجوه اولها ان
يكون المراد ان تتبعون الا رجلا متغير العقل لان المشركين كان من قولهم
عيب النبي عليه السلم وتضعيف امره وتوهين رايه وكانوا في وقت ينسبونه
الى انه ساحر وفي اخرى يرمونه بالجنون وانه مسحور متغير العقل وربما
قذفوه بانه شاعر حرصا منهم على ذلك كله وقد جرت عادة الناس بان ينسبوا
من يضعفونه الى البله والغفلة وقلة التحصيل بانه مسحور وثانيها ان يريد
بالمسحور المخدوع المعلل لان ذلك احد ما يحتمل في هذه اللفظة قال امرؤ القيس

ارانا موضعين لحتم غيب ... ونسحر بالطعام وبالشراب

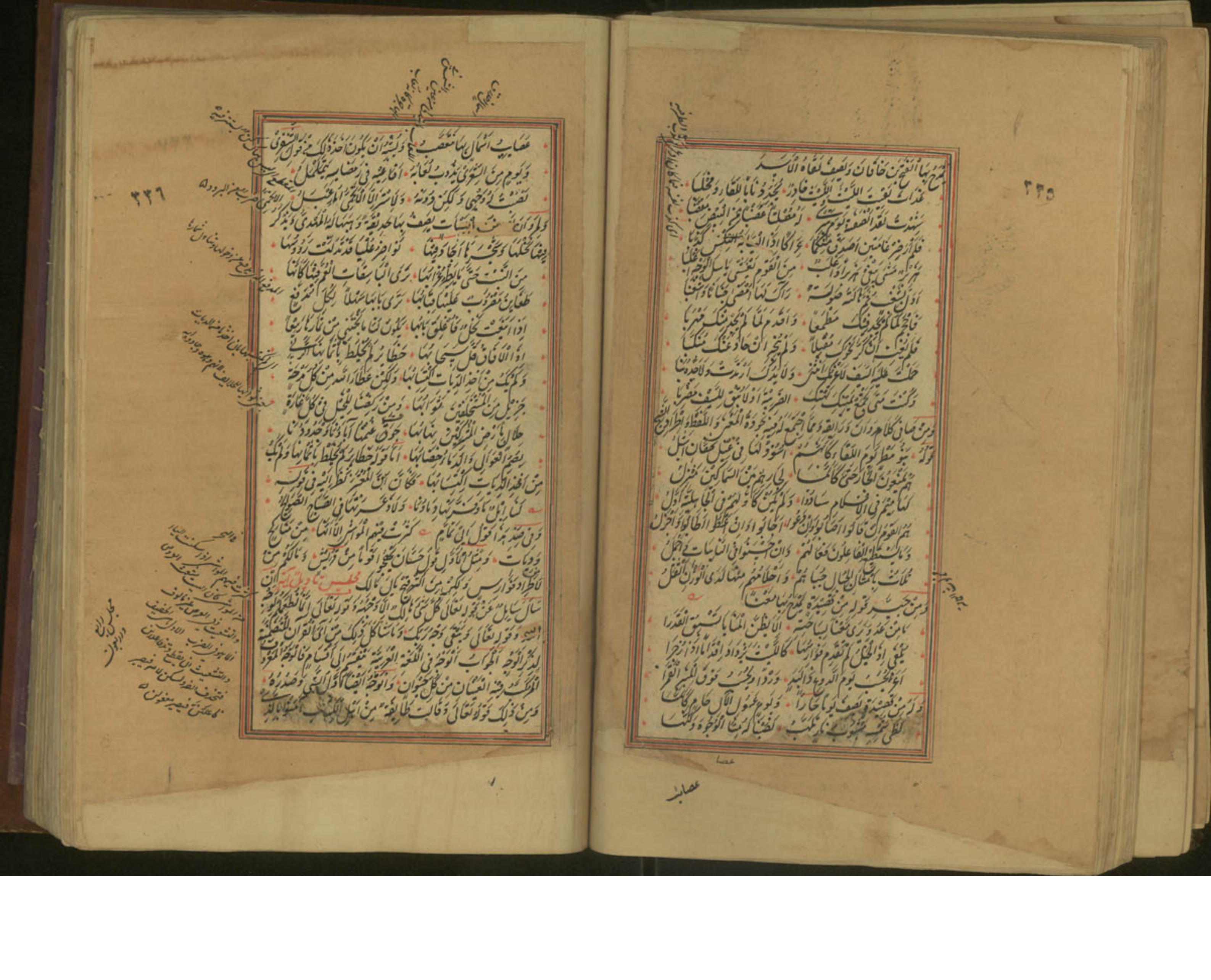
وقال امية بن ابي الصلت

فان تسئلينا فيم نحن فاننا ... عصافير من هذا الانام المسحر

وثالثها ان السحر في لغة العرب الرية وما تعلق بها فيما



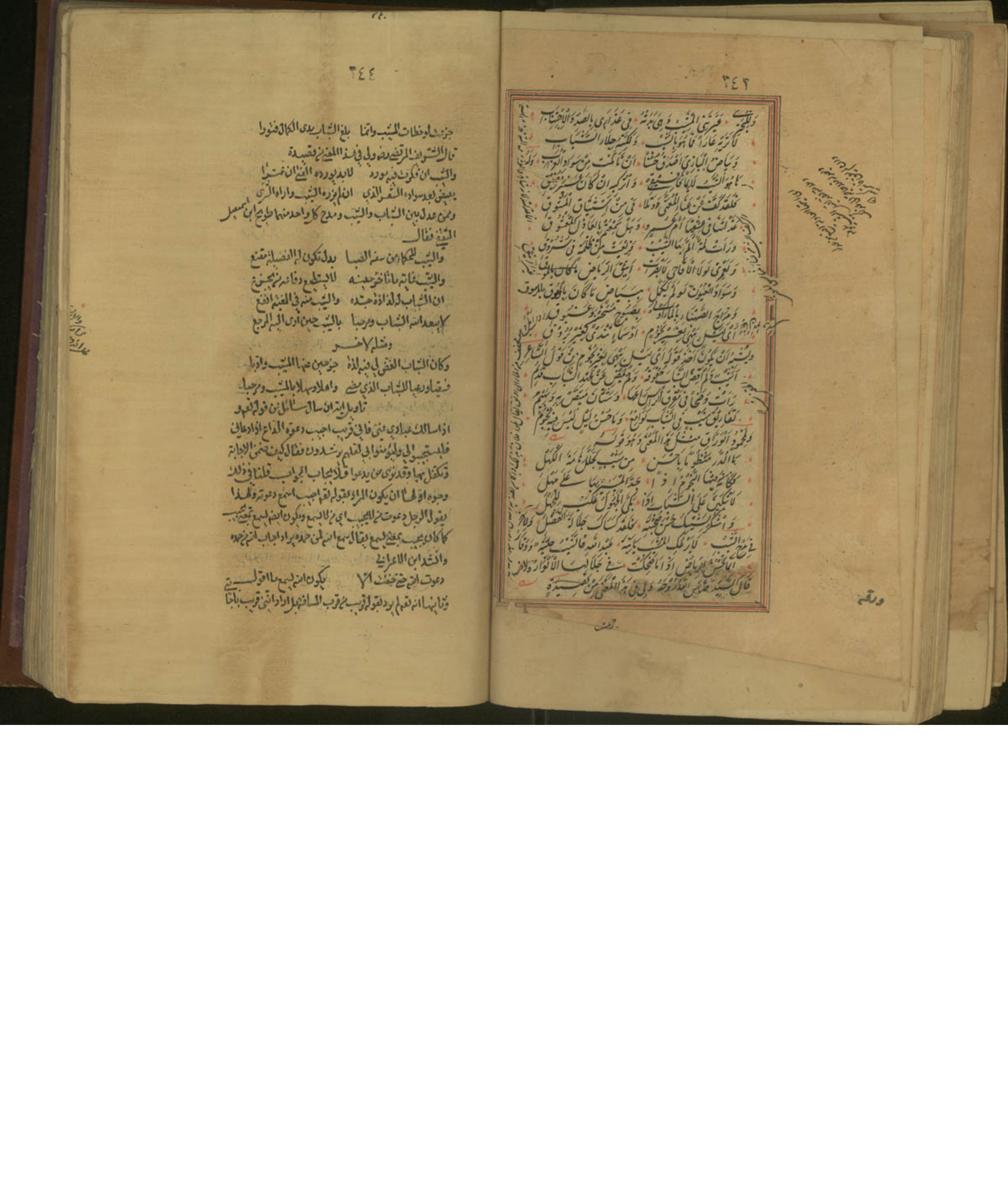












ولي من جملتها
عيّرتني المشيب وهي بدته · في عذاري بالصد والاجتناب
لا تريه عاراً فما هو بالشيـ · ـب ولكنه جلاء الشباب
وبياض البازي اصدق حسناً · ان تأملت من سواد الغراب
ما هو الشيب لا ابا لك فاستبقيه · واربح به ان كان غير مستبق
فلقد كف عن عناء المعنّى وملا · قي من اشتياق المشوق
غد لسان عنها ام عمرو · وهل تمتع بالعاذل المعشوق
ورأت لمة الم بها الشيب · فزعت مثل ظلمة في شروق
ولعمري لولا الاقاحي لما ابتهجت · انيق الرياض ما كان بالموموق
وسواد العيون لو لم يكمل · ببياض ما كان بالموموق
ومزاج الصهباء بالماء اولى · بصبوح مستحسن وغبوق
اي ليل يبهى بغير نجوم · او سماء تندى بغير بروق
ويشبه ان يكون اخذ قوله اي ليل يبهى بغير نجوم من قول الشاعر
أتت ولم اقض الشباب حقوقه · ولم يقض عن عهد الشباب قدم
رأت وضحا في مفرق الراس راعها · وشتان ميض بهر وبهيم
تفاريق شيب في الشباب لوامع · وما حسن ليل ليس فيه نجوم
ولمحمود الوراق مثل هذا المعنى وهو قوله
ما الدر منظوما باحسن · من شيب يحلل هامة الكهل
فكأنه فيها النجوم اذا · جنّ الظلام بها على مهل
لا تنكرن على الشباب اذا · بكى المجنون عليه للجهل
واشكر لشيبك حسن صحبته · فلقد كساك جلالة الفضل
ولابن المعتز في مدح الشيب · لا تعجب المرء بالبنية · عبد الله فالشيب حلية
واما حسن الرياض اذا ما ضحكت · في جلالها الانوار
قال الشريف المرتضى ادام الله علوه ولي في هذا المعنى من قصيدة

جزعت لوخطات المشيب وانما · بلغ الشباب مدى الكمال فنورا
قال الشريف المرتضى رضه ولي في هذا المعنى من قصيدة
والشيب ان فكرت فيه مورد · لا بد يورده الفتى ان عمّرا
يبيض بعد سواد الشعر الذي · ان لم يزره الشيب واراه الثرى
وممن عدل بين الشباب والشيب ومدح كل واحد منهما طريح ابن اسمعيل
الثقفي فقال
والشيب للحكماء من سفه الصبا · بدل تكون له الفضيلة مقنع
والشيب غايته مانتأخر حينه · لا يستطيع دفاعه من يجزع
ان الشباب له لذاذة جدة · والشيب منه في العفة انفع
لا يبعد الله الشباب ومرحبا · بالشيب حين اوى اليه المرجع
ومثله لآخر
وكان الشباب الغض لي فيه لذة · جزعت حين عنها المشيب واودبا
فسقيا ورعيا للشباب الذي مضى · واهلا وسهلا بالمشيب ومرحبا
تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعو
اذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعاني
فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون فقال كيف ضمن الاجابة
وتكفل بها وقد نرى من يدعوا فلا يجاب الجواب قلنا في ذلك
وجوه اولها ان يكون المراد بقوله تعو اجيب اسمع دعوته ولهذا
يقول الرجل دعوت من لا يجيب اي من لا يسمع ويكون الفرض يسمع تمعنى يجيب
كما كان يجيب بمعنى يسمع يقال سمع الله لمن حمده يراد اجاب الله من حمده
وانشد ابن الاعرابي
دعوت الله حتى خفت الا · يكون الله يسمع ما اقول
وثانيها انه تعو اراد بقوله قريب من قرب المسافة بل اراد انني قريب باجابة

ومغفرتي ورحمتي عليك بالطلب العبد وما السر في جهو بتشبها القرب المسافة لان من قرب من غيره عرف احواله ولم يخف عليه ويكون قوله تعالى اجيب على هذا تاكيد القرب فكانه تعالى اراد اني قريب قربا شديدا واني بحيث لا يخفى علي احوال العباد كما يقول القائل اذا وصف نفسه بالقرب من صاحبه والعلم بحاله انا بحيث اسمع كلامك واجيب نداك او ما جرى هذا المجرى وقد روي ان قوما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ا قريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فانزل الله تعالى هذه الاية وثالثها ان يكون معنى الاية معنى اجيب دعوة الداعي اذا دعاني على الوجه الصحيح وبالشرط الذي يجب ان يقارن الدعاء وهو ان يدعو باشتراط المصلحة ولا يطلب ما لا يجوز عليه على كل حال لانه ان كان صلاحا فعل بدعائه وان لم يكن صلاحا لم يفعل لفقد شرط دعائه فهو ايضا مجاب الى دعائه ورابعها ان يكون معنى دعائي اي عبدي ويكون الاجابة هي الثواب والجزاء على ذلك فكانه تعالى قال اني اثيب العباد على دعائهم لي وهذا ما لا اختصاص فيه وخامسها ما قاله ان معنى الاية ان العبد اذا سال الله تعالى شيئا في اعطائه صلاحا فعله به واجابه اليه وان لم يكن في اعطائه اياه في الدنيا صلاح وخيرا لم يعطه ذلك في الدنيا واعطاه اياه في الاخرة فهو مجيب لدعائه على كل حال وسادسها انه تعالى اذا دعاه العبد لم يخل من احد امرين فاما ان يجاب له دعائه واما ان يختار له تعالى فيما سئل ودعا فهو اختيار الله تعالى له وهو يقوم مقام الاجابة فكانه اجاب على كل حال وهذا الجواب يضعف لان العبد ربما سال ما فيه صلاح ومنفعة في الدنيا وان كان فيه فساد في الدين لغيره فلا يعطى ذلك لا لامر يرجع اليه لكن لما فيه الصلاح اللهم الا ان يقال انه دعا مشروطا بان يكون صلاحا ولا يكون فسادا وهذا ما قد تقدم ومعنى قوله فليستجيبوا لي وليستجيبوا لي والمعنى لي قال الشاعر

وداع دعا يا من يجيب الى الندى

فلم

فلم يستجبه عند ذاك مجيب * اي لم يجبه. قال الشريف المرتضى رضي الله عنه

[مجلس اخر] اذا كنا قد ذكرنا في المجالس المتقدمة لهذا المجلس طرفا من الشعر في تفضيل الشيب وتقريظه والتعزي عنه والتسلي عن نزوله فنحن مستوفوه بطرف مما قيل في ذمه والتالم به والتحسر منه فمن ذلك قول ابي حية النميري

ترحل بالشباب الشيب عنا * فليت الشيب كان به الرحيل
وقد كان الشباب لنا خليلا * فقد قضى مآربه الخليل
لعمر ابي الشباب لقد تولى * حميدا ما يراد به بديل
اذ الايام مقبلة علينا * وظل اراكة الدنيا ظليل

[وقال الفرزدق]

ارى الدهر ايام المشيب امر * علينا وايام الشباب اطايبه
وفي الشيب لذات وقرة اعين * ومن قبل عيش تعلل جاذبه
اذا نازل الشيب الشباب فاصلتا * بسيفيهما فالشيب لا بد غالبه
فيا خير مهزوم ويا شر هازم * اذا الشيب وافت للشباب كتائبه
وليس شباب بعد شيب براجع * يد الدهر حتى يرجع الدر حالبه
وما المرء مشفوعا بتجريب واعظ * اذا لم تعظه نفسه وتجاربه

[ولاسحاق الموصلي]

تعزى ان تخليت عن مثل الصبا * لقد كنت وراد المشربه العذب
ليالي امشي بين بردي لاهيا * اميس كغصن البانة الناعم الرطب
سلام على سير القلاص مع الركب * ووصل الغواني والمدامة والشرب
سلام امرئ لم يبق منه بقية * سوى نظر العينين او شهوة القلب

[ولمنصور النمري]

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع * اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع
بان الشباب وفاتتني بشرته * صروف دهر وايام لها خدع
ما كنت اوفي شبابي كنه غرته * حتى مضى فاذا الدنيا له تبع

[ولمحمد بن علي بن حازم]

عهد الشباب لقد ابقيت لي حزنا * ما جد ذكرك الا جدد لي ثكل
سقيا ورعيا لايام الشباب وان * لم يبق منك له رسم ولا طلل





لعب الشيب بالمفارق بل جد • فأبكى تماضرا أو لعوبا
خضبت خدها إلى لؤلؤ العقد • دما أن رأت شواتي خضيبا
كل داء يرجى الدواء له • إلا الفظيعين ميتة ومشيبا
يا نسيب الثغام ذنبك أبقى • حسناتي عند الحسان ذنوبا
ولئن عبن ما رأين لقد أنكرن • مستنكرا وعبن معيبا
أو تصدعن عن قلى لكفى • بالشيب بيني وبينهن حسيبا
لو رأى الله أن للشيب فضلا • جاورته الأبرار في الخلد شيبا

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه • وجدت الآمدي يذكر أن قوما ادعوا المناقضة على أبي تمام في هذه الأبيات بقوله فأبكى تماضر أو لعوبا وقوله خضبت خدها إلى لؤلؤ العقد • وقوله يا نسيب الثغام ذنبك أبقى حسناتي عند الحسان ذنوبا • وقوله ولئن عبن ما رأين • قال كيف يجزعن على شيبه ثم يعبنه • قال الآمدي وليس هذا تناقضا لأن الشيب إنما أبكى تماضرا أو لعوبا أسفا على شبابه والحسان الكواعب عبنه ... ما بين المرأتين فيكون من أشفق عليه من الشيب منهن وأسف على شبابه بكى كما قال الأخطل • ولم يكن هذه حال من عابه قال وهذا مستقيم صحيح • قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وليس يحتاج في الاعتذار لأبي تمام إلى ما تكلفه الآمدي بل المناقضة زائلة عنه على رأيي كل حال وإن كان من بكى شبابه وأسف عليه من النساء هن اللواتي أنكرن شيبه وعبنه • وما المنكر من ذلك وكيف يتناقض أن تبكي على شبابه وزوال شبيبته من رأين الشيب ذنبا وعيبا منكرا • وهذه هي غاية المطابقة لأنه لا يبكي للشيب ويجزع من حلوله وفراق الشباب إلا من رآه منكرا أو معيبا • قال أبو تمام

... • ... وصدودا

من كل سابغة الشباب إذا انثنت • ... عميدا
أربين بالمرد الغطارف بدنا • غيدا ألفتهم لدنا غيدا
أحلى الرجال من النساء مواقعا • من كان أشبههن خدودا

قوله أربين بالمرد من أرب بالشيء إذا لزمه وأقام عليه يقال أرب وألب بالمكان إذا أقام به ولزمه والمراد أنهن لزمن هوى المرد وأقمن عليه ورواه قوم أربين من الربو الذي معناه الزيادة يقال قد أربى الرجل إذا ازداد فيقول قد أربين بالمرد أي ازددن عليهم بهم وحبهن للمرد زيادة أخرجتها عليهم • ويقال إنه أخذ قوله أحلى الرجال من النساء مواقعا البيت • من قول الأعشى

وأرى الغواني لا يواصلن امرءا • فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

وللمنصور النمري مثله • كرهن من الشيب الذي لو كرهنه • بهن رأيت ألطف عيشهن أزورا • ونحوه قول الآخر • أرى شيب الرجال من الغواني • بموقع شيبهن من الرجال • أبو تمام

شاب رأسي وما رأيت مشيب • الرأس إلا من فضل شيب الفؤاد
وكذاك القلوب في كل بؤس • ونعيم طلائع الأجساد
طال إنكاري البياض وإن عمرت • شيئا أنكرت لون السواد
زارني شخصه بطلعة ضيم • عمرت مجلسي من العواد
نال رأسي من ثغرة الهم لما • لم ينله من ثغرة الميلاد

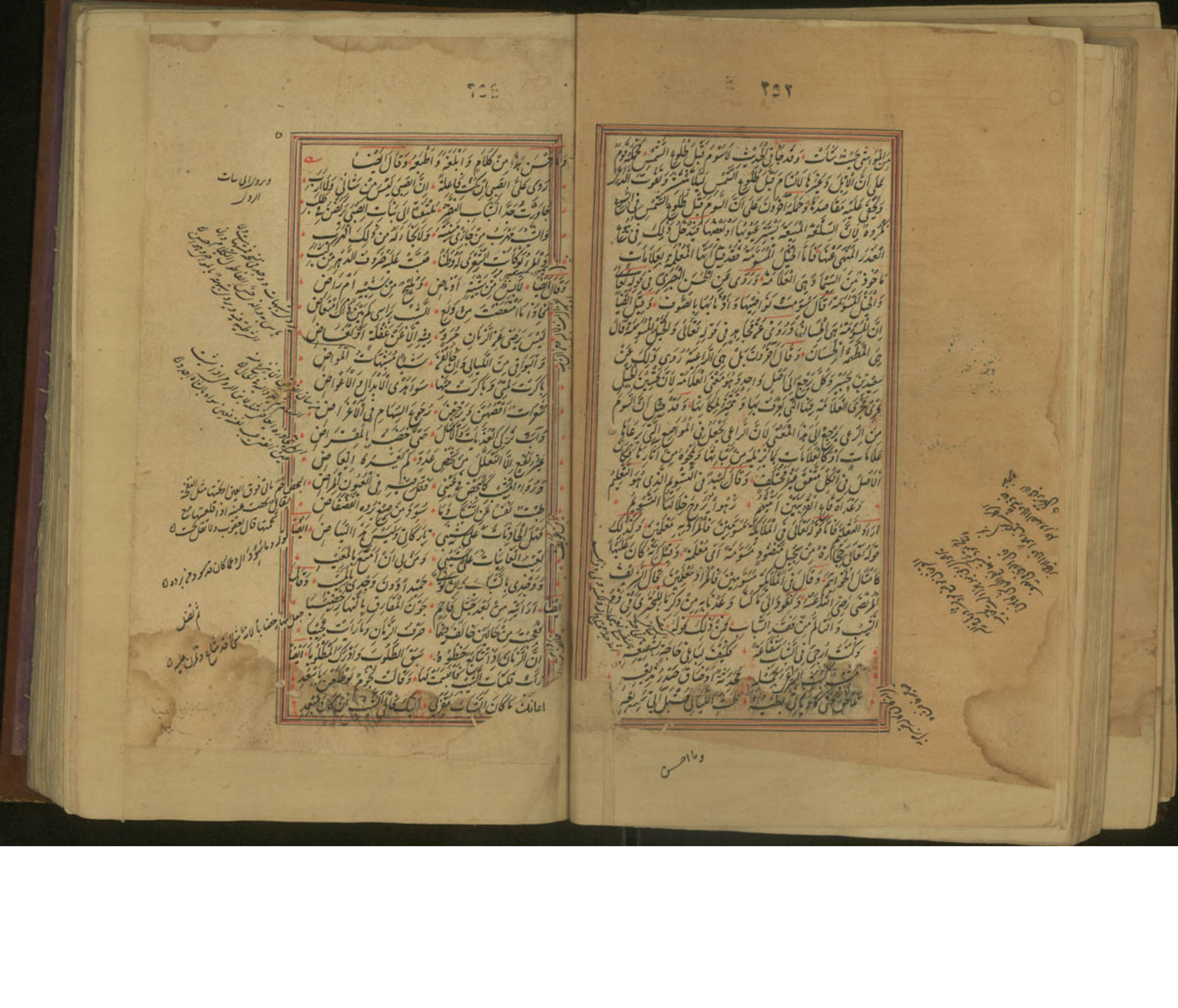
ومعنى البيت الآخر أن الثغرة هي الفرجة والثلمة تكون في الشيء ولذلك سمي كل بلد جاور عدوا ثغرا كأن معناه أنه مكشوف للعدو ويجوز أن يكون أخذه من ثغر الإنسان لأنه أول ما يقابلك من الإنسان وأول ما ينظر عند الكلام وأول ما يسقط فيرى مثلوما فكأن الثغر الذي هو البلد به يقال الثغر الصبي وأثغر وسمي بذلك الفرجة في موضع السن ثغرة فهي في كل



موضع منفرج ومنه ثغرة النحر واراد بقوله نال رأسي من ثغرة الهم أي
وجد الهم فرجة دخل على رأسي منها لان الهم يشيب لا محالة. وقوله
ما لم ينله من ثغرة الميلاد اراد بثغرة الميلاد الوقت الذي يهجم عليه
فيه الشيب من عمره لانه يجد السبيل في ذلك الوقت الى الحلول برأسه
فجعله ثغرة من هذا الوجه فاراد ان الشيب حل برأسه من جهة همومه
واحزانه لما لم يبلغ السن التي توجب حلوله من حيث كبره.
قال الشريف المرتضى رضي الله عنه ورأيت الآمدي يطعن على قوله عرت
مجلسي من العواد ويقول لا حقيقة لذلك ولا معنى لانا ما رأينا ولا سمعنا
احدا جاءه عواده يعودونه من الشيب ولا ان احدا افرده الشيب
ولا العزاء المؤذون عن الشباب. وهذا من الآمدي قلة نقد للشعر
وضعف بصيرة بدقيق معانيه التي يغوص عليها حذاق الشعراء
ولم يرد ابو تمام بقوله عرت مجلسي من العواد العادة الحقيقية التي يعني
فيها العواد مجالس المرضى وذوي الاوجاع وانما هذا استعارة وتشبيه
واشارة الى الغرض بخفية فكأنه اراد ان تخفض الشيب لما زارني كثر
المتوجعون والمتأسفون على شبابي والمتفجعون من مفارقته فكأنهم
عمروا مجلسي بعوادي لان من شأن العائد للمريض ان يتوجع ويتفجع وكنى بقوله
عرت مجلسي من العواد عن كثرة من يتفجع له ويتوجع من شيبه وهذا من
ابي تمام كلام في نهاية البلاغة والحسن وما المعيب الا من عابه وطعن
عليه ونحن نذكر في المجلس الآتي بمشية الله تعالى ما للبحتري في هذا المعنى
ان شاء الله عز وجل. مجلس [illegible] ان سأل سائل عن قوله تعالى
هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون فقال
اذا كان الشجر انما يخص للثمار كما كان الشراب [illegible] فكيف جاز ان
يقول تعالى ومنه شجر بعد قوله منه شراب [illegible] تسيمون وهل الفائدة

مجلس سادس واربعون

في اللفظ هي العائدة في قوله والخيل المسومة وقوله وامطرنا عليهم حجارة
من سجيل منضود مسومة. الجواب قلنا في قوله تعالى ومنه شجر وجهان
احدهما ان يكون المراد ومنه سقي شجر وشرب شجر فحذف المضاف و
اقام المضاف اليه مقامه وذلك كثير في لغة العرب ومنه قوله تعالى
واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم اي حب العجل والوجه الآخر ان يكون المراد
ومن جهته الماء شجر ومن سقيه وانباته شجر فحذف الاول وخلفه الثاني
كما قال عوف بن الخرع. امن آل ليلى عرفت الديارا. بجنب الشقيق
خلاء قفارا. اراد من ناحية آل ليلى وقال زهير. امن ام اوفى
دمنة لم تكلم. بحومانة الدراج فالمتثلم. اراد من ناحية ام اوفى
وقال ابو ذؤيب. امنك البرق ارقبه فهاجا. فبت اخاله دهما خلاجا
الثقا. امنك برق ابيت الليل ارقبه. كأنه في عراض الشام مصباح.
وقال الجعدي. المن الديار عفون بالأخطال. بقيت على حجج خلون
طوال. اراد بقيت على حجج وكثر [illegible]. فاما قوله تعالى تسيمون فمعناه
ترعون وترسلون انعامكم تقول اسام الابل يسيمها اسامة اذا ارعاها
واطلقها فرعت منصرفة حيث شاءت. وسومها ايضا يسومها من
ذلك. وسامت هي اذا رعت تسوم وهي ابل سائمة. ويقال
سمتها اذا قصرتها على مرعى بعينه. وسمتها الخسف اذا اكرهتها على غير
[illegible] لمن اذل وضيم واهتضم سيم فلان الخسف وسيم خطة الضيم
قال الكميت في الاسامة التي هي الاطلاق في المرعى. راعيا كان مسجحا
ففقدناه. وفقد المسيم هلك السوام. آخر. واشكن ما سكنت بطن
واد. [illegible] ان ظعنت فلا اسيم. وذهب قوم الى ان السوم في البيع
من هذا لان كل واحد من المتبايعين يذهب فيما يبتغيه من زيادة
ثمن او نقصانه الى ما يهواه كما تذهب سوائم الابل [illegible] حيث شاءت







وهو مفارق للعمر بالحياة فهو ايضا تارك لهما جميعا وقوله واما لا بد من
احدهما قال والعذر للبحتري ان يقال من مات شابا فقد فارق
الشباب وحده لانه لم يعمر فيكون مفارقا للعمر الا ترى انهم يقولون عمر
فلان اذا اسن وفلان لم يعمر اذا مات شابا ومن شاب وعمر
لم يكن مفارقا للشباب في حال موته لانه قد قطع ايام الشباب وانقضت
مفارقته له وانما يكون في حال موته مفارقا للعمر وحده فالى هذا ذهب
البحتري وهو صحيح ولم يرد بالعمر المدة القصيرة التي يعمرها الانسان و
انما اراد بالعمر هاهنا الكبر كما قال زهير: رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم. قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وما رأيت
اشد تهافتا في الخطاء مما فسر به هذا البيت وتكلم عليه من [illegible]
ومعنى البيت غير ما توهمه وهو اظهر من ان يحتاج فيه الى هذا
التغلغل والتعسف وانما اراد البحتري ان الانسان بين حالين اما
ان يفارق الشباب بالشيب او يفارق العمر بالموت فمن مات شابا
وان كان قد خرج عن العمر وخرج بخروجه عن سائر احوال الحيوة من
شباب وشيب وغيرهما فانه لم يفارق الشباب وحده وانما فارق
العمر الذي فارق بمفارقته الشباب وغيره وحصلت الحال تلك
احد الامرين اما مفارقة الشباب وحده بلا واسطة ولكن يكون ذلك الا
بالشيب او مفارقة العمر بالموت وتلخيص كلامه انه لا بد للحي من شيب او
موت وكان الشيب والموت متعاقبان والبحتري انما جعل العمر ههنا
مقام قوله الحيوة والبقاء وانما قال العمر لاجل القافية مع انه مبني عن
مراده ولو انه قال ولا بد من ترك الشباب او ترك الحيوة لقام مقام
قوله العمر. اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن محمد الكاتب
قال حدثنا احمد بن عبيد الله قال من معاني الرومي التي فتحها قوله يذم من

جل

جعل مصيبة غيره مصيبة له وعاب من يعلل بان شيبي ما بال غيره وهو
مسرور في شبابه واحسن غاية الاحسان

يا شبابي واين مني شبابي ... آذنتني ايامه بانقضاب
لهف نفسي على نعيمي ولهوي ... تحت افنانه اللدان الرطاب
ومعز على الشباب نحوس ... بحبيب اللذات والاطراب
قلت لما انتحى بعذل ابا ... من مصاب شبابه لمصاب
ليس تأسو كلوم غيري كلومي ... ما به ما به وما بي ما بي

ولابن الرومي

لهفي على الدنيا وهل لهفة ... تنقذ مني ما ان تلفتها
قبحا لها قبحا على انها ... اقبح شيء حين كشفتها
وقد تعزيني شباب مضى ... وثمرة للعيش اسلفتها
لكونه في حسنين عاما مضت ... كانت امامي ثم خلفتها
احسبها اذ هي موفورة ... ثم مضت عني فحسبتها (اخليتها)
فرحة الموهوب اعددتها ... وترحة المسلوب الحقتها
لو ان عمري مائة هدني ... تذكري اني تصفتها

وله في هذا المعنى وقد تقدمت هذه الابيات في الامالي السالفة وقد
احسن في معناها كل الاحسان

كفى بسراج الشيب في الراس هاديا ... الى من اضلته المنايا لياليا
امن بعد ابداء المشيب مقاتلي ... لرامي المنايا تحسبيني ناجيا
غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه ... لشخصي اخلق ان يصبن سواديا
وكان كرامي الليل يرمي ولا يرى ... فلما اضاء الشيب شخصي رمانيا

مجلس تاويل آية. ان سأل سائل
عن قوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم
ظالمون فقال كيف يجاب او يعذبهم بالجزم ان يعطف على [illegible] ما ان
يتوب عليهم [illegible] في ظاهر الكلام ما يقتضي نصب الجواب

لقوله تعالى او يتوب



عنده حبا ونهى النجش في البيع وهو مدح السلعة والزيادة في ثمنها من
غير ارادة شراء ليقتدي بها غيره • واصل النجش استخراج الشيء والنجش
قال بعض الفقعسيين اي من بني فقعس وهي قبيلة
اجرش لها يا ابن ابي كباش • فما لها الليلة من انفاش
غير السرى وسائق نجاش • اخوش مثل الجنة الخشخاش •
والنجاش هو المستخرج لما عندها بالمسح • ومعنى اجرش لها اي
احد لها السوق الحدا الكثير وهو ماخوذ من الجرس وهو الصوت • ومعنى
الانفاش اراد انها لا تترك ترعى ليلا والنفش ان ترعى الابل
ليلا وقد انفشتها اذا ارسلتها بالليل ترعى والخشخاش الخفيف
الحركة السريع التقلب والنجش في البيع يرجع معناه الى هذا ايضا من
الزيادة لان الناجش يستثير زيادة في الثمن ومدح السلعة للزيادة
في ثمنها فيكون معنى الخبر على هذا ان لا تناجشوا اي لا يمدح احدكم السلعة فيزيد
في ثمنها وهو لا يريد شراءها ليسمعه غيره فيزيده • وقد يجوز ايضا ان يريد
بذلك لا يمدح احدكم صاحبه من غير استحقاق ليستدعي منفعته وليستثير
فائدته • وهذا المعنى اشبه ان يكون مراده عليه السلم لان قوله ولا
تدابروا اشد مطابقة • ومعنى قوله لا تدابروا اي لا تهاجروا ويولي
كل واحد منكم صاحبه دبره ووجهه قال الشاعر • واوصى ابو قيس بان
تواصلوا • واوصى ابوكم ان تدابروا • فكانه عليه السلم قال لا تمادحوا
وتواصلوا بالمدح الذي ليس بحق ولا تهاجروا وتقاطعوا فيما
قوله عليه الكل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه • فقد ذهب قوم الى
ان عرض الرجل انما هو سلفه من آبائه وامهاته • ومن جرى مجريهم •
وذهب آخرون الى ان عرض الرجل نفسه واحتجوا بحديث النبي
صلى الله عليه وآله السلم حين ذكر اهل الجنة فقال لا يبولون ولا يتغوطون

وانما هو

انما هو عرق يجري من اعراضهم مثل المسك اي من ابدانهم قال ومنه
قول ابي الدرداء اقرض من عرضك ليوم فقرك اراد من شتمك
فلا تشتمه ومن ذكرك بسوء فلا تذكره به ودع ذلك قرضا لك عليه
ليوم الجزاء والقصاص • واحتج ايضا بحديث الحسن عن رسول الله عليه
وآله انه قال ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من منزله قال
اللهم اني قد تصدقت بعرضي على عبادك • قال ومعناه قد تصدقت بنفسي
واحللت من يغتابني فلو كان العرض الاسلاف ما جاز ان يحلل من
سب الموتى لان ذلك اليهم لا اليه قال ويدل على ذلك ايضا حديث
سفين بن عيينة لو ان رجلا اصاب من عرض رجل شيئا ثم تورع
بعده فجاء الى ورثته بعد موته واحلوه لم يكن ذلك كفارة له ولو اصاب
من ماله شيئا ثم دفعه الى ورثته لكنا نرى ان ذلك كفارة له قال
ويدل على ان عرض الرجل نفسه قول حسان بن ثابت
هجوت محمدا فاجبت عنه • وعند الله في ذاك الجزاء •
فان ابي ووالدتي وعرضي • لعرض محمد منكم وقاء •
اراد ان ابي وجدي ونفسي وقاء لنفس محمد صلى الله عليه وآله
وقال آخرون وهو الصحيح العرض موضع المدح والذم من الانسان فاذا
قيل ذكر عرض فلان فمعناه ذكر ما يرتفع به او ما يسقط بذكره ويمدح او يذم
به وقد يدخل في ذلك ذكر الرجل نفسه وذكر آبائه واسلافه لان كل ذلك
مما يمدح ويذم والذي يدل على هذا ان اهل اللغة لا يفرقون في قولهم شتم
فلان عرض فلان بين ان يكون ذكره في نفسه بقبيح الافعال او شتم
سلفه وآباءه ويدل عليه قول مسكين الدارمي
رب مهزول سمين عرضه • وسمين الجسم مهزول الحسب •
فلو كان العرض نفس الانسان لكان الكلام متناقضا لان السمن والهزال

برجعان الى شيء واحد وانما اراد رب مهزول كريم افعاله او كريم اباؤه
واسلافه وقال ابن الرقيات الاسدي · واني لا استغني فما ابطر الغنى
واعرض ميسوري على مبتغي قرضي · واعجز احيانا فيشتد عسرتي
فادرك ميسور الغنى ومعي عرضي · ولا يليق ذلك الا بما ذكرناه قال
الشريف المرتضى رضي الله عنه ووجدت ابا بكر الانباري قد رد على
ابن قتيبة قوله هذا وطعن على ما احتج به فقال في الحديث المروي
عنه عليه السلم في وصف اهل الجنة ان المراد بالاعراض معاطف الجسد
نحو الابطين وغيرهما وقال في حديث ابي الدرداء معناه من عابك
وذكر اسلافك فلا تجازه ليكون الله تعالى هو المثيب لك وقال في
قول ابي ضمضم معناه انه احل من اوصل اليه اذى بذكره وذكر ابائه
الاسى ... اليه وذكر ابائه فلم يحل الا من اذى اليه · فقال في قول حسان
المراد بعرضه اتقا اسلافه ... فقال فان ابي ووالده وجميع اسلافي
الذين امدح واذم من جنبتهم وقال له عليه السلم فاتى بالعموم بعد الخصوص
ولم اجد في خبر سفين بن عيينة شيئا ... وليس يقرب من تاويل ابي ضمضم
لان من اذى رجلا بسبه او سب سلفه وادخل عليه بذلك وصفا
ونقصا لم يكن الى ورثته بعد موته الاحلال من ذلك لان الاذى
لم يدخل عليهم ولو كان داخلا عليهم ايضا مع دخوله على المسبوب لكان
احلالهم ما يرجع الى غيرهم لا يصح على ان في الاحلال من الضرر وسقوط
العوض المستحق عليه وهل يسقط باسقاط مستحقه ام لا ما ليس هذا موضعه
وقد ذكرناه في مواضع وبعد فلو سلم لابن قتيبة ان المراد بالعرض في
كل المواضع التي ... النفس دون السلف او سلم له ذلك في بيت حسان
خاصة لما ذهب الى ان يكون المراد به ما ذكره لم يقدح فيما ذكرناه لانا
لم نقل ان العرض مقصور على سلف الانسان بل ذكرنا انه موضع المدح

والذم من الانسان ولا فرق فيه بين نفسه وسلفه فكيف يكون الاحتجاج بالمراد
بالعرض فيه النفس طعنا علينا وانما ينفع ابن قتيبة ان ياتي بما يدل على ان
العرض لا يستعمل الا في النفس دون السلف وكل شيء اورده مما المراد بالعرض فيه
النفس او المراد فيه السلف يؤكد ما قلناه في ان هذه مستعملة في موضع الذم
والمدح من الانسان وانما يكون ما استشهدنا به وما جرى مجراه مما يدل على استعمال
لفظة العرض في السلف حجة على ابن قتيبة لانه قصر معناها على النفس والذات
دون السلف وهذا واضح بحمد الله اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال
حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال كان ابو عبيدة
يعترى المثنى صفريا وكان يكتم ذلك فانشد لعمران بن حطان

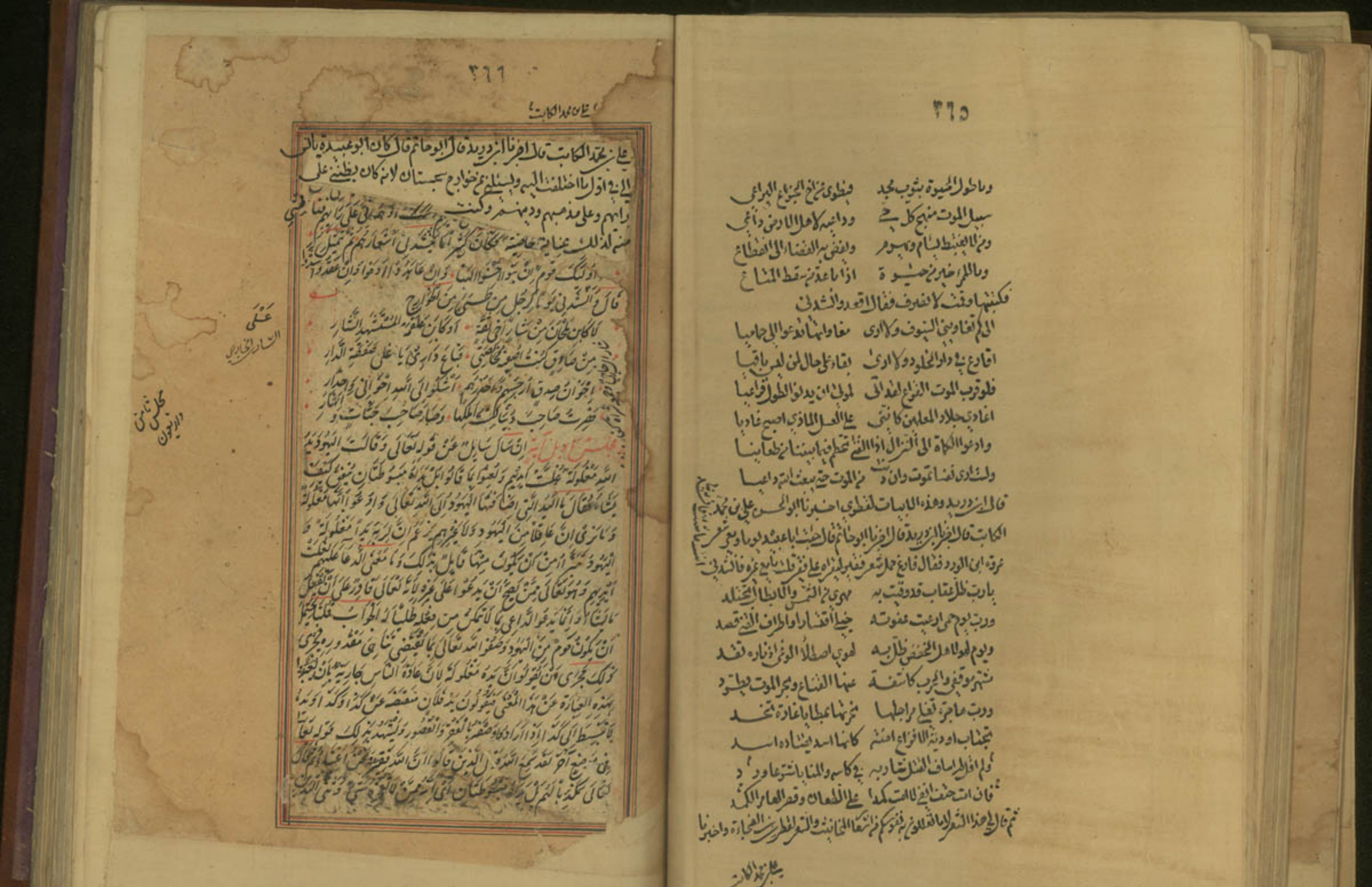
انكرت بعدك من قد كنت اعرفه ... ما الناس بعدك يا مرداس بالناس
اما تكون ذقت كاسا دار اولها ... على القرون فذاقوا جملة الكاس
فكنت ابكيك حينا ثم قد يئست ... نفسي فاردد عني عولي ياسي

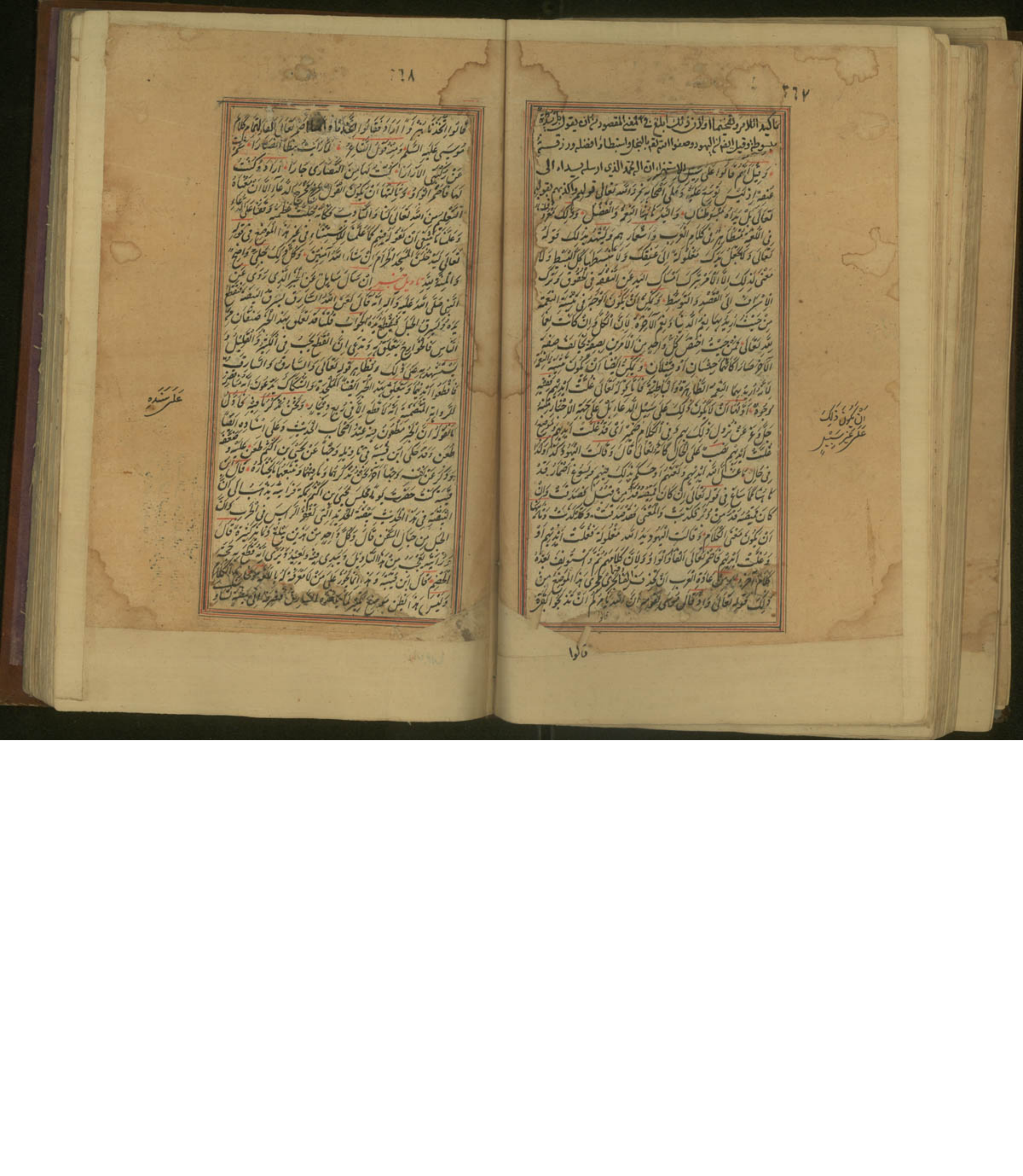
واخبرنا ابو عبيد الله قال حدثنا محمد بن دريد قال حدثنا الاشناني قال
قال لنا التوزي كنت اذا اردت ان انشط ابا عبيدة ذاكرته باخبار الخوارج
فالقيت منه بحرا ... وهو مطرق ينكت في الارض في صحن المسجد وقد
قربت منه الشمس فسلمت عليه فلم يرد علي فتمثلت

وما للمرء خير في حيوة ... اذا ما عد من سقط المتاع

والبيت لقطري بن الفجاءة فنظر الي ثم قال ويحك اتدري من يقوله فقلت
قطري قال اسكت فض الله فاك فالا قلت امير المؤمنين ابو نعامة ثم انتبه
فقال الفتها يا توزي فقلت هي اثبت في الارض فانشدني

اقول لها وقد طارت شعاعا ... من الابطال ويحك لن تراعي
فانك لو سالت بقاء يوم ... على الاجل الذي لك لم تطاعي
فصبرا في مجال الموت صبرا ... فما نيل الخلود بمستطاع





تاكيد اللازم وتحقيقا او لان ذلك ابلغ في المعنى المقصود من ان يقول [illegible]
مبسوطة وقيل ان اليهود وصفوا الله تعالى بالبخل واستبطاء افضاله ورزقه
وقيل انهم قالوا على سبيل الاستهزاء ان اله محمد الذي ارسله يداه الى
عنقه اذ ليس يوسع عليه وعلى اصحابه فرد الله تعالى قولهم واكذبهم بقوله
تعالى بل يداه مبسوطتان • والبسط كناية عن الجود والفضل • وذلك معروف
في اللغة متظاهر في كلام العرب واشعارهم ويشهد بذلك قوله
تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا
معنى لذلك الا الامر بترك امساك اليد عن النفقة في الحقوق وترك
الاسراف الى القصد والتوسط • ويمكن ان يكون الوجه في تثنية النعمة
من حيث اريد بها نعم الدنيا ونعم الاخرة لان الكل وان كانت نعما
لله تعالى فمن حيث اختص كل واحد من الامرين بصفة تخالف صفة
الاخر صارا كانهما جنسان او قبيلان • ويمكن ايضا ان يكون تثنية النعم
لانه اريد بها النعم الظاهرة والباطنة فاما قوله تعالى غلت ايديهم ففيه
وجوه • اولها ان لا يكون ذلك على سبيل الدعاء بل على جهة الاخبار منه
جل وعز عن نزول ذلك بهم وفي الكلام ضمير اي قد غلت ايديهم وموضع
غلت ايديهم نصب على الحال كانه تعالى قال وقالت اليهود كذا وكذا
في حال ما غل الله ايديهم ولعنهم او حكم بذلك فيهم وسوغ اضمار قد
ها هنا كما ساغ في قوله تعالى ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وان
كان قميصه قد من دبر فكذبت والمعنى فقد صدقت وفقد كذبت • وثانيها
ان يكون معنى الكلام وقالت اليهود يد الله مغلولة فغلت ايديهم او
وغلت ايديهم فاضمر تعالى الفاء والواو لان كلامهم تم واستونف بعده
كلام اخر ومن عادة العرب ان تحذف فيما يجري مجرى هذا الموضع من
ذلك قوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة

قالوا

ان يكون ذلك على [illegible]

قالوا اتتخذنا هزوا واراد فقالوا اتتخذنا هزوا فاضمر تعالى الفاء لتمام كلام
موسى عليه السلم ومثله قول الشاعر • لما رايت نبطا انصارا • شمرت
عن ركبتي الازارا • كنت لها من النصارى جارا • اراد وكنت
لها فاضمر الواو • وثالثها ان يكون القول خرج مخرج الدعاء الا ان معناه
التعليم من الله تعالى لنا والتاديب كما قال جلت عظمته [illegible]
وعلمنا ما ينبغي ان نقوله فيهم كما علمنا الاستثناء في غير هذا الموضع في قوله
تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين • وكل ذلك جلي واضح
والمنة لله • تاويل خبر • ان سال سائل عن الخبر الذي يروى عن
النبي صلى الله عليه واله انه قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع
يده ويسرق الحبل فتقطع يده الجواب قلنا قد تعلق بهذا الخبر صنفان من
الناس فالخوارج تتعلق به وتدعي ان القطع يجب في الكثير والقليل و
تستشهد به على ذلك وبظاهر قوله تعالى والسارق والسارقة
فاقطعوا ايديهما وتتعلق بهذا الخبر الفرقة الملحدة والشكاك يدعون انه مناقض
للرواية المتضمنة انه لا قطع الا في ربع دينار • ونحن نذكر ما فيه فاول
ما نقوله ان الخبر مطعون فيه عند اصحاب الحديث وعلى اسناده [illegible]
طعن وقد حكى ابن قتيبة في تاويله وجها عن يحيى بن اكثم طعن عليه و
هو ذكر عنه فيه وجها اخر نحن نذكرهما وما فيهما ونتبعهما بالجواب • قال ابن
قتيبة كنت حضرت يوما مجلس يحيى بن اكثم بمكة فرايته يذهب الى ان
البيضة في هذا الحديث بيضة الحديد التي تغفر الراس في الحرب وان
الحبل من حبال السفن قال وكل واحد من هذين يبلغ دنانير كثيرة قال
ورايته يعجب من هذا التاويل ويبدي فيه ويعيد ويرى انه قد ظفر بحجة
الخصم • قال ابن قتيبة وهذا انما يجوز على من لا معرفة له باللغة ومخارج الكلام
وليس هذا الطعن بموضع تكثير لما ياخذه السارق فيصرفه الى بيضة تساوي

على سنده





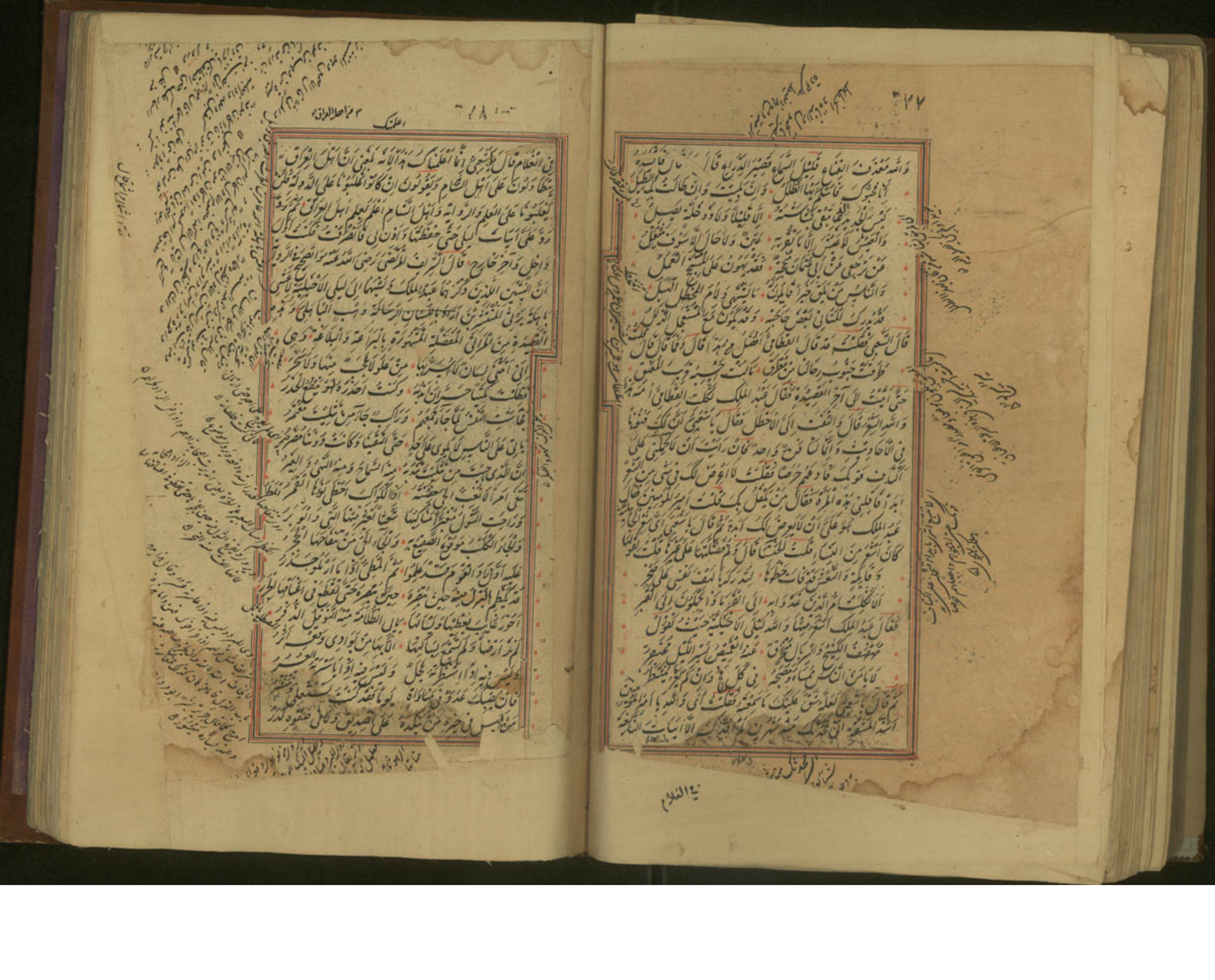
كل ذلك على سبيل المثل والمبالغة وليس الوصف بزر الجبل الواحد من
الجبال على الحقيقة واذا كان على هذا تاويل الخبر زال عنه المناقضة
التي ظنت وبطلت شبهة الخوارج في ان القطع يجب في القليل والكثير
اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني ابو عبد الله الحكيمي قال حدثني
يموت بن المزرع قال حدثني ابو وهب علي بن ثابت قال قال
الاصمعي تعرفت في الاسباب على باب الرشيد مؤملا للظفر والوصول
اليه حتى اني صرت لبعض حرسه خدنا فاني في ليلة قد نثرت السماء
التوفيق فيها الارق بين اجفان الرشيد اذ خرج خادم فقال اما يحضره
رجل يحسن شعرا فقلت الله اكبر رب قيد مضيقة قد حلها التيسير فقال
لي الخادم ادخل فلعلها ان تكون ليلة تعرس في صباحها بالغنا ان
فزت بالحظوة عند امير المؤمنين فدخلت فواجهت الرشيد في مجلسه
والفضل بن يحيى الى جانبه فوقف بي الخادم بحيث يسمع تسليمي فسلمت
فرد علي ثم قال يا غلام ارحه قليلا ليفرخ روعه ان كان قد وجد
للروعة حسا فدنوت قليلا ثم قلت يا امير المؤمنين اضاءة مجدك
وبهاء كرمك مجيران لمن نظر اليك من اعتراض اذية وقال ادن
فدنوت فقال أشاعر ام راوية فقلت راوية لكل جد وهزل
بعد ان يكون محسنا فقال تالله ما رايت ادعاء اعظم واعم فقلت انا
على الميدان فاطلق من عناني يا امير المؤمنين فقال قد انصف القارة
من راماها ثم قال ما معنى هذه الكلمة بديا قال قلت فيها قولان
القارة هي الحرة من الارض وزعمت الرواة ان القارة كانت رماة
للتبابعة والملك اذ ذاك ابو حسان فواقف عسكره عسكر السغد فخرج
فارس من السغد قد وضع سهمه في كبد قوسه وقال اين رماة العرب
فقالت العرب قد انصف القارة من راماها فقال لي الرشيد

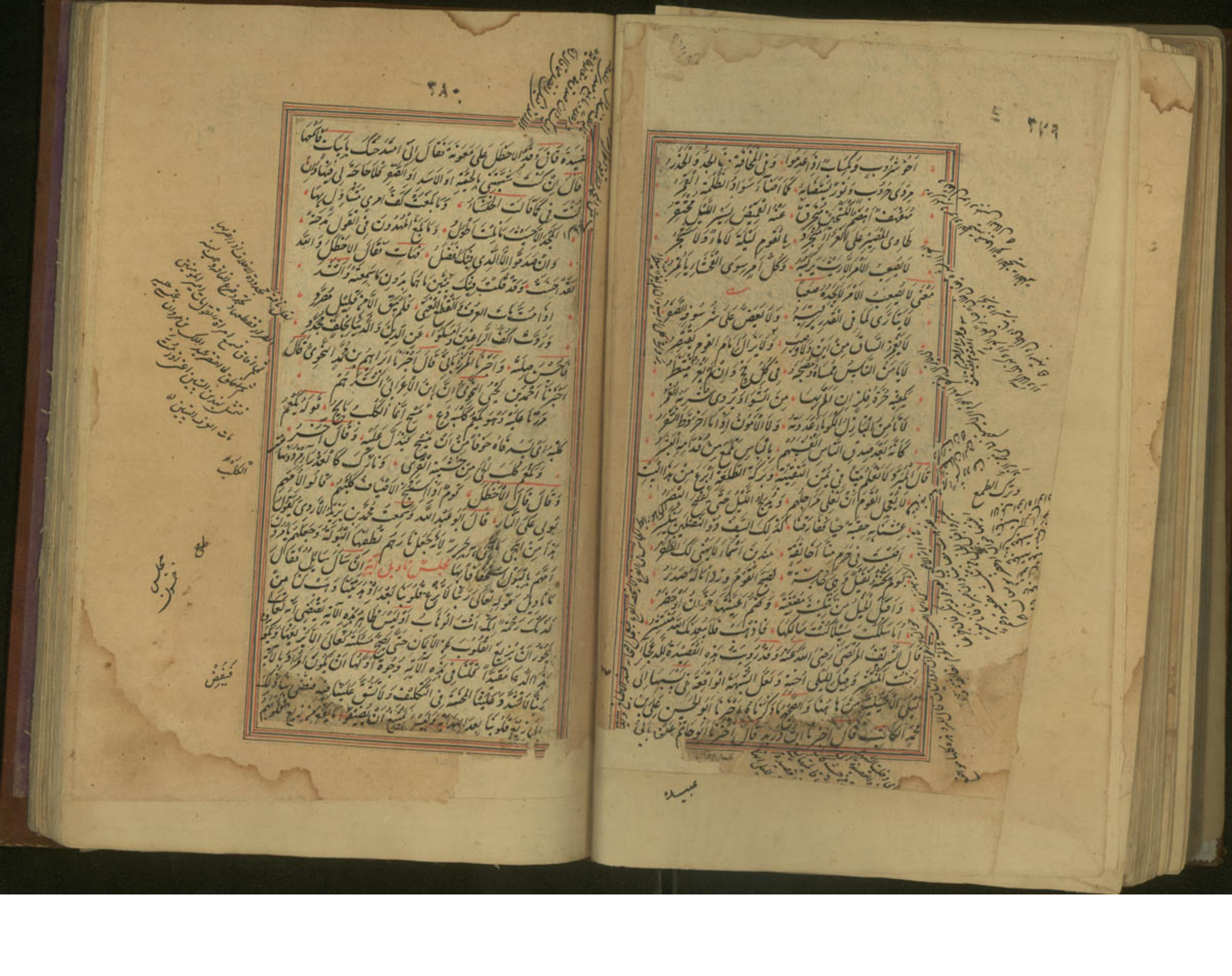
اصبت

اصبت ثم قال اتروي لرؤبة بن العجاج والعجاج شيئا فقلت هما
شاهدان لك بالقوافي وان غيبا عن بصرك بالاشخاص فاخرج من
كمه رقعة ثم قال انشدني * ارقني طارق هم ارقا * فمضيت
فيها مضي الجواد في سنن ميدانه تهدر بها اشداقي فلما صرت الى
مدحه لبني امية ثنيت لساني الى امتداحه للمنصور في قوله قلت لزير
لم تصله مريمه فلما راى اني قد عدلت من ارجوزته الى غيرها قال لي اعن
حيرة ام عن عمد قلت عن عمد تركت كذبه الى صدقه فيما وصف به المنصور
من مجده فقال الفضل احسنت بارك الله عليك مثلك يؤهل لمثل
هذا المجلس فلما اتيت الى اخرها قال لي الرشيد اتروي كلمة عدي
بن الرقاع * عرف الديار توهما فاعتادها * قلت نعم قال هات فمضيت
فيها حتى صرت الى وصف الجمل قال لي الفضل ناشدتك الله ان
تقطع علينا ما امتعتنا به السهر من ليلتنا هذه بصفة جمل اجرب فقال له
الرشيد اسكت فالابل هي التي اخرجتك من دارك واستلبت تاج
ملكك ثم ماتت وعملت جلودها سياطا ضربت بها انت وقومك
فقال الفضل لقد عوقبت على غير ذنب والحمد لله فقال الرشيد اخطات
الحمد لله على النعم ولو قلت استغفر الله كنت مصيبا ثم قال لي امض
الى اخرك فانشدته حتى بلغت قوله * تزجي اغن كان ابرة روقه *
قلم اصاب من الدواة مدادها * استوى جالسا ثم قال اتحفظ في هذا
ذكرا قلت نعم ذكرت الرواة ان الفرزدق قال كنت في المجلس و
جرير الى جانبي فلما ابتدا عدي في قصيدته قلت لجرير مسرا اليه تسخر
من هذا الشامي فلما ذقنا كلامه يئسنا منه فلما قال تزجي اغن كان
ابرة روقه وعدي كالمستريح فقال جرير اما تراه يستلب بها مثلا
فقال الفرزدق يا لكع انه يقول قلم اصاب من الدواة مدادها فقال











بمنزلة تشديده تعالى المحنة عليهم الا كما قال تعالى في السورة
الى رجسهم وكما قال تعالى مخبراً عن نوح عليه السلم فلم يزدهم دعائي الا
فراراً • فان قيل كيف يشدد عليهم المحنة قلنا بان يقوي شهواتهم لما
قبحه في عقولهم ونفورهم عن الواجب عليهم فيكون التكليف عليهم بذلك
شاقاً والثواب المستحق عليه عظيماً متضاعفاً واما يحسن ان يجعل شاقاً
تعريضاً لهذه المنزلة • وثانيها ان يكون ذلك دعاء بالتثبيت لهم على
الهداية وامدادهم بالالطاف التي معها يستمرون على الايمان • فان قيل
كيف يكون مزيغاً لقلوبهم بان لا يفعل اللطف • قلنا من حيث
كان المعلوم انه متى قطع امدادهم بالطافه وتوفيقاته زاغوا وانصرفوا
عن الايمان • ويجري مجرى قولهم • اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا معناه
لا تخل بيننا وبين من لا يرحمنا فيتسلط علينا • ومثله قول الشاعر •

اتاني ورحلي بالمدينة وقعة • لآل تميم اقعدت كل قائم •

اراد قعدتها كل قائم فكانهم قالوا لا تخل بيننا وبين نفوسنا وتمنعنا
الطافك فنزيغ ونضل • وثالثها ما اجاب به ابو علي الجبائي لانه قال
المراد بالآية ربنا لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك ومعنى هذا ان
انهم سألوا الله تعالى ان يلطف لهم في فعل الايمان حتى يقيموا عليه ولا
يتركوه في مستقبل عمرهم فيستحقوا بترك الايمان ان تزيغ قلوبهم عن
الثواب وان يفعل تعالى بهم بدلاً منه العقاب • قال فان قال
قائل فما هذا الذي في قلوب المؤمنين حتى زعمتم انهم سألوا الله تعالى
ان لا يزيغ قلوبهم عنه • واجاب بان الثواب الذي في قلوب
المؤمنين ما ذكره الله تعالى من الفرح والسعة بقوله تعالى فمن يرد
الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وقوله تعالى لرسوله عليه السلم ألم
نشرح لك صدرك وذكر ان ضد هذا الشرح هو الضيق والحرج اللذان

يفعلان

يفعلان بالكفار عقوبة قال ومن ذلك ايضاً التطهير الذي يفعله في
قلوب المؤمنين وهو الذي منعه الكافرين فقال تعالى اولئك الذين
لم يرد الله ان يطهر قلوبهم قال ومن ذلك ايضاً كتابة الايمان وضده
هذه الكتابة هي سمات الكفر التي في قلوب الكافرين فكأنهم سألوا الله
تعالى ان لا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب الى ضده من العقاب •
ورابعها ان تكون الآية محمولة على الدعاء بان لا تزيغ القلوب
عن اليقين والايمان ولا يقتضي ذلك انه تعالى سئل ما كان لا يجب
ان يفعل وما لولا المسألة لجاز فعله لانه غير ممتنع ان ندعوه على سبيل
الانقطاع اليه والافتقار الى ما عنده بان يفعل تعالى ما نعلم انه لا بد من
ان يفعله وبان لا يفعل ما نعلم انه واجب ان لا يفعله تعالى اذا تعلق
بذلك ضرب من المصلحة كما قال تعالى حاكياً عن ابراهيم ولا تخزني
يوم يبعثون وكما قال تعالى في تعليمنا ما ندعوه به قل رب احكم بالحق
وكقوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به على احد الاجوبة وكل ما ذكرناه
واضح بين بحمد الله ومنه • قال الشريف المرتضى رضي الله عنه واني
لاستحسن قول الراعي في وصف الاثافي والرماد ولقد طبق وصفه المفصل
مع جزالة الكلام وقوته واستوائه واطراده •

واورق من عهد ابن عفان حوله • حواضن الاف على غير مشرب •
وراد الاعالي اخلفت بحورها • على راشح ذي شامة متقوب •
كان بقايا لونه في متونها • بقايا هباء في قلايص تجرب •

الاورق الرماد وجعل الاثافي له كالحواضن لاحتضانهن له واستدارتها
حوله واراد بوراد الاعالي اراد الوانها تضرب الى الحمرة وخص الاعالي
كانها مواقع القدر فلا تكاد تسود • والراشح هو الراضع وانما شبه الرماد
بينهن بفصيل بين القلائص والمتقوب الذي قد انحسر اعلاه • وشبه





النقض السوار فماخوذ من قول الشاعر • نؤي كما نقض الهلال محاقه
او مثل ما قصم السوار المعصم • وقد شبه الناس النؤي بالسوار والخلخال
وبغير ذلك قال كثير • عرفت لسعدى بعد عشرين حجة
• بها درس نؤي في المحلة مجثم • لديم كوقف العاج ثبت حوله
• مغارز اوتاد ورضم مرضم • الوقف السوار من الذبل ومن العاج
والرضم صخور عظام والمرضوم الذي بعضه فوق بعض • وقال بشار
ونؤي كخلخال الفتاة وصايم اشج على ريب الزمان رقوب • الصايم
الاشج يعني الوتد دايما وصفه بانه صايم لقيامه وثباته وجعله رقوبا لانه
والمراة الرقوب والشيخ الرقوب الذي لا يعيش له ولد • ومن احسن
ما وصف به النؤي قول ابي تمام • والنؤي اهمد شطره فكانما
تحت الحوادث حاجب مقرون • وقال المتنبي في ذلك
قف على الدمنتين بالدو من ريا • كخال في وجنة جنب خال
بطلول كانهن نجوم • في عراص كانهن ليال
ونؤي كانهن عليهن خدام • خرس بسوق خدال
الخدام جمع خدمة وهي الخلخال وجعلها خرسا لانها غير قلقة وشبه ما
احدق به النؤي من الارض وامتلاها بامتلاء الخلخال من الساق الخدلة
وهي الممتلية • مجلس آخر تاويل آية • ان سال سايل عن قول الله تعالى
ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان
اكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول
انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء
فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر
تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا

ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الان
جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون • فقال ما تاويل هذه الايات
وهل البقرة التي نعتت بهذه النعوت هي البقرة المرادة باللفظ الاول
والتكليف واحد او المراد مختلف والتكليف متغاير • قلنا اهل العلم
في تاويل هذه الاية مختلفون بحسب اختلاف اصولهم • فمن جوز تاخير البيان
عن وقت الخطاب • يذهب الى ان التكليف واحد وان الاوصاف
المتاخرة هي البقرة المتقدمة • وانما تاخر البيان • ولما سال القوم
عن الصفات ورد البيان شيا بعد شي • ومن لم يجوز تاخير البيان
يقول ان التكليف متغاير • انهم لما قيل لهم اذبحوا بقرة لم يكن المراد
منهم الا ذبح اي بقرة شاوا من غير تعيين بصفة • ولو انهم ذبحوا اي
بقرة اتفقت كانوا قد امتثلوا الامر فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة لا فارض
ولا بكر • فلما ذبحوا ما اختص بالصفات الاخيرة • ثم اختلف هولاء من
وجه اخر فمنهم من قال في التكليف الاخير انما يجب ان يكون مستوفيا
لكل صفة تقدمت حتى تكون البقرة مع انها غير ذلول تثير الارض ولا
تسقي الحرث مسلمة لا شية صفراء فاقعا لونها لا فارضا ولا بكرا • ومنهم
من قال انما يجب ان تكون بالصفة الاخيرة فقط دون ما تقدم • وظاهر
الكتاب بالقول الاول اشبه وهو المبني على جواز تاخير البيان وكذلك
انه تعالى لما كلفهم ذبح بقرة قالوا للرسول عليه السلم ادع لنا ربك يبين
لنا ما هي فلا يخلو امر لهم ما هي من ان تكون كناية عن البقرة المتقدم ذكرها
او عن التي امروا بها ثانيا على قول من يرى ذلك • وليس يجوز ان
يكونوا سالوا عن صفة غير التي تقدم ذكرها لان الظاهر من قولهم ما هي
بعد قوله لهم اذبحوا بقرة يقتضي ان يكون السوال عن صفة البقرة المامور
بذبحها ولانه لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة اخرى فيسالوا عنها واذا

مع ان السؤال انما كان عن صفة البقرة المنكرة التي امروا في الابتداء
بذبحها فليس يخلو انها بقرة لا فارض ولا بكر من ان يكون كناية
عن البقرة الاولى او عن غيرها وليس يجوز ان يكون ذلك كناية
عن بقرة ثانية لان ظاهر قوله تعالى انها بقرة صفراء من صفتها كذا
بعد قولهم ما هي يقتضي ان يكون كناية متعلقة بما تضمنه سؤالهم وان
الامر لو لم يكن على ما ذكرناه لم يكن ذلك جوابا لهم بل كان يجب
ان يكونوا سألوه عن شيء فاجابهم عن غيره وهذا لا يليق بالنبي
عليه السلم على انه تعالى لما اراد ان يكلفهم تكليفا ثانيا عند توقفهم
في الاول على ما يدعيه من يذهب الى هذا المذهب قد كان
يجب ان يجيبهم عن سؤالهم وينكر عليهم الاستفهام عنه فيقول في
جواب قولهم ما هي انما كلفتم اي بقرة كانت شئتم وما يصح اسم بقرة وقد
فرطتم في ترك الامتثال واخطأتم في الاستفهام مع وضوح الكلام
الا انكم اذ قد كلفتم ثانيا بكذا وكذا لان هذا مما يجب عليه بيانه لازالة
الشك والابهام فلما لم يفعل ذلك واجاب بالجواب الذي
ظاهره يقتضي التعلق بالسؤال علمنا ان الامر على ما ذكرناه وهب
انه لم يفعل ذلك في اول سؤال كيف لم يفعله مع تكرار الاسولة واستفهاماتهم
التي لم تقع على هذا المذهب موقعها ومع تكرار المعصية والتفريط
كيف يحسن ان يكون جميع اجوبته غير متعلقة باسولتهم لانهم يسألون عن
صفة شيء فيجيبهم بصفة غيره من غير بيان بل على الوجوه الموهمة
لتعلق الجواب بالسؤال لان قول القائل في جواب ما سأله ما كذا
وكذا انه بالصفة الفلانية صريح في انها كناية عما وقع السؤال
عنه ومنها قولهم ان البقر تشابه علينا لانهم لم يقولوا ذلك الا وقد
اعتقدوا ان خطابهم مجمل غير مبين فلم لم يقل لهم اي تشابه عليكم وانما

قوله

والتلبيس

امرتم في الابتداء باي بقرة كانت وفي الثاني بما اخص باللون
المخصوص من اي البقر كان فان قيل كيف يجوز ان يامرهم بذبح
بقرة لها جميع الصفات المذكورة الى اخر الكلام ولا يبين لهم وهل هذا الا
تكليف ما لا يطاق قلنا لم يرد منهم ان يذبحوا البقرة في الثاني من حال
الخطاب ولو كانت حال الفعل حاضرة لما جاز ان يتأخر البيان عن
وقت الخطاب لان تأخيره عن وقت الحاجة هو القبيح الذي لا شبهة
في قبحه وانما اراد ان يذبحوها في المستقبل فلو لم يستفهموا او يطلبوا البيان
لكان قد ورد عليهم عند الحاجة فان قيل اذا كان الخطاب غير متضمن
لصفة ما امروا ابتداء فوجوده كعدمه وهذا يخرجه من باب الفائدة و
يوجب كونه عبثا قلنا ليس يجب ما ظننتم لان القول وان كان لم
يفد صفة البقرة بعينها فقد افاد التكليف ذبح بقرة على سبيل الجملة ولم
يكن ذلك معلوما قبل هذا الخطاب فصار مفيدا من حيث ما ذكرنا
وخرج من ان يكون وجوده كعدمه وفوائد ذلك الكلام لا يجب ان
يحصلها الا قرائح وليس يخرج الخطاب من تعلقه ببعض الفوائد كونه
يتعلق بغيرها وبما هو زيادة عليها فان قيل ظاهر قوله تعالى
فذبحوها وما كادوا يفعلون يدل على استبطائهم وذمهم على التفريط في
امتثال الامر قلنا ليس ذلك صريح ذم لان كادوا للمقاربة وقد يجوز
ان يكون التكليف صعب عليهم لغلاء ثمن البقرة التي تكامل لها
تلك الصفة فقد روي انهم اشتروها بملء جلدها ذهبا على ان الذم
يقتضي ظاهره ان يصرف الى تقصيرهم او تأخيرهم امتثال الامر بعد البيان
التام لان قوله تعالى وما كادوا يفعلون انما ورد بعد تقديم البيان التام
المتكرر ولا يقتضي ذمهم على ترك المبادرة في الاول الى ذبح البقرة
فليس فيه دلالة على ما يخالف ما ذكرناه فان قيل لو كانت تقريرا



ان التكليف في البقرة متغاير اي الذي كلفتموها على هرج الكذب
اصح واشبه فاما قول من ذهب الى ان البقرة انما يجب ان تكون
بالصفة الاخيرة فقط لان الظاهر به اشبه من حيث انه اذا ثبت
تغاير التكليف وليس في قوله انها بقرة لا ذلول تثير الارض الى
اخر الاوصاف ذكر لما تقدم من الصفات وبها التكليف غير الاول
فالواجب اعتبار ما تضمنه لفظه والاقتصار عليه فاما الفارض فهي
المسنة وقيل هي العظيمة فيقال غرب فارض اي ضخم والغرب
الدلو ويقال لحية فارضة اذا كانت عظيمة والاشبه بالكلام
ان يكون المراد المسنة فاما البكر فهي الصغيرة التي لم تلد وكانه تعالى
قال تكون غير مسنة ولا صغيرة والعوان دون المسنة وفوق
الصغيرة وهي النصف التي قد ولدت بطنا او بطنين ويقال
حرب عوان اذا لم تكن اول حرب وكانت ثانية وانما جاز
ان يقول بين ذلك وبين لا يكون الا من اثنين او اكثر لان
لفظة ذلك ينوب عن الجمل يقول ظننت زيدا قائما فيقول
القائل قد ظننت ذلك ومعنى فاقع لونها اي خالص الصفرة
وقيل ان كل ناصع اللون بياضا كان او غيره فهو فاقع وقيل
انه اراد بصفراء انها سوداء ومعنى قوله لا ذلول تثير الارض
اي تكون صعبة لم يذللها العمل في اثارة الارض وسقي الحرث
ومعنى مسلمة مفعلة من السلامة من العيوب وقال قوم
مسلمة من الشية اي لا شية فيها تخالف وقيل لا لون يخالف لون
جلدها والله اعلم بمراده واياه نسال حسن التوفيق قال الشريف
المرتضى رضي الله عنه كنت اظن ان المتنبي سبق الى معنى قوله في
مرثية لاخت سيف الدولة [illegible] طوى الجزيرة حتى جاءني خبر

٢ العظيمة

٢ البقرة

فزعت فيه بآمالي الى الكذب · حتى اذا لم يدع لي صدقه املا
شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي · حتى رأيت هذا المعنى لمسلم بن
الوليد الانصاري وللبحتري اما الذي لمسلم فقوله من قصيدة يرثي بها [illegible] بن
الصباح · وقف العفاة عليك من متحير · لا راجيا [illegible] ترجع
ومخادع السمع النعي وودّه · خطئ [illegible] الصادق المتخدع
وقال البحتري يرثي وصيفا التركي · اذا اجتدوا ناعيه توهمت انه
يكرر من اخباره قول مازح · وكنت اظن ان المتنبي سبق الى قوله
يحل القنا يوم الطعان بعقوتي · فاحرمه عرضي واطعمه جلدي
حتى رأيت هذا المعنى واللفظ بعينه لجهم بن شبل الكلابي من اهل اليمامة
في قوله · نمى قومه عن جدر جان وقد حنا · الى الموت داعي الصحبتين كليهم
اخو الحرب اما جلده فمجرح · كليم واما عرضه فسليم
وكنت اظن ان البحتري قد سبق الى معنى قوله في الفتح بن خاقان
حلفت عليه السيف لا عزمك انثنى · ولا يدك ارتدت ولا حده نبا
حتى وجدت لشاعر متقدم · تمنى ابن ذهمان بحران طعنة
كففت بها عنه مضاعفة الزرد · فلا الكف اوهت يومئذ ولا الرمح خانها
ولا الا وهم المنعوت جار عن القصد · قال محمد بن يحيى الصولي ووصف
الناس صفرة اللون في التعلل فكل حكى ذلك بلا فضيلة الا البحتري قال
اعرابي من ابيات · جعلت وما عابت عطرا كانما · جرى بين جلدي
والعظام خلوق · وقال ابو تمام · لم تشن وجهه المليح ولكن
جعلت ورد وجنته بهارا · وقال عنترة · [illegible]
نزلت النفاح بالياسمين · وقال بكر بن [illegible]
علة زعفرت مورد خديه [illegible]
وقالوا [illegible]

فقلت لهم هيهات ما بك روضة * مضى وردها عنها وجاء بهارها * ولابي
العتاهية * وكأنني مما تطاول بي بك * السقام طليت بالورس * وقال
البحتري * وصفرت علته وجهه تصفارا كالدينار من حمى * وقال البحتري
بهت صفرة في لونه ان حمدهم * من الدر ما اصفرت نواحيه في العقد
هجرت علي الا تري لجنب كفه * كذلك موج البحر ملتهب الوقد
وما الكلف محو ما ان طال عمره * الا انما الحمى على الحر الورد
قال الشريف المرتضى رضي الله عنه اما تشبيهه صفرة اللون بصفرة الدر
فهو تشبيه مليح موافق لغرضه الا انه اخطأ في قوله ان حمدهم من الدر
ما اصفرت نواحيه في العقد لان ذلك ليس بمحمود بل مذموم ولو سكت
وترك التعليل لكان اجود * وروى ابو العباس احمد بن فارس المنبجي
قال حدثني ابو احمد عبيد الله بن يحيى البحتري قال حدثني ابي قال حدثني
جدي البحتري قال كنت عند ابي العباس المبرد يوما فتذاكرنا شعر عمارة
بن عقيل فقال اني لعد احسن عمارة بن عقيل في قوله لخالد بن يزيد
لما وجه اليه بهذين البيتين * لم استطع سير المدحة خالد
فجعلت محمدة البنين رسولا * فليس خلق الى ما وبل حالة
وليكفين رواحلي الترحيلا * قال البحتري فقلت لمروان بن ابي حفصة
في عبد الله بن طاهر وقد اتاه نائله من الجزيرة ما هو احسن من هذا
وانشدته * لكي لنعم الغيث غيث اصابنا * بعيد اذ من ارض الجزيرة وابله
فكنا كمن صح الغيث اهله * ولم يرحل انعامه ورواحله * فقال نعم هذا
احسن فقلت ان لي في بني السمط وقد اتاني برهم من حمص ما لا يقصر
عن الجميع والشعر * جزى الله خيرا والجزاء بكفه * بني السمط اهل ال
السماحة والمجد * هم وصلوني والمهامه بيننا * كما ارفض غيث من سحائبه في نجد
فقال هذا والله ادق مما قاله واحسن * وروى احمد بن فارس المنبجي

عن عبيد الله بن يحيى البحتري قال حدثني ابي عن جماعة من اهل العلم والادب
منهم يموت ابن المزرع قال قلت لابي عثمان الجاحظ من اشعر العرب
فقال الذي يقول * تجلت الى فضل الخمار فاثرت * عذوبته مواضع
التقبيل * قال وهو البحتري في القصيدة التي اولها *
هب الخاطب متجات طلول * قال الشريف المرتضى رضي الله عنه
وفي اول هذه القصيدة بيت ليس بقصر في الملاحة والرشاقة وخفة
بمجامع القلوب عن البيت الذي فضله به الجاحظ *
احبك عندك والصبا لي نافع * وازدد ونك والشباب رسولي
وفي مديح هذه القصيدة بيت موقوف بالحسن وهو *
لا تطلبن له الشبيه فانه * قمر الكمال وغرة التماثيل
وبهذا الاسناد عن يحيى بن البحتري قال انصرفت يوما من مجلس ابي
العباس محمد بن يزيد المبرد فقال لي ابي البحتري ما الذي افدت يومك
من ابي العباس فقلت املى علي اخبارا احسنه وانشدني ابياتا
للحسين بن الضحاك فقال اي انشدني الابيات فانشدته *
كأني اذا فارقت شخصك ساعة * لفقدك بين العالمين غريب
وقد زمت اسباب السلو فخانني * ضمير عليه من هواك رقيب
اعوك صفحي عن ذنوب كثيرة * وعضي على اشياء منك تريب
كأن لم يكن في الناس قبلي متيم * ولم يك في الدنيا سواك حبيب
الى الله اشكو ان شكوت فلم تكن * لشكواي من عطف الحبيب نصيب
فقال يا بني هذا الكلام ثم انشدني لنفسه *
حبيبي حبيب تكتم الناس انه * لنا حين تلقاني العيون حبيب
يباعدني في الملتقى وفؤاده * وان هو ابدى لي البعاد قريب
ويعرض عني والهوى منه مقبل * اذا خاف عينا او اشار رقيب





الموضع لاقتضاء الكلام ودلالته عليه. وذكر ايضا وجها آخر وهو ان يكون المعنى انى اريد ان لا تبوء باثمى واثمك اى اريد ان لا تقتلنى ولا اقتلك فحذف لا، واكتفى بما فى الكلام كما قال الله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا معناه لئلا تضلوا، وكقوله تعالى والقى فى الارض رواسى ان تميد بكم معناه ان لا تميد بكم، وكقول الخنساء:

فاقسمت آسى على هالك . واسأل نائحة ما لها

ارادت لا آسى. وقال امرؤ القيس:

فقالت يمين الله ابرح قاعدا . ولو قطعوا راسى لديك واوصالى

اراد لا ابرح. وقال عمرو بن كلثوم:

نزلتم منزل الاضياف منا . فعجلنا القرى ان تشتمونا

اراد ان لا تشتمونا. والشواهد فى هذا كثيرة جدا. وهذا الجواب يضعفه كثير من اهل العربية لانهم لا يستحسنون اضمار لا فى مثل هذا الموضع. فاما قوله حاكيا عنه لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك. فقال قوم من المفسرين ان القتال على سبيل الانتصار والمدافعة لم يكن مباحا فى ذلك الوقت وان الله تعالى امره بالصبر عليه والمحنة بذلك ليكون هو المتولى للانتصاف. وقال آخرون بل المعنى انك ان بسطت الى يدك مبتدئا ظالما لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك على وجه الظلم والابتداء فكانه نفى عن نفسه القتل القبيح وهو الواقع على سبيل الظلم والظاهر من الكلام يعبر ما ذكر من الوجه الاخير لانه تعالى خبر عنه انه وان بسط اليه اخوه يده ليقتله لا يبسط يده ليقتله اى وهو مريد لقتله وتحرّيه لان هذه اللام تنبئ كى وهى منبئة عن الارادة والغرض. ولا شبهة فى حظر ذلك كان فى حكم المبتدئ بالقتل لانه فاعل لقبيح والعقل شاهد بوجوب التخلص من المضرة باى وجه تمكن منه [illegible] ان يكون بالقتل لانه غير قبيح. فان قيل فكانكم تمنعون من حسن امتحان الله تعالى بالصبر على ترك الانتصار والمدافعة

ووجوبهما على كل حال. قلنا لا نمنع من ذلك وانما بينا ان الآية غير مقتضية لتحريم المدافعة والانتصار على ما ذهب اليه قوم لان قوله لا اقتلك يقتضى ان يكون انبساط لهذا الغرض والمدافعة لا يقتضى ذلك ولا يحسن من المدافع ان يجرى بها الى الضرر، ولا دلالة فى الآية على تحريم المدافعة فوجب ان يكون ما ذكرناه اولى لشهادة الظاهر.

تاويل خبر

ان سأل سائل عن معنى الخبر الذى رواه ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله قال لا يموت لمؤمن ثلثة من الاولاد فتمسه النار الا تحلة القسم. الجواب قلنا اما ابو عبيد القسم بن سلام فانه قال يعنى بتحلة القسم قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فكانه عليه السلم قال لا يرد النار الا بقدر ما يبر الله قسمه. فاما ابن قتيبة فانه قال فى تاويل ابى عبيدة هذا مذهب حسن من الاستخراج ان كان هذا اراد. قال وفيه مذهب آخر اشبه بكلام العرب ومعانيهم وهو ان العرب اذا ارادوا تقليل مكث الشئ او تقصير مدته شبهوه بتحليل القسم وذلك ان يقول الرجل بعد حلفه ان شاء الله فيقولون ما يقيم فلان عندنا الا تحلة القسم وما ينام العليل الا كتحليل الالية وهو كثير مشهور. وقال مزاحم بن [illegible] وذكر الريح:

اذا عصفت رسما فليس بدائم . به وتد الا تحلة مقسم

يقول لا يثبت الوتد الا قليلا كتحلة القسم لان هبوب الريح يقلعه. وقال الآخر يذكر ثورا:

يحفى التراب باظلاف ثمانية . فى اربع مسهن الارض تحليل

يقول هو سريع خفيف فقوائمه لا يثبت فى الارض الا كتحليل اليمين. وقال ذو الرمة:

طوى طية فوق الكرى جفن عينه . على رهبات من جنان المحاذر

قليلا كتحليل الالى ثم قلصت . به شيمة روعاء تقليص طائر

الالى جمع الية وهى اليمين. ومعنى الخبر على هذا التاويل ان النار لا تمسه الا





واتى الفقهاء او المحدثين ولم يريد واحدا بل كانهم قالوا هذان الرجلان
اهل للمجالسة وهذان القبيلان من العلماء اهل لذلك فان جالست
الحسن فانت مصيب وان جالست ابن سيرين فانت مصيب وان
جمعت بينهما فكذلك فيكون معنى الاية على هذا ان قلوب هولاء
قاسية متجافية عن الخير والرشد فان شبهتم قسوتها بالحجارة اصبتم
وان شبهتموها بما هو اشد اصبتم وان شبهتموها بالجميع فكذلك وعلى هذا
يتاول قوله تعالى او كصيب من السماء لان او لم يرد بها الشك بل على
النحو الذي ذكرناه من انكم ان شبهتموهم بالذي استوقد نارا فجائز وان
شبهتموهم باصحاب الصيب فجائز وان شبهتموهم بالجميع فكذلك ومنها
ان يكون او دخلت للتفصيل والتميز ويكون معنى الاية ان قلوبهم قست
فبعضها ما هو كالحجارة في القسوة وبعضها ما هو اشد قسوة منها ويجري
ذلك مجرى قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا ومعناه وقال
بعضهم كونوا هودا وهم اليهود وقال بعضهم كونوا نصارى وهم النصارى
فدخلت او للتفصيل وكذلك قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها
باسنا بياتا او هم قائلون معناه فجاء بعض اهلها باسنا بياتا وجاء
بعض اهلها باسنا في وقت القيلولة وقد يحتمل قوله تعالى او كصيب
من السماء هذا الوجه ايضا ويكون المعنى بعضهم يشبه الذي استوقد نارا
وبعضهم يشبه اصحاب الصيب ومنها ان يكون او دخلت على سبيل
الابهام فيما يرجع الى المخاطب وان كان الله تعالى عالما بذلك غير
شاك فيه لانه تعالى لم يقصد في اخباره عن ذلك الى التفصيل بل
علم تعالى ان خطابهم بالاجمال ابلغ في مصلحتهم فاخبر ان قسوة قلوب
هولاء الذين ذمهم كالحجارة او اشد قسوة والمعنى انها في احد هذين لا تخرج عنهما
ويجري ذلك مجرى قولهم ما اطعمتك الا حلوا او حامضا فيبهمون على

المخاطب

القيلولة

المخاطب ما يعلمون انه لا فائدة في تفصيله والمعنى انى ما اطعمتك الا احد
هذين الضربين وكذلك يقول احدهم اكلت بسرة او تمرا وهو قد علم
ما اكل بالتفصيل الا انه ابهم على المخاطب قال لبيد
تمنى ابنتاي ان يعيش ابوهما وهل انا الا من ربيعة او مضر
اراد وهل انا الا من هذين القبيلين فسبيلي ان افنى كما فنيا وليس
ذلك لان قصده الذي اجرى اليه وغرضه الذي نحاه هو ان يخبر
بكونه ممن يموت ويفنى ولا يخل به اجمال ما اجمل من كلامه فاضرب
عن التفصيل لانه لا فائدة فيه ولانه سواء كان من ربيعة او مضر فموته
واجب وكذلك الاية لان الغرض فيها ان يخبر تعالى عن شدة
قسوة قلوبهم وانها لا تنثني لوعظ ولا تصغي الى حق فسواء كانت في
القسوة كالحجارة او اشد منها فقد تقدم ما اجرى اليه من الغرض
في وضعها وذمها وصار تفصيل تشبيهها بالحجارة او بما هو اشد منها كتفصيل
كونه من ربيعة او من مضر انه غير محتاج اليه ولا يقتضيه الغرض في
الكلام ومنها ان يكون او بمعنى بل كما قال تعالى وارسلناه الى
مائة الف او يزيدون قال كانوا مائة الف وبضعة وثلاثين
الفا وانشد الفراء بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى
وصورتها او انت في العين املح قال وقد يكون او في الاستفهام
بمعنى بل كقول القائل اضربت عبد الله ام انت رجل متعنت
بل انت وقال الشاعر فوالله ما ادري اسلمى تغولت ام النوم
ام كل الي حبيب معناه بل كل وقد طعن بعضهم على هذا الجواب
فقال كيف يجوز ان يخاطبنا تعالى بلفظ بل وهي تقتضي الاستدراك
والنقض للكلام الماضي والاضراب عنه وليس ذلك بشيء لانا اذا
[illegible] اردنا بها الاستدراك او التذكر لما لم يكن معلوما فليس يصح ان

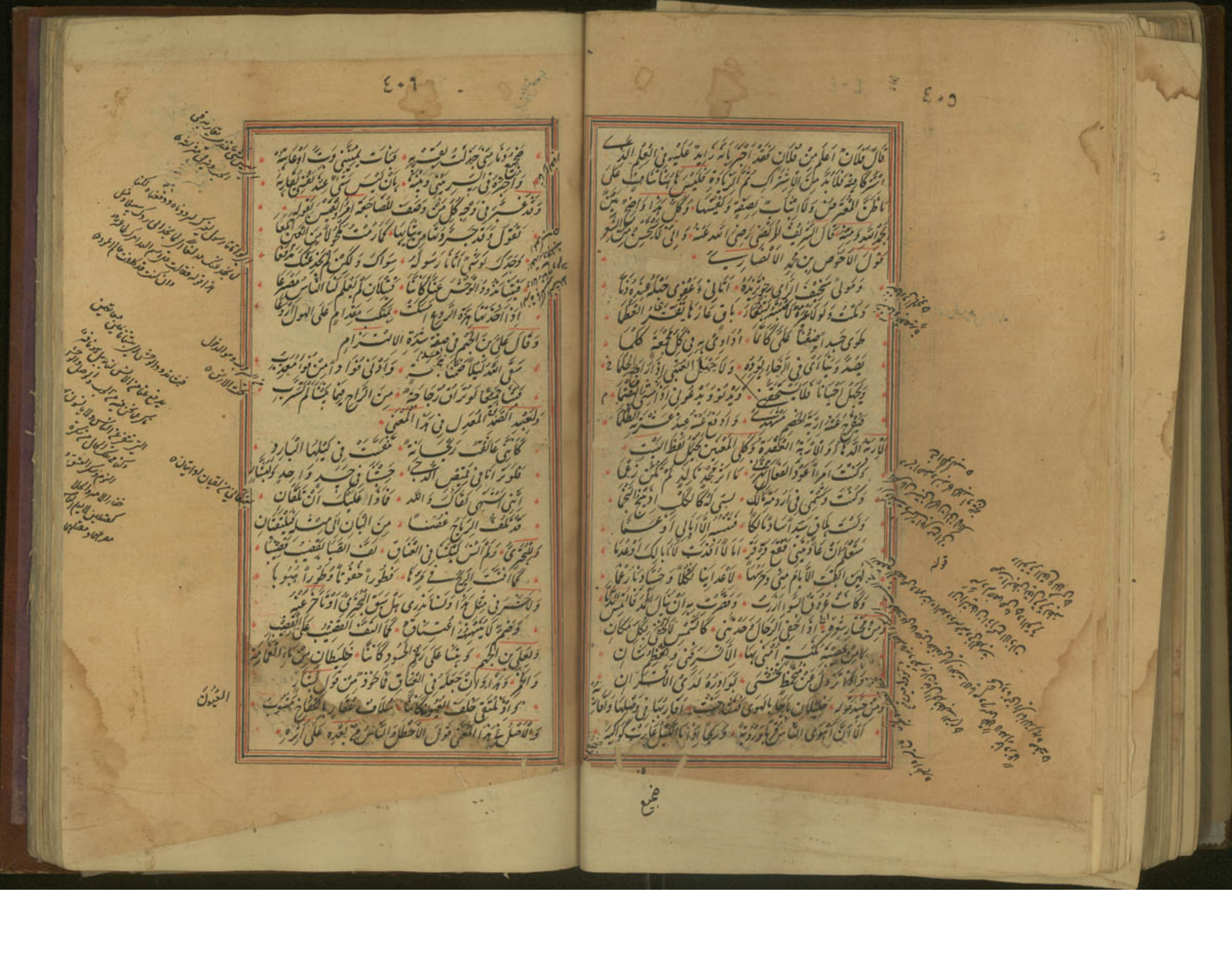
بهذين الحيين

احدها يقول اعطيته القايل الفين وقصدته دفعة بل نعفين وهو عالم بذلك
في ابتداء كلامه بما اخبر به في الثاني ولم يجد له به علم وان اراد به الا
في كلام غير الماضي واستئناف زيادة عليه فهو صحيح ولكنه جاز عليه
تعالى فاما النقض للكلام الماضي فليس بواجب في كل موضع يستعمل
فيه لفظة بل لان القايل اذا قال اعطيته الفا بل الفين لم ينقض الاول
فكيف ينقضه والاول داخل في الثاني وانما زاد عليه وانما يكون
ناقضا للماضي اذا قال لقيت رجلا بل حمارا او اعطيته درهما بل ثوبا
لان الاول لم يدخل في الثاني على وجه وقوله تعالى او اشد قسوة
غير ناقض للاول لانها لا تزيد في القسوة على الحجارة الا بعد ان تساويها
وانما تزيد عليها بعد المساواة ومنها ان يكون او بمعنى الواو كقوله
تعالى ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم معناه وبيوت آبائكم
وقال جرير نال الخلافة او كانت له قدرا كما اتى ربه موسى على قدر
وقال توبة بن الحمير وقد زعمت ليلى باني فاجر لنفسي تقاها او عليها فجورها
وقال جرير اثعلبة الفوارس او رياحا عدلت بهم طهية والخشابا
وقال آخر فلو كان البكاء يرد شيئا بكيت على بجير او عفاق
على المرئين اذ هلكا جميعا لشانهما بشجو واشتياق
اراد على بجير وعفاق وقد حكى المفضل بن سلمة هذا الوجه عن قطرب
وطعن عليه بان قال ليس شيء نعلم اشد قسوة عند المخاطبين من
الحجارة فيلتبس به علينا وانما يحتج عليه في قولهم اكلتك تمرا او احلى
منه لان احلى منه معلوم واختار المفضل الوجه الذي ان او بمعنى بل
فهذا الذي طعن به المفضل ليس بشيء لانهم وان لم يشاهدوا ما هو
ما هو اشد قسوة منها ويعلمون زيادته عليها لان قدرا ما اذا عرف صح
ان يعرف ما هو ازيد منه او انقص لان الزيادة والنقصان انما

يضا فان اي معلوم موقوف على ان الآية خرجت مخرج المثل واراد
تعالى بوصف قلوبهم بالزيادة في القسوة على الحجارة انها انتهت الى
حد لا يلين معه للخير على وجه من الوجوه وان كانت الحجارة ربما لانت
وانتفع بها فصارت من هذا الوجه كانها اشد قسوة منها تمثيلا وتشبيها
وقول المفضل ليس يعرفون ما هو اقسى من الحجارة لا معنى له اذا كان
القول على طريق المثل ثم بعد فان الذي طعن به على هذا الجواب
يعترض على الوجه الذي اختاره لانه اذا اختار ان او في الآية بمعنى بل
فكيف جاز ان يخبر هم بان قلوبهم اشد قسوة من الحجارة وهم لا يعرفون
ما هو اقسى من الحجارة واذا جاز ان يقول لهم بل قلوبهم اقسى مما يعرفون من
من الحجارة جاز ان يخبر عن مثل ذلك بالواو فيقول قلوبهم كالحجارة
التي تعرفون في القسوة وهي مع ذلك تزيد عليها فان قيل كيف
يكون او في الآية بمعنى الواو والواو للجمع وليس يجوز ان يكون قلوبهم
كالحجارة واشد من الحجارة في حال واحد لان الشيء اذا كان على صفة
لم يجب ان يكون على خلافها قلنا قد اجاب بعضهم عن هذا الاعتراض
بان قال ليس يمتنع ان يكون قلوبهم كالحجارة في حال واشد من الحجارة
في حال اخرى فيصح المعنى ولا يتنافى وهذا اقرب ويكون فايدة هذا
الجواب ان قلوب هولاء في بعض الاحوال مع القسوة والعدول
عن الحق والفكرة فيه وربما لانت بعض اللين وهمت بالانعطاف
وكادت تنثني الى الحق فتكون في هذه الحالة كالحجارة التي ربما لانت
وفي حال اخرى تكون في نهاية البعد عن الحق والنفور منه فتكون في
هذه الحال اشد قسوة من الحجارة على انه يمكن في الجواب عن هذا الاعتراض
وجه آخر تقدم معناه في بعض كلامنا وهو ان كلام قلوبهم لا يكون
اشد من الحجارة الا بعد ان يكون فيها قسوة الحجارة لان القايل اذا

فان طعن علي هذا الوجه

في هذا الجواب





من الجازيات الحور مطلب سرها ... كبيض الانوق المستكنة في الوكر
واني واياها اذا ما لقيتها ... لكالماء من صوب الغمامة والخمر
وقد اخذه ايضا ابن عيينة فقال
وذاك اذا زوجتها وزوجته ... مزاجان كالصهباء بالعذب بارد
واخذه العباس بن الاحنف فقال
ما انس لا انس منها ما معطفة ... على فؤادي ويسراها على راسي
وقولها ليتنا كنا على جسدي ... او ليتني كنت سربالا لعباس
او ليته كان لي خمرا وكنت له ... من ماء مزن وكنا الدهر في الكاس
ومثل هذا للبحتري ... وجدت نفسك من نفسي بمنزلة ... هي المصافاة بين الماء والراح
ولقد احسن بشار في قوله ... لقد كان ما بيني زمانا وبينها ... كما كان بين المسك والعنبر الورد
اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني احمد بن محمد المكي قال حدثني ابو العيناء قال حدثنا العتبي عن ابيه قال سير الوليد بن عبد الملك الاحوص الى دهلك فكتب الاحوص الى عمر بن عبد العزيز حين استخلف
وكيف ترى للنوم طعما ولذة ... وخالك امسى موثقا في الحبائل
ومن يك امسى سائلا عن شماتة ... ليشمت بي او شامتا غير سائل
فقد عجمت مني الحوادث ماجدا ... صبورا على عضات تلك البلابل
اذا سر لم يفرح وليس لنكبة ... الم به بالخاشع المتضائل
فبعث عمر بن عبد العزيز الى عراك بن مالك الذي كان شهد عليه وقال ما ترى في هذا البائس فقال [illegible] مكانه خير له فتركه في موضعه فلما ولي يزيد بن عبد الملك حدر الاحوص [illegible] قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وانما كان الاحوص خال عمر بن عبد العزيز من جهة ان ام عمر هي ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وامها انصارية فاما قوله اذا سر لم يفرح [illegible]

مأخوذ من قول [illegible] الاودي ... لا تسرفا ان رخاء العيش ساعده
وليس ان عض مكروه به خشعا ... وللاحوص
ويبطن بكة لا ابوح به ... حورية علقت على قلبي
ما زلت اذكر موكبها ... يوم الكديد يطاعني صحبي
ثلثا لما جئت من نجد ... وركبها جئت من ركب
والشوق اقتله برؤيتها ... فعل الظماء بالبارد العذب
فيا ناس ان حلوا بأجمعهم ... شعب السلام وانت في شعب
لهلكت شوقك دون شعبهم ... ولكان قربك منهم حسبي
[illegible] والشوق اقتله برؤيتها [illegible] جرير
مثلما اشتفى الصديان بالغيث الحصا ... وما الهوى لما احببت مقابله

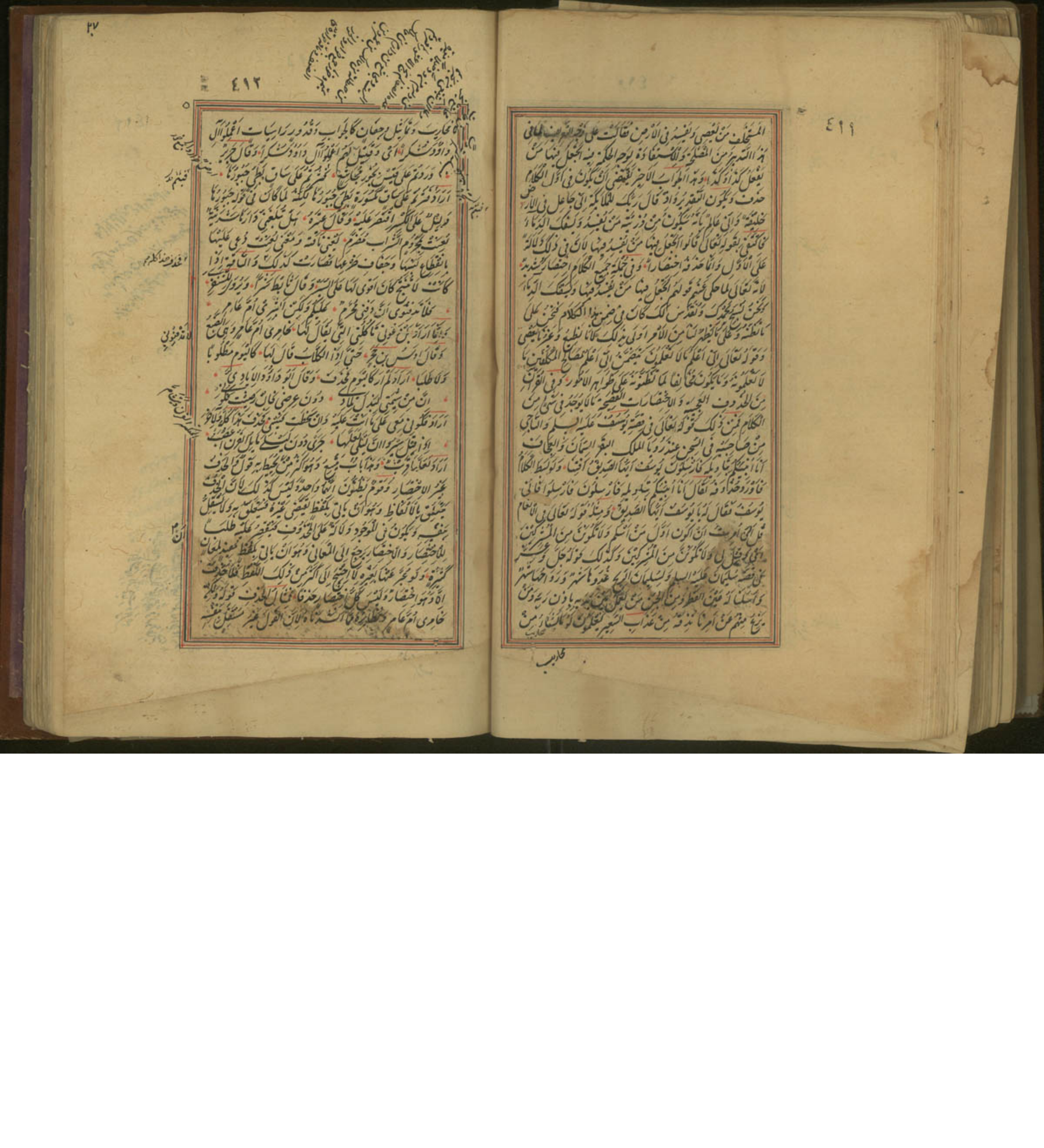
مجلس تاويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فقال كيف يأمرهم تعالى بان يخبروا بما لا يعلمون او ليس ذلك اقبح من تكليف ما لا يطاق الذي تأبونه والذي يجوز تكليفه تعالى مع ارتفاع القدرة لا يجوزه الجواب قد ذكر في هذه الآية وجهان احدهما ان ظاهر الآية وان كان امرا يقتضي التعلق بشرط وهو كونهم صادقين وعالمين بانهم اذا اخبروا عن ذلك صدقوا فكأنه تعالى قال لهم خبروا بذلك ان علمتموه ومتى رجعوا الى نفوسهم فلم يعلموا فلا تكليف عليهم وهذا بمنزلة ان يقول القائل لغيره خبرني بكذا وكذا ان كنت تعلمه وان كنت تعلم انك صادق فيما تخبر به فان قيل او ليس قد قال المفسرون في قوله ان كنتم صادقين ان المراد ان كنتم تعلمون بالعلة التي جعلت من اجلها في الارض خليفة وان كنتم صادقين في اعتقادكم انكم تقومون بما يقوم به الخليفة او تضطلعون به [illegible]



وقلنا قد قيل ايضا ما ذكرناه فاذا كان القول محتملا للامرين جاز
ان يبين الكلام على كل واحد منهما وهذا الجواب لايتم لمن يذهب
الى ان الله لايصح ان يأمر العبد بشرط قد علم انه لايحصل ولا يحسن
ان يريد منه الفعل على هذا ومن ذهب الى جواز ذلك
يكون صحيح منه ان يعتمد على هذا الجواب فان قيل فاي فائدة في ان
يأمرهم بان يخبروا عن ذلك بشرط ان يكونوا صادقين وهو عالم
بانهم لايتمكنون من ذلك لفقد علمهم به قلنا لمن ذهب الى الاصل
الذي ذكرناه ان يقول لايمتنع ان يكون الغرض في ذلك هو ان
يكشف باقرارهم وامتناعهم من الاخبار بالاسماء ما اراد تعالى بيانه
من استيثاره بعلم الغيب وانفراده بالاطلاع على وجوه المصالح
في الدين فان قيل فهذا يرجع الى الجواب الذي تذكرونه من
قلنا هو وان رجع الى هذا المعنى فبينهما فرق من حيث كان هذا الجواب
على تسليم ان الآية تضمنت الامر والتكليف الحقيقيين والجواب الثاني
لا يسلم فيه ان القول امر على الحقيقة فمن هاهنا افترقا والجواب الثالث
ان يكون القول وان كان ظاهره ظاهر الامر فغير امر على الحقيقة
بل المراد به التقرير والتنبيه على مكان الحجة وقد يرد بصورة الامر ما ليس
بامر والقرآن والشعر وكلام العرب مملوء بذلك ويختص هذا الجواب
ان الله تعالى لما قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا
أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك قال اني اعلم ما لا تعلمون اي اني مطلع من مصالحكم وما هو الانفع
لكم في دينكم على ما لا تطلعون عليه ثم اراد التنبيه على انه لا يمتنع ان يكون
غير الملائكة مع ان ما يسبح ويقدس ويطيع ولا يعصي اولى بالاستخلاف
في الارض وان كان من ذريته من يفسد ويسفك الدماء فعلم تعالى آدم الاسماء

بجميع

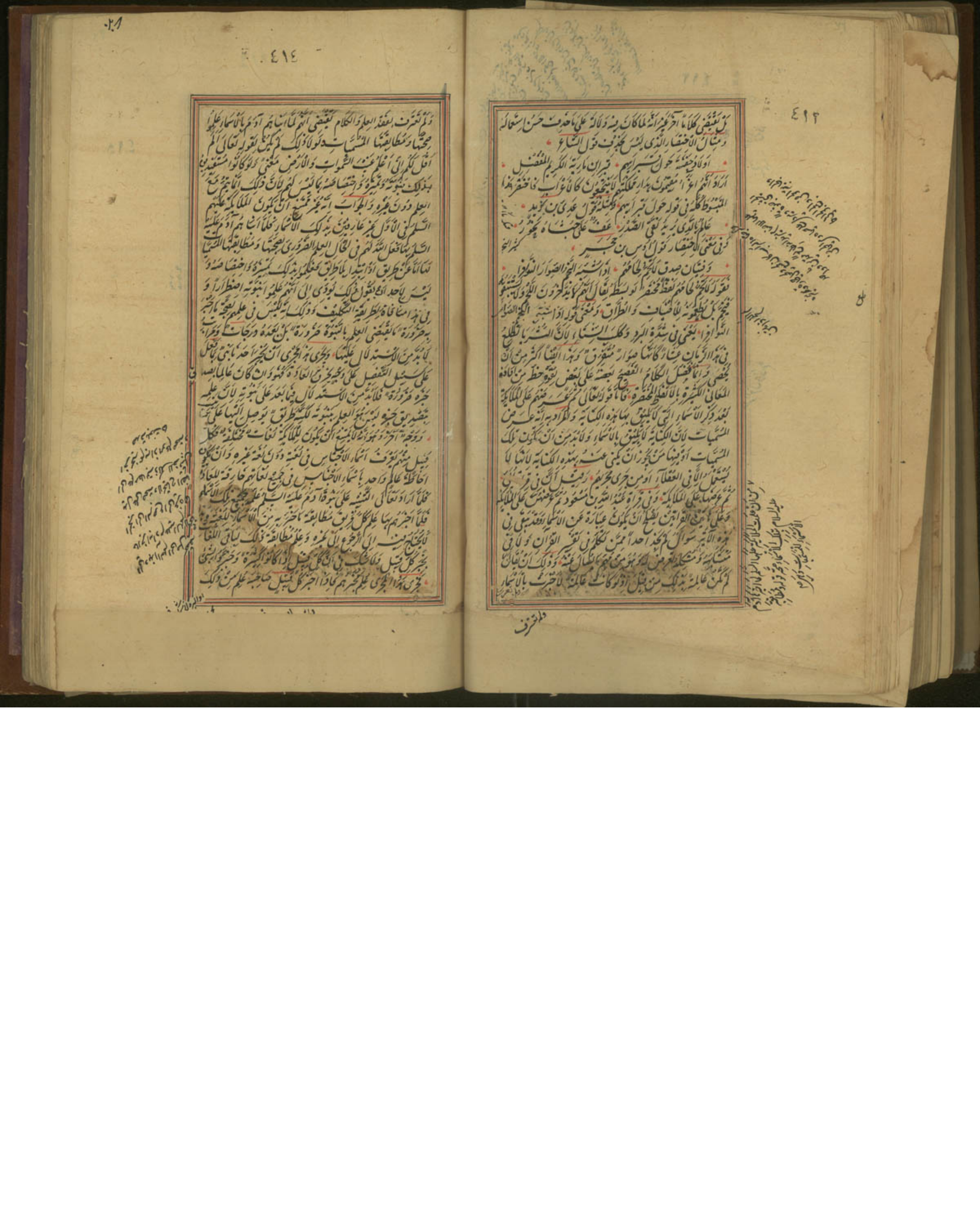
بجميع الاجناس واكثرها وقيل اسماء النبي صلى الله عليه وآله وسلم والائمة من
ولده وفيه احاديث مروية ليس هذا موضع ذكره ثم قال تعالى للملائكة
انبئوني باسماء هؤلاء مقررا لهم ومنبها على ما ذكرناه ودالا على اختصاص
آدم عليه السلم بما لم يخصوا به فلما جاءوا بالاعتراف والتسليم الى
علم الغيب الذي لا يعلمونه قال الله تعالى الم اقل لكم اني اعلم غيب
السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم منبها على انه العالم
المنفرد بعلم المصالح في الدين وان الواجب على كل مكلف ان
يسلم لامره تعالى ويعلم انه لا يختار لعباده الا ما هو اصلح لهم في دينهم
علموا وجه ذلك ام جهلوه وعلى هذا الجواب يكون قوله تعالى
ان كنتم صادقين محمولا على كونهم صادقين في العلم بوجه المصلحة في نصب
الخليفة او في ظنهم انهم يقومون بما يقوم به هذه الخليفة او يكملون له فلولا
ان الامر على ما ذكرناه وان القول لا يقتضي التكليف لم يكن لقوله
تعالى بعد اعترافهم واقرارهم الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات
والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون معنى لان التكليف الاول
لا يتغير حاله بان يخبرهم آدم عليه السلم بالاسماء ولا يكون قوله تعالى
اني اعلم غيب السموات والارض الى آخر الآية الا مطابقا لما ذكرناه
من المعنى دون معنى التكليف فكانه تعالى قال اذا كنتم لا تعلمون هذه
الاسماء فانتم علم الغيب اعجز وبان تسلموا الامر لمن يعلم ويدبر امركم
احرى واولى فان قيل فكيف علمت الملائكة بان في آدم عليه
السلم من يفسد في الارض ويسفك الدماء وما طريق علمها بذلك
وان كانت غير عالمة فكيف يجوز ان تخبر بغير علم قلنا قد قيل انها
لم تخبر وانما استفهمت فكانها قالت مستفهمة اتجعل فيها من يفعل
كذا وقد قيل ايضا ان الله تعالى اخبرهم بانه سيكون في هذا



المستخلف من يعصي ويفسد في الأرض فقالت على وجه التعجب لما في
هذا التدبير من المصلحة والاستفادة لوجه الحكمة فيه أتجعل فيها من
يفعل كذا وكذا • وهذا الجواب الأخير يقتضي أن يكون في أول الكلام
حذف ويكون التقدير وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض
خليفة وإني عالم بأنه سيكون من ذريته من يفسد ويسفك الدماء
فاكتفى بقوله تعالى قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها لأن في ذلك دلالة
على الأول وإنما حذفه اختصارا • وفي جملة جميع الكلام اختصار شديد
لأنه تعالى لما حكى عنهم قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك كان في ضمن هذا الكلام فنحن على
ما نعلمه وعلى ما يظهر لنا من الأمر أولى بذلك لأنا نطيع وغيرنا يعصي
وقوله تعالى إني أعلم ما لا تعلمون يتضمن إني أعلم بمصالح المكلفين ما
لا تعلمونه وما يكون مخالفا لما تظنونه على ظواهر الأمور • وفي القرآن
من الحذوف العجيبة والاختصارات الفصيحة ما لا يوجد في شيء من
الكلام فمن ذلك قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام والناجي
من صاحبيه في السجن عند رؤيا الملك البقر السمان والعجاف
أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصديق أفتنا • وتوسط الكلام
فأوردوه حذفا فقال أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون فأرسلوا فأتى
يوسف فقال له يا يوسف أيها الصديق • ومثله قوله تعالى في الأنعام
قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين
أي وقيل لي ولا تكونن من المشركين وكذلك قوله جل وعز
في قصة سليمان عليه السلام ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر
وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن
يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من

محاريب

محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل
داود شكرا • أي وقيل لهم اعملوا آل داود شكرا • وقال جرير
وردتم على قيس بخور مجاشع • فبؤتم على ساق بطيء جبورها •
أراد فبؤتم على ساق مكسورة بطيء جبورها فكنى لما كان في قوله جبورها
دليل على الكسر اقتصر عليه • وقال عنترة • هل تبلغني دارها شدنية
لعنت بمحروم الشراب مصرم • يعني ناقة ومعنى لعنت دعي عليها
بانقطاع لبنها وجفاف ضرعها فصارت كذلك وإن كانت قوية إذا
كانت لا تنتج كان أقوى لها على السير • وقال تأبط شرا • ويروى [illegible] •
فلا تدفنوني إن دفني محرم • عليكم ولكن أبشري أم عامر •
أراد [illegible] بن غوي يأكلني التي يقال لها خامري أم عامر وهي الضبع
وقال أوس بن حجر • حتى إذا الكلاب قال لها • كاليوم مطلوبا
ولا طلبا • أراد لم أر كاليوم فحذف • وقال أبو دؤاد الإيادي •
إن من شيمتي لبذل تلادي • دون عرضي فإن رضيت فكوني •
أراد فكوني معي على ما أنت عليه وإن سخطت فبيني فحذف هذا كله ولأنه
أو قيل سيروا إن تيلي لعلها • جرى دون ليلى مائل القرن أعضب •
أراد لعلها قربت • وهذا باب يتسع وهو أكثر من أن يحيط به قول والحذف
غير الاختصار وقوم يظنون أنهما واحد وليس كذلك لأن الحذف
يتعلق بالألفاظ وهو أن يأتي بلفظ يقتضي غيره فيتعلق به ولا يستقل
بنفسه ويكون في الموجود دلالة على المحذوف فيقتصر عليه طلبا
للاختصار والاختصار يرجع إلى المعاني وهو أن يأتي بلفظ مفيد لمعان
كثيرة لو عبر عنها بغيره لاحتيج إلى أكثر من ذلك اللفظ فلا حذف
إذا وهو اختصار وليس كل اختصار حذفا • فمثال الحذف قوله [illegible]
خامري أم عامر [illegible] لأن القول غير مستقل بنفسه



في لغة غيره ما علمه من لغته. وهذا الجواب يقتضي أن يكون قوله تعالى أنبئوني بأسماء هؤلاء أي ليخبرني كل قبيل منكم بجميع الأسماء. وهذان الجوابان جميعاً مبنيان على أن آدم عليه السلام لم يتقدم له العلم بنبوته وأن إخباره بالأسماء كان افتتاح معجزاته لأنه لو كان نبياً قبل ذلك وكانوا قد علموا ظهور معجزات على يده لم يحتج إلى هذين الجوابين معاً لأنهم يعلمون إذا كانت الحال هذه مطابقة الأسماء للمسميات بعد أن لم يعلموا ذلك بقوله الذي قد أمنوا فيه غير الصدق. وهذا بين لمن تأمله. قال الشريف المرتضى رضي الله عنه: رأيت ممن تكلم على معاني الشعر يذكرون في بيت حسان بن ثابت:

لم تفتها شمس النهار بشيء * غير أن الشباب ليس يدوم

أن المراد به الاعتذار من كبرها وعلو سنها فكأنه قال لم تفتها شمس النهار بشيء غير أنها كبيرة طاعنة في السن وعذرها في ذلك أن الشباب ليس يدوم لأحد لها. وهذا الذي ذكروه ليس بشيء والأشبه والأولى أن يكون مراد حسان أن شمس النهار لم تفتها بشيء غير أن شبابها مما لا يدوم ولا بد من أن يلحقها الهرم الذي لا يلحق الشمس ولم يرد أنها في الحال كذلك وكيف يريد ما توهموه مع قوله:

يا لقوم هل يقتل المرء مثلي * واهن البطش والعظام سؤوم

شأنها العطر والفراش ويعلوها * لجين ولؤلؤ منظوم

لو يدب الحولي من ولد * الذر عليها لأندبتها الكلوم

وهذه الأوصاف مما لا يليق بمن طعن في السن من النساء وإنما يليق بها الصبيان والأحداث. ومن العجائب أن هذا التخريج على كلام مثله أي الأصمعي وما أولى من يكون [illegible] مثل هذه الثمرة بالإضراب عن استخراج المعاني والجد فيها

ثمرة أصحاب المعاني على وجه وهو بغيره أشبه وأقل الأحوال أن يكون محتملاً للأمرين ولا يقصر عن أحدهما. قول الخنساء:

يا صخر وراد ماء قد تناذره * أهل الموارد ما في ورده عار

فإنهم يقولون مرادها بالبيت ما في ترك ورده عار ويظنون أنه متى لم يحمل على ذلك لم يكن له فائدة ولا فيه مدح ويجري ذلك مجرى قول المرقش:

ليس على طول الحياة ندم * ومن وراء المرء ما يعلم

وليس الأمر كما ظنوه لأنه لا يحتمل أن يريد أنه لا عار في وروده على ظاهر الكلام والفائدة فيه ظاهرة لأن البيت وإن تضمن ذكر ورود الماء فهو كناية عن ركوب الأمور العظيمة الصعاب التي من طلبها أراد الماء عليه وقهر المكاء نها فالت الم تورد ماء قد تناذره الناس وتركت أمراً صعباً قد نكل عنه الخلق فلك بذلك حظ النجاح والبسالة مع ذلك فلا عار عليك في ركوبه لأنه ربما فعل الإنسان فعلاً يحوز به أكثر الحظ من الشجاعة وإن لحقه بعض العار من قطيعة رحم أو نكث عهد أو ما جرى مجرى ذلك فكأنه نفت عن فعله وجوه العار ولكي يجري هذا مجرى قول المرقش:

ليس على طول الحياة ندم

لأن البيت متى لم يحمل على أن المراد به ليس على فوت طول الحياة ندم لم يفد شيئاً. وقد بينا فائدة قول الخنساء إذا كان المراد ما ذكرناه.

مجلس آخر

تأويل آية. إن سأل سائل عن قوله تعالى: واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون. فقلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه: أولها أن يكون المعنى واسأل أتباع من أرسلنا قبلك من رسلنا ويجري ذلك مجرى قولهم السخاء حاتم والشعر زهير وهم يريدون السخاء سخاء حاتم والشعر شعر زهير وأقاموا المضاف إليه مقام المضاف. ويحقق هذا قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله، ومثله قول الشاعر

لهم مجلس صهب السبال اذلة • سواسية احرارها وعبيدها •

والمأمور بالسؤال في ظاهر الكلام النبي عليه السلم وهو في المعنى لامته
عليه السلم لانه عليه السلم لا يحتاج الى السؤال لكنه خوطب خطاب
امته كما قال تعالى المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك
حرج منه فافرده الله تعالى بالمخاطبة ثم رجع الى خطاب امته فقال
تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم • وفي مواضع اخر يا ايها النبي اتق
الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فخاطبه عليه السلم والمعنى لامته لانه
بين ذلك بقوله تعالى ان الله كان بما تعملون خبيرا • وكما قال تعالى يا
ايها النبي اذا طلقتم النساء فوحد وجمع في موضع واحد وذلك للمعنى
الذي ذكرناه وقال الكميت •

الى السراج المنير احمد • لا تعدلني رغبة ولا رهب •
عنه الى غيره ولو رفع الناس • الى العيون وارتقبوا •
وقيل افرطت بل قصدت • ولو عنفني القائلون او ثلبوا •
لج بتفضيلك اللسان ولو • اكثر فيك الضجاج واللجب •
انت المصفى المحض في النسب • ان خص قومك النسب •

فظاهر الخطاب للنبي عليه وآله
السلم والمعنى مقصود به اهل بيته عليهم السلم لان احدا من المسلمين
لا يمتنع من تفضيله عليه السلم والاطناب في وصف فضائله ومناقبه
ولا يعنف في ذلك احد وانما اراد الكميت وان الكثير في مدح اهل
بيته وذريته عليه السلم والمراد به عترته ولذلك وجه صحيح وهو
ان المراد بموالاتهم الانحياز اليهم والانقطاع الى جهتهم لما كان رسول
الله صلى الله عليه وآله هو المقصود بجميع ذلك جاز ان يخرج الكميت
الكلام هذا المخرج ويضعه هذا الموضع • وقيل ان المراد بالاتباع الانبياء
عليهم السلم الذين امر بمسألتهم وهو مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن

سلام

سلام ونظرائه وليس يمتنع على هذا الجواب ان يكون هو عليه السلم
المأمور بالمسألة على الحقيقة كما يقتضيه ظاهر الخطاب وان لم يكن شاكا
في ذلك ولا مرتابا به ويكون الوجه فيه تقرير اهل الكتاب به واقامة
الحجة عليهم واعترافهم ولان بعض مشركي العرب انكر ان يكون كتب
الله تعالى المتقدمة وانبياؤه الاتون بها دعت الى التوحيد فامر
عليه السلم بتقرير اهل الكتاب بذلك لتزول الشبهة عمن اعترضته
والجواب الثاني ان يكون السؤال متوجها اليه عليه السلم خاصة
دون امته والمعنى اذا لقيت النبيين في السماء فاسألهم عن ذلك
لان الرواية قد وردت بانه عليه السلم لقي النبيين في السماء فسلم عليهم
وامهم ولا يكون امره تعالى بالسؤال لانه كان شاكا لان مثل ذلك
لا يجوز عليه السلم الشك لكن لبعض المصالح الراجعة الى الذين اما الشيء له
بحسبه عليه السلم او تتعلق ببعض الملائكة الذين يسمعون ما يجري بينه
وبين النبيين من سؤال وجواب • والجواب الثالث ما اجاب
به ابن قتيبة وهو ان المعنى واسأل من ارسلنا اليه قبلك رسلا من
رسلنا يعني اهل الكتاب وهذا الجواب وان كان يوافق في المعنى
الجواب الاول فبينهما خلاف في تقدير الكلام وكيفيته وليه فلهذا
صارا متفرقين • وقد رد على ابن قتيبة هذا الجواب وقيل انه اخطأ
في الاعراب لان لفظة اليه لا يصح اضمارها في مثل هذا الموضع لانهم
لا يجوزون الذي جلست عبد الله على معنى الذي جلست اليه عبد
الله لان الى حرف منفصل عن الفعل والمنفصل لا يضمر فلما
كان القائل اذا قال الذي اكرمت اباه عبد الله لم يجز ان يضمر
اباه لانفصاله من الفعل كانت لفظة اليه بهذه المنزلة وكذلك لا يجوز
الذي رغبت محمد بمعنى الذي رغبت فيه محمد لان الاضمار انما يحسن

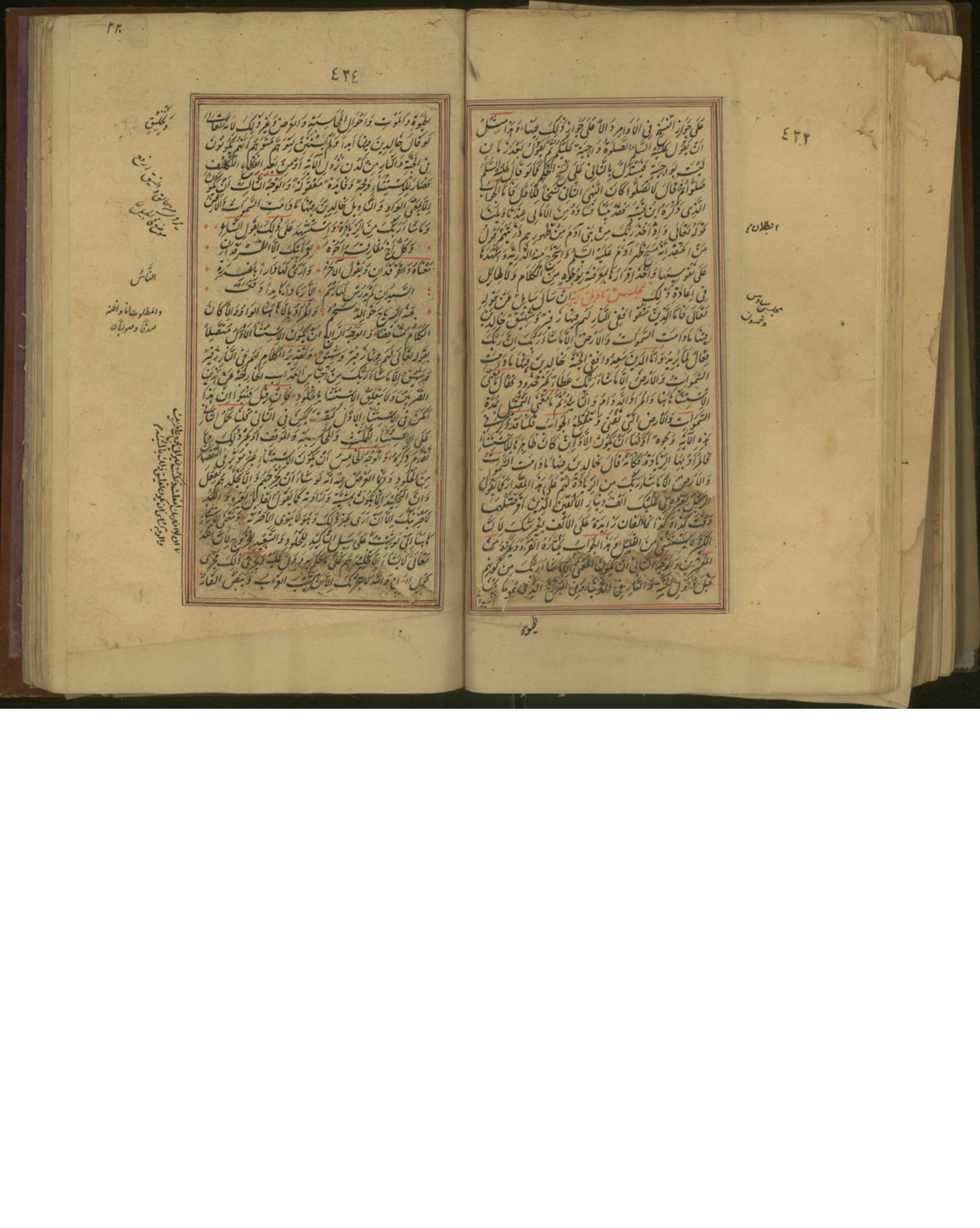
في الدار المتعلقة بالفعل كقولهم الذي اكلت طعامك الذي لقيت
منه لقيك معناهما اكلته ولقيته وقال الفراء انما حذفت الهاء
لمكان الذي عليها وقال غيره في حذفها غير ذلك وكل هذا ليس
مما تقدم في شيء فصح ان جواب ابن قتيبة مستضعف والمعتمد ما
تقدم. **تاويل خبر** ان سأل سائل عن معنى ما رواه ابو هريرة عن
النبي صلى الله عليه وآله السلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون
ابواه يهودانه وينصرانه الجواب قلنا اما ابو عبيد القسم بن سلام
فانه حكى قال في تاويل هذا الخبر سألت محمد بن الحسن عن تفسيره فقال
كان هذا في اول الاسلام قبل ان تنزل الفرائض ويؤمر المسلمون
بالجهاد قال ابو عبيد كانه يذهب الى انه لو كان يولد على الفطرة ثم
مات قبل ان يهوده ابواه او ينصرانه ما ورثاه وكذلك لو ماتا قبله
ما ورثهما فلما نزلت الفرائض وجرت السنن بخلاف ذلك علم انه
يولد على دين ابويه. قال ابو عبيد واما عبد الله بن المبارك فانه قال
هذا بمنزلة الحديث الآخر الذي يتضمن انه عليه السلم سئل عن اطفال
المشركين فقال عليه السلم الله اعلم بما كانوا عاملين يذهب الى انهم
يولدون على ما يصيرون اليه من اسلام او كفر فمن كان في علمه انه
يصير مسلما فانه يولد على الفطرة ومن كان في علمه يموت كافرا ولد
على ذلك. ومما يشبه هذا الحديث حديثه الآخر انه قال يقول الله اني
خلقت عبادي جميعا حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وجعلت
ما احللت لهم حراما. قال ابو عبيد يريد بذلك البحائر والسوائب
وغير ذلك مما احله الله تعالى فجعلوه حراما. واما ابن قتيبة فانه قال
وقد حكى ما ذكرناه عن ابي عبيد لست ارى ما حكاه ابو عبيد عن عبد
الله بن المبارك ومحمد بن الحسن مقنعا لمن اراد ان يعرف معنى

الحديث لانهما لم يزيدا على ان ردا على من قال من اهل القدر
وتفسير محمد بن الحسن يدل على ان الحديث منسوخ والمنسوخ لا يكون
في الاخبار وانما يكون في الامر والنهي قال ولا يجوز ان يراد على تاويل
ابن المبارك لبعض المولودين دون بعض لان مخرج العموم قال
ولا ارى معنى الحديث الا ما ذهب اليه حماد بن سلمة فانه قال
هذا عندنا حيث اخذ العهد عليهم في اصلاب آبائهم يريد حين مسح
الله تعالى ظهر آدم فاخرج منه ذريته الى يوم القيامة امثال الذر
واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى فاراد عليه السلم ان كل
مولود يولد في العالم على ذلك العهد وعلى ذلك الاقرار الاول
وهو الفطرة. قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وهذا خبط وتخليط
وبعد عن الجواب الصحيح. والصحيح في تاويله ان قوله عليه السلم يولد
على الفطرة يحتمل امرين احدهما ان تكون الفطرة ها هنا الدين ويكون
على بمعنى اللام لان الله تعالى لم يخلق من بلغ مبلغ المكلفين الا
ليعبده فينتفع بعبادته. ويشهد بذلك قوله تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون. والدليل على ان على يقوم مقام اللام
ما حكاه ابن السكيت عن ابي زيد عن العرب انهم يقولون صفا
على كذا وكذا حجة اعرفه بمعنى صفا لي ويقولون ما اغبطك على
يريدون ما اغبطك لي والعرب تقيم بعض الصفات مقام بعض
يقولون سقط الرجل لوجهه يريدون على وجهه وقال الطرماح
كان مخواها على ثفناتها . معرس خمس وقعت للجناجن
اراد على الجناجن وقال عنترة . شربت بماء الدحرضين فاصبحت
زوراء عن حياض الديلم. معناه شربت الناقة من ماء الدحرضين
وهما ماآن يقال لاحدهما وسيع وللآخر دحرض فغلب الاشهر

وهو الذي حرص. وانما ساغ ان يريد عليه السلم بالفطرة التي هي الخلقة
في اللغة الدين من حيث كان هو المقصود بها ويجري على الشيء
اسم ما له به هذا الضرب من التعلق والاختصاص. وعلى هذا تأويل
قوله تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس
عليها اراد دين الله تعالى الذي خلق الخلق و قوله لا تبديل لخلق
الله المراد به ان ما خلق العباد له من العبادة والطاعة ليس مما
يتغير ويختلف حتى يخلق تعالى قوما للطاعة واخرين للمعصية
ويجوز ان يريد بذلك الامر وان كان ظاهره ظاهر الخبر. فكانه تعالى
قال فلا تبدلوا ما خلقكم الله له من الدين والطاعة بان تعصوا
وتخالفوا والوجه الآخر في تأويل قوله عليه السلم الفطرة ان يكون
المراد به الخلقة ويكون لفظ على ظاهره لم يرد بها غيرها. ويكون المعنى
كل مولود يولد على الخلقة الدالة على وحدانيته تعالى وعبادته و
الايمان به لانه عز وجل قد صور الخلق وخلقهم على وجه يقتضي النظر
فيه معرفته والايمان به وان لم ينظروا او لم يعرفوا فكانه عليه السلم قال
كل مخلوق و مولود فهو يدل بخلقته وصورته على عبادة الله وان عدل
بعضهم فصار يهوديا او نصرانيا. على هذا الوجه يحمل ايضا قوله تعالى
فطرة الله التي فطر الناس عليها واذا ثبت ما ذكرناه في معنى
الفطرة فقوله عليه السلم حتى يكون ابواه يهودانه وينصرانه يحتمل وجهين
احدهما ان من كان يهوديا او نصرانيا ممن خلقته لعبادتي و ديني
فانما جعلهما ذلك ابواه ومن جرى مجراهما ممن يوقع له الشبهة وتقليده
ويعدل به عن الدين وانما خص عليه السلم الابوين لان الاولاد في
الاكثر ينشأون على مذاهب آبائهم ويألفون اديانهم ونحلهم ويكون
الغرض بالكلام تنزيه الله تعالى عن اضلاله للعباد وكفرهم. والوجه

انما خلقهم

انما خلقهم للايمان فصدهم عنه آباؤهم او ما يجري مجراهم. والوجه الآخر
ان يكون معنى يهودانه وينصرانه اي يلحقانه باحكامهما لان اطفال
اهل الذمة قد الحق الشرع احكامهم باحكامهم فكانه عليه السلم قال لا
تتوهموا من حيث لحقت احكام اليهود والنصارى اطفالهم انهم
خلقوا لدينهم بل لم يخلقوا الا للايمان والدين الصحيح لكن آباءهم هم الذين
ادخلوهم في احكامهم وعبر عليه السلم عن ادخالهم في احكامهم بقوله
يهودانه وينصرانه وهذا اوضح. فاما الجواب المحكي عن ابي عبيدة الذي
حكاه عن محمد بن الحسن فانا اذا امكنا من حمل الخبر على وجه سليم
معه من النسخ لم نحتج الى غيره وانما توهم النسخ لاعتقاده ان خلقهم
على الفطرة يمنع من الحاقهم بحكم آبائهم وذلك غير ممتنع. فاما الجواب
الذي حكاه عن ابن المبارك ففاسد لان الله تعالى لا يجوز ان
يخلق احدا للكفر فكيف يخلقه له وهو يأمره بالايمان ويريده منه
ويعاقبه ويذمه على خلافه. فاما ما روي عنه عليه السلم وقد سئل عن
اطفال المشركين فقال الله اعلم بما كانوا عاملين فانه يحتمل ان يكون
عليه السلم انما سئل عمن يبلغ من اطفال المشركين كيف يكون صورته
والى اي شيء ينتهي عاقبته فقال عليه السلم الله اعلم بما كانوا فاعلين
واراد ان ذلك مستور عني والعاقبات المستقبلة فمن اخترم طفلا لم يجز
ان يكون الجواب الا ذلك. واما ابن قتيبة فانه رد على ابي عبيدة من
غير وجه يقتضي الرد واعترض جواب ابن المبارك بتخصيص العموم
والخصوص وترك ان يفسده من الوجه الذي يفسد به عندنا الذي
ذكرناه وكيف يحتج على فساده من هذه الجهة. وقد اختار في تأويل
هذا الخبر ما يجري في الفساد والاختلال مجرى تأويل ابن المبارك. فكانا
النسخ في الاخبار يجيء اذا تضمنت معنى الامر والنهي ويكون [illegible]



على جواز النسخ في الاوامر والا على جواز ذلك فيها . وهذا مثل
ان يقول عليه السلام الصلوة واجبة عليكم ثم يقول بعد زمان
ليست بواجبة فيستدل بالثاني على نسخ الحكم كما لو قال عليه السلام
صلوا ثم قال لا تصلوا كان النهي الثاني نسخا للاول فاما الجواب
الذي ذكره ابن الحاجب فقد حكينا فساده من الامالي عندنا وفي
قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم قول
من اعتقد انه مسح ظهر آدم عليه السلام واخرج منه الذرية واشهدها
على انفسها واخذ اقرارها بمعرفته بوجوده من الكلام ولا طائل
في اعادة ذلك **مجلس تاويل آية** ان سال سائل عن قوله
تعالى فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين
فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك
فعال لما يريد . واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ فقال ما معنى
الاستثناء ها هنا والمراد الدوام والتأبيد . ثم ما معنى التمثيل بمدة
السموات والارض التي تفنى وتنقطع الجواب قلنا قد ذكر في
هذه الآية وجوه اولها ان يكون الا وان كان ظاهرها الاستثناء
فالمراد بها الزيادة فكأنه قال خالدين فيها ما دامت السموات
والارض الا ما شاء ربك من الزيادة لهم على هذا المقدار كما يقول
الرجل لغيره لي عليك الف دينار الا الالفين الذين اقرضتك
وقت كذا وكذا فالالفان زائدة على الالف بغير شك لان
الكثير لا يستثنى من القليل . وهذا الجواب يختاره الفراء وغيره من
المفسرين والوجه الثاني ان يكون المعنى الا ما شاء ربك من كونهم
قبل دخول الجنة والنار في الدنيا وفي البرزخ الذي هو ما بين

الحيوة

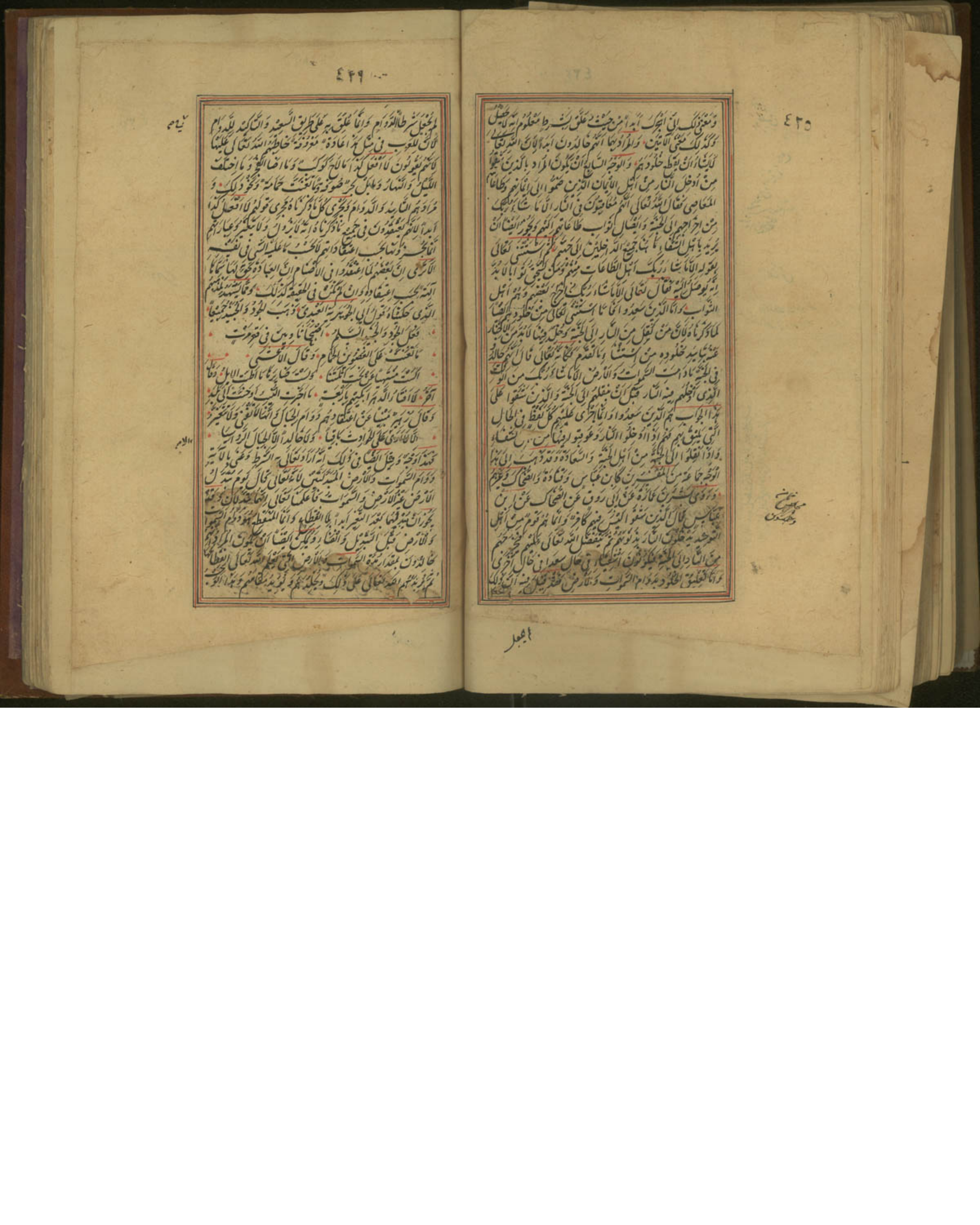
الحيوة والموت واحوال المحاسبة والعرض وغير ذلك لانه تعالى
لو قال خالدين فيها ابدا ولم يستثن لتوهم متوهم انهم يكونون
في الجنة والنار من لدن نزول الآية او من بعد انقضاء التكليف
فصار للاستثناء وجه وفائدة معقولة . والوجه الثالث ان تكون
الا بمعنى الواو والتأويل خالدين فيها ما دامت السموات والارض
وما شاء ربك من الزيادة . واستشهد على ذلك بقول الشاعر

وكل اخ مفارقه اخوه . لعمر ابيك الا الفرقدان

معناه والفرقدان . ويقول الآخر . وارى لها دارا باغدرة

السيدان لم يدرس لها رسم . الا رمادا هامدا دفعت

عنه الرياح خوالد سحم . والمراد بالا ها هنا الواو والا كان
الكلام متناقضا . والوجه الرابع ان يكون الاستثناء الاول متصلا
بقوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق . وتقدير الكلام لهم في النار زفير
وشهيق الا ما شاء ربك من اجناس العذاب الخارجة عن هذين
الضربين ولا يتعلق الاستثناء بالخلود . فان قيل فهبوا ان هذا
امكن في الاستثناء الاول كيف يمكن في الثاني قلنا نحمل الثاني
على الاستثناء من اللبث والمحاسبة والموقف او غير ذلك مما
تقدم ذكره . والوجه الخامس ان يكون الاستثناء غير مؤثر في النقصان
من الخلود وانما الغرض فيه انه لو شاء ان يخرجهم لاخرجهم وانه يفعل
وان التخليد انما يكون بمشيته وارادته كما يقول القائل لغيره والله
لاضربنك الا ان ارى غير ذلك وهو لا ينوي الا ضربه . ومعنى الاستثناء
ها هنا انه لو شاء على سبيل التأكيد للخلود والتبعيد للخروج لانه
تعالى لا يشاء الا تخليدهم على ما حكم به ودل عليه ويجري ذلك مجرى
قول العرب والله لا اهجرك الا ان يشيب الغراب ويبيض القار



ومعنى ذلك الى اخرك ابدا من حيث علق بشرط معلوم انه لا يحصل
وكذلك معنى الآيتين والمراد بهما انهم خالدون ابدا الا ان الله تعالى
لا يشاء ان يقطع خلودهم . والوجه السابع ان يكون المراد بالذين شقوا
من ادخل النار من اهل الايمان الذين ضموا الى ايمانهم وطاعاتهم
المعاصي فقال الله تعالى انهم معاقبون في النار الا ما شاء ربك
من اخراجهم الى الجنة وايصال ثواب طاعاتهم اليهم ويجوز ايضا ان
يريد باهل الشقاء ههنا جميع الداخلين الى جهنم ثم استثنى تعالى
بقوله الا ما شاء ربك اهل الطاعات منهم ومن يستحق ثوابا لا بد
ان يوصل اليه فقال تعالى الا ما شاء ربك اخراج بعضهم وهم اهل
الثواب . واما الذين سعدوا فانما استثنى تعالى من خلودهم ايضا
لما ذكرناه لان من نقل من النار الى الجنة وخلد فيها لا بد من الاخبار
عنه بتأبيد خلوده من استثناء ما تقدم فكأنه تعالى قال انهم خالدون
في الجنة ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك من الوقت
الذي ادخلهم فيه النار قبل ان ينقلهم الى الجنة والذين شقوا على
هذا الجواب هم الذين سعدوا وانما اجرى عليهم كل لفظ في الحال
التي تليق بهم فهم اذا ادخلوا النار وعوقبوا فيها من اهل الشقاء
واذا نقلوا الى الجنة من اهل الجنة والسعادة وقد ذهب الى هذا
الوجه جماعة من المفسرين كابن عباس وقتادة والضحاك وغيرهم
وروى بشر بن عمارة عن ابي روق عن الضحاك عن ابن
عباس قال الذين شقوا ليس فيهم كافر وانما هم قوم من اهل
التوحيد يدخلون النار بذنوبهم ثم يتفضل الله تعالى عليهم فيخرجهم
من النار الى الجنة فيكونون اشقياء في حال سعداء في حال اخرى
واما تعليق الخلود بدوام السموات والارض فقد قيل فيه ان ذلك

لم يجعل شرطا للدوام وانما علق به على طريق التبعيد والتأكيد للدوام
لان للعرب في مثل هذا عادة معروفة خاطبهم الله تعالى عليها
لانهم يقولون لا افعل كذا ما لاح كوكب وما اضاء الفجر وما اختلف
الليل والنهار وما بل بحر صوفة وما غنت حمامة ونحو ذلك و
مرادهم التأبيد والدوام ويجري كل ما ذكرناه مجرى قولهم لا افعل كذا
ابدا لانهم يعتقدون في جميع ما ذكرناه انه لا يزول ولا يتغير وعباراتهم
انما تجري بحسب اعتقاداتهم لا بحسب ما عليه الشيء في نفسه
الا ترى ان بعضهم لما اعتقدوا في الاصنام ان العبادة تحق لها سموها
آلهة بحسب اعتقاده وان لم تكن في الحقيقة كذلك ومما يشهد بمذهبهم
الذي حكيناه قول ابي الجويرية العبدي . ذهب الجود والجنيد جميعا
فعلى الجود والجنيد السلام . اصبحا ثاويين في قعر رمس
ما تغنت على الغصون الحمام . وقال الاعشى
الست منتهيا عن نحت اثلتنا . ولست ضائرها ما اطت الابل . وقال
آخر . لا اقتال الدهر ابكيتم باربعة . ما اخرت الشيب او حنت الى بلد
وقال زهير مبينا عن اعتقادهم دوام الجبال وانها لا تفنى ولا تتغير
الا لا ارى على الحوادث باقيا . ولا خالدا الا الجبال الرواسيا
فهذا وجه . وقيل ايضا في ذلك انه اراد تعالى بالشرط وعنى بالآية
دوام السموات والارض المبدلتين لانه تعالى قال يوم تبدل
الارض غير الارض والسموات فاعلمنا تعالى انهما تبدلان ويجوز
ان تبقيا بعد التغيير ابدا بلا انقطاع وانما المنقطع هو دوام السموات
والارض قبل التبديل والفناء ويمكن ايضا ان يكون المراد انهم
خالدون بمقدار مدة السموات والارض التي يعلم الله تعالى انقطاعهما
ثم يزيدهم الله تعالى على ذلك ويخلدهم ويؤبد مقامهم وهذا الوجه

يليق بالاجوبة التي يتضمن ان الاستثناء اريد به الزيادة على
المقدار المقدم لا النقصان. قال الشريف المرتضى رضي الله عنه
وجدت ابا القسم الآمدي قد ظلم البحتري في تعنيت له مضافا
مع ظلمه له في ابيات كثيرة تاولها على خلاف مراد البحتري حكى قوله
كالبدر الا انها لا تجتلي . والشمس الا انها لا تغرب
ثم قال وهذا فيه سؤال لانه لما قال كالبدر الا انها لا تجتلي كان المعنى
ان عيون الناس كلهم ترى البدر وتجتليه لا تراها العيون و
لا تجتلي. ثم قال والشمس الا انها لا تغرب وانما قال لا تجتلي لانها
محجوبة واذا كانت في حجاب فهي في غروب لان الشمس اذا
غربت فانما تدخل تحت حجاب فظاهر المعنى كالبدر الا ان العيون
لا تراها والشمس الا ان العيون لا تفقدها [illegible] القول متناقض
كما ترى وقال واظنه اراد انها وان كانت في حجاب لا يقال
لها غربت تغرب كما يقال للشمس وانما يقال لها اذا سافرت بعدت
واغتربت وغربت اذا توجهت نحو الغرب وقد يقال للرجل
اغرب عنا اي ابعد ولو استعار لها اسم الغروب عن الارض
التي تكون فيها اذا ظعنت عنها الى ارض اخرى كان [illegible] حسنا
جدا لانه سماها وقد جعلها شمسا كما قال ابراهيم بن العباس الصولي
وترانت زوال الشمس عن مستقرها . فمن مخبري في اي ارض غروبها
قال وهذا مع ذلك يقول قائل انه اراد لا تغرب تحت الارض كما
تغرب الشمس وهذه معاذير ضعيفة لابي عبادة فان لم يكن خطا
فقد اسا. قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وما المخطي غير الآمدي
ومراد البحتري بقوله اوضح من ان يذهب على متامل لانه اراد
بقوله والشمس الا انها لا تغرب انها لا تغيب [illegible] بحيث

يتعذر رؤيتها وتمتنع كما يتعذر رؤية الشمس على من غربت عن افق
بلده والمراة وان احتجبت باختيارها فان ذلك ليس بغروب
كغروب الشمس لانها اذا شاءت ظهرت وبرزت للعيون والشمس
اذا غربت فرؤيتها غير ممكنة ولهذا لا يصح ان يقال فيمن
استظل بجدار او جدار عن الشمس انها قد غربت عنه وان كان
لا يراها لان رؤيتها ممكنة بزوال ذلك المانع فكذلك القول في
احتجاب المراة فاما تخصيص البحتري على ما ظنه الآمدي
وبعضهم في هذا المعنى قد قلت للبدر واستعبرت حين بدا لنا
يا بدر لي من وجهها خلف . تبدي لنا كل ما شئنا محاسنها
وانت تنقص احيانا وتنكسف . فمعنى قوله وانت تنقص وتنكسف
جار مجرى غروب الشمس لانه فضلها على البدر من حيث كان نورها
وبهرها موقوفا على اختيارها والبدر ينقص وينكسف ويغيب
على وجه لا يمكن رؤيته كما فضلها البحتري بانها لا تغرب حتى تصير
رؤيتها مستحيلة والشمس كذلك وقد ظلم الآمدي البحتري في قوله
لا العذل يردعه ولا . التعنيف عن كرم يصده
قال الآمدي وهذا عندي من اهجي ما مدح به خليفة لو افتخر ومن
يعنف الخليفة على الكرم او يصده ان هذا بالهجو اولى منه بالمدح
قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وللبحتري في هذا اعذر من
وجهين احدهما ان يكون الكلام خرج مخرج التقدير وكانه قال لو
عنف وعذل لما صده ذلك عن الكرم وان كان من حق
العذل والتعنيف وان لم يتوجها اليه في كف [illegible] موجود ان يكون
الملامة على الاسراف في البذل والجود بخالص الاموال ولم يقل
البحتري انه قد ردعه وتعنيفه يصده وانما قال لا العذل يردعه

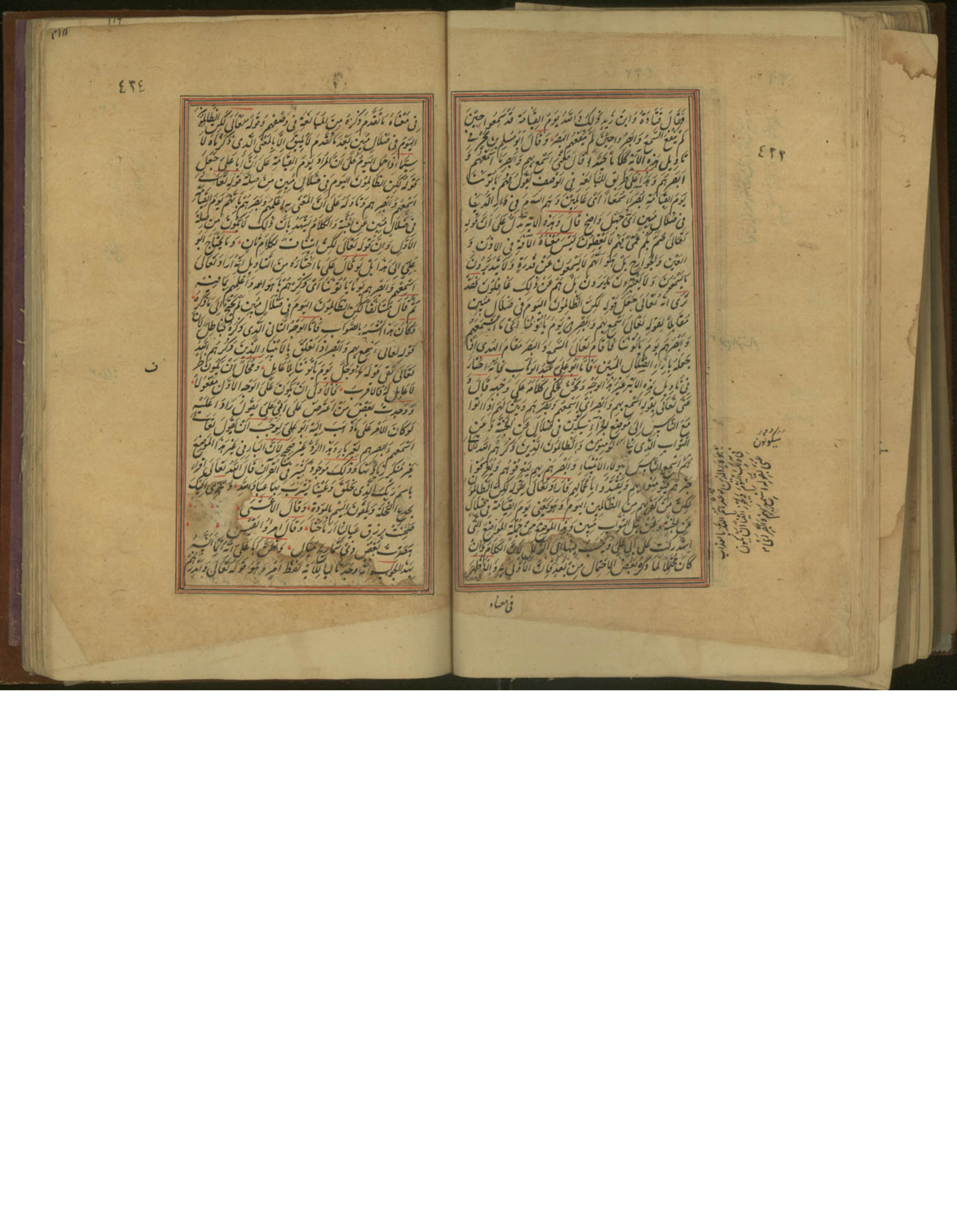
ولا التعنيف بفقده فكأنه اخبر ان ما يسمعه من عذل العذال على
الكرم وتعنيفهم على الجود وان كان متوجها الى غيره فهو يخزها د
له لقوة عزيمته وشدة بصيرته • ومما خطأ الآمدي البحتري فيه
وان كان له فيه عذر صحيح ثم بيّنه الله قوله •
• ذنب كما سحب الرداء يذب • عن عرف وعرف كالقناع المسبل
قال الآمدي وهذا خطأ من الوصف لان ذنب الفرس
اذا مس الارض كان عيبا فكيف اذا سحبه وانما الممدوح من الاذناب
ما قرب من الارض ولم يمسها كما قال امرؤ القيس • بضاف
فويق الارض ليس باعزل • قال وقد عيب امرؤ القيس بقوله
• لها ذنب مثل ذيل العروس • تسد به فرجها من دبر
• قال ولا ارى العيب يلحق امرؤ القيس لان العروس انما كان
تسحب اذيالها وكان ذنب الفرس اذا مس الارض عيبا فليس
بمنكر ان يشبه به الذنب وان لم يبلغ الى ان يمس الارض لان
الشيء انما يشبه بالشيء اذا قاربه او دنا من معناه فاذا اشبهه
في اكثر احواله فقد صح التشبيه به ولا سيما وامرؤ القيس لم يقصد
ان يشبه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط وانما اراد السبوغ
والكثرة والكثافة • الا ترى انه قال تسد به فرجها من دبر • وقد
يكون الذنب طويلا يكاد يمس الارض ولا يكون كثيفا ولا يسد
فرج الفرس فلما قال تسد به فرجها علمنا انه اراد الكثافة والسبوغ
مع الطول فاذا اشبه الذنب الذيل من هذه الجهة وكان في الطول
قريبا منه فالتشبيه صحيح وليس ذلك بموجب للعيب وانما العيب
في قول البحتري ذنب كما سحب الرداء فقد صرح بان الفرس يسحب
ذنبها • ومثل قول امرؤ القيس قول جد ابن ... لها ذنب

اوله بيت اذا استدبرته
سد فرجه بضاف

• لها ذنب مثل ذيل الهدي • الى جؤجؤ وابد الزافر
الهدي العروس التي تهدى الى زوجها والابد الشريد • والزافر
الصدر لانها زفرت منه • قال فشبه الذنب الطويل السابغ بذيل
الهدي فان لم يبلغ في الطول الى ان يمس الارض • قال الشريف
المرتضى رضي الله عنه وللبحتري وجه في العذر يقرب من عذر
امرئ القيس في قوله مثل ذيل العروس غير ان الآمدي لم يفطن
له واول ما نقوله ان الشاعر لا يجب ان يؤخذ عليه في كلامه التحقيق و
التحديد فان ذلك متى اعتبر في الشعر بطل جميعه وكلام القوم مبني على
التجوز والتوسع والاشارات الخفية والايماء الى المعاني تارة من
بعد وتارة من قرب لانهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة واصحاب
المنطق وانما خاطبوا من يعرف اوضاعهم ويفهم اغراضهم وانما اراد
البحتري بقوله ذنب كما سحب الرداء المبالغة في وصفه بالطول و
السبوغ وانه قد قارب ان يسحب ويكاد يمس الارض • ومن
شأن العرب ان يجري على الشيء الوصف الذي قد كاد يستحقه وقد
قرب منه القرب الشديد فيقولون قتل فلان فلانا وان عقله
واراد ان يسرة واخرج نفسه وكان ذلك لم يقع وانما ارادوا المبالغة
وافادة المقاربة والمشارفة • ونظائر ذلك اكثر من ان تحصى و
من شأنهم ايضا اذا ارادوا المبالغة ان يستعملوا مثل هذا
فيشبهون الكفل بالكثيب وبالدعص وبالتل ويشبهون الخصر
بالزنبور وبمقدار حلقة الخاتم ويعدون هذا غاية المدح واحسن
الوصف ونحن نعلم انا نرى من حصره مقدار الزنبور وكفله كا
العظيم لا يستطيع ... وانما اتوا
بالفاظ المبالغة لا تحمل على ظواهرها تحديدا وتحقيقا بل ليعلم منها الغاية

الكثيب





وقال قتادة وابن زيد ذلك والله يوم القيامة قد سمعوا حين
لم ينفع السمع وابصروا حين لم ينفعهم البصر • وقال ابو مسلم بن بحر في
تاويل هذه الآية كلاما ما احسنه قال يكفي اسمع بهم وابصر ما اسمعهم و
ابصرهم وهذا على طريق المبالغة في الوصف يقول انهم يأتوننا
يوم القيامة بصراء سمعاء اي عالمين وهم اليوم في دار الدنيا
في ضلال مبين اي جهل واضح قال وهذه الآية تدل على ان قوله
تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون ليس معناه الآفة في الاذن و
العين والجوارح بل هو انهم لا يسمعون عن قدرة ولا يتدبرون
ما يسمعون ولا يعتبرون بما يبصرون بل هم عن ذلك غافلون فقد
ترى انه تعالى جعل قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين
مقابلا لقوله تعالى اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا اي ما اسمعهم
وابصرهم يوم يأتوننا ثم اقام تعالى السمع والبصر مقام الهدى اذ
جعله بازاء الضلال المبين • فاما ابو علي [illegible] الوهاب فانه اختار
في تاويل هذه الآية غير هذا الوجه ونحن نحكي كلامه على وجهه قال و
معنى قوله تعالى اسمع بهم وابصر اي اسمعهم وبصرهم وبين لهم اذا اتوا
مع الناس الى موضع الجزاء سيكونون في ضلال عن الجنة وعن
الثواب الذي نال المؤمنون والظالمون الذين ذكرهم الله تعالى
هم اسمع الناس هؤلاء الانبياء وابصرهم بهم ليتبعوا قولهم ويلحقوا
خبرهم [illegible] منوالهم ويقتدوا باعمالهم فاراد تعالى بقوله لكن الظالمون
لكن من كفر بهم من الظالمين اليوم وهو يعني يوم القيامة في ضلال
عن الجنة وعن نيل الثواب مبين وهذا الموضع من جملة المواضع التي
استدركت على ابي علي ووجب فيها [illegible] لان الكلام وان
كان محتملا لما ذكره فيضعف الاحتمال من بعده فان الاولى هو الاظهر

في معناه

في معناه ما تقدم ذكره من المبالغة في وصفهم وقوله تعالى لكن الظالمون
اليوم في ضلال مبين بعد ما تقدم لا يليق الا بالمعنى الذي ذكرناه لا
سيما اذا حمل اليوم على ان المراد يوم القيامة على ان ابا علي جعل
قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين من صلة قوله تعالى
اسمعهم وابصرهم وتاوله على ان المعنى بما علمهم وبصرهم بانهم يوم القيامة
في ضلال مبين عن الجنة والكلام يشهد بان ذلك لا يكون من صلة
الاول وان قوله تعالى لكن استئناف لكلام ثان • وما يحتاج ابو
علي الى هذا بل لو قال على ما اختاره من التاويل انه اراد تعالى
اسمعهم وابصرهم يوم يأتوننا اي ذكرهم بما هو لهم واعلمهم بما فيه
ثم قال مستأنفا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين لم يحتج الى ما ذكره
وكان هذا اشبه بالصواب • فاما الوجه الثاني الذي ذكره فباطل لان
قوله تعالى اسمع بهم وابصر اذا تعلق بالانبياء الذين ذكرهم الله
تعالى بقي قوله عز وجل يوم يأتوننا بلا عامل • ومحال ان يكون ظرف
لا عامل له فالاقرب • فالاولى ان يكون على الوجه الاول معقولا •
ووجدت لبعض من اعترض على ابي علي يقول رادا عليه
لو كان الامر على ما ذهب اليه ابو علي لوجب ان يقول تعالى
اسمعهم وابصرهم بغير باء وهذا الرد غير صحيح لان الباء في غير هذا الموضع
غير منكر زيادتها وذلك موجود كثير في القرآن قال الله تعالى اقرأ
باسم ربك الذي خلق وعينا يشرب بها عباد الله • وهزي اليك
بجذع النخلة ويلقون اليهم بالمودة • وقال الاعشى
ضمنت برزق عيالنا ارماحنا • وقال امرؤ القيس
هصرت بغصن ذي شماريخ ميال • ونظن ابا علي انه انما اتى
بهذا الجواب لانه وجد ما يليه الآية لفظ امر وهو قوله تعالى وانذرهم

يوم الحشر فحمل الاول على الثاني والكلام ما اشتبه معانيه من
حيث المجاورة بل الواجب ان يوضع كل منها حيث يليق بمعناه
قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وجدت جماعة من اهل
الادب يستبعدون ان يرتج على انسان في خطبة او كلام قصد
له فيبعث منه في تلك الحال كلام هو احسن مما قصده
مما ارتج عليه دونه ويقولون ان الانسان [illegible] الا عن حيرة وضلال
فكيف يجتمع معها البراعة الثاقبة والبلاغة المأثورة مع حاجتهما الى
اجتماع الفكرة وحضور الذكر وينسبون جميع ما يحكى من كلام مستحسن ولفظ
مستعذب عمن حصر في خطبة او في منطق الى انه موضوع مصنوع
وليس الذي استبعدوه وانكروه ببعيد لان الانسان قد يحصر بباب
دون باب ويتغلق بجهة دون جهة وهذا امر معلوم ومتعارف
فلا ينكر ان يتعبى الانسان شيئا قصده وعزم على الكلام فيه ويكون
مع ذلك ذاكرا لغيره متكلما فيه بابلغ الكلام واحسنه بل ربما كان
للحصر والذهاب عن المقصود يحيان القريحة ويوقدان ينبعثان على
احسن الكلام وابرعه ليكون ذلك جبرا من العي وانتقاما من الحصر
ومن حسن ما روي من الكلام في حال الحصر والانقطاع عن المقصود
من الكلام ما اخبرنا به ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا ابن دريد
قال حدثنا ابو حاتم قال المرزباني واخبرنا ابن دريد مرة اخرى قال
حدثنا الحكم بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي قالا صعد
خالد بن عبد الله القسري يوما المنبر بالبصرة فارتج عليه فقال ايها
الناس ان الكلام [illegible] وقال ابو حاتم ان هذا القول يجيء احيانا ويعزب
احيانا فيتسبب عند مجيئه سببه ويعز عند عزوبه طلبه وربما كوبر فأبى
وعولج فاستعصى وقال ابن الكلبي ربما طلب فأبى وعولج فقسا والتأني

لمجيئه اصوب من التعاطي لمجيئه وتجاوزه عند تعذره اولى من طلبه
عند تنكره وقد يختلج من الجري جنانه ويرتج على البليغ لسانه ثم
نزل واخبرنا بهذا الخبر ابو عبيد الله المرزباني على وجه آخر قال
اخبرنا ابراهيم بن محمد بن عرفة ابو اسحاق قال كان خالد بن عبد الله
القسري حين ولاه هشام بن عبد الملك يكثر الخطب والتشادق
فقدم واسط فصعد المنبر في اول الخطبة فارتج عليه فقال ايها الناس
ان هذا الكلام يجيء احيانا ويعزب احيانا فيعز عند عزوبه طلبه
ويتسبب عند مجيئه سببه وربما كوبر فأبى وعولج فقسا والتأني
لمجيئه اسهل من التعاطي لآبيه وتركه عند تعذره احمد من طلبه عند
تنكره وقد يرتج على البسيط لسانه ولا يبطره القول اذا اتسع ولا يكسره اذا
امتنع ومن لا يمكنه الحظوة يجمله ان تعتريه النبوة واخبرنا المرزباني
قال اخبرنا ابو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة قال حدثني ابو العباس
المنصوري قال صعد ابو العباس السفاح المنبر فارتج عليه فقال ايها الناس
انما اللسان بضعة من الانسان يكل اذا كل وينفسح بانفساحه اذا
انفسح ونحن امراء الكلام منا تفرعت فروعه وعلينا تهدلت غصونه
الا وانا لا نتكلم هذرا ولا نسكت الا معتبرين ثم نزل فبلغ ذلك ابا جعفر
فقال لله هو لو خطب بمثل ما اعتذر لكان من اخطب الناس وهذا
الكلام يروى لداود بن علي وبهذا الاسناد عن محمد بن الصباح عن
قثم بن جعفر بن سليمان عن ابيه قال اراد ابو العباس السفاح يوما
ان يتكلم في امر من الامور بعد ما افضت الخلافة اليه وكان فيه
حياء مفرط فارتج عليه فقال داود بن علي بعد ان حمد الله تعالى
واثنى عليه ايها الناس ان امير المؤمنين الذي قلده الله سياسة
رعيته عقل من لسانه عند ما تعهد من بيانه ولكل مرتقى بهر حتى

موقتة العادات فان تزدهرا نعمة الله في صلاح دنياكم ورغد معيشتكم
• واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابراهيم بن محمد بن عرفة
قال حدثني عبد الله بن اسحق بن سلام قال صعد عثمان بن عفان
المنبر فارتج عليه فقال ايها الناس سيجعل الله بعد عسر يسرا و
بعد عي نطقا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال •
وروى محمد بن يزيد النحوي هذا الكلام بعينه عن يزيد بن ابي سفيان
وقد خطب على بعض منابر الشام وان عمرو بن العاص لما بلغه
كلامه قال هن مخرجاتي من الشام استحسانا للكلام • وروى محمد بن يزيد
النحوي قال بلغني ان رجلا صعد المنبر ايام يزيد وكان واليا على
قوم فقال لهم ايها الناس الا اكن فارسا طبنا فيكم بالقرآن فان معي
من اشعار العرب ما ان ارجو ان يكون خلفا منه وما احسن قول القائل اخو البراجم
حيث قال • وما عاجلات الطير يدنين للفتى • رشادا ولا من ريثهن يخيب
• ورب امور لا تضيرك ضيرة • وللقلب من مخشاتهن وجيب •
• ولا خير فيمن لا يوطن نفسه • على نائبات الدهر حين تنوب •
• وفي الشك تفريط وفي الحزم قوة • ويخطي الفتى في حدسه ويصيب •
فقال له رجل من كلب ان هذا المنبر لم ينصب للشعر بل لحمد الله تعالى
عليه والصلاة على النبي عليه السلام وللقرآن فقال اما لو انشدتكم شعر
رجل من كلب لسركم فكتب الى يزيد بذلك فعزله وقال قد كنت
ارى انك جاهل ولم احسب ان الحمق يبلغ بك هذا المبلغ فقال احمق
مني من ولاني وكان يزيد بن المهلب ولى ثابت بن قطنة بعض
قرى خراسان فلما صعد المنبر حصر فنزل وهو يقول •
• فالا اكن فيكم خطيبا فانني • بسيفي اذا جد الوغا لخطيب •
فقيل له لو قلت هذا على المنبر لكنت اخطب الناس فبلغ ذلك حاجب

الفيل فقال • ابا العلاء لقد لاقيت معضلة • يوم العروبة من كرب
• اما القرآن فما تهدى لمحكمه • ولم تسدد من الدنيا بتوفيق •
• لما رمتك عيون الناس ابصارهم • وكدت تشرق لما قمت بالريق •
• تلوي اللسان اذا رمت الكلام به • كما هوى زلق من جانب النيق •
وروي ان بعض خلفاء بني العباس واظنه الرشيد صعد المنبر
ليخطب فسقطت على وجهه ذبابة فطردها فرجعت فحصر فارتج
عليه فقال اعوذ بالله السميع العليم ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له
ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له
وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب و
والمطلوب انا بالله ثم نزل فاستحسن ذلك منه • ومما يشاكل هذه الحكاية
ما حكاه عمرو بن بحر الجاحظ قال كان لنا بالبصرة قاض يقال له
عبيد الله بن سوار لم ير الناس حاكما قط ولا زميتا ولا ركينا و
لا وقورا ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك وكان
يصلي بالغداة في منزله وهو قريب الدار من مسجده فيأتي مجلسه فيحتبي
فلا يتكي ولا يزال منتصبا لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته
ولا يحول رجلا عن رجل ولا يعتمد على احد شقيه حتى كانه بناء مبني
او صخرة منصوبة فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة الظهر ثم يعود
الى مجلسه فلا يزال حتى يقوم الى العصر ثم يرجع الى مجلسه فلا يزال
كذلك ليقوم لصلاة المغرب ثم ربما عاد الى مجلسه بل كثيرا ما كان
ذلك اذا بقي عليه من قراءة العهد والشروط والوثائق ثم يصلي العشاء
وينصرف فلم يقم في طول تلك الولاية مرة الى الوضوء ولا احتاج
اليه ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب وكذلك كان شأنه
في طول الايام وفي قصارها وفي صيفها وشتائها وكان مع

ذلك لا يحرك به او لا يشير براسه وليس الآن يتكلم ثم يوجز و
يبلغ بالكلام اليسير المعاني الكثيرة فبينما هو كذلك ذات يوم [illegible]
حواليه وفي السماطين بين يديه اذ سقط على انفه ذباب فاطال
السقوط والمكث ثم تحول الى موق عينه فرام الصبر على سقوطه على
الموق وعلى عضته ونفاذ خرطومه كما رام الصبر على سقوطه على انفه من
غير ان يحرك ارنبته او يغضن وجهه او يذب باصبعه فلما طال
ذلك من الذباب واوجعه واحرقه وقصد الى مكان لا يحتمل التغافل
عنه اطبق جفنه الاعلى على جفنه الاسفل فلم ينهض فدعاه ذلك
الى ان والى بين الاطباق والفتح فتنحى ريثما سكن جفنه ثم عاد
الى موقه ثانية اشد من مرته الاولى فغمس خرطومه في مكان قد
كان اوهاه قبل ذلك فكان احتماله اضعف وعجزه عن الصبر في
الثانية اقوى فحرك اجفانه وزاد في شدة الحركة وفي تتابع الفتح
والاطباق فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته ثم عاد الى موضعه فما زال
يلح عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده فلم يجد بدا من ان يذب عن
عينيه بيده ففعل وعيون القوم اليه ترمقه كانهم لا يرونه فتنحى
عنه بقدر ما رد يده وسكنت حركته ثم عاد الى موضعه ثم الجأه الى ان
ذب عن وجهه بطرف كمه ثم الجأه الى ان تابع بين ذلك وعلم
ان ذلك كله بعين من حضره من امنائه وجلسائه فلما نظروا اليه
قال اشهد ان الذباب الح من الخنفساء وازهى من الغراب
واستغفر الله فما اكثر من اعجبته نفسه فاراد الله تعالى ان يعرفه
من ضعفه ما كان عنه مستورا وقد علمت اني عند الناس
من ازمت الناس فقد غلبني وفضحني اضعف خلقه ثم تلا قول
الله تعالى ضعف الطالب والمطلوب

[illegible]

ان سئل

سال سائل عن قوله تعالى واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم
سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء
من ربكم عظيم فقال ما تنكرون ان تكون في هذه الآية دلالة على
اضافة الافعال التي تظهر من العباد الى الله تعالى من وجهين احدهما
انه قال تعالى بعد ذكر ما تقدم من افعالهم ومعاصيهم وفي ذلكم
بلاء من ربكم عظيم فاضافها الى نفسه والثاني انه اضاف نجاتهم من
آل فرعون اليه ومعلوم انهم هم الذين ساروا حتى نجوا فيجب ان تكون
النجاة من فعله على الحقيقة حتى من آل فرعون معلوم ليصح الاضافة
قلنا اما قوله تعالى وفي ذلكم فهو اشارة الى ما تقدم ذكره
من انجائه لهم من المكروه والعذاب وقد قال قوم انه معطوف
على ما تقدم من قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي
انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين والبلاء ههنا الاحسان
والنعمة ولا شك في ان تخليصه لهم من ضروب المكروه التي عددها
تعالى نعمة عليهم واحسان اليهم والبلاء عند العرب قد يكون حسنا
وقد يكون سيئا قال الله تعالى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا
ويقول الناس في رجل اذا احسن القتال والثبات في الحرب
قد ابلى فلان ولفلان بلاء والبلوى ايضا قد تستعمل في الخير والشر
الا ان الاكثر ما يستعملون البلاء الممدود في الجميل والخير والبلوى المقصورة
في السوء والشر وقد قال قوم اصل البلاء في كلام العرب الاختبار
والامتحان ثم يستعمل في الخير والشر لان الامتحان والاختبار قد
يكون في الخير والشر جميعا كما قال تعالى وبلوناهم بالحسنات
والسيئات يعني الخصب والجدب وكما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير
فتنة فالخير يسمى بلاء والشر يسمى بلاء غير ان الاكثر في الشر ان يقال

كيف تنكرون

الافعال

الآية فقال تعالى واذ انجيناكم من آل فرعون

بلوته ابلوه بلاء وفي الخير ابليته ابليه ابلاء وقال زهير
في البلاء الذي هو الخير: جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم • وابلاهما
خير البلاء الذي يبلو • الذي جمع بين اللغتين لانه اراد فانعم الله عليهما
خير النعمة التي يختبر بها عباده • وكيف يجوز ان يضيف تعالى ما جرى
من آل فرعون من ذبح الابناء وغيره الى نفسه وهو قبيح منهم
عليه ومحرم وكيف يكون ذلك من فعله وهو تعالى قد عدد ذلك عليهم
منة ونعمة عليهم وكان يجب على هذا ان يكون انما نجاهم من فعله
تعالى بفعله وهذا مستحيل لا يعقل ولا يحصل على انه يمكن ان يرد
قوله ذلكم الى ما نجاهم عنه آل فرعون من الافعال القبيحة ويكون
المعنى ان في تخليته بينهم وبينكم وترك منعهم من ايقاع هذه
الافعال بكم بلاء من ربكم عظيم اي محنة لكم واختبار لكم والوجه الاول
اقوى واولى وعليه جماعة المفسرين • وروى ابو بكر الهذلي عن الحسن
في قوله تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قال نعمة عليكم اذ انجاكم
من ذلك • عن ابن عباس والسدي ومجاهد وغيرهم • فاما اضافة
النجاة اليه وان كانت واقعة بسيرهم وفعلهم فلو دل على ما ظنوه
لوجب اذا قلنا ان الرسول عليه السلام انقذنا من الشرك واخرجنا
من الضلالة الى الهدى ونجانا من الكفر ان يكون فاعلا لافعالنا
وكذلك قد يقول احدنا لغيره انا نجيتك من كذا وكذا واخرجتك
وخلصتك ولا يريد انه فعل نفسه وفعله • والمعنى في ذلك ظاهر
لانا انما نجونا بتوفيق الله تعالى ودلالته وهدايته ومعونته والطافه
تكثير اضافته اليه تعالى فعلى هذا صحت اضافة النجاة اليه تعالى
ويمكن ايضا ان يكون مضيفا لها اليه تعالى من حيث ثبط عنهم
الاعداء وشغلهم عن طلبهم وكل هذا يرجع الى المعونة فتارة يكون

بأمر

٢ وقد روى مثل ذلك

بأمر يرجع اليهم وتارة بأمر يرجع الى اعدائهم • فان قيل كيف يصح ان
يقول واذ انجيناكم فيخاطب بذلك من لم يدرك فرعون ولا نجا من
شره • قلنا ذلك معروف مشهور في كلام العرب وله نظائر لان
العرب قد تقول فعلنا بكم يوم عكاظ وقتلناكم يوم كذا فانما
يريدان قومي فعلوا ذلك بقومك • وقال الاخطل يهجو جرير بن عطية

ولقد سما لكم الهذيل فنالكم • باراب حيث يقسم الانفالا •
في فيلق يدعو الاراقم لم تكن • فرسانه عزلا ولا اكفالا •

ولم يلحق جرير الهذيل ولا ادرك اليوم الذي ذكره غير انه لما كان يوما
من ايام قوم الاخطل على قوم جرير اضاف الخطاب اليه والى
قومه فكذلك خطاب الله تعالى بالآية انما توجه الى ابناء من نجى
من آل فرعون واخلافهم والمعنى واذ نجينا آباءكم واسلافكم
والنعمة على السلف نعمة على الخلف • قال الشريف المرتضى رضي
الله عنه • ومن حسن الشعر في الجود والضيافة والانس بها والايثار
عليها قول حاتم بن عبد الله الطائي •

اذا ما بخيل الناس هرت كلابه • وشق على الضيف الغريب عقورها •
فاني جبان الكلب بيتي موطأ • جواد اذا ما النفس شح ضميرها •
وان كلابي قد اقرت وعودت • قليل على من يعتريها هريرها •

اراد بقوله قليل على من يعتريها هريرها انها لا هرير لها وكذلك نظائره
كثيرة • ومثله قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون • ومثل قوله فاني جبان
الكلب معنى ولفظا قول الشاعر • وما يك في من عيب فاني •
جبان الكلب مهزول الفصيل • وانما اراد اني اوثر الضيف بالالبان
فتفصل مهازيل • ومثل اللفظ والمعنى قول ابن هرمة •

وآل الزبير بنو حرة • مروا بالسيوف الصدور الحنانا •

الهذيل بن هبيرة التغلبي وكان غزا بني يربوع يوم اراب واراب اسم ماء

اقرت يعتريها





ازمان لم تأخذ الى سلاحها • ابلي بجلتها ولا ابكارها •
ابن ما ان ابانها ولحومها • فاهين ذلك بصفقتها وبجارها •
وقال المضرس بن ربعي الاسدي • وكالمعن الاضياف ان ينزلوا بنا
ولا يمنع الكوماء منا نصيرها • ويشقى لا معنهم اي لا يبعدهم واللعين البعيد
وتعسيرها ما هنا ما يمنع من عقرها من حبس لها او لعام وولده وما يجري مجرى ذلك
الجري والتعسر السلاح في المعنى واحد مجلس آخر تأويل آية ان سأل
سائل عن قوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان
يشاء الله فقال ما تنكرون ان يكون ظاهر هذه الآية يقتضي ان يكون
جميع ما يفعله العباد ونريده لانه تعالى لم يخص شيئا من شيء • وهذا
بخلاف مذهبكم وليس لكم انه خطاب للرسول عليه السلام خاصة
وهو لا يفعل الا ما يشاء الله تعالى لانه قد يفعل المباح بلا خلاف ويفعل
الصغائر عند اكثركم فلا بد من ان يكون في افعاله عليه السلام ما لا
يشاؤه عندكم ولانه ايضا تأديب لنا كما انه تعليم له عليه السلام ولذلك
يحسن منا ان نقول ذلك فيما نفعله الجواب قلنا تأويل هذه
الآية مبني على وجهين احدهما ان نجعل حرف الشرط الذي هو ان
متعلقا بما يليه وبما هو متعلق به في الظاهر من غير تقدير محذوف و
يكون التقدير ولا تقولن انك تفعل الا ما يريد الله وهذا الجواب ذكره
الفراء وما رأيت ... ومن العجب تعلقه الى مثل هذا مع انهم
متظاهرا بالقول بالعدل وعلى هذا الجواب لا شبهة في الآية
ولا سؤال للقوم علينا • وفي هذا الوجه ترجيح على غيره من حيث اتبعنا
فيه الظاهر ولم نقدر محذوفا • وكل جواب طابق الظاهر ولم يبن
على محذوف كان اولى والجواب الثاني ان فاعل ذلك الا ان يقول
ان شاء الله لان من عادتهم اضافة القول في مثل هذا الموضع

والاختصار الكلام او الطال وكان في الموجود منه دلالة على المفقود •
وعلى هذا الجواب يحتاج الى الجواب عما سألنا عنه فنقول ان هذا
تأديب من الله عز وجل لعباده وتعليم لهم ان يعلقوا ما يخبرون به
بهذه اللفظة حتى يخرج من حد القطع • ولا شبهة في ان ذلك مختص
بالطاعات وان الافعال القبيحة خارجة عنه لان احدا من المسلمين
لا يستحسن ان يقول اني ازني غدا ان شاء الله وكلهم يمنع من ذلك
اشد المنع فعلم سقوط شبهة من ظن ان الآية عامة في جميع الافعال
واما ابو علي الجبائي محمد بن عبد الوهاب فانه ذكر في تأويل هذه
الآية ما نحن ذاكروه بعينه قال انما عنى بذلك ان من كان لا يعلم
انه يبقى الى غد حيا فلا يجوز ان يقول اني سأفعل غدا كذا وكذا
فيطلق الخبر بذلك وهو لا يدري لعله سيموت ولا يفعل ما خبر به لان
هذا الخبر اذا لم يوجد مخبره على ما اخبر به المخبر فهو كذب واذا كان المخبر
لا يأمن ان لا يوجد مخبره لحدوث امر من فعل الله تعالى نحو الموت
او العجز واذا لم يأمن ذلك لم يجز ان يخبر به ولا يسلم خبره هذا من
الكذب الا بالاستثناء الذي ذكره الله تعالى واذا قال اني صائر
غدا الى المسجد ان شاء الله فاستثنى في مصيره مشيئة الله جل وعز
امن ان يكون خبره في هذا كذبا لان الله تعالى ان شاء ان يلجئه الى
المصير الى المسجد الجأه الى ذلك وكان المصير منه لا محالة واذا كان
ذلك على ما وصفناه لم يكن خبره هذا كذبا وان لم يوجد منه المصير الى
المسجد لانه لا يوجد ما استثناه في ذلك من مشيئة الله تعالى قال
وينبغي ان لا يستثني مشيئته دون مشيئة لانه ان استثنى مشيئة الله تعالى
بمصيره الى المسجد على وجه التعبد فهو ايضا لا يأمن ان يكون خبره كذبا
لان الانسان قد يترك كثيرا مما شاء الله تعالى منه وتعبده

ولو كان استثنى مشيئة الله لأن يبقيه ويقدره ويرفع عنه الموانع
كان أيضا لا يأمن أن يكون خبره كذبا لأنه قد يجوز أن لا يصير إلى المسجد
مع تبقية الله تعالى له قادرا مخلى فلا يأمن من الكذب في هذا
الخبر وكذلك إن يستثني المشيئة العامة التي ذكرناها فإذا أدخلت
هذه المشيئة في الاستثناء فقد أمن أن يكون خبره كذبا إذا كانت
هذه المشيئة متى وجدت وجب أن يدخل المسجد لا محالة قال ومثل
هذا الاستثناء يزيل الحنث عمن حلف فقال والله لأصيرن غدا
إلى المسجد إن شاء الله لأنه إن استثنى على سبيل ما بيناه لم يجز أن
يحنث في يمينه ولو خص استثناءه بمشيئة بعينها ثم كانت ولم يدخل
معها إلى المسجد لحنث في يمينه. وحمل غير أبي علي أن المشيئة المستثناة
ههنا هي مشيئة المنع والحيلولة فكأنه قال إن شاء الله تخليتي ولا يمنعني
ومن الناس من قال المقصد بذلك أن يقف الكلام عن جهة
القطع وإن لم يلزم به ما كان يلزم لولا الاستثناء ولا ينوي في
ذلك إلجاء ولا غيره وهذا الوجه يحكى عن الحسن البصري. واعلم أن
للاستثناء الداخل على الكلام وجوها مختلفة فقد يدخل في الأيمان
والطلاق والعتاق وسائر العقود وما يجري مجراها من الأخبار
فإذا دخل ذلك اقتضى التوقف عن إمضاء الكلام والمنع من
لزوم ما كان يلزم به ويزيل الكلام عن الوجه الذي وضع له ولذلك
يصير ما تكلم به كأنه لا حكم له ولذلك يصح على هذا الوجه أن يستثني
في الماضي فيقول قد دخلت الدار إن شاء الله فيخرج بهذا الاستثناء
من أن يكون كلامه خبرا قاطعا أو يلزمه حكم وإنما لم يصح دخوله في
المعاصي على هذا الوجه لأن فيه إظهار الانقطاع إلى الله تعالى و
المعاصي لا يصح ذلك فيها. وهذا الوجه أحد ما يحتمل تأويل الآية وقد

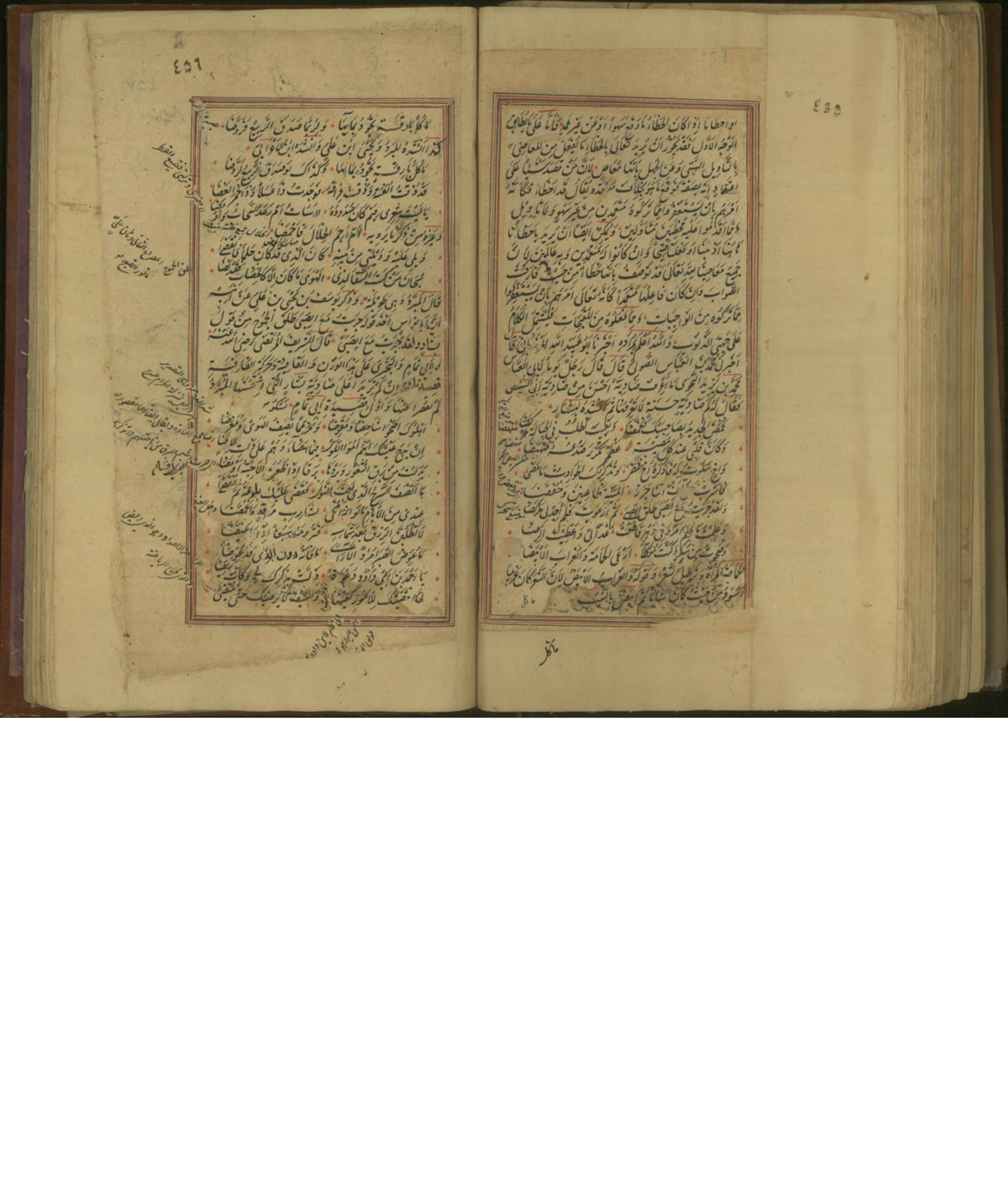
يدخل

يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به اللطف والتسهيل وهذا الوجه
يخص الطاعات. وهذا الوجه يجري مجرى قول القائل لأقضين
غدا ما علي من الدين ولأصلين غدا إن شاء الله يجري أن يقول
إني أفعل ذلك إن لطف الله تعالى به وسهله فيعلم أن المقصد
واحد وأنه متى قصد الحالف بيمينه هذا الوجه لم يحنث إذا لم يقع منه
فعل أن يكون حانثا أو كاذبا لأنه بأن لم يقع علمنا أنه لم يلطف
له فيها من لطف وذلك لأن فيها ما لا لطف فيه جملة فإن الفعل
بما هذه سبيله قد يكشف عن أنه لا لطف فيه. وهذا الوجه لا يصح
أن يقال في الآية لأنه يخص الطاعات والآية تتناول كل ما لم يكن
قبيحا بدلالة اجتماع المسلمين على حسن الاستثناء ما تضمنته في كل فعل
ليس بقبيح وقد يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به التسهيل والإقدار
والتخلية والبقاء على ما هو عليه من الأحوال وهذا هو المراد به إذا
دخل في المباحات. وهذا الوجه يمكن في الآية إلا أنه يعترضه ما ذكره
أبو علي مما حكيناه من كلامه. وقد يذكر استثناء المشيئة أيضا في
الكلام وإن لم يرد به شيء مما تقدم بل يكون الغرض إظهار الانقطاع
إلى الله تعالى من غير أن يقصد به إلى شيء من الوجوه المتقدمة ويكون
هذا الاستثناء غير معتد به في كونه كاذبا أو صادقا لأنه في الحكم كأنه
قال لأفعلن كذا إن وصلت إلى مرادي مع انقطاعي إلى الله تعالى
وإظهاري الحاجة إليه. وهذا الوجه أيضا يمكن في تأويل الآية. ومتى
تؤمل جملة ما ذكرناه من الكلام عرف منه الجواب عن المسألة التي
لا يزال يسأل عنها الملحدون من قولهم لو كان الله تعالى إنما يريد
العبادات من الأفعال دون المعاصي لوجب إذا حلف من [illegible]
عليه ومن [illegible] لأقضين حقك غدا إن شاء الله أن يكون

لانه لا لطف له وليس لاحد ان يعترض
هذا بان يقول الطاعات لا بد لهم













وإنما لا تكون صفراء في نحرها إلا لأجل الطيب • فأما قول الآخر
فكأنما أراد أنها تصبغ بلون صفرتها • والوجه الثالث أن تكون الإبل
كانت صفراء على الحقيقة فإن أكثر ... بأمراة صفر القول

أصفراً لا أنسى هواك ولا ودي • ولا ما مضى بيني وبينك من عهد
لقد كان ما بيني زماناً وبينها • كما كان بين المسك والعنبر الورد

وكقوله • أصفراً كان الود منك مباحاً • ليالي كان الهجر منك حراماً
وقد زوى ملاحاً فلما غبت حزن قباحاً • وقوله قباحاً فلما غبت صرن
ملاحاً • يشبه قول السيد بن محمد الحميري • وإذا حضرت مع الملاح بمجلس
أبصرتهن وما فيهن قباحا • فأما قوله بعض الشعر لم ترح سوانا فإنما
لا يكون مناقضاً لقوله صفراً وإن أراد بالصفرة لونها لأن البياض
ها هنا ليس بعبارة عن اللون وإنما هو عبارة عن نقاء العرض
وسلامته من الأدناس • والعرب لا تكاد تستعمل البياض إلا في
هذا المعنى دون اللون لأن البياض عندهم البرص ويقولون في
الأبيض الأحمر ومنه قول الشاعر • جاءت به بيضاً تجمل
من عند شمس صلت الخد • ومثله بيض الوجوه وإن كان باللون الحقيقي
أحق أقوالها كالخيزرانة لأن الخيزران يقرب إلى الصفرة • ويحتمل أيضاً
أن يريد بالصفراء اللون الثابت ويكون تشبيهها كالخيزرانة أنها تشبهها
في التثني والتعطف ولقد أحسن جران العود في قوله في المعنى الذي
تقدم • كأن سبيكة صفراء صبت • عليها ثم ليث بالإزار
يرود العارضين كأن فاها • بعيد النوم مسك مستثار

مجلس آخر • إن سأل سائل عن قوله تعالى الله يستهزئ
بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون فقال كيف أضاف الاستهزاء إلى نفسه
تعالى وهو مما لا يجوز في الحقيقة عليه وكيف خبر بأنه يمدهم في الطغيان

وذلك بخلاف

وذلك بخلاف مذهبكم الجواب • قلنا في قوله تعالى الله يستهزئ
بهم وجوه • أولها أن يكون معنى الاستهزاء الذي أضافه تعالى إلى
نفسه تجهيله لهم وتخطئته إياهم في إقامتهم على الكفر وإصرارهم على
الضلال وسمى الله تعالى ذلك استهزاءً مجازاً واتساعاً كما يقول
القائل إن فلاناً ليستهزأ به منذ اليوم إذا فعل فعلاً عابه الناس
به وخطؤوه فيه فأقيم عيب الناس على ذلك الفعل • وإزراؤهم
على فاعله مقام الاستهزاء به وإنما أقيم مقامه لتقارب ما بينهما
في المعنى لأن الاستهزاء الحقيقي هو ما يقصد به إلى عيب المستهزأ به والإزراء
عليه وإذا تضمنت التخطئة والتجهيل والتبكيت هذا المعنى جاز أن
يجري اسم الاستهزاء عليه • ويشهد بذلك قوله تعالى وقد نزل عليكم
في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ونحن
نعلم أن الآيات لا يصح عليها الاستهزاء ولا السخرية في الحقيقة وإنما
المعنى إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويزرى عليها والعرب قد تقيم
الشيء مقام ما قاربه في معناه فتجري عليه اسمه قال الشاعر •

كم أناس في نعيم عمروا • في ذرى ملك تعالى وبسق
سكت الدهر زماناً عنهم • ثم أبكاهم دماً حين نطق

والسكوت والنطق على الحقيقة لا يجوزان على الدهر وإنما شبه تركه
الحال على ما هي عليه بالسكوت وشبه تغييرها بالنطق وأنشد الفراء

إن دهراً يلف شملي بجمل • لزمان يهم بالإحسان

وقيل ذلك في الاستعارة لتقارب المعنى

سألتني عن أناس هلكوا • شرب الدهر عليهم وأكل

وإنما أراد بالأكل والشرب الإفناء لهم والتغيير لأحوالهم ومنه قول الآخر

يقر بعيني أن أرى لمكانها • وإن كان باب الكرخ يحبي جلدا

الجواب الثاني ان يكون معنى الاستهزاء المضاف اليه تعالى ان
يستدرجهم ويهلكهم من حيث لا يعلمون ولا يشعرون ويروى عن ابن
عباس قال في معنى استدراجه اياهم انهم كانوا كلما احدثوا خطيئة
جدد لهم نعمة وانما سمي الفعل استهزاء من حيث غيب تعالى عنهم
من الاستدراج الى الهلاك غير ما اظهر لهم من النعم كما ان المستهزئ
منا المخادع لغيره يظهر امرا ويضمر غيره فان قيل هذا الجواب فالمسئلة
قائمة واي وجه لان يستدرجهم بالنعم الى الهلاك قلنا ليس الهلاك
ها هنا هو الكفر وما اشبهه من المعاصي التي يستحق بها العقاب
وانما يستدرجهم الى الضرر والعقاب الذي استحقوه بما تقدم من
كفرهم ولله تعالى ان يعاقب المستحق بما شاء اي وقت شاء
فكانه تعالى قال لما كفروا وبدلوا نعمة الله وعاندوا رسله لم يغير
نعمه عليهم في الدنيا بل بقاها لتكون متى نزعها عنهم وابدلهم بها
ما يكون الحسرة منهم اعظم والضرر عليهم اكبر فان قيل وهذا الوجه يؤدي
الى ان يكون بعض ما ظاهره النعمة على الكفار مما لا يستحق به الله
تعالى الشكر عليهم قلنا ليس يمتنع هذا فيمن استحق العقاب
والمنكر ان يكون النعم المبتداة بهذه الصفة على ما [illegible]
الا ترى ان الحيوة وما يجري مجراها من حفظ التركيب والصحة لا يعد
على اهل النار نعمة وان كان على اهل الجنة نعمة من حيث كان
الغرض به ايصال العقاب اليهم والجواب الثالث ان يكون
معنى استهزائه انه جعل لهم بما اظهروه من موافقة اوليائه اهل الايمان
ظاهر احكامهم من نصرة ومناكحة وموارثة ومساهمة في الفيء وغير ذلك
من الاحكام وان كان تعالى معدا لهم في الاخرة اليم العقاب لما ابطنوه
من النفاق واسروه من الكفر فكانه تعالى قال لهم انتم ايها

الناس المنافقون بما تظهرونه للمؤمنين من المتابعة والموافقة وتبطنونه
وتطلعون عليه شياطينكم اذا خلوتم بهم فتظنون انكم
مستهزئون فالله هو المستهزئ بكم من حيث جعل لكم احكام المؤمنين ظاهرا
حتى ظننتم ان لكم ما لهم ثم ميز تعالى بينكم في الاخرة ودار الجزاء من
حيث اثاب المخلصين الذين توافق ظواهرهم بواطنهم وعاقب
المنافقين وهذا الجواب يقرب معناه من الجواب الثاني وان
كان بينهما خلاف من بعض الوجوه والجواب الرابع ان يكون معنى
ذلك ان الله تعالى هو الذي يرد استهزاءكم ومكركم عليكم وان ضرر ما فعلتموه
لم يتعداكم ولم يخطئكم ونظير ذلك قول القائل ان فلانا اراد ان
يخدعني فخدعته وقصد الى ان يمكر بي فمكرت به والمعنى ان ضرر خداعه
ومكره عاد اليه ولم يضرني به والجواب الخامس ان يكون المعنى
انه يجازيهم على استهزائهم فسمى الجزاء على الذنب باسم الذنب والعرب
تسمي الجزاء على الفعل باسمه قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها
وقال تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به والمبتدأ ليس بعقوبة وقال
الشاعر الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا ومن
شأن العرب ان تسمي الشيء باسم ما يقاربه ويصاحبه ويشاكله وشدة اتصاله
وتعلقه به اذا انكشف المعنى وامن الابهام وربما غلبوا ايضا اسم
احد الشيئين على الاخر لشدة التعلق بينهما وشدة الاختصاص فيهما
فمثال الاول قولهم للبعير الذي يحمل المزادة راوية فسموا البعير باسم
ما يحمله قال الشاعر تمشي من الردة مشي الحفل
مشي الروايا بالمزاد الاثقل ومن ذلك انهم يقولون [illegible]
قال الشاعر [illegible] ويذهب بالاول الاول





خليلي هل تشفي من الشوق والجوى • مزاود ذري الأوطان لا بل تشوقها
ويزداد في قرب اليها صبابة • ويبعد من فرط اشتياق طريقها
وما ينفع اطراف ذا اللوح ان ترى • حياض القرى مملوءة لا يذوقها
ولا تخرق تذكر الاخوان والحنين اليها •
الا قل لدار بين اكثبة الحمى • وذات الغضا جادت عليك الهواضب
احبك لا اني الا تعلقت • ومن اضاعت ما حفظت سواكب
وبان تناسمت الهوا بجوها • وطاوعني فيها الهوى والحبائب
ليالي لا الهجران يحكم بيننا • على وصل من اهوى ولا الظن كاذب
وانشد ابو نصر صاحب الاصمعي لاعرابي •
الا ليت شعري هل ابيتن ليلة • باكناف نجد وهي خضر متونها
وهل تشربن الدهر من ماء مزنة • بنجد ليالي حيث تاخذ معينها
بلاد بها النخل فاصبحت • خلا وترعاها مع الادم عينها
كثبان فيها بالشباب وبالصبى • يميل بنا اهوى على غصونها
وانشد الاصمعي لصدقة بن نافع الغنوي •
الا ليت شعري هل تحنن ناقتي • بمفضى نجد حيث كان مسيرها
فتلك بلاد حبب الله اهلها • الي وان لم تعط نصفا امورها
بلاد بها انضيت واجلة الصبا • ولا ثبت لنا ايامها وشهورها
فقدنا بها الف المكدر شوبه • ودار علينا بالنعيم سرورها
وانشد ابو محلم لسواد بن المضرب •
سقى الله اليمامة من بلاد • نوافحها كارواح الغواني
وجو زاهر للريح فيه • نسيم لا يدوم الى الترب وان
تهامة الشباب الى [illegible] • يحج عندنا حسن الاماني
وانشد اسحق الموصلي •

الا يا حبذا

الا يا حبذا حبات سلمى • وحاذر باضها جون السحاب
خلعت بها العذار ولت فيها • تمنى بطاعة او باغتصاب
اسوم بباطلي طلبات لهوي • ويعذرني به عصر الشباب
وكل هؤلاء على ما ترى تجد اشعروا بان سبب حنينهم الى الاوطان ما لبسوه فيها من ثوب الشباب واستطلعوه من ظله والصبوة من رواحله وانه كان يعذرهم ويحسن قبائحهم فعلى اي شي يعلو الناس في قول ابن الرومي •
وحبب اوطان الرجال اليهم • مارب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم • عهود الصبى فيها فحنوا لذلكا
ويزعمون انه سبق الى ما لم يسبق اليه وكشف عن هذا المعنى مشوذا ووسم عقلا وقوله وان كان جيد المعنى سليم اللفظ فلم يزد فيه على ما تقدم ولا ابدع بل اتبع ولكن الجيد اذا ورد ممن يتعهد منه الردي كثر استحسانه وزاد استغرابه
ولقد احسن البحتري في قوله في هذا المعنى
فسقى الغضا والنازليه وان هم • شبوه بين جوانحي وقلوب
وقصار ايام به سرقت لنا • حسناتها من كاشح ورقيب
خضر تساقط الفتى فكانها • ورق تساقط اخضرا من قضيب
كانت تحن بطالة فتفرمت • ثم وصل غانية ووصل حبيب
واحسن في قوله ايضا سقى الله اخلاف الدهر وطنه سقيني الجوى اذا برق
ليالي سرقناها من الدهر بعدما • اضاء باصباح من الشيب مفرق
تداويت من ليلى بليلى فما اشتفى • بماء الربى من بات بالماء يشرق
ولابي تمام في هذا المعنى ما لا يقصر عن احسانه
سلام ترجف الاحشاء منه • على الحسن بن وهب والعراق
على البلد الحبيب الي غورا • ونجدا والاخ العذب المذاق

عهد الشباب

٢ الجوى اذا برق



لبانى تحن في عضلات عبس * كان اثد هر عتاب وثاق

وايام كه ولت لدان عيشنا * في حواشيها الرقاق

كان العهد عن عقر لديشا * وان كان التلاقي عن تلاق

مجلس [آخر] ان سال سائل عن قوله تعالى قلنا اهبطوا
منها جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى
حين فقال كيف خاطب تعالى ادم وحوا عليهما السلام بخطاب
الجمع وهما اثنان وكيف تصح بينهما العداوة واى عداوة كانت
منهما الجواب قلنا قد ذكر في هذه الاية وجوه اولها ان يكون
الخطاب متوجها الى ادم وحوا وذريتهما لان الوالدين يدلان
على الذرية ويتعلق بهما ويقوى ذلك قوله تعالى حاكيا عن
ابراهيم واسمعيل عليهما السلم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا
امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وثانيها ان يكون الخطاب
لادم وحوا عليهما السلم ولابليس اللعين وان يكون الجمع مشتركين
في الامر بالهبوط وليس لاحد ان يستبعد هذا الجواب من حيث
لم يتقدم لابليس ذكر في قوله وما ادم اسكن انت وزوجك
الجنة لانه وان لم يخاطب بذلك فقد جرى ذكره في قوله تعالى
فازلهما الشيطان عنها
فاخرجهما مما كانا فيه فجاز ان يعود الخطاب على الجميع وثالثها
ان يكون الخطاب متوجها الى ادم وحوا عليهما السلم والحية التي كانت
معهما على ما روي عن كثير من المفسرين وفي هذا الوجه بعد من
قبل ان خطاب من لا يفهم الخطاب لا يحسن فلا بد ان يكون قبيحا
اللهم الا ان يقال انه لم يكن هناك قول في الحقيقة ولا خطاب
وانما كنى عن اهباطه لهم بالقول كما يقول القائل قلت

فقلت

فلقيت الامير وقلت فضربت زيدا وانما يخبر عن الفعل دون
القول وهذا خلاف الظاهر وان كان مستعملا * وفي هذا الوجه بعد
من وجه اخر وهو انه لم يتقدم للحية ذكر في نص القران والكناية
عن غير مذكور لا يحسن الا حيث لا يقع لبس ولا يسبق وهم الى تعليق
الكناية بغير المكنى عنه حتى يكون ذكره كترك ذكره في البيان عن
المعنى المقصود ومثل قوله تعالى حتى توارت بالحجاب وكل
من عليها فان * ومثله قول الشاعر *

اماوي ما يغني الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فاما حيث لا يكون الحال على هذا فالكناية عن غير مذكور قبيحة
ورابعها ان يكون الخطاب يختص ادم وحوا عليهما السلم
وخاطب الاثنين بالجمع على عادة العرب في ذلك ولان التثنية
اول الجمع قال الله تعالى اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين
اراد تعالى لحكم داود وسليمان عليهما السلم وكان بعض اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتاول قوله فان كان له اخوة
على معنى فان كان له اخوان وقال الراعي

اخليد ان اباك ضاف وساده * همان باتا جنبه ودخيلا

طرقا فتلك هماهمي اقريهما * قلصا لواقح كالقسي وحولا

فعبر بالهماهم وهي جمع عن الهمين وهما اثنان فان قيل ما معنى
الهبوط الذي امروا به قلنا اكثر المفسرين على ان الهبوط النزول
من السماء الى الارض وليس في ظاهر القران ما يوجب ذلك لان
الهبوط كما يكون النزول من علو الى اسفل فقد يراد به الحلول في
المكان والنزول به قال الله تعالى اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم
ويقول القائل من العرب هبطنا بلد كذا وكذا يريد حللنا [illegible]



مازلت أزعجهم حتى إذا هبطت • أيدي المطي بهم من راكس فلقا

وقد يجوز على هذا أن يكون تعالى أراد بالهبوط الخروج من المكان
وحلول غيره ويحتمل أيضا أن يريد بالهبوط معنى غير معنى المسافة
بل الانحطاط من منزلة إلى دونها كما يقولون قد هبط فلان عن
منزلته ونزل عن مكانه إذا كان على رتبة فانحط إلى دونها فإن
قيل فما معنى قوله بعضكم لبعض عدو قلنا أما عداوة إبليس لآدم
وذريته فمعروفة مشهورة وأما عداوة آدم عليه السلام والمؤمنين
من ذريته لإبليس فهي واجبة لما يجب على المؤمنين من معاداة
الكفار المارقين عن طاعة الله تعالى المستحقين لمقته وعداوته
والحية على الوجه الذي تضمن • وإدخالهما في الخطاب
لبني آدم معروف وكذلك تحذرهم منها وتجنبهم فأما الوجه الذي يتضمن
الخطاب اختص آدم وحواء عليهما السلام دون غيرهما فيجب أن يحمل
قوله بعضكم لبعض عدو على أن المراد به الذرية كأنه تعالى قال
اهبطوا وقد علمت من حال ذريتكم أن بعضهم يعادي بعضا
وعلق الخطاب بهما للاختصاص بين الذرية وبين أصلها فإن
قيل أليس ظاهر قوله تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدو يقتضي أنه أمر بالمعاداة كما أنه أمر بالهبوط
وهذا الوجه أن يكون تعالى أمر بالقبيح على وجه لأن معاداة إبليس
لآدم عليه السلام قبيحة ومعاداة الكفار من ذريته للمؤمنين منهم
كذلك قلنا ليس يقتضي الظاهر ما ظننتموه وإنما يقتضي أنه أمرهما
بالهبوط في حال عداوة بعضهم بعضا والأمر مختص بالهبوط والعداوة
تجري مجرى الحال وهذا له نظائر كثيرة في كلام العرب ويجري
مجرى هذه الآية في أن المراد بها الحال قوله تعالى إنما يريد الله
ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون • وليس

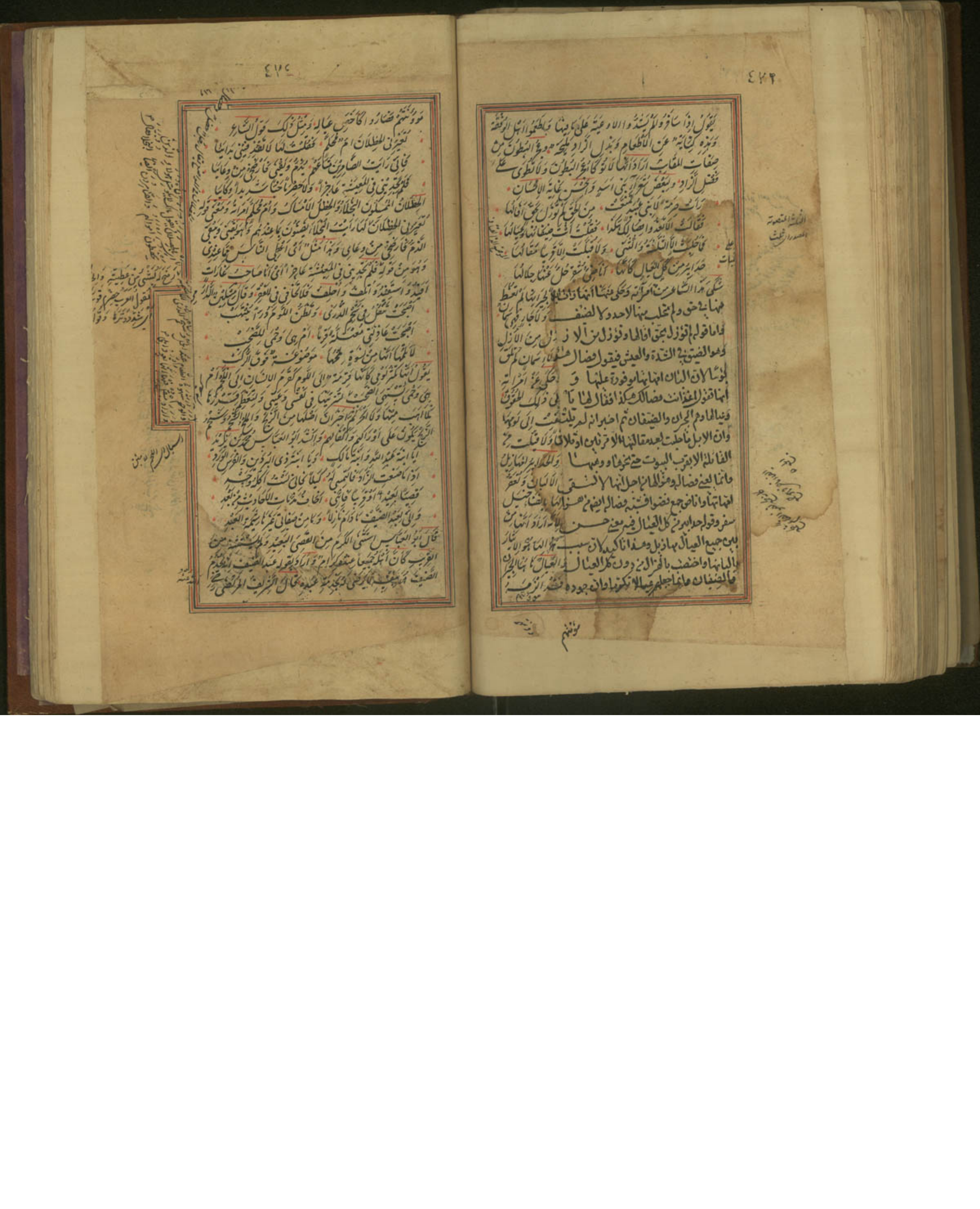
معنى ذلك أنه أراد كفرهم كما أراد تعذيبهم وإزهاق نفوسهم بل أراد
أن تزهق أنفسهم في حال كفرهم وكذلك القول في الآية والهبوط
[illegible] قال الشريف المرتضى رضي الله عنه ومن مستحسن مدح
السادة الكرام قول الشاعر

ويل أم قوم غدوا عنكم لطيتهم • لا يكنسون ولا يطوى على الفضل
صدأ السرابيل لا توكا مفاخرهم • [illegible] ولا تطوى على الفضل

وقوله ويل أم قوم من الزجر المحمود الذي لا يقصد به الذم كما يقال قاتلهم
الله فلانا ما أشجعه [illegible] وقيل في قول جميل

رمى الله في عيني بثينة بالقذى • وفي الغر من أنيابها بالقوادح

إنه أراد بهذا المعنى بعينه وقيل أيضا إنه دعا لها بالهرم وعلو السن لأن الكبير
قد يكثر قذى عينيه ويتهشم أسنانه وقيل إنه أراد بعينيها رقيبيها
وبغر أنيابها سادات قومها ووجوههم والأول أشبه بطريقة
القوم وإن كان القول محتملا للكل وأما قوله لا يكنسون غداة العل والنهل
فإنما أراد أنهم ليسوا رعاة يسقون الإبل بل لهم من يخدمهم ويكفيهم ويرعى
إبلهم وإنما يكنس من يخرج على الدلو السقاة والرعاة وفيه وجه آخر
قيل إنهم ليسامحون شربهم ويؤثرون على أنفسهم بالسقي قبل أموالهم ولا يصولون
عليه ولا يكنسون وهذا من الكرم والتفضل لأن الضعف وقيل
التفاضل يعني أنهم أعزاء ومنعة لهم أوردت إبلهم ما أفرج الناس بهاليل
لنا عنه لأنا قد عرفت فليس يحتاج أربابها إلى الاكتناس والتعرف وقد
توهم في قوله يكنسون أنه من قولهم كنت تده نكبي إذا اخشنت من
العمل فيقول ليسوا بأهل مهنة فتكنس أيديهم وتخشن من العمل بل لهم
عبيد يكفونهم ذلك وقوله صدأ السرابيل فإنما أراد به طول حملهم
السلاح وتلبسهم والمقانب في الأوعية التي يكون فيها الزاد فكأنه



وكتيبة ذلك قول المقنع الكندي

وإني لعبد الضيف ما دام نازلا . وما لي سواها شيمة تشبه العبدا

وإنما اشترط أنه عبد الضيف في البيت الأول والثاني ثواه ونزوله
ليعلم أن الخدمة لم تكن لضعة وضعف قدر بل إنما توجبه الكرم من حق
الأضياف وإنه يخرج عن أن يكون مخدوما بخروجهم من
ضيفانه ولو قال وإني لعبد الضيف ولم يشترط لم يحصل هذا المعنى الجليل

مجلس آخر إن سأل سائل فقال ما تقولون من خالفكم في
الاستطاعة وزعم أن المكلف يؤمر بما لا يقدر عليه ولا يستطيعه إذا
تعلق بقوله تعالى انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون
سبيلا وأن الظاهر من هذه الآية يوجب أنهم غير مستطيعين للأمر
الذي لم يخرجوا فاعلين له وأن القدرة مع الفعل وبقوله
تعالى في قصة موسى إنك لن تستطيع معي صبرا وإنه نفى كونه قادرا
عن الصبر في حال وهو فيها غير صابر وبهذا يقال له أول ما نقوله أن
المخالف لنا في هذا الباب من الاستطاعة لا يصح له التعلق بالسمع
لأن مذهبه لا يسلم معه صحة السمع ولا يتمكن مع المقام عليه من معرفة
السمع بأدلته وإنما قلنا ذلك لأن من جوز تكليف الله تعالى الكافر
الإيمان وهو لا يقدر عليه لا يمكنه العلم بنفي القبائح عن الله جل وعز
وإذا لم يمكنه ذلك فلا بد من أن يجوز فعل القبائح في أفعاله تعالى
وأخباره ولا يأمن أن يرسل كذابا وأن يخبر هو بالكذب تعالى
عن ذلك فالسمع إن كان كلامه قدح في صحته تجويز الكذب
عليه وإن كان كلام رسوله عليه السلام قدح فيه ما يلزمه من تجويز
الكذاب وإنما طرق ذلك تجويز بعض القبائح عليه وليس لهم
أن يقولوا إن أمره تعالى للكافر بالإيمان وإن لم يقدر عليه

يحسن من حيث أتى الكافر فيه من قبل نفسه لأنه اشتغل بالكفر
وترك الإيمان لأنا إنما كان يبطل تعلقنا بالسمع لو أضفنا ذلك إليه
تعالى على وجه يقبح وذلك لأن ما قالوه إذا سلم لم يؤثر في كون ما ذكرناه
تكليفا لما لا يطاق بل يؤثر في نفي ما أرسناه عنهم لأنه يلزم على ذلك
بأن يفعل الكذب وسائر القبائح ويكون حسنا منه بأن يفعلها
من وجه لا يقبح منه وليس قولهم إنا لم نضفه إليه من وجه يقبح بشيء
يعتمد بل يجري مجرى قول من جوز عليه تعالى الكذب ويكون الكذب
منه تعالى حسنا ويدعي مع ذلك صحة معرفة السمع بأن يقول إني
لم أضف إليه تعالى قبيحا فيلزمني إفساد طريق السمع فلما كان من
ذكرناه لا عذر له في هذا الكلام لم يكن للمخالف في الاستطاعة عذر
بمثله ونعود إلى تأويل الآي أما قوله انظر كيف ضربوا لك الأمثال
فضلوا فلا يستطيعون سبيلا فليس فيه ذكر للشيء الذي لا يقدرون
عليه فلا بيان له وإنما كان يصح ما قالوه لو بين تعالى أنهم لا يستطيعون
سبيلا إلى أمر معين فأما إذا لم يكن كذلك فلا متعلق لهم فإن
قيل فقد ذكر تعالى من قبل ضلالهم فيجب أن يكون المراد بقوله فلا
يستطيعون سبيلا إلى مفارقة الضلال قلنا إنه تعالى كما ذكر الضلال
فقد ذكر ضرب المثل منهم فيجوز أن يريد أنهم لا يستطيعون سبيلا إلى
تحقيق ما ضربوه من الأمثال وذلك غير مقدور على الحقيقة ولا
مستطاع والظاهر بهذا الوجه أولى لأنه جل وعز حكى عنهم ضربوا له
الأمثال وجعل ضلالهم وأنهم لا يستطيعون السبيل متعلقا بما تقدم
فيجب أن يكون ظاهر ذلك يوجب رجوع الأمرين إليه جميعا وأنهم ضلوا
بضرب المثل وأنهم لا يستطيعون سبيلا إلى تحقيق ما ضربوه من المثل
لأنه تعالى أخبر بأنهم ضلوا وظاهر ذلك الإخبار عن مضي فعلهم

فان كان قوله تعالى فلا يستطيعون سبيلا يرجع اليه فيجب ان يدل
على انهم لا يقدرون على ترك الماضي وهذا مما لا يخالف فيه وليس
فيه ما تاباه من انهم لا يقدرون في المستقبل او في الحال على مفارقة
الضلال والخروج عنه وتعذر تركه وبعد فاذا لم يكن للاية ظاهر فلم
صاروا بان يحملوا نفي الاستطاعة على امر كلفوه اولى منا اذا حملنا
ذلك على امر لم يكلفوه او على انه اراد الاستثقال والخبر عن عظم
المشقة عليهم وقد جرت عادة اهل اللغة بان يقولوا لمن يستثقل
شيئا انه لا يستطيعه ولا يقدر عليه ولا يتمكن منه الا ترى انهم يقولون
فلان لا يستطيع ان يكلم فلانا ولا ينظر اليه وما اشبه ذلك وانما
غرضهم الاستثقال وشدة الكلفة او المشقة فان قيل فاذا كان
لا ظاهر للاية يشهد بمذهب المخالف فما المراد بها قلنا قد ذكر
ابو علي ان المراد انهم لا يستطيعون الى بيان تكذيبه سبيلا لانهم ضربوا
الامثال ظنا منهم بان ذلك يبين كذبه فاخبر تعالى ان ذلك غير
مستطاع لان تكذيب صادق وابطال حق مما لا يتعلق به قدرة ولا
يتناوله استطاعة وقد ذكر ابو هاشم ان المراد بالاية انهم لاجل ضلالهم
بضرب الامثال وكفرهم لا يستطيعون سبيلا الى الخير الذي هو
النجاة من العقاب والوصول الى الثواب وليس يمكن على هذا
ان يقال كيف لا يستطيعون سبيلا الى الخير والهدى وهم عندكم قادرون
على الايمان والتوبة ومتى فعلوا ذلك استحقوا الثواب لان المراد
انهم مع التمسك بالضلال والمقام على الكفر لا سبيل لهم الى خير وهو ما
لا يمكن لهم سبيل الى ذلك بان يفارقوا ما هم [illegible]
ايضا في معنى الاية ما تقدم لا يستطيع على ما تقدم ذكره كما قاله
تعالى في قصة موسى عليه السلام انك لن تستطيع معي صبرا فظاهره

يقتضي

يقتضي انك لا تستطيع ذلك في المستقبل ولا يدل على انه غير مستطيع
للصبر في الحال لان ما يفعله في الثاني وقد يجوز ان يخرج في المستقبل من
ان يستطيع ما هو في الحال مستطيع له على ان الاية تقتضي خلاف ذلك
لانه قد صبر عن المسئلة اوقاتا وان لم يصبر عنها في جميع الاحوال المستقبلة
فلم ينتف الاستطاعة للصبر عنه في جميع الاوقات المستقبلة على ان
المراد بذلك واضح وانه خبر عن استثقال الصبر عن المسئلة عما لا يعرف
ولا يقف عليه لان مثل ذلك يصعب على النفس ولهذا نجد احدنا
اذا جرى بين يديه ما ينكره ويستبدعه تنازعه نفسه الى المسئلة عنه
والبحث عن حقيقته ويثقل عليه الكف عن الفحص عن امره فلما كان
من صاحب موسى عليه السلام ما يستنكر ظاهره استثقل الصبر عن المسئلة
عن ذلك ويشهد بهذا الوجه قوله تعالى كيف تصبر على ما لم تحط به خبرا
فبين تعالى ان العلة في قلة صبره ما ذكرناه دون غيره ولو كان على
ما ظنوه لوجب ان يقول وكيف تصبر وانت غير مطيق للصبر
فاما قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع فلا تعلق لهم بظاهره لان
السمع ليس بمعنى فيكون مقدورا لان الادراك على المذهب الصحيح
ليس بمعنى ولو ثبت انه معنى على ما يقوله ابو علي لكان ايضا
غير مقدور للعبد من حيث يختص القديم تعالى بالقدرة عليه هذا
ان اريد بالسمع الادراك وان اريد به نفس الحاسة وهي ايضا
غير مقدورة للعباد لانها الجواهر وما يختص به الحواس من البنية
والمعاني يصح بها الادراك مما ينفرد القديم تعالى بالقدرة عليه فان
الظاهر لا حجة لهم فيه فان قالوا فلعل المراد بالسمع كونهم سامعين كانه
تعالى نفى عنهم الاستطاعة لان يسمعوا قلنا هذا خلاف الظاهر و
لو ثبت ان المراد ذلك لكان نفي الاستطاعة على ما تقدم ذكره من

الاستثقال وشدة المشقة كما يقول القائل فلان لا أستطيع أن يراني
ولا أقدر على أن يكلمني وما أشبه ذلك وهذا بيّن لمن تأمله

تأويل خبر

إن سأل سائل فقال ما وجه ما رواه يسار عن معاوية بن
الحكم قال قلت يا رسول الله كانت لي جارية ترعى غنماً لي قبل أحد
فشدّ الذئب على شاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم آسف كما
يأسفون لكني غضبت فصككتها صكة قال فعظم ذلك على النبي عليه
وآله السلام قال قلت يا رسول الله أفلا أعتقها فقال ائتني بها فقال لها
عليه السلام أين الله قالت في السماء فقال من أنا قالت رسول
الله فقال عليه السلام أعتقها فإنها مؤمنة. الجواب أما قوله أنا
رجل من بني آدم آسف كما يأسفون فمعناه أغضب كما يغضبون
قال محمد بن حبيب الأسف الغضب وأنشد للراعي

• كما لحقني العيش حتى وجدتني • أسيفا على حاديهم المتجبر •

والأسف أيضاً الحزن قال ابن الأعرابي الأسف الحزن والغضب قال
كعب • في كل يوم أرى فيه مبيّنة • تكاد تسقط مني منّة أسفا •
وقوله ولكني غضبت فصككتها أراد لطمتها يقال صك جبهته إذا لطمها
بيده قال الله تعالى فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت
عجوز عقيم وقال بشر بن أبي خازم يصف حمار وحش وأتانا

• فيصك لحييه إذا ما سافها • وجبينه بحوافر لم تنكب •

أساقها أي شمها وقولها في السماء هي الارتفاع والعلو فمعنى ذلك
أنه تعالى عال في قدرته عزيز في سلطانه ولا يبلغ ولا يدرك
تعالى سما فلان يسمو سموّاً إذا ارتفع شأنه وعلا أمره قال الله تعالى
أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من
في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فأخبر تعالى بقدرته وسلطانه

وعلو شأنه ونفاذ أمره وقد قيل في قوله تعالى أأمنتم من في السماء
وغير بعيد أن يكون المراد أأمنتم من في السماء أي أمره وآياته ورزقه
وما جرى مجرى ذلك وقال أمية بن أبي الصلت شاهداً لما تقدم

• وأشهد أن الله لا شيء فوقه وقدرته • علينا وأمسى ذكره متعاليا •

وقال سليمان بن يزيد العدوي

• لك الحمد يا ذا الطول والملك والغنى • تعاليت محموداً كريماً وجازيا •
• علوت على قرب بعزّ وقدرة • وكنت قريباً في دنوّك عاليا •

والسماء أيضاً سقف البيت ومنه قوله تعالى من كان يظن أن
لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم
ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وقال ابن الأعرابي يقال
لأعلى البيت سماء البيت وسماوته وسراته وصهوته والسماء أيضاً
المطر قال الله تعالى وأرسلنا السماء عليهم مدراراً ومنه الحديث الذي
رواه أبو هريرة أن النبي عليه وآله السلام مرّ على صبرة طعام فأدخل
عليه السلام يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال ما هذا يا صاحب
البر فقال أصابته السماء يا رسول الله قال عليه السلام أولا جعلته
فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا وقال المثقب العبدي

• فلما أتاني والسماء تبلّه • فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحبا •

ويقال لظهر الفرس سماء كما يقال لحوافره أيضاً أرض وبعضهم يقول

• وأحمر كالديباج أما سماؤه • فخصب وأما أرضه فمحول •

محول أراد أن متنه سمين الأعلى عريان القوائم فمتونها وكل معاني السماء
التي تصرفت وتنوعت ترجع إلى معنى الارتفاع والعلو والسمو
وإن اختلفت المواضع التي أجريت هذه اللفظة فيها فأولى المعاني
بالخبر الذي حكيناه ما تقدم من معنى العلو وعلو الشأن وما هذا

وذلك من المعاني لا يليق به تعالى لأن العلو بالمسافة لا يجوز على
القديم تعالى الذي ليس بجوهر ولا جسم ولا حال فيهما ولأن الخبر
والآية اللتين تضمنتا ايضا ذكر السماء خرجتا مخرج المدحة ولا مدح
في العلو بالمسافة وانما التمدح بالعلو في الشأن والسلطان ونفاذ
الامر ولهذا لا تجد احدا من العرب مدح غيره في شعر او نثر بمثل هذه
اللفظة واراد بها علو المسافة بل لا يريدون الا ما ذكرناه من معنى
العلو في الشأن وانما يظن في هذه المواضع خلاف هذا من لا فطنة
عنده ولا بصيرة له **مجلس تأويل آية** ان سأل سائل عن قوله
تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين
اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه
الا قليل الجواب قلنا اما التنور فقد ذكر في معناه وجوه اولها
انه تعالى اراد بالتنور وجه الارض وان الماء نبع وظهر على وجه
الارض وفار وهذا قول عكرمة وقال ابن عباس رحمه الله
[illegible] قال والعرب تسمي وجه الارض تنورا وثانيها ان يكون المراد
ان الماء نبع من اعالي الارض وفار من الاماكن المرتفعة منها وهذا
هذا قول قتادة وروي عن عكرمة في قوله تعالى وفار التنور قال
ذكر انه ارفع الارض واشرف فيها وثالثها ان يكون المراد بفار
التنور اي برز النور وظهر الضوء وتكاثفت امارات دخول النهار
وتقضي الليل وهذا القول يروى عن امير المؤمنين عليه السلام ورابعها
قال قوم ان التنور كان في دار نوح عليه السلام بعين وردة من ارض
الشام وقال آخرون بل كان التنور في ناحية الكوفة
والذي يروى عنهم ان التنور هو تنور الخبز الحقيقي ابن عباس والحسن
ومجاهد وغيرهم وجعل سبحانه [illegible] غضب الله
تعالى

تعالى عليهم وحلول وقوع نقمته بهم وذكر تعالى التنور مثلا لحضور العقاب
كما تقول العرب قد حمي الوطيس اذا اشتدت الحرب وعظم الخطب
والوطيس هو التنور وتقول العرب ايضا قد فارت قدر القوم اذا
اشتد حربهم قال الشاعر: تفور علينا قدرهم فنديمها ونفثؤها عنا
اذا حميها غلا اراد بقدرهم حربهم ومعنى نديمها نسكنها ومن ذلك
الحديث المروي عنه عليه السلام انه نهى عن البول في الماء
الدائم يعني الساكن ويقال دوم الطائر في الهواء اذا بسط جناحيه
وسكنهما ولم يخفق بهما ونفثؤها معناه نسكنها يقال فثأت غضبه
عني وفثأت القدر بالبارد اي كسرت ثورته وخامسها ان يكون التنور
الباب الذي يجتمع فيه ماء السفينة فجعل فوران الماء منه والسفينة
على الارض علما على ما انذر به من اهلاك قومه وهذا القول يروى
عن الحسن واولى الاقوال بالصواب قول من حمل الكلام على التنور
الحقيقي لانه الحقيقة وما سواه مجاز ولان الرواية الظاهرة تشهد
له واضعفها وابعدها من شهادة الاثر قول من حمل ذلك على شدة
الغضب واحتدام الامر تمثيلا وتشبيها لان حمل الكلام على الحقيقة
التي تعضدها الرواية اولى من حمله على المجاز والتوسع مع فقد
الرواية واي المعاني اريد بالتنور فان الله تعالى جعل فوران
الماء علما لنبيه عليه السلام وانه دال على نزول العذاب بقوم
لينجو منه وبالمؤمنين فاما قوله تعالى من كل زوجين اثنين فقد
قيل المراد به احمل من كل ذكر وانثى اثنين وانه يقال لكل واحد
من الذكر والانثى زوج وقال آخرون الزوجان هاهنا الضربان
وقال آخرون الزوج اللون وان كل ضرب يسمى زوجا واستشهدوا بقول
الاعشى وكل زوج من الديباج يلبسه ابو قدامة محبورا بذاك معا



وَمعنى من سبق عليه القول اي من اخبر الله تعالى بعذابه وحلول الهلاك به والله اعلم بمراده تاويل خبر ان سال سائل عن الخبر الذي يرويه شريك عن عمار الدهني عن ابي صالح الحنفي عن امير المؤمنين علي عليه السلام قال رايت النبي عليه السلام في المنام وانا اشكو اليه ما لقيت من الاود واللدد الجواب يقال له اما الاود فهو الميل تقول العرب لاقيمن ميلك وجنفك واودك ودرأك وصغاك وصدغك وقذلك وظلعك بالظاء وصعرك وصددك كل هذا المعنى واحد وقال ثعلب الاود اذا كان من الانسان في كلامه فهو عوج واذا كان من الشي المنتصب مثل عصا وما اشبهها فهو عوج يقول الناس كلهم الا ابا عمرو الشيباني فانه قال العوج بالكسر الاسم والعوج بالفتح المصدر [illegible] ثعلب كانه مصدر عوج يعوج ويقال عصا معوجة وعود معوج وليس في كلامهم معوج فاما اللدد فقيل هو الخصومات وقال ثعلب يقال رجل الد وقوم لد اذا كان شديد الخصومة ومنه قول الله تعالى وهو الد الخصام وقال الاموي اللدد الالتواء والاعوجاج والالد في الخصومة الذي لا يستقيم اي هو اعوج الخصومة يميل فلا يقوى عليه ولا يتمكن منه ومن ذلك قولهم لدّ الصبي وانما اللدود في شق فيه وليس بلدود مستعمل فهو يرجع الى معنى الميل وقد فسر الحكم بن ظهير فقال الد الخصام اي اعوج الخصام وانشد ابو الشمخ لابن مقبل

لقد طال عن دهماء لدي وعذرتي * وكتمانها اكني بام فلان

جعلت بجهال الرجال مخاصمة * ولويت قد [illegible] بها [illegible]

اللدد الجدال والخصومة وقال ابو عمرو الالد الذي لا يقبل الحق

ويطلب الظلم وقوله مخافة يقول انهم يخوضون في شعري و يطلبون معناه ولا يعثرون عليها وانشد ابو الشمخ

لا تغفر الكذب القبيح فانه * للمرء معتبة وباب اثام

واصدق بقولك حين تنطق انه * للصدق فضل فوق كل كلام

واذا اعتذرت على الرجال بخصمهم * والصدق معتبة على الظلام

واذا رايت عشيرة قوم فارمه * بالكد متسع المدى بختام

لا تعرضن على العدو وشيلة * واحذر عدوك عند كل مقام

واعلم بانه قد ليس يوما نافعا * عند اللئيم وسائل الارحام

ما لم يخفك ويلق عندك جانبا * خشنا وتلهجه بكاس سمام

واذا حللت بجار قوم فاكرمه * حتى تفرج حلبة الاظلام

واصبر على كرب البلاء فانه * ليس البلاء على الفتى بلزام

واعلم بانك ميت ومحدث * كما فعلت معاشر الاقوام

معنى قوله متسع المدى اي بعيد المدى ومعنى قوله لا تعرض على العدو وشيلة اي لا تقاربه ولا تصالحه ولا يامن بينك وبينه الاحد لعداوته وانشد القضاة شاهدا لما تقدم

يا وهب انجبه باطلي وجدي * وجدلي عند الخصوم الالد

اشبهت اخلاق فاحشه مجدي قال الشريف المرتضى رضي الله عنه

ومن مستحسن ما وصف به الشعر قول فضالة بن وكيع [illegible]

[illegible] الكنات كانها * حصى [illegible] من الينابيع [illegible]

[illegible] عن مرقد علكت * به من الينابيع [illegible]

[illegible] نجاه الركب ايام [illegible] * البهام [illegible]

يعني من يانع الادراك ومعنى نجاه اي قطعه ومثل [illegible]

وقال [illegible] ويقال [illegible]

أي يبال نائم ومعنى أيام عفوا أي اجتنوه من عفاة وذكر
أنه خفف بالطيب الذي بيد يبال وهاهنا استعارة وقال الأخطل
يصف ثغرا • شنباء تروي الظمآن منه • إذا الجوزاء انجحرت الضباب
الشنيب هو المتوفق المفلج الذي ليس بمتراكب ومعنى قوله إذا الجوزاء
انجحرت الضباب فيه وجهان أحدهما أراد عند سقوط الجوزاء و
في شدة البرد وطول الليل إذا انجحرت الضباب من البرد و
تغيرت الأفواه لطول ليل الشتاء يقول فثغرها جيد عذب
غير متغير والوجه الثاني أنه أراد عند طلوع الجوزاء في شدة الحر إذا
انجحرت الضباب من شدة الحر والقيظ نحا الظمآن جيد أشد
عطشا والحر علة فريقها يرويه ويبرد غلته • وقال آخر

تحول ريقها من بعد هجعة • إذا ما الريد [illegible]

كقوله فريقها من الزنجبيل ومثل قول ذي الرمة أما تنجعه فكأنه
يقول نعم الضجيع هي عند السحر إذا تغيرت النجوم للمغيب • قال
ذو الرمة • وأيدي الثريا جنح في المغارب • ومثل قول الآخر

نعم شعار الفتى إذا برد الليل • سحيرا وقفقف الصرد

وإنما يعني أنها في ذلك الوقت الذي يتغير فيه الأفواه طيبة الريق
عذبة • وأنشد أبو العباس ثعلب لأم الهيثم • وعارض كجانب العراق
أنبت برّاقا من البراق • يذاق مثل العسل المذاق • قال أبو العباس
في هذا قولان أحدهما أنها وصفت ثغرا وعارضاه جانباه والعراق
الخرز ويعني كعراق القربة فأخبرت أنه ليس فيه اعوجاج ولا
تراكب ولا نقص • وقولها أنبت برّاقا من البراق يعني الثغر
أي الريق من صفائه ورقته • وشبهت الريق بالعسل بعد وبرد
والقول الآخر قال بعضهم العارض ناب النعم • وقولها كجانب

العراق

العراق يعني هذه البلاد أي هو ضخم متكاثف قد سد الأفق • وقولها
أنبت برّاقا من البراق أي ما تنبته الأرض إذا مطرت من النور
قال المبرد والقول الأول أصح عندنا لذكرها العسل • وأنشد أحمد بن يحيى
لتأبط شرا • وشعب كشك الثوب شكس طريقه • مجامع صوحيه نطاف
تعسفته بالليل لم يهتد له • دليل ولم يحسن له النعت خابر •
يعني بالشعب ثم جارية كشك الثوب يعني كف الثوب إذا خاط
الخياط • والشكس سوق يصفها بصغر الفم وحسنه ودقة الشفتين و
صوحاه جانباه • وصوح الوادي جانبه والمجمع فم البارد من الحفر
يعني بالنطاف الريق • وقوله لم يهتد له دليل أي ما يصل إليه غيري
كما قال جرير • ألا رب يوم قد شربت بمشرب • شفا الغيم لم يشرب
به أحد قبلي • الغيم والغين العطش وإنما يعني ريق جارية قال
أبو العباس • وقال آخرون بل يعني شعبا من الشعاب مخوفا
ضيقا سلكه وحده • قال أبو العباس إنما كنى بالشعب عن فم جارية
ثم أخذ في وصف الشعب ليكون الأمر أشد التباسا • قال الشريف
المرتضى رضي الله عنه • والأشبه أن يكون أراد شعبا حقيقيا لأن تأبط
شرا كان لصا وفاخرا بالأهوال التي تمضي به ويعانيها في تلصصه و
كان كثيرا ما يصف تدليه من الجبال وتخلصه من المضايق وقطعه المفاوز
وأشباه ذلك والقطعة التي فيها البيتان كأنها تشهد بأن الوصف
لشعب لا لفم جارية لأنه يقول بعد قوله كشك الثوب •

به من نطاف الشوى قليل أنيسه • كأن الطحاليف في جانبيه معابر •

به من نجار [illegible] أو تما • خبار يعم الضخر فيه حوافر •

تو فرن حتى لم يكن للمار منتهى • وغادر هن السيل فيما يغادر •

به نطفة زرق قليل ذبابها • جلا الماء عن أرجائها فهو حائر •

وهذه الأوصاف كلها لا يليق إلا بالثغر دون غيره وتأول ذلك على الفم تأول بعيد وقد أحسن كثير في قوله يصف ثغرا

ويوم الحمل قد سلكت • وكفت رد العصب عن ثنايا برّاد •
وعن نجلا كقطع في بياض • إذا دمعت وتنظر في سواد •
وعن متكاوس في العقص جثل • أثيث النبت ذي عقد جعاد •

وقال أبو تمام في نحو المعنى •

وعلى العيس خرّد يتبسمن • عن الأشنب الشتيت البراد •
كأن شوك السيال حسا ما تجنى • دونه للفراق شوك القتاد •

وقال البحتري •

وتبسما من لؤلؤ النظم • ويزري على شقيق الأقاح •
وأرتنا خدا يراح له الورد • وتبسما يحنا التفاح •
فأضاءت تحت الدجنة للسرب • وكا[illegible] سراج الصباح •
سفرت كما سفر الربيع الطلق • عن ورد يرقرقه الضحى مصقول •
وتبسمت عن لؤلؤ في وصفه • برد يرد حشاشة المتبول •

وقد جمع بين كل ما وصف به الثغر في قوله •

كأنما يبسم عن لؤلؤ • منضد أو برد أو أقاح •

مجلس

تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل فقال ما أنكرتم أن تكون هذه الآية دالة على أنه جعل الكافر كافرا لأنه أخبر بأنه جعل منهم من عبد الطاغوت كما جعل القردة والخنازير وليس يجعله كافرا إلا بأن يخلق كفره الجواب يقال له قد قيل في تأويل الآية ما يحتمله من المعاني كيف يجوز أن يخبر بأنه يجعلهم كفارا ويخلق كفرهم والكلام خرج مخرج الذم لهم والتوبيخ على كفرهم والمبالغة

مجلس خامس وستون

في الازراء عليهم وأي مدخل لكونه خالقا لكفرهم في باب ذمهم والتشنيع عليهم بل ذلك لا شيء أبلغ في عذرهم وبراءتهم من أن يكون خالقا لما ذمهم من أجله • وهذا يقتضي أن يكون الكلام متناقضا مستحيل المعنى ونحن نعلم أن أحدنا إذا أراد ذم غيره وتوبيخه وتهجينه بمثل هذا الضرب من الكلام إنما يقول ألا أخبركم بشر الناس وأخسهم بالذم واللوم من فعل كذا أو صنع كذا أو كان على كذا وكذا فيعدد من الأفعال والأحوال قبائحها ولا يجوز أن يدخل في جملتها ما ليس بقبيح ولا ما هو من فعل الذام أو من جهته حتى يقول في جملة ذلك • ومن تشاغل بالصناعة الفلانية التي هو أسلمه فيها وحمله عليها وإن عقلاء يعقلون هذه الشبهة لتعقل تحيف تحيف فإن قيل أليس قد ذمهم في الكلام بأن جعل منهم القردة والخنازير ولا صنع لهم في ذلك فكذلك يجوز أن يذمهم بجعلهم عابدين للطاغوت وإن كان من فعله قلنا إنما جعلهم قردة وخنازير عقوبة لهم على أفعالهم واستحقاقهم فجرى ذلك مجرى أفعالهم كما ذمهم بأن غضب عليهم ولعنهم من حيث استحقوا ذلك منه تعالى بأفعالهم وعاد إليهم اللوم عنه فإن كان هو خلقها فلا وجه لذمهم بما لا ذنب لهم فيه كما لا يستحق بالفعل المتقدم كاللعن والمسخ • ونعود إلى تأويل الآية فنقول الظاهر للآية يقتضي ما ظنوه وأكثر ما تضمنته الأخبار بأنه جعل وخلق من يعبد الطاغوت إنه خلق ما به كان عابدا للطاغوت • وذلك أنا إنما تعذر ما ذكروه وجعل منهم من الأول لأن الدليل قد دل على أن ما به يكون القرد قردا والخنزير خنزيرا لا يكون إلا من فعله تعالى وليس ما يكون الكافر كافرا مقصورا على فعله تعالى بل قد دل الدليل على استحالة كون ذلك وخلقه فافترق الأمران • وفي الآية

وجه آخر وهو أن يكون قوله تعالى وعبد الطاغوت بل معطوفا على من
لعنه الله ومن غضب عليه، وتقدير الكلام من لعنه الله ومن غضب
عليه ومن عبد الطاغوت، ومن جعل منهم القردة والخنازير
وهذا هو الواجب لأن عبد فعل والفعل لا يعطف على الاسم
فالأولى عطفه على ما تقدم من الأفعال، وقال قوم يجوز أن
يعطف عبد الطاغوت على الهاء والميم في منهم فكأنه جعل تعالى
منهم وممن عبد الطاغوت القردة والخنازير وقد يحذف من
في الكلام قال الشاعر: أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره
سواء، أراد ومن يمدحه وينصره، فإن قيل فهبوا هذا التأويل سائغ
في قراءة من قرأ عبد بالفتح أين أنتم عمن قرأ وعبد الطاغوت
بفتح العين وضم الباء وكسر التاء من الطاغوت، ومن قرأ
عبد الطاغوت بالضم والتشديد، ومن قرأ عباد الطاغوت
قلنا المحتج من هذه القراءة عند أهل العربية كلهم القراءة بالفتح و
عليها جميع القراء السبعة إلا حمزة فإنه قرأ عبد بفتح العين وضم
الباء، وباقي القراءات شاذة غير مأخوذ بها، قال أبو إسحق الزجاج
في كتابه من معاني القرآن وعبد الطاغوت نسق على من لعنه
الله قال وقرئت عبد الطاغوت وعبد الطاغوت والاختيار
وعبد الطاغوت، وروي عن ابن مسعود وعبدوا
الطاغوت قال هذا القوي وعبد الطاغوت ومن قرأ
وعبد الطاغوت بضم الباء وخفض الطاغوت فإنه عند بعض
أهل العربية ليس بالوجه من جهتين إحداهما أن عبد على وزن فعل
وليس هذا من أمثلة الجمع لأنهم فسروه بخدم الطاغوت، والثاني
أن يكون محمولا على وجعل منهم عبد الطاغوت، ثم خرج من قرأ

عبد وجها

عبد وجها فقال إن الاسم يبنى على فعل كما يقول رجل حذر أي مبالغ
في الحذر فتأويل عبد أنه بلغ الغاية في طاعة الشيطان، هذا
كلام الزجاج، وقال أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي محتجا
بقراءة حمزة ليس عبد لفظ جمع ألا ترى أنه ليس في أبنية الجموع
شيء على هذا البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة ألا ترى أن في
الأسماء المفردة المضافة إلى المعارف ما لفظه لفظ الإفراد
ومعناه الجمع كقوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، وكذلك قوله
عبد الطاغوت جاء على فعل لأن هذا البناء يراد به الكثرة والمبالغة
وذلك نحو يقظ وندس فهذا كأن تقديره أنه قد ذهب في
عبادة الشيطان والتذلل له كل مذهب، قال وجاء على هذا لأن
عبد في الأصل صفة وإن كان قد استعمل استعمال الأسماء واستعمالهم
إياه استعمالها لا يزيل عنه كونه صفة ألا ترى أن الأبرق والأبطح
وإن كانا قد استعملا استعمال الأسماء حتى كسر هذا النحو عندهم من التكسير في
قولهم أبارق وأباطح فلم يزل عنه حكم الصفة يدلك على ذلك
تركهم صرفه كتركهم صرف أحمر ولم يجعلوا ذلك كأفكل وأيدع فكذلك
عبد وإن كان قد استعمل استعمال الأسماء فلم يخرجه ذلك عن أن
يكون صفة، وإذا لم يخرج عن أن يكون صفة لم يمتنع أن يبنى بناء
الصفات على فعل وهذا الكلام معتمد في الاحتجاج لقراءة حمزة، فإذا صحت
قراءة حمزة وعادلت قراءة الباقين المختارة وصح أيضا ما رواه
من القراءات التي حكاها السائل كان الوجه الأول الذي ذكرناه
في الآية يزيل الشبهة فيها ويكون في الآية وجه آخر على جميع القراءات
المختلفة في عبد الطاغوت وهو أن يكون المراد أنه جعل منهم
عبد الطاغوت أي نسبهم إليه وشهد عليهم بكونهم من جملتهم وجعل



مواضع قد يكون بمعنى الخلق والفعل كقوله تعالى وجعل الظلمات
والنور وكقوله وجعل لكم من الجبال اكنانا وهي ها هنا متعدية
الى مفعول واحد وقد يكون ايضا بمعنى التسمية والشهادة كقوله
تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وكقول القائل
جعلت البصرة بغداد وجعلتني كافرا وجعلت حسني قبيحا وما اشبه
ذلك وهي ها هنا تتعدى الى مفعولين وللجعل مواضع اخر لا حاجة
بنا الى ذكرها [illegible] تعالى [illegible] عبد الطاغوت اليه
وتشهد انه من جملتهم فان قيل لو كانت جعل ها هنا على ما ذكرتم لوجب
ان يكون متعدية الى مفعولين لانها اذا لم تتعد الى مفعول واحد
فلا معنى لها الا الخلق قلنا هذا غلط ممن توهمه لان جعل ها هنا
متعدية الى مفعولين وقوله تعالى منهم يقوم مقام المفعول الثاني
عند جميع اهل العربية لان كل جملة تقع في موضع خبر المبتدا فهي
تحسن ان تقع في موضع المفعول الثاني لجعلت وظننت وما
اشبههما قال الشاعر • ابالاراجيز يا ابن اللؤم توعدني • وفي الاراجيز
خلت اللؤم والخور • وقد روي بيتا على وجهين احدهما على الغاء خلت
من حيث توسطت الكلام فيكون في الاراجيز على هذا في موضع
رفع بانه خبر المبتدا • والوجه الثاني على اعمال خلت فيكون في
موضع نصب من حيث وقع موقع المفعول الثاني وهذا بين
لمن تدبره • قال الشريف المرتضى رضي الله عنه انشد ثعلب عن ابن
الاعرابي • اما والى لكفر في كل موطن • اذا لم يعبني [illegible] غنى رجوه
وفتى • [illegible] من غنى وهو في [illegible] •
• واني لاختار الظما في بيوتهم • على بارد عذب واعني بغلة •
• واستعرف الذهم حتى كانه • صديق ولا اغتاله عند زلة •

ولست

• ولست كمن كان ابن امي مقترا • فلما افاد المال عاد ابن علة •
• فذا ازره حتى القضى ان ود بينا • ولم [illegible] من يداه ببلة •
• فلست له عند الملمات عدة • اشد بما لي دونه كل خلة •
قال الشريف المرتضى رضي الله عنه الاولى في هذه القطعة الخلة فيها
الخلة الحاجة • والخلة ايضا الخصلة والخلة بالضم المودة والخلة
ايضا ما كان حلوا من المرعى والخلة بالكسر ما يخرج من الاسنان
بالخلال والخليل المحب من المودة والمحبة والخليل ايضا الفقير
وكلا الوجهين ذكر في قوله تعالى واتخذ الله ابرهيم خليلا • ومنه
حديث ابن مسعود تعلموا القرآن فانه لا يدري احدكم متى يختل
قال ابو العباس ثعلب يكون من شيئين احدهما من الخلة
التي هي الحاجة اي متى يحتاج اليه ويكون من الخلة وهي النبات
الحلو ويكون معناه متى تشتهي اليه منيته بالابل لانها ترعى الخلة
حتى تشتهي ما عنده فاذا [illegible] عدلوا بها الى الحمض فاذا امتنعت
الحمض اشتهت الخلة ومن امثالهم جاؤوا مخلين فلاقوا احمضا اي
جاؤوا مشتهين فلاقوا ما كرهوا والخلة ايضا بنت المخاض
والذكر ويقال جسم خل اذا كان مهزولا • قال الشاعر
• فاسقنيها يا سواد بن عمرو • ان جسمي بعد خالي لخل •
ويقال ايضا فصيل مخلول اذا شد لسانه حتى لا يرضع ويقال
خللته فهو خليل ومخلول ومنه اجرره قال الشاعر •
• فلو ان قومي انطقتني رماحهم • نطقت ولكن الرماح اجرت •
اي لم يبلوا في الحرب بما ملكت افتخر بهم وقوله [illegible] من غنى
وهو كقوله اختار الصيانة مع الفقر احب الي من الغنى مع الذل
ومثله • ازا كان باب الذل من جانب الغنى • سموت الى العلياء من

جانب الفقر

جرت وكان القبر منّي بجنبه • وحسبك أنّ الله أثنى على القبر
وقوله ذو الشرّ ذئب الراحتين كأنه صديق أراد أنّي لا أشكو ما
يمسّني به الدهر من خصاصة بل أستر ذلك وأستر ذئب الدهر
وأظهر التجمّل حتّى كأنه صديق وأستر العدوّ وهذا المعنى أراد بقوله
ولا أعاتبه عند زلته • وقوله فلمّا أفاد المال عادوا بني علّة فالعرب
تقول هم بنو أعيان إذا كان أبوهم واحدا وأمّهم واحدة
فإذا كان أبوهم واحدا وأمّهاتهم شتّى قيل أولاد علّات •
ومنه الحديث المأثور عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال الأنبياء
أولاد علّات أي أمّهاتهم شتّى وأبوهم واحد وكنى الشاعر
بذلك عن التباعد والتقالي والتقاطع لأنّ الأكثر من بني
العلّات ما ذكرناه • وقوله ودابرته أي قاطعته • وقوله ولم أتمطّق
من نداه نبلة فالتمطّق يكون بالشفتين والتلمّظ يكون باللسان
وكنى بذلك عن أنه لم يصب من خيره شيئا وصان نفسه
عنه • مجلس آخر تأويل آية • إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى
الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء
ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم
تعلمون وما الذي أثبت لهم العلم به وكيف يطابق وصفهم بالعلم
ها هنا لوصفهم بالجهل في قوله تعالى أفغير الله تأمرونّي أعبد أيّها
الجاهلون الجواب قلنا هذه الآية معناها متعلّق بما قبلها لأنه
تعالى أمرهم بعبادته والاعتراف بنعمته ثم عدّد صنوف النعم
التي ليست إلا من جهته ليستدلّوا بذلك على وجوب عبادته
وأنّ العبادة إنما تجب لأجل النعم المخصوصة فقال جلّ من
قائل يا أيها الناس اعبدوا ربّكم الذي خلقكم والذين من قبلكم

لعلّكم

لعلّكم تتّقون الذي جعل لكم الأرض فراشا إلى آخر الآية فنبّه
في آخرها على وجوب توحيده والإخلاص له وأن لا يشرك به
شيئا بقوله تعالى فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ومعنى قوله
تعالى جعل لكم الأرض فراشا أي يمكن أن يستقرّوا عليها ويفترشوها
ويتصرّفوا فيها وذلك لا يمكن إلا بأن تكون مبسوطة
ساكنة دائمة السكون • وقد استدلّ أبو علي بذلك وبقوله
تعالى جعل لكم الأرض بساطا على بطلان ما يقوله المنجّمون من
أنّ الأرض كريّة الشكل وهذا القول لا يدلّ لأنه يكفي في النعمة علينا
أن يكون فيها بسائط ومواضع مسطوحة يمكن التصرّف عليها
وليس يجب أن يكون جميعها كذلك ومعلوم ضرورة أنّ جميع
الأرض ليس مسطوحا مبسوطا وإن كان مواضع التصرّف منها
بهذه الصفة والمنجّمون لا ينفون أن يكون في الأرض بسائط وسطوح
يتصرّف عليها ويستقرّ فيها وإنما يذهبون إلى أنّ جملتها شكل الكرة
وليس له أن يقول قوله تعالى جعل لكم الأرض فراشا يقتضي
الإشارة إلى جميع الأرض وجملتها لا إلى مواضع منها لأنّ ذلك
تدفعه الضرورة من حيث أنّا نعلم بالمشاهدة أنّ فيها ما ليس
ببساط ولا فراش ولا شبهة في أنّ جعله تعالى السماء على ما هي
عليه من الصفة ممّا يتعلّق بمنافعنا ومصالحنا وكذلك إنزاله
تعالى منها الماء الذي هو المطر الذي يظهر به الثمرات فتنتفع
بنيلها والاغتذاء بها • فأمّا قوله تعالى فلا تجعلوا لله أندادا فالأنداد
الأشباه والندّ هو المثل والعدل • قال حسّان بن ثابت
أتهجوه ولست له بندّ • فشرّكما لخيركما الفداء •
وأمّا قوله تعالى وأنتم تعلمون فيحتمل وجوها أوّلها أن يريد أنّكم



ترى الثوابت الزرق تحت لبانه • احاد ومثنى اقعصتها هوابله •
وقال احمد بن عبيد القانصان وصاحبه سواد حمه لاطلاب الفرس تحمى
تحامى قول على بن زيد • فيضحك الخيل ويقطا دكن
النظر ولا يبلغ لتو القنيص • اى لا يمنع منه قال فانشب اظفاره
فى النسا معناه فانشب الكلب اظفاره فى نسا الثور فعلقت
لصاحب الفرس او لغلامى الممسك للفرس هيلت الا تدنوا
الى الثور فتقطعه فقد امسك عليك الكلب قال ومحال
ان يكون امرؤ القيس اغرى الثور بقتل كلبه لان امرأ القيس
يفخر بالصيد ويصفه فى اكثر شعره بانه مرزوق منه مظفر منه
كقوله • اذا ما ركبنا قال ولدان اهلنا • تعالوا الى ان يأتى الصيد
نحطب • وكقوله مطعم للصيد ليس له غيره كسب على كبره • فمحال
على هذا ان يغرى الثور بقتل كلبه قال وتاويل [illegible] لا منتصر الا تدنوا
من الثور والدليل على ان منتصر بمعنى تدنوا قول الشاعر
واذ نحن فى وادى جلاميد بعدما • على البيد ساقى القيظ الممادر •
اى المتدانى • وقال مضرس بن ربعى الفقعسى • فانك لا تعطى
امرأ حظ غيره • ولا تملك الشق الذى الغيث ناصره • اى وان [illegible]
ومعنى الص الضروس اى بعض اسنانه ملتصق ببعض [illegible]
حتى الضلوع اى منحرف الضلوع [illegible] ويروى حنى الضلوع
بالنون اى منحنيها • ويقال ان الضلوع اذا تقوست كان اوسع
لجوفه واقوى له • ويروى ايضا حنى الضلوع اى ضلوعه خفيفة واخلاه
فى جنبه • ومعنى فيظل يرنح فى غيطل اى فظل الثور يرنح فى غيطل
لما طعنه صاحب الفرس وقد يجوز ايضا ان يكون يرنح الثور
يطعن الكلب [illegible] الشب [illegible] ذلك محمل

ومما يحمل

يحمل

ومما يحمل ايضا على وجوه مختلفة قول امرئ القيس ايضا •
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها • لما نسجتها من جنوب وشمال •
قال قوم معناه لم يدرس رسمها لنسج هاتين الريحين فقط بل
درست لتتابع الرياح والامطار • والدليل على ذلك قوله فى
البيت الاخر • فهل عند رسم دارس من معول • وقال اخرون
فى معنى لم يعف [illegible] اى لم يدرس فاثرهم على هذا القول باق
غير دارس • ومعنى قوله فى البيت الاخر رسم دارس اى فهل
عند رسم سيدرس فى المستقبل وان كان الساعة موجودا غير
دارس • وقال اخرون فى معنى قوله لم يعف مثل القول الثانى
اى انه لم يدرس اثرها لما نسجتها بل هى بواق ثوابت فنحن
نحزن لها ونجزع عند رؤيتها ولو عفت وامحت لاسترحنا وهذا
مثل قول ابن احمر • الا ليت المنازل قد بلينا • فلا يرمين عن شزن
حزينا • ومثله قول الاخر • كفت الديار التى يبقى تحزننا •
كانت تبين اذا ما اهلها بانوا • وليس قوله فهل عند رسم دارس
من معول نقضا لهذا انما هو كقولك درس كتابك اى
ذهب بعضه وبقى بعضه • وقال ابو بكر العبدى معناه لم يعف
رسمها من قلبى وهو دارس من الموضع فلم يتناول قوله لم
يعف رسمها [illegible] قوله فهل عند رسم دارس من جميع الجهات
فتناقض الكلام • وقال اخرون اراد بقوله لم يعف لم يدرس
ثم اكذب نفسه بقوله فهل عند رسم دارس من معول كما قال زهير
قف بالديار التى لم يعفها القدم • بلى وغيرها الارواح والديم •
وكما قال اخر • فلا تبعدن يا خير عمرو بن مالك • بلى ان من زار القبور
ليبعدا • [illegible] الالف من [illegible] خفيفة [illegible]



ضعيف. وبيت زهير لا يجب فيه ما توهم من المناقضة والتكذيب
لانه يمكن ان يحمل على ما ذكرناه من احد الوجوه المتقدمة من انه
اراد ان رسمها لم يعف ولم يبطل كله وان كان قد تغير القديم وباد
بعضه واثرت في بعض. فاما البيت الثاني فلا حجة فيه تمكنه
لانه لم يتضمن اثبات ما نفاه وانما ذكر عادته ثم بان لا يبعد ثم رجع الى
قوله بلى انه يستعد من زار القبور وما يجري على من تحجره حجب ولا تا
فكيف بنا في البيت الثاني. وقد يمكن في البيت وجه آخر و
هو ان يكون معنى لم يعف رسمها اي لم يدرس فيظهر حتى يعرفه
المترسم ويتبينه المتأمل بل هو خاف غير لايح ولا ظاهر. ثم قال
من بعد ذلك بلى عند رسيم دارس فلم يتناقض الاول لانه نفي
ان يكون الدروس في كلي الموضعين ولا شبهة في ان عفا من حروف
الاضداد التي تستعمل تارة في الدروس وتارة في الزيادة
والكثرة قال الله تعالى حتى عفوا اي كثروا ويقال قد عفا الشعر
اذا كثر وقال الشاعر. ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات
اللحم كوم. اراد كثيرات اللحم ويقال قد عفا وبر البعير اذا زاد و
يقال اعفيت الشيء اذا اكثرته وروى في الخبر انه امر رسول
الله صلى الله عليه وآله بان تحفى الشوارب وتعفى اللحى اي
توفر وهذا الوجه عندي اشبه مما تقدم. مسئلة تأويل آية. ان
سأل سائل عن قوله تعالى يا اخت هرون ما كان ابوك امرأ
سوء وما كانت امك بغيا فاشارت اليه قالوا كيف نكلم
من كان في المهد صبيا فقال من هرون الذي نسبت مريم عليها
السلم الى انها اخته ومعلوم انها لم تكن اختا لهرون اخي موسى
عليه السلام وما معنى من كان في المهد صبيا ولفظة كان تدل على

ما مضى من الزمان وعيسى عليه السلم في حال قولهم ذلك كان
في المهد. الجواب قلنا اما هرون الذي نسبت مريم عليها السلم
اليه فقد قيل فيه اقوال منها ان هرون المذكور في الآية كان
رجلا فاسقا مشهورا بالعهر والشر وفساد الطريقة فلما انكروا ما جاءت
به من الولد وظنوا بها ما هي مبرأة منه نسبوها الى هذا الرجل تشبيها
وتمثيلا فكان تقدير الكلام يا شبيهة هرون في فسقه وقبح فعله و
هذا القول يروى عن سعيد بن جبير. ومنها ان هرون هذا كان
اخاها لابيها دون امها وقيل انه كان اخاها لابيها وامها وكان
رجلا معروفا بالصلاح وحسن الطريقة والعبادة والتأله. وقيل
انه لم يكن اخاها على الحقيقة بل كان رجلا صالحا من قومها وانه لما
مات شيع جنازته اربعون الفا كلهم يسمون هرون من بني
اسرائيل فلما انكروا ما ظهر من امرها يا اخت هرون اي يا شبيهة
في الصلاح ما كان هذا معروفا منك ولا كان ذلك ممن تفعل
القبيح وتتطرق عليه الريب. وعلى قول من قال انه كان اخاها
يكون معنى قولهم انك من اهل بيت الصلاح والسداد لان اباك
لم يكن امرأ سوء ولا كانت امك بغيا وانت مع ذلك اخت
هرون المعروف بالصلاح والعفة فكيف اتيت بما لا يشبه
نسبك ولا يعرف من مثلك ويقوى هذا القول ما رواه المغيرة
بن شعبة قال لما ارسلني رسول الله صلى الله عليه وآله الى اهل
نجران قال لي اهلها أليس نبيكم يزعم ان هرون اخو موسى
وقد علم الله تعالى ما كان بين موسى وعيسى من السنين فلم ادر
ما ارد عليهم حتى رجعت الى النبي عليه السلم فذكرت له ذلك
فقال فهلا قلت لهم انهم كانوا يدعون بانبيائهم والصالحين قبلهم

ومنها ان يكون يعني يا اخت هرون يا من هي من نسل هرون
اخي موسى كما يقال للرجل يا اخا تميم ويا اخا بني فلان وذكر مقاتل
بن سليمان في قوله تعالى يا اخت هرون قال روي عن النبي
عليه السلم انه قال هرون هذا الذي ذكروه هو هرون اخو موسى
عليه السلم قال مقاتل وتاويل يا اخت هرون يا من هي من
نسل هرون اخي موسى عليه السلم كما قال تعالى والى عاد اخاهم
هودا والى ثمود اخاهم صالحا يعني باخيهم انه من نسلهم وجنسهم وكل
قوم من هذه الاقوال قد اختاره قوم من المفسرين فاما قوله تعالى
من كان في المهد صبيا فهو كلام مبني على الشرط والجزاء مقصود به
اليهما والمعنى من يكن في المهد صبيا فكيف نكلمه ووضع في الظاهر
اللفظ الماضي موضع المستقبل لان الشرط لا يكون الا فيما يستقبل
فيقول القايل ان زرتني زرتك يريد ان تزرني ازرك قال
الله تعالى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك يعني ان يشا يجعل
وقال قطرب معنى كان ها هنا معنى صار فكان المعنى كيف نكلم
من صار في المهد صبيا ويشهد بذلك قول زهير
اجزت اليه حرة ارحبية • وقد كان لون الليل مثل الارندج
وقال غيره كان ها هنا بمعنى خلق ووجد قالت العرب كان الحر
وكان البرد اي وجد او حدثا وقال قوم لفظة كان وان اريد بها
الماضي فقد يراد بها الحال والاستقبال كقوله تعالى كنتم خير امة
اخرجت للناس اي انتم كذلك وكذلك قوله تعالى هل كنت
الا بشرا رسولا وقوله تعالى وكان الله عليما حكيما وان كان قد
قيل في هذه الآية الاخيرة غير هذا قيل ان القوم شاهدوا من آثار
علمه وحكمته ما شاهدوا فاخبرهم تعالى انه لم يزل [illegible] حكيما فلا تظنوا

انه استفاد

انه استفاد علما وحكمة لم يكن عليهما ومما يقوي مذهب من
وضع لفظة الماضي في موضع الحال والاستقبال قوله تعالى واذ
قال الله يا عيسى بن مريم وقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة اصحاب
النار وقولهم في الدعاء عز الله لك واطال عمرك وما جرى مجرى
ذلك ومعنى الكل ليفعل الله ذلك بك الا انه لما امن اللبس
وضع لفظ الماضي في موضع المستقبل قال الشاعر
فما ورثت قد كان قبلي ولم ادع • لمن كان بعدي في القصايد مقعدا
اراد لمن يكون بعدي ومما جعلوا فيه من المستقبل في موضع الماضي
قول الصلتان العبدي يرثي المغيرة بن المهلب
• تمل للقوافل والغزاة اذا غزوا • والباكرين وللمجد الرايح •
• ان الشجاعة والسماحة ضمنا قبرا • بمرو على الطريق الواضح •
• فاذا مررت بقبره فاعقر به • كوم المطي وكل طرف سابح •
• وانضح جوانب قبره بدمايها • فلقد يكون اخا دم وذبايح •
معناه فلقد كان • تاويل خبر • ان سال سايل فقال كيف التوفيق
ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا عدوى ولا طيرة
ولا هامة وانه قيل له عليه السلم ان النقبة تقع بمشفر البعير فتجرب
لذلك الابل فقال عليه السلم فما اعدى الاول وبين ما روي عنه عليه
السلم من قوله لا يوردن ذو عاهة على مصح وقوله عليه السلم فر
من المجذوم فرارك من الاسد وان رجلا مجذوما اتاه عليه السلم
ليبايعه بيعة الاسلام فارسل اليه بالبيعة وامره بالانصراف ولم
ياذن له عليه السلم وروي عنه عليه السلم انه قال الشوم في المراة
والدار والدابة وظواهر هذه الاخبار متناقضة فبينوا وجه الجمع
بينهما الجواب قلنا ان ابن قتيبة قد سال نفسه عن اختلاف

هذه الأخبار وأجاب عن ذلك بما نذكره على وجه تقرير ما عندنا
فيه من أنه غلط وأبى بالبيس يرضى قال إن لكل من هذه الأخبار
معنى وموضعا فإذا وضع موضعه زال الاختلاف قال وللعدوى
معنيان أحدهما عدوى الجذام فإن المجذوم تشتد رائحته حتى يسقم
من أطال مجالسته ومواكلته وكذلك المرأة تكون تحت المجذوم
فتضاجعه في شعار واحد فيوصل إليها الأذى وربما جذمت
وكذلك ولده ينزعون في الأكثر إليه وكذلك من كان به سل
ودق والأطباء تأمر بأن لا يجالس المسلول والمجذوم لا يريدون
بذلك معنى العدوى وإنما يريدون بذلك تغير الرائحة وأنها
تسقم من أطال اشتمامها والأطباء أبعد الناس من الإيمان بيمن
أو شؤم وكذلك النقبة تكون بالبعير وهو جرب رطب فإذا
خالط الإبل وحاككها أو وصل إليها بالماء الذي يسيل منه نحو ما به فهذا
هو المعنى الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله لا يوردن
ذو عاهة على مصح. قال وقد ذهب قوم إلى أنه أراد عليه السلام
بذلك ألا يظن الذي نال بإبله من ذوات العاهة فيأثم قال
وليس هذا عندي وجه لأنا نجد الذي خبرتك به عيانا قال وأما
الجنس الآخر من العدوى فهو الطاعون ينزل ببلد فيخرج منه خوفا
من الطاعون. وحكي عن الأصمعي عن بعض البصريين أنه هرب
من الطاعون فركب حمارا ومضى بأهله نحو سفوان فسمع حاديا يحدو
خلفه وهو يقول. لن يسبق الله على حمار. ولا على ذي منعة طيار
أو يأتي الحتف على مقدار. قد يصبح الله أمام الساري. وقال رسول
الله صلى الله عليه وآله إذا كان بالبلد الذي أنتم فيه فلا تخرجوا منه
وقال عليه السلام إذا كان ببلد فلا تدخلوه يريد بقوله عليه السلام فلا تخرجوا

مجالسة ومواكلة

من البلد

من البلد إذا كان فيه كأنكم تظنون أن الفرار من قدر الله ينجيكم
ويريد بقوله عليه السلام إذا كان ببلد فلا تدخلوه أن مقامكم بالموضع
الذي لا طاعون فيه أسكن لأنفسكم وأطيب لعيشكم قال ومن
ذلك المرأة تعرف بالشؤم والدار فينال الرجل مكروه أو جائحة
فيقول أعدتني بشؤمها قال فهذا هو الذي قال فيه عليه السلام
لا عدوى. فأما الحديث رواه أبو هريرة عن النبي عليه السلام أنه قال
الشؤم في المرأة والدار والدابة فإن هذا يتوهم فيه الغلط على أبي
هريرة وأنه سمع شيئا من النبي عليه السلام فلم يعه. وروى ابن قتيبة
خبرا رفعه إلى أبي حسان الأعرج أن رجلين دخلا على عائشة
فقالا إن أبا هريرة يحدث عن النبي عليه السلام أنه قال الطيرة
في المرأة والدار والدابة فطارت شفقا فقالت كذب
والذي أنزل القرآن على أبي القاسم من حدث بهذا عن رسول
الله صلى الله عليه وآله وإنه قال عليه السلام كان أهل الجاهلية
يقولون إن الطيرة في المرأة والدار والدابة ثم قرأت ما
أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من
قبل أن نبرأها. وروى خبرا رفعه إلى أنس بن مالك قال
جاء رجل إلى النبي بمكة عليه السلام فقال يا رسول الله إنا نزلنا
دارا فكثر فيها عددنا وكثرت فيها أموالنا ثم تحولنا منها إلى
أخرى فقلت فيها أموالنا وقل عددنا فقال عليه السلام ذروها
وهي ذميمة. قال ابن قتيبة هذا ليس ينقض الحديث الأول
وإنما أمرهم بالتحول منها لأنهم كانوا مقيمين فيها على استثقال
لظلها واستيحاش لما نالهم فيها فأمرهم عليه السلام بالتحول منها لأنهم
وقد جعل الله تعالى في غرائز الناس وتركيبهم استثقال ما نالهم

الشؤم فيه وان كان لا سبب لهم في ذلك كما يحب من جرى على يده الخير
لهم وان لم يرزقهم به ويبغض من جرى على يده الشر لهم وان لم يرزقهم
به. قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وجدنا ابن قتيبة قد ذكر شيئا
اكثر من انه لما اعجزه تاويل الاخبار التي سال نفسه عنها والمطابقة
بينها وبين قوله عليه السلم لا عدوى ولا طيرة ادعى الخصوص فيما
ظاهره العموم وخص العدوى ببعض دون بعض وكلامه سوى
فيه واوردناه وبما يدفعه نص قوله عليه السلم لانه عليه السلم لما سئل
عن النقبة تقع بمشفر البعير فتجرب لذلك الابل قال عليه السلم
فما اعدى الاول تكذيبا للعدوى بهذه النقبة وتاثيرها فاطرح ابن
قتيبة ذلك وزعم ان الجرب يعدي ويؤثر في المخالط والمواكل
وعول في ذلك على قول الاطباء وترك قول الرسول عليه
السلم ومن طريف امره انه قال ان الاطباء ينهون عن مجالسة
المسلول والمجذوم ولا يريدون بذلك معنى العدوى وانما يريدون
تغير الرائحة وانها تسقم من اطال اشتمامها وهذا غلط منه لان
الاطباء انما نهى عن ذلك خوفا من العدوى وسبب العدوى
عندهم هو اشتمام الرائحة وانفصال اجزاء من السقيم الى الصحيح واي فرق
اذا كان غير هذا عدوى عند قوم يوجب الا يكون هذا عدوى
ولما حكى عن ناو بالصحيح في قوله عليه السلم لا يوردن ذو عاهة
على مصح ادعى ان العيان يدفعه وان عيانا معه ونحن نجد كثيرا
مما يخالط الجرب فلا يجرب ونجد ابلا صحاحا تخالط ذوات العاهة
فلا يصيبها شيء من اذى واذا ... انما ادعى ان العيان يدفع
قول النبي عليه السلم فما اعدى الاول. والوجه عندنا في قول
النبي عليه واله السلم لا يوردن ذو عاهة على مصح انه عليه السلم

انما

قوله

نهى عن ذلك فانه لم يكن مؤثرا على الحقيقة لان فاعله كالمدخل
الضرر على غيره لان من اعتقد ان ذلك يعدي ويؤثر فاورد عليه
فلا بد من ان يلحقه لما تقدم من اعتقاده ضرر وغم ولا بد
من ان يذم من عامله بذلك فكانه عليه السلم نهى عن اذى
الناس والتعرض لذمهم وقد يجوز ايضا فيما حكاه ابن قتيبة
عن غيره مما ... من انهم كانوا طلبوا ذلك انه لو نهى النبي
عليه السلم عن التعرض لما يؤثر ولو نقل ابن قتيبة ما قاله عليه
السلم في الطاعون اذا كان ببلد فلا تدخلوه وامره لمن كان بيته
مالحقه في الدار بالتحول عنها الى ما انها لكان قد اصاب لانه قد حمل
ذلك على ان تجنب البلد اسكن للنفس واطيب للعيش وكذلك
الدار وهذا يمكن في قوله عليه السلم لا يوردن ذو عاهة على مصح
بعينه. فاما قوله عليه السلم فر من المجذوم فرارك من الاسد
فليس فيه ان ذلك لاجل العدوى فقد يمكن ان يكون لاجل
نتن ريحه واستقذاره ونفور النفس منه وان ذلك ربما دعا الى
تعييره والازراء عليه واشاعه عليه السلم من ادخال المجذوم
عليه ... يجوز ايضا ان يكون الغرض فيه نفي العدوى بل بعض
الاسباب المانعة التي ذكرنا بعضها. واما حديث الطاعون فالقول
فيه على ما قاله وقد كان ... سبيله كما قول عدوى الجذام والجرب
على قول الاطباء ان يرجع ايضا الى اقوالهم في الطاعون لانهم يزعمون
ان الطاعون الذي يعرض من تغير الاهوية وما جرى مجراها يعدي
كعدوى الجرب والجذام والعيان الذي ادعاه ليس هو اكثر من
وجوده من يجرب او يجذم لمخالطة من كان بهذه الصفة وهو العيان
موجود في الطاعون فاما ... لمن سكن البلد الذي يكون

مجلس تاسع وستون

ويطرأ البدن. فأما الخبر الذي يتضمن أن الشوم في المرأة والدار والدابة
فالذي ذكره من الرواية في معناه يزيل الشبهة به على أنه لو لم
يكن ما هنا رواية في تأويله جاز أن يحمل على أن الذي يخطر ببال
المتطيرين ويجدون الشوم فيه هو المرأة والدار والدابة ولا يكون
ذلك اثباتا للطيرة والشوم في هذه الاشياء بل على طريق الاخبار
بان الطيرة انما تكثر فيها لقوة امرها عند اصحاب الطيرة
وما ذكره بعد ذلك في الدار وامره عليه السلم بالتحول عنها تأويل
وشبهه وقد كان يجب ان ننتهي الى هذا فيما تقدم وما التوفيق
الا من عند الله

تأويل آية. ان سأل سائل عن
قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم اوليس ظاهر
هذا الكلام يقتضي جواز الحجاب عليه تعالى وانتم تمنعون من
ذلك الجواب قلنا ليس في الآية اكثر من ذكر الحجاب و
ليس فيها انه حجاب له تعالى او لمحل كلامه او لمن يكلمه واذا لم
يكن في الظاهر شيء من ذلك جاز صرف الحجاب الى غيره
تعالى مما يجوز ان يكون محجوبا فقد يجوز ان يريد تعالى بقوله او من
وراء حجاب انه يفعل كلاما في جسم محتجب عن المكلم
غير معلوم على سبيل التفصيل ليسمع المخاطب الكلام ولا يعرف محله
على طريق التفصيل فيقال على هذا هو مكلم من وراء حجاب
وروي عن مجاهد في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
قال هو داود عليه السلم ارسل الى محمد صلى الله عليه وآله فاما
ابو علي الجبائي وهو موسى عليه السلم او يرسل رسولا وهو جبرئيل
عليه السلم ارسل الى محمد صلى الله عليه وآله فاما ابو علي الجبائي

فانه

بلغ

فانه ذكر ان المراد بالآية وما كان لبشر ان يكلمه الله الا مثل ما يكلم
به عباده من الامر بطاعته والنهي لهم عن معاصيه وتنبيهه اياهم
على ذلك من جهة الخاطر او المنام او ما اشبه ذلك على سبيل
الوحي قال وانما سمى الله تعالى ذلك وحيا لانه خاطر وتنبيه
وليس هو كلاما لهم على سبيل الافصاح كما يفصح الرجل منا
لصاحبه اذا خاطبه والوحي في اللغة انما هو ما جرى مجرى الايماء و
التنبيه على شيء من غير ان يفصح به فهذا هو معنى ما ذكره الله تعالى
في الآية قال وعنى بقوله تعالى او من وراء حجاب ان يحجب
ذلك الكلام عن جميع خلقه الا من يريد ان يكلمه نحو كلامه
لموسى عليه السلم لانه حجب ذلك عن جميع الخلق الا موسى وحده
في كلامه اياه اولا فاما كلامه اياه في المرة الثانية فانه انما اسمع
ذلك موسى عليه السلم والسبعين الذين كانوا معه وحجبه عن
جميع الخلق سواهم فهذا هو معنى قوله جل وعز او من وراء
حجاب لان الكلام هو الذي كان محجوبا عن الناس وقد
يقال انه تعالى حجب عنهم موضع الكلام الذي اقام الكلام فيه
فلم يكونوا يدرون من اين يسمعونه لان الكلام عرض لا يقوم الا
في جسم ولا يجوز ان يكون اراد تعالى بقوله او من وراء
حجاب ان الله تعالى كان من وراء حجاب يكلم عباده لان
الحجاب لا يجوز الا على الاجسام المحدودة قال وعنى بقوله تعالى
او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء ارساله ملائكته عليهم السلم
بكتبه وكلامه الى انبيائه عليهم السلم ليبلغوا عنه ذلك عباده على
سبيل انزاله القرآن على محمد عليه وآله السلم وانزاله سائر الكتب
على انبيائه عليهم السلم فهذا اقتصار من الكلام الذي





وتوقفت معنا ما أزاولها ٭ بمهنّد ذي رونق عضب
فعرضته في سلق أسمنها ٭ فاجتاز بين الحاذ والكعب
فتركتها لعيالها جزرا ٭ عمدا وعلّق رحلها صحبي

ذكر في بيتاه لبلاما معقور مجارف الكلب مثل "جريه" أي لا
يبقى ذلك الأشقى مكفيه وقوله يدعو الغنى إن نال علقة أي
إن وجد ما يتعلق به من قطع عشاء بين يومين فذلك عنده
الغنى والثميلة ما يبقى في البطن من علف ومعنى طوى ثميلة
ذهب بها وأراد أنه لم يبق في بطنه ما يمسكه واللد [illegible] اللبث
فأراد أنه الحق بغية طعامه يطلبه بعد أن لان ما صلب منها
ثم أقبل على الذئب كالعاذل له فقال له ما صنعت فجمعت
من شب إلى دب وهذان اسمان للشباب والهرم لا يفردان
ولا يلفظ بهما إلا هكذا والمعنى فيها هو ذكرت شابا إلى أن دب
على العصا ثم قال له لو كنت ذا لب لمعت بالقصية ومعنى
احترف اكتسب ومعنى من نب إلى نب أي [illegible] عدونك
على الغنم إلى العدوة الأقوى ثم قال إن كان يتوصلك [illegible]
[illegible] فلقد كشفت بغاية الشغب أي [illegible] وتعاطيك
ليس [illegible] ما تعيّر عليه وإنما معنا ما احصل أي [illegible]
وركابنا التي تمتطيها واعمد إلى أهل الوقير والوقير القطيع من الغنم
ولا يسمى وقيرا إلا إذا كان فيه حمار يقول فعليك بمواضع الغنم
فإنما يخشاك الراعي والمعرّص الذي يتخذ العرموضة والمكان
الضيق وهو حظيرة يحوزها الراعي في الرمل من شدة البرد للشاء
الكريمة الصغيرة حتى إذا تركت كان ضرمها في العرموضة ومعنى
شعبك [illegible] شعبي أي ليس من جنسي ولا شكلي ولا الذئب الجذبة

من طعام

عنده الحاجة

عنده الحاجة وشكوى الضرّ الذي قد مسّه الضرّ ومزجر الكلب أي
هو منا قريب المكان بقدر مزجر الكلب إذا زجرته أي إذا [illegible]
له والسغب الجوع وأراد بقوله وأنا ابن قاتل شدة
السغب أي أنا ابن من كان يقوي ويطعم [illegible]
[illegible] ثم قال رأيت بعدما سببته وعضضته بالأذى والعزم أن
[illegible] وأقواه لأنه ضيف وإن كان ذئبا فوقفت النظر في
ركائبي واختار اسمها والاعتبار الاختبار وأراد أولها لا [illegible]
والحادان حد الفخذين اللذين يليان الذنب وخبر أن [illegible]
المطية التي عقرها علفه بعض أصحابه على مطية أخرى وقال
النجاشي يذكر ذئب

وماء كلون الغسل قد عاد آجنا ٭ قليل به الأصوات في بلد محل
وجدت عليه الذئب يعوي كأنه ٭ خليع خلا من كل مال ومن أهل
فقلت له يا ذئب هل لك في فتى ٭ يواسي بلا منّ عليك ولا بخل
فقال هداك الله للرشد إنما ٭ دعوت لما لم يأته سبع قبل
فلست بآتيه ولا أستطيعه ٭ ولاك اسقني إن كان ماؤك ذا فضل
فقلت عليك الحوض إني تركته ٭ وفي صفوه فضل القلوص من السجل
فطرّب يستعوي ذئابا كثيرة ٭ وعدّيت كلّ من هواه على شغل

ويروى أن الفرزدق نزل بالغريين فغدا على ناره ذئب فأبصره
فقعا يضيء مع الفرزدق مسلوخة فرمى إليه بيده فأكلها ثم رمى
إليه بما بقي فأكله فلما شبع ولى عنه فقال

وليلة بتنا بالغريين ضافنا ٭ على الزاد موشيّ الذراعين أطلس
تلمّسنا حتى أتانا ولم يزل ٭ لدن فطمته أمه يتلمّس
فلما أتى إذ جاءنا كان كل ذئبا ٭ لا البتة لو أنه كان يلمس

ولكن تجي خفقة بعد ماذنا ۰ فكان كقاب القوس او هو انقص
تقاسمه نصفين بيني وبينه ۰ بقيت زادي والركاب نعس
وكان ابن ليلى اذ قرى الذئب زاده ۰ على طارق الظلماء لا يتعتس

ولابن العنقاء الفزاري واسمه قيس بن بجرة بالضم ١٧
المشهورة في الذئب وهو يقول

واعوج من آل الصريح كأنه ۰ بذي الشث سيد آخر الليل جائع
بغى كسبه اطراف ليل كأنه ۰ وليس بها من مطلع الخمص طالع
فلما أتاه الرزق من كل وجهة ۰ جنوب الملا وابتسم المطامع
طوى نفسه طي الجرير كأنه ۰ حوى حية في ربوة فهو هاجع
فلما اضاءت منه الشمس حكه ۰ بأعضل في انيابه السم ناقع
وفكك لحييه فلما تعاويا ۰ صارى ثم اقعى والبلاد بلاقع
وهم بأمر ثم ازمع غيره ۰ وان ضاق رزق مرة فهو واسع
وعارض اطراف الصبا فكأنه ۰ رجاء عدي هزه الريح رائع

ولأبي حزن في الذئب ۰

فقلت لعلمي انه غير نائم ۰ الى مستقل بالجناية انيبا
بعيد المطاف لا يعيد على الغنى ۰ ولا يأتلي ما استطاع ان يتكسبا

معنى اين غليظ الرقاب لا ينام الليل اي لا اثق به حتى وكل
استمت الى فلان اذا اطمأنت اليه ۰ ومعنى لا يعيد على الغنى
لا يحرص مطعما وهو شبعان ۰ ولحميد بن ثور في الذئب ۰

يظل رأى الجيش حتى تعبت ۰ حثاش وحالت دونه الاجارع
خفيف المعى الا مصيرا يبله ۰ دم الجوف او سؤر من الحوض ناقع
او المعد انواما رأت عيانه ۰ من النظر يقظان الذي هو صانع
هو البعل الداني من الناس كالذي ۰ له صحبة وهو العدو المنازع

ونام

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي ۰ بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

وصف ذئبا يتبع الجيش طمعا في ان يتخلف رجل فيثب عليه
لانه من بين السباع لا يرغب في القتلى ولا يأكل الا ما
وثب عليه ۰ وحثاش اسم هضبة قال بعضهم وليس بمعروف ان
حثاش اسم من اسماء الشمس واحتراز الاول ليتهيب ما يقبل
والمصير المعا والبعل الدهش

مجلس تاسع وستون

ان سأل
سائل عن قوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال
رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل
فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا و
خر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول
المؤمنين فقال ما تنكرون من ان تكون هذه الآية دالة على جواز
الرؤية عليه جل وعز لانها لو لم تجز لم يسألها موسى عليه السلام كما لا
يجوز ان يسأل اتخاذ الصاحبة والولد ولو كانت الرؤية مما لا يجب
منتهيا لم يعلقها بأمر يصح ان يقع وهو استقرار الجبل في موضعه و
ان تكون الرؤية ايضا صحيحة في الحكم ما علقت به وقوله تعالى فلما تجلى
ربه للجبل يقتضي جواز الحجاب عليه تعالى لان التجلي والظهور لا
يكونان الا بعد الاحتجاب والاستتار الجواب قلنا اولا ان قوله انه
ليس في مسألة الشيء دلالة على صحة وقوعه ولا جوازه لان السائل
قد يسأل عن الصحيح والمحال مع العلم وفقد العلم لاغراض مختلفة
فلا دلالة في ظاهر مسألة الرؤية على جوازها ولاصحابنا عن هذه المسألة
اجوبة اولها وهو الاول والاقوى ان يكون موسى عليه السلام
لم يسأل الرؤية لنفسه انما سألها لقومه فقد روي انهم طلبوا ذلك
منه والتمسوه فأجابهم بانها لا تجوز عليه تعالى فلم يقنعوا بجوابه وارادوا

تقعو
مجلس تاسع وستون



أن يرد الجواب من قبل ربه تعالى فوعدهم ذلك وغلب
في ظنه أن الجواب إذا ورد من جهته تعالى كان أحسم للشبهة و
أبلغ في دفعها عنهم فاختار السبعين الذين حضروا الميقات ليكون
سؤاله بحضر منهم فيعرفوا ما يرد من الجواب فسأل فأجيب بما
يدل على أن الرؤية لا تجوز عليه تعالى ويقوي هذا الجواب أشياء
منها قوله تعالى يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا
من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة
فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ومنها قوله تعالى فأخذتهم الرجفة قال
رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء
منا فأضاف ذلك إلى السفهاء يدل على أنه كان بسببهم ومن
أجلهم ولأنهم سألوا ما لا يجوز عليه تعالى ومنها ذكر الجهرة في الرؤية
وهي لا تليق إلا برؤية البصر دون العلم وهذا يقوي أن الطلب
لم يكن للعلم الضروري على ما نذكره في الجواب الثاني ومنها قوله
أنظر إليك لأنا إذا حملنا الآية على طلب الرؤية لقومه أمكن أن
يحمل قوله أنظر إليك على حقيقته وإذا حملت الآية على طلب العلم
الضروري احتيج إلى حذف في الكلام ويصير تقديره أرني أنظر إلى
الآيات التي عندها أعرفك ضرورة يمكن في الوجه الآخر خاصة
أن يقال إذا كان المذهب الصحيح عندكم جواز النظر على الحقيقة
غير الرؤية فكيف يكون قوله تعالى أنظر إليك حقيقة في جواب
من حمل الآية على طلب الرؤية لقومه فإن قلتم لا يمتنع أن يكونوا التمسوا
الرؤية التي يكون معها النظر والتحديق إلى الجهة كما سأل عليه السلام بلفظ
على حسب ما طلبوا قيل لكم هذا ينقض غرضكم وهذا السؤال بين جواز
الرؤية وبين سؤال الجميع فيحمل عليه من الكفاحين والولد وما يقتضي

الجسم

الجسمية بأن تقولوا الشك في الرؤية لا يمنع من معرفة السمع و
الشك في جميع ما ذكرتم من قولكم لأن الشك الذي لا يمنع من صحة
معرفة السمع إنما هو في الرؤية التي لا يكون معها نظر فلا يقتضي التشبيه
فإن قلتم يحمل ذكر النظر فيه على أن المراد به نفس الرؤية على
سبيل المجاز لأن من عادة العرب أن يسموا الشيء باسم الطريق
إليه وما قاربه وداناه قلنا فما لكم عدلتم من مجاز إلى مجاز فلا
قوة في هذا الوجه والوجوه التي ذكرناها في تقوية هذا الجواب
المتقدمة أولى وليس لأحد أن يقول لو كان عليه السلم إنما
سأل الرؤية لقومه لم يضف السؤال إلى نفسه فيقول أرني أنظر
إليك ولما كان الجواب مختصا به وهو قوله تعالى مع أن المسألة
كانت من أجل الغير إذا كانت هناك دلالة تؤمن من اللبس
وتزيل الشبهة فلهذا يقول أحدنا إذا شفع في حاجة غيره للمشفوع
إليه أسألك أن تفعل بي كذا وكذا وتجيبني إلى كذا ويحسن
أن يقول المشفوع إليه قد أجبتك وشفعتك وما جرى مجرى
ذلك وإنما حسن هذا لأن للسائل في المسألة غرضا وإن رجعت
إلى الغير فحققه تحقيقه وتكفله لتكفله إذا خصه ولم يتعده فأما من قيل
كيف يجوز منه عليه السلم مع علمه باستحالة الرؤية عليه تعالى أن
يسأل فيها لقومه وإن جاز ذلك يجوز أن يسأل موسى سائر
ما يستحيل عليه تعالى من كونه جسما وما أشبهه متى شكوا فيه قلنا
إنما صح ما ذكرناه في الرؤية ولم يصح فيما سألت عنه لأن مع الشك
في جواز الرؤية التي لا تقتضي كونه جسما يمكن معه معرفة السمع وأنه تعالى
حكيم صادق في أخباره فيصح أن يعرفوا بالجواب الوارد من جهته
تعالى استحالة ما شكوا في صحته وجوازه ومع الشك في كونه جسما

لا يصح معرفة السمع فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم وقد قال بعض
من تكلم في هذه الاية قد كان جايزا ان يسال موسى عليه السلم
لقومه ما يعلم استحالته وان كانت دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته
متى كان المعلوم ان في ذلك صلاحا للمكلفين في الدين وان ورود
الجواب يكون لطفا لهم في النظر في الادلة واصابة الحق منها غير
ان من اجاب بذلك شرط ان يبين النبي عليه السلم في مسئلته
علمه باستحالة ما سال عنه وان غرضه في السوال ورود الجواب ليكون
لطفا والجواب الثاني في الاية ان يكون موسى عليه السلم انما
سال ربه ان يعلمه نفسه ضرورة باظهار بعض اعلام الاخرة
التي تضطر الى المعرفة فتزول عنه الدواعي والشكوك والشبهات
ويستغني عن الاستدلال فتخف المحنة عليه بذلك كما سال ابراهيم
عليه السلم ربه ان يريه كيف يحيي الموتى طلبا لتخفيف المحنة
عليه بذلك وان كان قد عرف ذلك قبل ان يراه والسوال
وان وقع بلفظ الروية فان الروية تفيد العلم كما تفيد الادراك
بالبصر وذلك اظهر من ان يدل او يستشهد به فقال له جل وعز
لن تراني اي لن تعلمني على هذا الوجه الذي التمسته مني ثم اكد ذلك
بان اظهر في الجبل من اياته وعجايبه ما دل به على ان اظهار
ما تقوم به المعرفة الضرورية في الدنيا مع التكليف وثباته لا يجوز
وان التكليف يمنع منه والوجه الاول اولى لما ذكرناه من
الوجوه ولانه لا يخلو موسى عليه السلم من ان يكون شاكا في
ان المعرفة الضرورية لا يصح حصولها في الدنيا او عالما بذلك
فان كان شاكا فهذا مما لا يجوز على النبي عليه السلم لان الشك
فيما يرجع الى الاصول الديانات وقواعد التكليف مما لا يجوز عليهم

في المعرفة

في المعرفة وهذا ابلغ في التنفير عنهم في كل شي يمنع منه فيهم وان
كان عالما فلا وجه لسواله الا ان يقال انه سال لقومه فيعود
الى معنى الجواب الاول والجواب الثالث في الاية ما حكي
عن بعض من تكلم في هذه الاية من اهل التوحيد وهو ان قال
يجوز ان يكون موسى عليه السلم في وقت مسالته ذلك شاكا
في جواز الروية على الله تعالى فسال عن ذلك ليعلم هل يجوز
ذلك ام لا قال وليس شكه في ذلك بمانع من ان يعرف الله
تعالى بصفاته بل يجري مجرى شكه في جواز الروية على بعض ما لا
يرى من الاعراض في انه غير مخل بما يحتاج اليه في معرفته تعالى
قال ولا يمتنع ان يكون غلطه في ذلك ذنبا صغيرا وهو ان تكون التوبة
الواقعة منه لاجل ذلك وهذا الجواب يبعد من قبل ان الشك
في جواز الروية التي لا تقتضي تشبيها وان كان لا يمنع من معرفته
تعالى بصفاته فان الشك في ذلك لا يجوز على الانبياء عليهم السلم
من حيث يجوز من بعض من بعثوا اليه ان يعرف ذلك على الحقيقة
فيكون النبي عليه السلم شاكا فيه وغيره عارفا به مع رجوعه الى
المعرفة بالله تعالى وما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز عليه وهذا اقوى
في التنفير وازيد على كل ما وجب ان تجنبه الانبياء عليهم السلم
فان قيل فعن اي شي كانت توبة موسى عليه السلم على الجوابين
المتقدمين قلنا اما من ذهب الى ان المسالة كانت لقومه
فانه يقول انما تاب لانه اقدم على ان سال على لسان قومه
ما لم يوذن له فيه وليس للانبياء عليهم السلم ذلك لانه لا يومن
ان يكون الصلاح في المنع منه فيكون ترك اجابتهم منفرا عنهم
ومن ذهب الى انه سال المعرفة الضرورية يقول انه تاب من

من حيث سأل معرفة لا تقتضيها التكليف وعلى جميع الأحوال
تكون التوبة من ذنب صغير لا يستحق عليها العقاب ولا الذم
والأولى أن يقال في توبته عليه السلام انه ليس في الآية ما يقتضي
ان تكون التوبة وقعت من المسألة أو من أمر يرجع إليها وقد يجوز
أيضا أن يكون ما أظهره من التوبة على سبيل الرجوع إلى الله تعالى
واظهار الانقطاع إليه والتقرب منه وإن لم يكن هناك ذنب
صغير. وقد يجوز أيضا أن يكون الغرض في ذلك مضافا إلى ما قلناه
تعليمنا وتوقيفنا على ما نستعمله وندعو به عند الشدائد ونزول
الأهوال وتنبيه القوم المخطئين خاصة على التوبة مما التمسوه من الرؤية
المستحيلة عليه تعالى وان الأنبياء عليهم السلام وإن لم يقع منهم
القبيح عندنا فقد يقع من غيرهم ويحتاج في ذلك عنه الى التوبة
منه والاستقالة. فاما قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل فان التجلي
ههنا هو التعريف والاعلام والاظهار لما يقتضي المعرفة كقولهم هذا كلام
جلي وواضح وكقول الشاعر. تجلى لنا بالمشرفية والقنا. وقد كان
عنا وقع الاسنة نائيا. أراد أن تدبيره دل عليه حتى علم أنه المدبر
وإن كان نائيا عن وقع الاسنة فأقام ما ظهر من دلالة فعله
مقام مشاهدته وعبر عنه بأنه تجلى منه وفي قوله تعالى للجبل وجهان
أحدهما أن يكون المراد لأهل الجبل ومن كان عند الجبل فحذف
كما قال تعالى واسئل القرية وما بكت عليهم السماء والارض وقد علمنا
انه بما أظهره من الآيات انما دل من كان عند الجبل على أن رؤيته
تعالى غير جائزة. والوجه الآخر أن يكون معنى للجبل أي بالجبل فاقام
اللام مقام الباء كما قال تعالى آمنتم له قبل أن آذن لكم أي به و
كما يقولون أخذتك لجرمك أي بجرمك ولما كانت الآية الدالة

او قال انه على معنى حذف
المضاف وقوله تعالى تجلى
ربه للجبل اي نوره الذي خلق
فيه فانه روى ان اصغر
...
عليه ...

على منع ما سئل فيه انما حلت الجبل وظهرت فيه جاز أن يضاف
التجلي إليه. وقد استدل بهذه الآية كثير من علماء الموحدين
على انه تعالى لا يرى بالأبصار من حيث نفى الرؤية نفيا عاما بقوله
تعالى لن تراني ثم أكد ذلك بأن علق الرؤية باستقرار الجبل
الذي علمنا انه لم يستقر وهذه طريقة مشهورة في تبعيد الشيء لانهم
يعلقونه بما يعلم انه لا يكون كقولهم لا كلمتك ما أضاء الفجر وطلعت الشمس
وكقول الشاعر. إذا شاب الغراب أتيت أهلي. وصار
القار كاللبن الحليب. ومما يجري هذا المجرى قوله تعالى ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وليس لأحد أن يقول انه علق
الرؤية باستقرار الجبل وكان ذلك في مقدوره تعالى فيجب أن
تكون الرؤية المعلقة به أيضا في مقدوره وانه لو كان الغرض بذلك
التبعيد لعلقه بأمر يستحيل كما علق دخولهم الجنة بأمر مستحيل من
ولوج الجمل في سم الخياط وذلك أن تشبيه الشيء بغيره لا يجب
أن يكون من جميع الوجوه وانما علق وقوع الرؤية باستقرار الجبل
وقد علم انه لا يستقر علم نفي الرؤية وما عدا ذلك من كون الرؤية
مستحيلة او غير مقدورة وكون استقرار الجبل في تلك الحال التي
جعله فيها دكا وذلك محال لما فيه من اجتماع الضدين يجري
مجرى جواز الرؤية في الاستحالة وليس يجب في كل ما علق بغيره
أن يجري مجراه في سائر وجوهه حتى إذا كان أحدهما مع استحالته
مستحيلا بل معلوم كان الآخر بمثابته لأن تعليق دخول الكفار
الجنة بولوج الجمل في سم الخياط لم يكن مستحيلا بل معلوم أن الأول
في المقدور وإن كان لا يحسن والثاني ليس في المقدور وهذا
جملة كافية في تأويل هذه الآية وبيان ما فيها والحمد لله وحده

للعرب

حمداً كثيراً. قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وإني لأستجيد قول أبي العيص بن حزام بن عبد الله بن قتادة المازني

وكم من صاحب قد بان عني • رُميت بفقده وهو الحبيب •
فلم أُبدِ الذي تحنو ضلوعي • عليه وإنني لأنا الكئيب •
مخافة أن يراني مستكيناً • عدوٌّ أو يُساء به قريب •
فيشمت كاشح ويظن أني • جزوعٌ عند نائبة تنوب •
فبعدك شدّت الأعداء طرفاً • إليّ ورابني دهرٌ مريب •

معنى شدّت الأعداء طرفاً أي نظرت إليّ نظراً شديداً أو ظهر الغضب في عيونها

وأنكرت الزمان وكل أهلي • وهرّتني لغيبتك الكليب •
وكنت تقطّع الأبصار دوني • وإن وغرت من الغيظ القلوب •
ويمنعني من الأعداء أني • وإن رغموا لمحتبي كليب •
فلم أر مثل يومك كان يوماً • بدت فيه النجوم فما تغيب •
وليل ما أنام به طويل • كأن النجوم به رقيب •
وما يك جائياً لا بدّ منه • إليك فسوف تجلبه الجلوب •

مجلس تأويل آية. إن سأل سائل عن قوله تعالى وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون • فقال كيف ذكر تعالى بعد ذكر البقرة والأمر بذبحها • وقد كان ينبغي أن يقدمه لأنه إنما أمر تعالى بذبح البقرة لينكشف أمر القاتل فكيف أخّر تعالى ذكر السبب عن المسبب وبنى الكلام بناءً يقتضي أنه كان بعده ولم قال تعالى وإذ قتلتم نفساً وادّارأتم وقد روي بأن القاتل كان واحداً فكيف يجوز أن يخاطب الجماعة بالقتل والقاتل من بينها واحد وإلى أي شيء وقعت الإشارة بقوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى

الجواب قيل له أما قوله تعالى وإذ قتلتم نفساً ففيه وجهان أحدهما أن تكون هذه الآية وإن تأخرت فهي مقدمة في المعنى على الآية التي ذكرت فيها البقرة ويكون التأويل وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها فسألتم موسى فقال لكم إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فأخّر المقدم وقدّم المؤخر ومثل هذا في القرآن وكلام العرب كثير • ومثله الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيّماً • وقال الشاعر • إن الفرزدق صخرة عاديّة • طالت فليس تنالها الأوعالا • أراد طالت الأوعال فليس تنالها • ومثله •

طاف الخيال فأين منك لماما • فارجع لزورك بالسلام سلاما •

أراد طاف الخيال لماماً وأين منك • والوجه الثاني أن يكون وجه تأخير قوله تعالى وإذ قتلتم نفساً أنه تعلق بما هو متأخر في الحقيقة وواقع بعد ذبح البقرة وهو قوله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى لأن الأمر بضرب المقتول ببعض البقرة إنما هو بعد الذبح فكأنه تعالى قال فذبحوها وما كادوا يفعلون وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها أمرناكم بأن تضربوه ببعضها لينكشف أمره فأما إخراج الخطاب مخرج ما يتوجه إلى الجمع مع أن القاتل واحد فعلى عادة العرب في خطاب الأبناء بخطاب الآباء والأجداد وخطاب العشيرة بما يكون من أحدها فيقول أحدهم فعلت بنو تميم كذا وقتل فلان فلاناً وإن كان الفاعل أو القاتل واحداً من بين الجماعة ومنه قراءة من قرأ يقاتلون في سبيل الله فيُقتلون ويَقتلون بتقديم المفعولين على الفاعل هو اختيار الكسائي وأبي العباس ثعلب والمعنى فيقتل بعضهم ويقتلون وهو أبلغ في وصفهم والمدح لهم لأنهم إذا قاتلوا بعد أن قتل بعضهم كان ذلك أدل على شجاعتهم





مجلس حاد وسبعون

هو الكساء يوضع تحت الرحل. وهذا التشبيه بالمعنى الذي قصده
البحتري واولى بان نختاره مع رقة طبعه وسلامة الفاظه مجلس
تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس
واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشيها حملت حملا خفيفا
فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من
الشاكرين فلما آتيهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتيهما فتعالى الله عما
يشركون. فقال أليس ظاهر هذه الآية يقتضي جواز الشرك على
الانبياء عليهم السلام لانه لم يتقدم الا ذكر آدم وحوا عليهما السلام
فيجب ان يكون قوله تعالى جعلا له شركاء فيما آتيهما يرجع اليهما. الجواب
قلنا كما ان ذكر آدم وحوا عليهما السلام قد تقدم فقد تقدم ذكر
غيرهما في قوله تعالى هو الذي خلقكم ومعلوم ان المراد بذلك
جميع ولد آدم عليه السلام وقد تقدم ايضا ذكر ولد آدم عليه السلام
في قوله تعالى فلما آتيهما صالحا والمعنى فلما آتيهما ولدا صالحا والمراد
بهذا الجنس دون الواحد وان كان اللفظ لفظ وحدة. والمعنى فلما
آتيهما جنسا من الاولاد صالحين. واذا كان الامر على ما ذكرناه جاز
ان يرجع قوله تعالى جعلا له شركاء الى ولدهما وقد تقدم ذكرهم
فان قيل لما وجب رده الى آدم وحوا عليهما السلام لاجل التثنية
في الكلام ولم يتقدم ذكر الاثنين الا ذكرهما عليهما السلام قلنا ان
يجعل هذا الترجيح في رجوعه اليهما جاز ايضا ان يجعل قوله تعالى في
آخر الآية فتعالى الله عما يشركون وجها مقويا لرجوع الكلام الى جملة
الاولاد ويجوز ايضا ان يكون اشار تعالى في التثنية الى المذكور و
الاناث من ولد آدم عليه السلام او الى جنسين منهم مختلف التثنية
لذلك على انه قد يتقدم في الكلام [illegible] حكما من الاحكام

وعلم بالدليل استحالة تعلقه باحد الامرين وجب رده الى الآخر
واذا علمنا ان آدم عليه السلام لا يجوز عليه الشرك لم يجز عود الكلام
اليه ووجب عوده الى المذكورين من ولد آدم عليه السلام وذكر ابو علي
الجبائي في هذا ما يحسن تورده على وجهه قال انما عنى بهذا ان الله تعالى
خلق بني آدم من نفس واحدة لان الاضمار في قوله تعالى خلقكم
انما عنى به بني آدم والنفس الواحدة التي خلقهم منها هي آدم لانه خلق
حوا من آدم ويقال انه تعالى خلقها من ضلع من اضلاعه فرجعوا
جميعا الى انهم خلقوا من آدم وبين ذلك بقوله تعالى وخلق منها
زوجها لانه عنى بهذا انه خلق من هذه النفس زوجها وزوجها هو حوا
عليها السلام. وعنى بقوله تعالى فلما تغشيها حملت حملا خفيفا وحملها هو
حبلها في ابتداء الحمل لانه في ذلك الوقت خفيف عليها. ومعنى قوله
تعالى فمرت به ان مرورها بهذا الحمل وتصرفها به كان عليها سهلا
لخفته فلما كبر الولد في بطنها ثقل ذلك عليها فهو قوله تعالى فلما اثقلت
فثقل عليها عند ذلك المشي والحركة. وعنى بقوله تعالى دعوا الله
ربهما انهما دعوا عند كبر الولد في بطنها فقالا لئن آتيتنا يا رب نسلا
صالحا لنكونن من الشاكرين لنعمتك علينا لانهما ارادا ان يكون
لهما اولاد يونسونهما في الموضع الذي كانا فيه لانهما كانا فردين
مستوحشين اذا غاب احدهما بقي الآخر مستوحشا بلا مونس
فلما آتيهما نسلا صالحا معافى وهم الاولاد الذين كانوا يولدون
لهما لان حوا عليها السلام كانت تلد في كل بطن ذكرا وانثى و
يقال انها ولدت خمسمائة بطن الف ولد. وعنى بقوله تعالى
فلما آتيهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتيهما ان هذا النسل الصالح
الذي هم ذكر و انثى جعلا له شركاء فيما آتيهما من [illegible] اضافا ما

بعض تلك النعم الى الذين اتخذوهم آلهة مع الله تعالى من الاصنام
والاوثان ولم يعد الضمير بقوله تعالى جعلا الى آدم وحوا عليهما السلام لان آدم
لا يجوز عليه الشرك بالله تعالى لانه نبي من انبيائه عليهم السلام ولو
جاز الشرك والكفر على الانبياء لما جاز ان يثق احد بما يؤديه النبي
عليه السلام عن الله تعالى لان من جاز عليه الكفر جاز عليه الكذب
ومن جاز عليه الكذب لا يوثق باخباره فصح بهذا ان الاضمار
في قوله تعالى جعلا له انه يعني به النسل وانما ذكر ذلك على سبيل
التثنية لانهم كانوا ذكرا وانثى فلما كانوا صنفين جاز اخباره عنهما
كالاخبار عن الاثنين اذ كانا صنفين وقد دل على صحة تاويلنا
هذا قوله تعالى في آخر الآية فتعالى الله عما يشركون فبين عز اسمه
ان الذين جعلوا لله شركاء هم جماعة فلهذا جعل اضمارهم اضمار
الجماعة فقال تعالى عما يشركون مضى كلام ابي علي وقد قيل في
قوله تعالى فلما آتيهما صالحا مضافا الى الوجه المتقدم الذي هو انه
اراد بالصلاح الاستواء في الخلقة والاعتدال في الاعضاء وجه
آخر وهو انه لو اراد الصلاح في الدين كان الكلام ايضا مستقيما
لان الصالح في الدين قد يجوز ان يكفر بعد صلاحه فيكون في حال
صالحا وفي اخرى مشركا وهذا لا يتنافى وقد استشهد في جواز
الانتقال من خطاب الى غيره ومن كناية عن مذكور الى مذكور
سواه ليصح ما قلناه من الانتقال من الكناية عن آدم وحوا عليهما
السلام الى ولدهما بقوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله فانصرف عن مخاطبة الرسول الى
مخاطبة المرسل اليهم ثم قال وتعزروه وتوقروه يعني الرسول
عليه السلام ثم قال تعالى وتسبحوه وهو يعني مرسل الرسل

فالكلام

فالكلام واحد متصل بعضه والخطاب منتقل من واحد الى غيره
وبقول الهذلي يا لهف نفسي كان جدة خالد وبياض وجهك
للتراب الاعفر ولم يقل وجهه وقال كثير
اسيئي بنا او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت
فخاطب ثم ترك الخطاب وقال جحدر هذي لك يا ناقتي و
جميع اهلي ومالي انه منه اتاني ولم يقل منك اتاني ووجدت ابا
مسلم بن بحر يحمل هذه الآية على ان الخطاب في جميعها غير متعلق بآدم
وحوا عليهما السلام ويجعل الهاء في تغشيها والكناية في دعوا الله
ربهما وآتيهما صالحا راجعتين الى من اشرك ولم يتعلق بآدم وحوا
عليهما السلام من الخطاب الا قوله خلقكم من نفس واحدة لانه
قال والاشارة في قوله تعالى جعل منها زوجها ثم خص منها بعضهم
كما قال تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم بريح طيبة فخاطب الجماعة بالتسيير في البر والبحر ثم خص
راكب البحر بقوله تعالى وجرين بهم بريح طيبة كذلك هذه الآية
اخبرت عن جملة امر البشر وانهم مخلوقون من نفس واحدة
وزوجها وهما آدم وحوا عليهما السلام ثم عاد الذكر الى الذي سال
الله تعالى ما سال فلما اعطاه اياه ادعى له الشركاء في عطيته قال و
جائز ان يكون عنى بقوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة
المشركين خصوصا اذ كان كل بني آدم مخلوقا من نفس واحدة
وزوجها ويجوز ان يكون المعنى في قوله تعالى خلقكم من نفس واحدة
فهذا قد جاء كثيرا في القرآن وكلام العرب قال الله تعالى والذين
يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين
جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا وقال جل ذكره ومن آياته

أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها فلكل نفس زوج
هو منها أي من جنسها فلما تغشاها أي فلما تغشى كل نفس زوجها
حملت حملا خفيفا وهو ماء الفحل فمرت به أي مارت به والمور
التردد والمراد تردد هذا الماء في رحم هذه الحامل فلما أثقلت أي
ثقل حملها بمصير الماء لحما ودما وعظما دعوا الله أي الرجل والمرأة
فلما استبان حمل المرأة فقال لئن آتيتنا صالحا لنكونن من
الشاكرين فلما آتاهما أي أعطاهما ما سألا من الولد الصالح نسبا
ذلك إلى شركائه فتعالى الله عما يشركون وقال قوم معنى
جعلا له شركاء أي طلبا من الله تعالى أمثالا للولد الصالح فشركا
بين الطلبتين ويكون الهاء في قوله تعالى له راجعة إلى الصالح لا إلى
الله تعالى ويجري مجرى قول القائل لما طلب مني درهما فلما
أعطيته شركه بآخر أي طلب آخر مضافا إليه وعلى هذا
الوجه لا يمتنع أن يكون قوله تعالى جعلا والخطاب كله متوجها إلى
آدم وحوا عليهما السلم مجلس تأويل آية إن سأل سائل عن
قوله تعالى قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون فقال
أليس ظاهر هذا القول يقتضي أنه خالق لأعمال العباد لأن ما ههنا
بمعنى الذي فكأنه تعالى قال خلقكم وخلق أعمالكم الجواب قلنا
قد حمل أهل الحق هذه الآية على أن المراد بقوله تعالى وما تعملون
فيه من الحجارة والخشب وغيرهما مما كانوا يتخذونه أصناما ويعبدونها
قالوا وليس بمنكر أن يريد بقوله تعالى وما تعملون ذلك كما أنه قد أراد
ما ذكرناه بقوله تعالى أتعبدون ما تنحتون لأنه لم يرد تعالى أنكم تعبدون
نحتكم الذي هو فعلكم بل أراد ما تفعلون فيه النحت وكما قال تعالى
في عصا موسى عليه السلم تلقف ما يأفكون وتلقف ما صنعوا إنما

أراد تعالى أن العصا تلقف الحبال التي أظهروا سحرهم فيها وهي
التي حلّها صنعتهم وإفكهم فقال تعالى ما صنعوا وما يأفكون وأراد
تعالى ما يأفكون فيه وما صنعوا فيه ومثله قوله تعالى يعملون ما يشاء من
محاريب وتماثيل وإنما أراد تعالى المعمول فيه دون العمل وهذا في
الاستعمال أيضا شائع سائغ لأنهم يقولون هذا الباب عمل النجار
وفي الخلخال هذا عمل الصائغ وإن كانت الأجسام التي أشير
إليها ليست أعمالا لهم وإنما عملوا فيها فحسن إجراء هذه العبارة
فإن قيل كل الذي ذكرتموه وإن استعمل فعلى وجه المجاز والاتساع
لأن العمل في الحقيقة لا يجري إلا على فعل الفاعل دون ما يفعل
فيه وإن استعير في بعض المواضع قلنا ليس نسلم لكم أن
الاستعمال الذي ذكرناه على سبيل المجاز بل نقول هو المفهوم الذي
لا يستفاد سواه لأن القائل إذا قال هذا الثوب عمل فلان لم
يفهم منه إلا أنه عمل فيه وما رأينا أحدا قط يقول في الثوب
من قوله هذا من عمل فلان هذا مما حكاه عمل فلان محالا أو لا أولى
أن يكون حقيقة وليس ينكر أن يكون الأصل في الحقيقة ما ذكروه
ثم انتقل ذلك بعرف الاستعمال إلى ما ذكرناه وصار أخص به وما
لا يستفاد من الكلام سواه كما انتقلت ألفاظ كثيرة على هذا الحد
والاعتبار في المفهوم من الألفاظ إلا بما يستقر عليه استعمالها دون
ما كانت عليه في الأصل فوجب أن يكون المفهوم والظاهر من
الآية ما ذكرناه على أنا لو سلمنا أن ذلك مجاز وجب المصير إليه
من وجوه منها ما يشهد به ظاهر الآية ويقتضيه ولا يسوغ سواه
ومنها ما يقتضيه الأدلة القاطعة الخارجة عن الآية فمن ذلك
أنه تعالى أخرج الكلام مخرج التبكيت لهم والتوبيخ لأفعالهم والإزراء



على مذاهبهم فقال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ومنهم لم
يمكن قوله تعالى وما تعملون المراد به ما تعملون فيه للتصريح بتقدير ما تعبدون من
الاصنام التي تنحتونها والله خلقكم وخلق هذه الاصنام التي تفعلون
فيها التخطيط والتصوير ولم يكن للكلام معنى وما يدخل في باب
التوبيخ ويعير على ما يذكره المخالف كانه تعالى قال اتعبدون ما تنحتون
والله خلقكم وخلق عبادتكم فاى وجه للتوبيخ وهذا الى ان يكون
عذرا اقرب منه الى ان يكون لوما وتوبيخا واذا خلق عبادتهم
للاوثان فاى وجه للومهم عليها وتوبيخهم بها على ان قوله تعالى
خلقكم وما تعملون بعد قوله تعالى اتعبدون ما تنحتون انما خرج مخرج
التعليل للمنع من عبادة غيره فلا بد من ان يكون متعلقا بما تقدم
من قوله تعالى اتعبدون ما تنحتون ومؤثرا في المنع من عبادة
غيره فلو افاد قوله تعالى ما تعملون نفس العمل الذي هو النحت دون
المعمول فيه لكان لا فائدة في الكلام لان القوم لم يكونوا يعبدون
النحت وانما كانوا يعبدون محل النحت ولانه كان لا حظ في الكلام
للمنع من عبادة الاصنام فكذلك لو حمل قوله تعالى ما تعملون على
اعمال اخر ليست نحتهم ولا هي ما عملوا فيه لكان اظهر في باب اللغو
والعبث والبعد عن التعلق بما تقدم فلم يبق الا انه اراد تعالى
والله خلقكم وما تعملون فيه فكيف تعبدون مخلوقا مثلكم فان قيل لم
زعمتم انه لو كان الامر على ما ذكرناه لم يكن للقول الثاني حظ في باب
المنع في عبادة الاصنام وما تنكرون ان يكون لما ذكرناه وجه
في المنع من ذلك وان كان ما ذكرتموه ايضا لو اريد لكان وجها
وهو ان من خلقنا وخلق الافعال فينا لا يكون الا الاله القديم
الذي يحق له العبادة وغير القديم تعالى كما يستحيل ان يخلقنا يستحيل

لا يخلق

ان يخلق فينا الافعال على الوجه الذي يخلقها القديم عليه فصار
لما ذكرناه تاثير * قلنا معلوم ان الثاني اذا كان كالتعليل
للاول والمؤثر في المنع من العبادة فلان يتضمن انكم مخلوقون
وما تعبدونه اولى من ان ينصرف الى ما ذكرتموه مما لا يقتضي اكثر
من خلقهم دون خلق ما عبدوه ثم انه لا شيء ادل على المنع من عبادة
الاصنام من كونها مخلوقة كما ان عابدها مخلوق * وقد شهد لما ذكرناه
ايضا قوله تعالى في موضع آخر ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم
يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فاحتج تعالى
في المنع من عبادة الالهة دونه بانها مخلوقة لا تخلق شيئا ولا تدفع
عن انفسها ضررا ولا عنهم * وهذا واضح على انه لو ساوى ما ذكروه
ما ذكرناه في التعلق بالاول لم يسغ حمله على ما ادعوه لان فيه عذرا
لهم في الفعل الذي عنفوا به وقرعوا من اجله وقبيح ان يوبخهم
بما يعذرهم ويذمهم بما يبرئهم على ما تقدم على انا لو سلمنا ان من يفعل
افعال العباد ويخلقها يستحق العبادة لان من جملة افعالهم القبائح
ومن فعل القبائح لا يكون الها ولا تحق له العبادة فخرج ما ذكروه
من ان يكون مؤثرا بانفراده في العبادة على ان اضافة العمل اليهم
بقوله تعالى تعملون يبطل تاويلهم هذه الاية لانه لو كان تعالى خالقا
لها لم يكن عملا لهم لان العمل انما يكون عملا لمن يحدثه ويوجده فكيف
يكون عملا لهم والله خلقه وهذه مناقضة * فان قيل اليس الظاهر
يشهد لنا بالذي ان قوله تعالى وما تعملون يقتضي الاستقبال وكل
فعل لم يوجد فهو معدوم ومحال ان يقول تعالى اني خالق للمعدوم
فان قالوا اللفظ وان كان للاستقبال فالمراد به الماضي فكانه تعالى
قال والله خلقكم وما عملتم قلنا هذا عدول منكم عن الظاهر الذي

بما يبرئهم



ألمت بنا لمة ثم شمرت بي * جلة تبللتين ترقا ثيابيا
ألا ليتنا والنفس تسكن للمنى * يمانون إن أمسى حبيب يمانيا

ولها:

وإني لأهوى القصد ثم يردني * عن القصد ميلات الهوى فأميل
وما وجد مسجون بصنعاء موثق * بساقيه من حبل الأمير كبول
وما ليل مولى مسلم بجريرة * له بعد ما نام العيون عويل
بأكثر مني روعة يوم راعني * فراق حبيب ما إليه سبيل

ولعمرة بنت العجلان أخت عمرو ذي الكلب بن العجلان الكاهلي ترثي أخاها عمرا وكان في بعض غاراته نائما فوثب عليه نمران فأكلاه فوجدت فهم سلاحه فادعت قتله:

سألت بعمرو أخي صحبه * فأفظعني حين ردوا السؤالا
وقالوا أتيح له نائما * أعز السباع عليه أحالا
أتيح له نمرا أجبل * فنالا لعمرك منه منالا
فأقسمت يا عمرو لو نبهاك * إذا نبها منك أمرا عضالا
إذا نبها ليث عريسة * مفيتا مفيدا نفوسا ومالا
هزبرا فروسا لأعدائه * هصورا إذا لقي القرن صالا
هما مع تصرف ريب المنون * من الأرض ركنا ثبيتا أمالا
هما يوم حم له يومه * وقال أخو فهم بطلا وفالا
وقالوا قتلناه في غارة * بآية ما إن ورثنا النبالا
فهلا إذن قبل ريب المنون * فقد كان رجلا وكنتم رجالا
وقد علمت فهم يوم اللقاء * بأنهم لك كانوا نفالا

يعني فال أخطأ يقال رجل فال الرأي وفائل الرأي إذا كان ضعيفه ... إلى العلامة أن ورثنا النبال يقال رجل ورجل والنفال الغنائم

كأنهم لم يحسوا به * فيخلوا النساء له والحلالا

ولم يرثوا المجول السنين به * فيكونوا عليه عيالا
وقد علم الضيف والمجتدون * إذا اغبر أفق وهبت شمالا
وخلت عن أولادها المرضعات * ولم تر عين لمزن بلالا
بأنك كنت الربيع المغيث * لمن يعتريك وكنت الثمالا
وخرق تجاوزت مجهوله * بوجناء حرف تشكى الكلالا
فكنت النهار به شمسه * وكنت دجى الليل فيه الهلالا
وخيل سمت لك فرسانها * فولوا ولم يستقلوا قبالا
وكل قبيل وإن لم تكن * أردتهم منك باتوا وجالا

مجلس آخر تأويل آية. إن سأل سائل عن قوله تعالى ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون فقال ليس ظاهر هذه الآية تقتضي أن نصح النبي عليه السلم لا ينفع الكفار الذين أراد الله تعالى بهم الكفر والغواية وهذا بخلاف مذهبكم. الجواب قلنا ليس في ظاهر الآية ما يقتضي خلاف مذهبنا لأنه تعالى لم يقل إنه فعل الغواية وأرادها وإنما أخبر أن نصح النبي عليه السلم لا ينفع إن كان الله يريد غوايتهم ووقوع الإرادة لذلك أو جوازه وقوعها لا دلالة عليه في الظاهر على أن الغواية هاهنا الخيبة وحرمان الثواب ويشهد بصحة ما ذكرناه في هذه اللفظة قول الشاعر:

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

فيكون تقدير قوله تعالى قال إن كان الله تعالى يريد أن يعاقبكم بسوء عملكم وكفركم ويحرمكم ثوابه فليس ينفعكم نصحي ما دمتم مقيمين على ما أنتم عليه فسوف يلقون غيا. ومما يحتمل هذه الآية ويشهد لما ذكرناه أن القوم استعجلوا عقاب الله تعالى فقالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين فقال إنما يأتيكم

مجلس ثالث والسبعون

الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي فأخبر أن نصحه لا
ينفع من يريد الله تعالى أن ينزل به العذاب ولا يغني عنه شيئا
وقال جعفر بن حرب إن الآية تتعلق بأنه كان في قوم نوح عليه
السلام طائفة تقول بالجبر فنبههم الله تعالى بهذا القول على فساد
مذاهبهم وقال لهم على طريق الإنكار والتعجب من قولهم إن كان
القول كما تقولون من أن الله تعالى يفعل فيكم الكفر والفساد فما
ينفعكم نصحي فلا تطلبوا مني نصحا وأنتم على قولكم لا تنتفعون به وهذا
جيد. وروي عن الحسن البصري في هذه الآية وجه صالح وهو أن
قال المعنى فيها إن كان الله تعالى يريد أن يعذبكم فليس ينفعكم
نصحي عند نزول العذاب بكم وهذا أيضا واضح في زوال الشبهة في
الآية. قال الشريف المرتضى رضي الله عنه ومما يستحسن مما قيل
في صفة المصلوب قول أبي تمام في قصيدته يمدح بها المعتصم ويذكر
قتل الأفشين وحرقه وصلبه

ما زال سر الكفر بين ضلوعه ❊ حتى اصطلى سر الزناد الواري
نارا يساور جسمه من حرها ❊ لهب كما عصفرت شق إزار
طارت لها شعل يهدم لفحها ❊ أركانه هدما بغير غبار
فصلن منه كل مجمع مفصل ❊ وفعلن فاقرة بكل فقار
مشبوبة رفعت لأعظم مشرك ❊ ما كان يرفع ضوءها للساري
صلى لها حيا وكان وقودها ❊ ميتا ويدخلها مع الكفار
وكذاك أهل النار في الدنيا هم ❊ يوم القيامة جل أهل النار
يا مشهدا صدرت بفرحته ❊ إلى أمصارها القصوى بنو الأمصار
رمقوا أعالي جذعه فكأنما ❊ رمقوا الهلال عشية الإفطار
واستنشؤوا منه قتارا نشره ❊ من عنبر ذفر ومسك داري

وتحدثوا

وتحدثوا عن هلكه لحديثهم ❊ بالبدو عن متتابع الأمطار
قد كان بوأه الخليفة جانبا ❊ من قلبه حرما على الأقدار
فسقاه ماء الخفض غير مصرد ❊ وأنامه في الأمن غير غرار
ولقد شفى الأحشاء من برحائها ❊ إذ صار بابك جار مازيار
ثانيه في كبد السماء ولم يكن ❊ لاثنين ثان إذ هما في الغار
وكأنما انتبذا لكيما يطويا ❊ عن ناطس خبرا من الأخبار
سود اللباس كأنما نسجت لهم ❊ أيدي السموم مدارعا من قار
بكروا وأسروا في متون ضوامر ❊ قيدت لهم من مربط النجار
لا يبرحون ومن رآهم خالهم ❊ أبدا على سفر من الأسفار
كادوا النبوة والهدى فتقطعت ❊ أعناقهم في ذلك المضمار

وله يذكر صلب بابك

لما قضى رمضان منه قضاءه ❊ شالت به الأيام في شوال
ما زال مغلول العزيمة سادرا ❊ حتى غدا في القيد والأغلال
متسربلا للباس طوقا من دم ❊ لما استبان فظاظة الخلخال
أهدى لمتن الجذع متنيه كذا ❊ من عاف متن الأسمر العسال
لا كعب أسفل موضعا من كعبه ❊ مع أنه عن كل كعب عال
سام كأن العز يجذب ضبعه ❊ وسموه من ذلة وسفال
متفرعا أبدا وليس بفارع ❊ من لا يسهل له إلى الأشغال

قال السيد المرتضى رضي الله عنه ومن عجيب الأمور أن أبا العباس
أحمد بن عبيد الله بن عمار ينشد هذه الأبيات المفرطة الحسن في
جملة مقابح أبي تمام وما أخرجه ابن عمه من سقطه وغلطه والقول
بما عيبها ولم يسمع شعر وصف فيها مصلوب بأغث من هذا
الوصف وإن كان عن قول أبي الهيثم المهدي يصف [illegible]
في قصيدة يمدح بها المعتصم



الا قامة والحضور الذين هما ضد الغيبة والاياد والمسافر والادراك الجواب
تمسكنا اما قوله تعالى انزل فيه القرآن فقد قال قوم ان المراد به
انه تعالى انزل القرآن جملة واحدة الى السماء الدنيا في شهر
رمضان ثم فرق انزاله على نبيه عليه السلام بحسب ما تدعو الحاجة
اليه وقال آخرون المراد بقوله تعالى انزل فيه القرآن انما انزل
في فرضه وايجاب صومه على الخلق القرآن فيكون فيه بمعنى في
فرضه كما يقول القائل انزل الله في الزكوة كذا وكذا يريد في فرضها
وانزل الله في الخمر يريد في تحريمها وهذا الجواب متكلف من سئل
وقد ظن انه قد اعتصم بجوابه عنه وهو بعد ثابت على ما كان
عليه لان قوله تعالى القرآن اذا كان يقتضي ظاهره انزال جميع القرآن
فيجب على هذا الجواب ان يكون قد انزل في فرض الصوم
جميع القرآن ونحن نعلم ان قليلا من القرآن يخص ايجاب الصوم
شهر رمضان وان اكثره خال من ذلك فان قيل المراد بذلك
انه انزل في فرضه شيئا من القرآن في شهر رمضان ولم يحتج الى
ان يجعل لفظة في بمعنى في فرضه وايجاب صومه والجواب عن الثاني
ان قوله تعالى في هذا الموضع لا يفيد العموم والاستغراق وانما يفيد
الجنس من غير معنى الاستغراق فكانه تعالى قال شهر رمضان
الذي انزل فيه هذا الجنس من الكلام فاي شيء نزل منه في الشهر
فقد طابق الظاهر وليس لاحد ان يقول ان الالف واللام ها هنا
لا يكونان الا للعموم والاستغراق لانا لو سلمنا ان للالف واللام
صيغة العموم والصورة المقتضية لاستغراق الجنس لم يجب ان
يكون ها هنا بهذه الصفة لان هذه اللفظة قد تستعمل في مواضع كثيرة
من الكلام ولا يراد بها اكثر من الاشارة الى الجنس والطبيعة

من غير استغراق وعموم حتى يكون حمل كلام المتكلم بها على خصوص
او عموم كالمناقض لغرضه والمنافي لمراده الا ترى ان القائل
لو قال فلان يأكل اللحم ويشرب الخمر وضرب الامير اليوم
اللصوص وخاطب الجند لم يفهم من كلامه الا محض الجنس والطبيعة
من غير خصوص ولا عموم حتى لو قيل له فلان يأكل جميع اللحم و
يشرب جميع الخمر او بعضها لكان جوابه اني لم ارد عموما ولا خصوصا
وانما اريد انه يأكل هذا الجنس من الطعام ويشرب هذا الجنس من
الشراب فمن فهم من كلامي العموم والخصوص فهو بعيد من فهم
مرادي واري كثيرا من الناس يغلطون في هذا الموضع فيظنون
ان الاشارة الى الجنس من غير ارادة العموم والاستغراق ليست
مفهومة حتى جعلوا قول من قال اردت الجنس في كل موضع على
العموم وهذا بعيد ممن نظر لانه كما ان العموم والخصوص مفهومان
في بعض المواضع بهذه الالفاظ فكذلك الاشارة الى الجنس والطبيعة
من غير ارادة العموم ولا الخصوص مفهومة متميزة وقد ذكرنا امثلة
ذلك. فاما قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه. فاكثر المفسرين
حملوه على ان المراد فمن شهد منكم الشهر فليصمه اي فمن كان مقيما في
بلده غير مسافر. وابو علي حمله على فمن ادرك الشهر وشاهده وبلغ فيه
وهو متكامل الشروط فليصمه ذهب في معنى شهد الى معنى الادراك
والمشاهدة وقد طعن قوم على تاويل ابي علي وقالوا ليس
يحتمل الكلام الا الوجه الاول وليس الامر على ما ظنوه لان الكلام
يحتمل الوجهين معا وان كان للقول الاول ترجيح ومزية على الثاني
من حيث يحتاج في الثاني من الاضمار الى اكثر مما يحتاج اليه في
الاول لانه على القول الاول لا يحتاج الى اضمار الاقامة وارتفاع السفر

على ان المراد



لأن قوله تعالى شهد يقتضي الإقامة وإنما يحتاج إلى إضمار باقي الشروط
من الإمكان والبلوغ وغير ذلك. وفي القول الثاني يحتاج مع ما
ما أضمرناه في القول الأول إلى إضمار الإقامة ويكون التقدير فمن شهد
الشهر وهو مطيق مقيم بالغ إلى سائر الشروط فمن هذا الوجه كان
الأول أقوى. وليس لأحد أن يقول إن شهد يفيد من غير محذوف
لا يدل على الإقامة وذلك أن الظاهر من قولهم في اللغة فلان شاهد
إذا أطلق ولم يضف أفاد الإقامة في البلد وهو عندهم ضد الغائب
والمسافر وإن كان ربما أضافوا فقالوا فلان شاهد لكذا أو شهد
فلان كذا ولا يريدون هذا المعنى وفي الإطلاق شهد دالة على
الإقامة من غير تقدير محذوف. وهذه جملة كافية بحمد الله ومنّه

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وحدث أبا العباس ابن عمار
يعيب على أبي تمام قوله

لما استحرّ الوداع المحض وانصرمت • أواخر الصبر إلا كاظماً وجما
رأيت أحسن مرئيّ وأقبحه • مستجمعين لي التوديع والعنما

قال أبو العباس قد ذمّ مثله على شاعر متقدم وهو أن جمع بين
كلمتين أحدهما لا تشاكل الأخرى وهو قول الكميت

وقد رأينا بها حوراً منعّمة • بيضاً تكامل فيها الدلّ والشنب

فقيل له قد أخطأت وباعدت بقولك الدلّ والشنب ألا قلت كقول ذي
الرمة • لمياء في شفتيها حوّة لعس • وفي اللثات وفي أنيابها شنب

قال فقال الطائي مستجمعين لي التوديع والعنما فجعل المنظر القبيح للتوديع
والتوديع لا يستقبح وإنما يستقبح عاقبته وهي الفراق وجعل المنظر الحسن
إشارة عند الوداع وشبهها بالعنم ولم يذكر الأنامل المخضبة قال وإنما
يجمع قول المجنون • ويبدي الحصى منها إذا قذفت به • من البرد أطراف البنان المخضب

قال وهذا الأصل استعاره الناس من بعده فقال الشاعر

النشر مسك والوجوه دنانير • وأطراف الأكف عنم

قال وأغرب أبو نواس في قوله

يبكي فيذري الدر من نرجس • ويلطم الورد بعنّاب

قال المرتضى هذا البيت أشبه شيء من محاسن القائلين. قال
السيد المرتضى رضي الله عنه وهذا غلط من ابن عمار وتعقّب على أبي
تمام لأن الكميت جمع بين شيئين غير متفقين لأن التوديع إنما
أشار به إلى ما أشارت إليه بأصبعها من وداعه عند الفراق وشبه
مع ذلك أصابعها بالعنم والعنم نبت أغصانه غضة دقاق يشبه به
الأصابع. وقيل إن العنم واحده عنمة وهي العظاية الصغيرة
البيضاء وهي أشبه شيء بالأصبع البيضاء الغضة وهذا إلحاد صاحب
العين. وقيل إن العنم نبت له نور أحمر تشبه به الأصابع المخضوبة
فوجه حسن تكرار التوديع والعنم أن التوديع كان بالأصبع التي هي
العنم فجمع بينهما لذلك ولا حاجة به إلى ذكر الأصابع المخضبة على ما
ظن أبو العباس بل ذكر المشبه به أحسن وأفصح من أن يقول
التوديع والأنامل التي تشبه العنم فأما قوله إن التوديع لا يستقبح
وإنما يستقبح عاقبته فخطأ ومطالبة الشاعر بما لا يطالب بمثله الشعراء
لأن التوديع إذا كان منذراً بالفراق وبعد الدار وغيبة المحبوب
فلا محالة أنه مكروه مستقبح. وقوله يستقبح عاقبته صحيح إلا أن ما
يعقبه ويثمره لما كان عند حضوره متيقناً منذوراً عاد الإكراه
والاستقباح إليه. ونحن نعلم أن الناس يكرهون ويستقبحون
تناول الأشياء الملذة من الأغذية وغيرها إذا علموا ما في عواقبها
من المكروه ويجانبون من قدّم إليه طعام مسموم وأعلم بذلك حرام







إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد * إليه بوجه آخر الدهر تقبل

ثم قال حاجتك يا ابن صفوان قلت تزيدني في عطائي عشرة دنانير فأطرق ثم قال ولم وفيم العبادة أخدمتها فنعينك عليها أم لبلاء حسن أبليته عند أمير المؤمنين لماذا يا ابن صفوان إذا يكثر السؤال ولا يحتمل ذلك بيت المال قال فقلت يا أمير المؤمنين وفقك الله وسددك أنت والله كما قال أخو خزاعة

إذا المال لم يوجب عليك عطاءه * قرابة قربى أو صديق توامقه

منعت وبعض المنع حزم وقوة * ولم يفتلذك المال إلا حقائقه

فلما قدم خالد البصرة قيل له ما الذي حملك على تزيين الإمساك له قال أحببت أن يمنع غيري كما منعني فيكثر من يلومه. قال السيد المرتضى رضي الله عنه وكان خالد مشهورا بالبلاغة وحسن العبارة. وبالإسناد المتقدم عن المدائني قال قال حفص بن معاوية بن عمرو بن العلاء قال قلت لخالد يا صفوان إني لأكره أن تموت وأنت من أيسر أهل البصرة فلا يبكيك إلا الإماء قال فما يمنعني قلت صفها لي أطلبها لك قال أريدها بكرا كثيب أو ثيبا كبكر لا ضرعا صغيرة ولا فانية كبيرة لم تقرأ فتخبث وقد عاشت في نعمة وأدركتها خصاصة فأدبها الغنى وأذلها الفقر حسبي من جمالها أن تكون فخمة من بعيد مليحة من قريب وحسبي من حسبها أن تكون واسطة قومها ترضى مني باليسير إن نلت أكرمتها وإن منعت ورضيتها لا ترفع إلى السماء بصرا ولا تضع إلى الأرض سقوطا فقلت يا صفوان إن الناس في طلب هذه منذ زمان طويل ما يقدرون عليها وكان يقول إن المروءة لو خف محملها وقلت مؤونتها ما ترك اللئام فيها للكرام مبيت ليلة ولكنها ثقل محملها وعظمت

مؤونتها

مؤونتها فاحتملها الكرام وتجافى عنها اللئام وكان خالد من اليبس والبخل كان إذا أخذ جائزة أو غيرها قال للدرهم أما والله لطالما أغرت في البلاد وأنجدت والله لأطيلن ضجعتك ولا[illegible]عتك قال وسأله رجل من بني تميم أن يعطيه فأعطاه دانقا فقال الرجل سبحان الله تعطي مثلي دانقا فقال لو أعطاك كل رجل من بني تميم مثل ما أعطيتك لرجعت بمال عظيم وسأله رجل أن يعطيه درهما فاستقله فقال يا أحمق أما علمت أن الدرهم عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الألف والألف عشر العشرة الآلاف وكان يقول والله ما تطيب نفسي بإنفاق درهم إلا درهم قرعت به باب الجنة أو درهم اشتريت به موزا وقال لأن يكون لي ابن أحب من أن يكون لي ابن يحب اللحم لأنه متى طلبه وجده ولحم نفقد أحيانا وكان يقول من كان له كفاف فليس بغني ولا فقير لأن النائبة إذا نزلت به أجحفت بكفافه ومن كان ماله دون الكفاف فهو فقير ومن كان ماله فوق الكفاف فهو غني وكان يقول لأن يكون لأحدكم جار يخاف أن ينقب بيته خير من أن يكون له جار من التجار لا يشاء أن يعطيه مالا [illegible] وثب عليه حتى الأفعل

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فقال كيف يخبر تعالى أنهم لا يكذبون نبيه عليه السلام ومعلوم منهم إظهار التكذيب والعدول عن الاستجابة والتصديق وكيف ينفي عنهم التكذيب ثم يقول بآيات الله يجحدون وهل الجحد بآيات الله إلا تكذيب نبيه الجواب قلنا في هذه الآية وجوه أولها أن

نفى تكذيبهم بقلوبهم تدينا واعتقادا وان كانوا مظهرين باو
التكذيب لانا نعلم انه كان في المخالفين له عليه السلام من
صدقه ولا ينكر بقلبه حقه وهو مع ذلك معاند فيظهر خلاف
ما يبطن وقد قال الله تعالى وان فريقا منهم ليكتمون الحق و
ومما يشهد لهذا الوجه من طريق الرواية ما رواه سلام ابن م
عن ابي يزيد المدني ان رسول الله صلى الله عليه وآله لقي
جهل فقال يا با الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب
فانه ليس هاهنا من قريش احد غيري وغيرك يسمع كلامنا
فقال له ابو جهل ويحك والله ان محمدا الصادق وما كذب
قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية وان
والنبوة فماذا ابطال ما جئت به برهان وانما يعتصمون علم الا
الباطلة • وهذا في الاستعمال معروف لان القائل يقول فلان
لا يستطيع ان يكذبني ولا يدفع قولي انما يريد انه لا يتمكن من ا
والدليل على كذبه وحجة في دفع قوله وان كان يتمكن من الكذب
بلسانه وقلبه فيصير ما يقع من التكذيب من غير حجة ولا برهان
غير معتد به • وروي عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام
انه قرأ هذه الآية بالتخفيف فانهم لا يكذبونك ان المراد به انهم
لا ياتون بحق هو احق من حقك • وقال محمد بن كعب القرظي
لا يبطلون ما في يديك وكل ذلك يقوي هذا الوجه • ويسبق
ان معنى هذه اللفظة مشددة يرجع الى معناها مخففة • والوجه الثاني
ان يكون معنى الآية انهم لا يصادفونك كاذبا ولا يتعرفون منك
بما يقولون فانه كما يقال اجبنته اي لم اجده جبانا واحدثته
اي لم الفه كاذبا • قال الاعشى

اثوى وقصر ليله ليزودا • فمضى واخلف من قتيلة موعدا
اي صادف منها خلف المواعيد • ومثله قولهم احمدت القوم اذا صادفتهم
حمدا واخليت الموضع اذا صادفته خاليا • وقال الشاعر
اتيت مع الحداث ليلى فلم ابن • فاخليت فاستعجمت عند خلايا
اي اصبت مكانا خاليا • ومثله لنبهان ابن ابي تحافة
يرش ايبا بارك لو اجيا • او سعن من الغيداق المصارجا
يعني باوسعن اصبن منابت واسعة فسيحة • وقال عمرو بن براقة
تخاف اقوام على ان يشتموا • وجروا على الحرب اذ انا سالم
يقال احمى بنو فلان اذا رعت ابلهم حمى فصاروا فيها حمى • وقال ابو النجم
يقلن للرائد اعشبت انزل • اي اصبت مكانا معشبا
وقال ذو الرمة • تريك بياض لبتها ووجها • كقرن الشمس افتق
ثم زالا • اي وجد فتقا من السحاب وليس لاحد ان يجعل هذا الوجه
مختصا بالقراءة بالتخفيف دون التشديد لان في الوجهين معا يكون
هذا الجواب لان افعلت وفعلت يجوزان في هذا الموضع وافعلت
هو الاصل ثم يشدد تاكيدا اي وذلك بمعنى التكرار وهذا مثل اكرمت
وكرمت واعظمت وعظمت واوعبت ووعبت وابلغت
وبلغت وهو كثير • وقال الله تعالى فمهل الكافرين امهلهم رويدا
الا ان التخفيف اشبه بهذا الوجه لان استعمال هذه اللفظة مخففة
في هذا المعنى اكثر • والوجه الرابع ما حكى بهذا الوجه الكسائي من قوله
ان المراد بانهم لا ينسبونك الى الكذب فيما اتيت به لانه كان
عندهم امينا صادقا لم يجربوا عليك كذبا وانما كانوا يدفعون
ما اتى به ويدعون انه في نفسه كذب • وفي الناس من يقوي
هذا الوجه ان القوم كانوا يسمونه الامين ما اتى به كانوا يقصدونه

في نفسه بقوله تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وبقوله
تعالى وكذب به قومك وهو الحق ولم يقل كذبك قومك
وكان الكسائي يقرأ فإنهم لا يكذبونك بالتخفيف ونافع من
بين سائر السبعة والباقون بالتشديد ويزعم أن بين أكذبه
وكذبه فرقا وأن معنى أكذبه الرجل أنه جاء بكذب ومعنى كذبه أنه
كذاب في حديثه وهذا غلط وليس بين فعلت وأفعلت
في هذه الكلمة فرق من طريق المعنى أكثر مما ذكرناه من أن التشديد
يقتضي التكرار والتأكيد ومع هذا لا يجوز أن يصدقوه في نفسه و
يكذبوا بما أتى به لأن من المعلوم أنه عليه السلام كان يشهد بصحة ما أتى
به وصدقه وأنه الدين القيم والحق الذي لا يجوز العدول عنه
فكيف يجوز أن يكون صادقا في خبره وإن كان الذي أتى به فاسدا
بل إن كان صادقا فالذي أتى به حق صحيح وإن كان الذي أتى به
فاسدا فلا بد من أن يكون في شيء من ذلك كاذبا وهذا تأول
من لا يحقق المعاني والوجه الخامس أن يكون المعنى في قوله تعالى
فإنهم لا يكذبونك أن تكذيبك راجع إلي وعائد علي ولست المختص
به لأنه رسول الله فمن كذبه فهو في الحقيقة مكذب لله تعالى
وراد عليه وهذا كما يقول أحدنا لرسوله امض في كذا فمن كذبك
فقد كذبني ومن دفعك فقد دفعني وذلك من الله تعالى على
سبيل التسلية لنبيه عليه السلام والتعظيم والتغليظ لمكذبيه
والوجه السادس أن يريد فإنهم لا يكذبونك في الأمر الذي توافق
كتبهم وإن كذبوك في غيره ويمكن أن يكون وجه سابع وهو أن
يريد بالكمال أن جميعهم لا يكذبونك وإن كذبك بعضهم فهم الظالمون
الذين ذكروا في آخر الآية أنهم يجحدون بآيات الله لأن

سلى نبيه عليه السلام بهذا القول وعزاه فلا ينكر أن يكون عليه السلام
لما استوحش من تكذيبهم له وتلقيهم إياه بالرد وظن أنه لا متبع له
عليه السلام منهم ولا ناصر لدينه فيهم أخبره الله تعالى بأن البعض وإن
كذبك ففيهم من يصدقك ويتبعك ويقتفي إرشادك
وهدايتك وكل هذا واضح والمنة لله قال الشريف المرتضى رضي
الله عنه ومن جيد الشعر قول مطرود بن كعب الخزاعي

يا أيها الرجل المحول رحله … ألا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك أمك لو نزلت عليهم … ضمنوك من جوع ومن إقراف
الآخذون العهد من آفاقها … والراحلون لرحلة الإيلاف
والمطعمون إذا الرياح تناوحت … ورجال مكة مسنتون عجاف
والمفضلون إذا المحول ترادفت … والقائلون هلم للأضياف
والخالطون فقيرهم بغنيهم … حتى يكون فقيرهم كالكافي
كانت قريش بيضة فتفلقت … فالمح خالصة لعبد مناف

أما قوله والراحلون لرحلة الإيلاف فكان هاشم صاحب إيلاف
قريش الرحلتين وأول من سنهما فالرحلتان في الشتاء إلى
اليمن والحبشة والعراق وفي الصيف إلى الشام وفي ذلك يقول ابن الزبعرى

عمرو العلى هشم الثريد لقومه … ورجال مكة مسنتون عجاف
وهو الذي سن الرحيل لقومه … رحل الشتاء ورحلة الأصياف

فأما قوله مسنتون فهم الذين أصابتهم السنة المجدبة الشديدة و
الخالطون غنيهم بفقيرهم من أحسن الكلام وأفخره وإنما أراد أنهم
يفضلون على الفقير حتى يعود غنيا ذا ثروة ولمحمد بن يوسف أبيات في
هذا المعنى يمدح بها سعيد بن مسلم الباهلي وكان لهم صديقا

أبني سعيد إنكم من معشر … لا يكرهون كرامة الأضياف



مشركين وليس في الظاهر الا انهم كذبوا على انفسهم من غير تخصيص بوقت
فلم نحمل على آخرة دون دنيا ولو كان للآية ظاهر يقتضي وقوع
ذلك في الآخرة لحملنا على الدنيا بدلالة ان اهل الآخرة لا يجوز
ان يكذبوا لانهم ملجؤون الى ترك القبيح فاما قوله تعالى حاكيا
عنهم يا ليتنا نرد وقوله تعالى وانهم لكاذبون فمن الناس من
حمل الكلام كله على وجه التمني وصرف قوله تعالى وانهم لكاذبون
الى غير الامر الذي تمنوه لان التمني لا يصح فيه معنى الصدق و
الكذب وانما يجوز خلاف في الاخبار المحضة لان قول القائل ليت
الله رزقني ولدا وليت فلانا اعطاني مالا افعل به كذا وكذا
لا يكون كذبا ولا صدقا وقع ما تمناه او لم يقع فيجوز على هذا ان
يكون قوله تعالى وانهم لكاذبون مصروفا الى حال الدنيا كانه تعالى
قال وهم كاذبون فيما يخبرون به عن انفسهم في الدنيا من
الاصابة واعتقاد الحق او يريد انهم لكاذبون ان اخبروا عن
انفسهم متى ردوا آمنوا ولم يكذبوا وان كان ما حكي عنهم من
التمني ليس بخبر وقد يجوز ان يحمل قوله تعالى وانهم لكاذبون على
غير الكذب الحقيقي بل يكون المراد والمعنى انهم تمنوا ما لا سبيل
اليه فكذب املهم وتمنيهم وهذا مشهور في الكلام لانهم يقولون
لمن تمنى ما لا يدرك كذب املك واكدى رجاؤك وما
جرى مجرى ذلك قال الشاعر

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها ... مراغمة ما دام للسيف قائم

وقال آخر

كذبتم وبيت الله لا تنكحونها ... بني شاب قرناها تصر وتحلب

ولم يرد الكذب في الاقوال بل التمني والامل وليس لاحد ان
يقول كيف يجوز من اهل الآخرة [illegible] ان معارفهم ضرورية و

انهم عارفون ان الرجوع الى الدنيا لا سبيل اليه ان تمنوه
وذلك انه غير ممتنع ان يتمنى المتمني ما يعلم انه لا يحصل ولا
يقع ولهذا يتعلق التمني بما لا يكون وبما قد كان ويقوي اختصاص
التمني بما يعلم انه لا يكون غلط قوم فجعلوا الارادة ما علم المريد انه
لا يكون تمنيا فهذا الذي ذكرناه وجه في تأويل الآية
وفي الناس من جعل بعض الكلام تمنيا وبعضه اخبارا
وعلق تكذيبهم بالخبر دون ليتنا فكان تقدير الآية يا ليتنا نرد
وهذا هو التمني ثم قال من بعده فانا لا نكذب بآيات
ربنا ونكون من المؤمنين فاخبروا بما علم الله تعالى انهم
فيه كاذبون وان لم يعلموا من انفسهم مثل ذلك فلهذا
كذبهم تعالى وكل هذا واضح بحمد الله ومنه قال المرتضى
رضي الله عنه اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني
احمد بن عبيد الله وعبد الله بن يحيى العسكريان قالا
حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال ابو بكر محمد بن عبد الله
العبدي قال حدثنا ابو معشر رجل منا من بني غنم بن عبد
القيس قال ورد منصور بن سلمة النمري على البرامكة وهو
شيخ كبير وقد كان مروان بن ابي حفصة صديقا لي على
اني كنت ابغضه وامقته في الله فشكا الي قال دخل علينا
اليوم رجل منا من بني النمر شاميا وقد تقدمته البرامكة
في الذكر عند الرشيد فاذن له الرشيد فدخل فسلم واجاد
فاذن له الرشيد في الجلوس قال فاوجست منه خوفا فقلت
يا نفس انا حجازي نجدي شافهت العرب وشافهتني
وهذا شامي [illegible] اتراه اشعر مني قال فجعلت ارفق نفسي الى

ان استنشده هرون فاذا هو والله افصح الناس فدخلني
رحمة فانشده قصيدة تمنيت انها لي وان علي غرما
فقلت له ما هي قال احفظ منها ابياتا وهي

امير المومنين اليك خضنا • غمار الموت من بلد شطير
بخوص كالاهلة جانفات • حملن على السرى وعلى الهجير
حملن اليك آمالا عظاما • ومثل الصخر والبدر المنير
وقد وقف المديح بمنتهاه • وغايته وصار الى المصير
الى من لا تشير الى سواه • اذا ذكر الندى كف المشير

قال مروان فوددت انه قد اخذ جائزتي وسكت
فعجبت من تخلصه الى ملك العراق ثم ذكر ولد امير المومنين
علي عليه السلم فاحسن التخلص ورايت هرون يعجب
بذلك فقال

يد لك في رقاب بني علي • ومن ليس بالمن اليسير
فان شكروا فقد انعمت فيهم • والا فالندامة للكفور
مننت على ابن عبد الله يحيى • وكان من الحتوف على شفير
وقد سخطت لسخطتك المنايا • عليه فهي حائمة النسور
ولو كافاك ما اجترحت يداه • دلفت له بقاصمة الظهور
ولكن جل حلمك فاجتباه • على الهفوات عفو من قدير
فعاد كانه لم يجن ذنبا • وقد كان اجتنى حسك الصدور
وانك حين تبلغهم اذاة • وان ظلموا لمحزون الضمير

وان الرشيد قال لما سمع هذا البيت هذا والله معنى كان
في نفسي واذخله بيت المال وحكمه فيه فغدا الى الحبس
قال مروان و ذلك هرون يتبسم تبسما ويضحك للطف ما كم

ثم اوماء

ثم اوماء الي ان انشده فانشدت قصيدتي التي اقول
فيها خلوا الطريق لمعشر عاداتهم حطم المناكب كل يوم
زحام حتى اتيت على آخرها فقال والله ما عاج ذلك الرجل يعني
النمري بشعري ولا حفل به ثم انشده منصور قوله

ان لهرون امام الورى • ذخيرة من خير ومن بر
يريش ما تبري الليالي • ولا يريش الدهر ما يبري
كانما البدر على رحله • يزينه منه مقلتا صقر

قال وانشده ايضا • ولمن اضاع
ولمن اضاع لقد عهدتك حافظا • لوصية العباس بالاخوال

قال مروان واخلق بان تغلبني وان تعلو علي عنده
لاني ما رايت احسن من تخلصه الى ذكر الطالبين واخبرنا
المرزباني قال حدثنا ابو عبد الله الحكيمي قال حدثني
يموت بن المزرع قال حدثني ابو عثمان الجاحظ قال
كان منصور النمري ينافق الرشيد ويذكر هرون في شعره
ويريد انه من وجوه شيعته وباطنه ومراده بذلك علي
بن ابي طالب عليه السلم لقول النبي عليه واله السلم
انت مني بمنزلة هرون من موسى وسعى الى ان عنده
بعض اعدائه وهو العتابي فقال يا امير المومنين هو والله
الذي يقول • متى يشفيك دمعك من همول
ويبرد ما بقلبك من غليل • وانشده ايضا
شاء من الناس راتع هامل • يعللون النفوس بالباطل
ومنصور يصرح في هذه القصيدة بالعجائب فوجه الرشيد رجلا
من بني ... واخرج ان يقرب ... منصور حيث ...

عيشه عليه فقدم الرجل برأس عليّ من بعد موت
منصور بأيام قلائل قال المرزباني ويصدق قول الجاحظ
ان النمري كان يذكر هرون في شعره ويعني به امير المؤمنين
علياً عليه السلم ما انشدناه محمد بن الحسن بن دريد البصري
ان الرسول لخيار الناس كلهم • وخير آل رسول الله هرون •
رضيت حكمك لا ابغي به بدلا • لان حكمك بالتوفيق مقرون •
وروي ان ابا عصمة الشيعي لما اوقع باهل ديار ربيعة
اوفدت ربيعة وفداً الى الرشيد فيهم منصور النمري
فلما صاروا بباب الرشيد امرهم باختيار من يدخل عليه
منهم فاختاروا عدداً بعد عدد الى ان اختاروا رجلين
احدهما النمري ليدخلا ويسألا حوائجهما وكان النمري مودباً
لم يسمع منه شعر قط قبل ذلك ولا عرف به فامتثل
هو وصاحبه بين يدي الرشيد وقال لهما تكلما بما تريدان
فاندفع النمري فانشده •
ما تنقضي حسرة مني ولا جزع • قال الرشيد قل حاجتك
وعد عن هذا فقال • اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع •
وانشده القصيدة حتى انتهى الى قوله •
ركب من النمر عاذوا بابن عمهم • من هاشم اذ الح الازلم الجذع •
متوا اليك بقربى منك تعرفها • لهم بها في سنام المجد مطلع •
ان المكارم والمعروف اودية • احلك الله منها حيث تجتمع •
اذا رفعت امرءا فالله رافعه • ومن وضعت من الاقوام متضع •
نفسي فداؤك والابطال معلمة • يوم الوغا والمنايا بينهم قرع •
حتى اتى على آخرها فقال الرشيد اجلس كذا ويحك ما حاجتك

فقال

فقال يا امير المؤمنين اخربت الديار واخذت الاموال وهتكت الحريم فقال اكتبوا له بكل ما
يريد وامر له بثلاثين الف درهم واحتبسه عنده وتخفى اصحابه بالكتب ولم يزل عنده يتقوّ
النمري حتى استاذنه بالانصراف ثم اتصل بالرشيد قوله • شاء من الناس راتع هامل
يعللون النفوس بالباطل تقتل ذرية النبي ويرجون خلود الجنان للقاتل ما
الشك عندي في كفر قاتله لكنني قد اشك في الخاذل فاستعظم الرشيد وانفذ من يقتله
فوجده في بعض الروايات وقد توفي وفي اخرى عليلا لما به فسأل الرسول ان لا يأثم فيه وان
ينتظر موته ففعل ولم يبرح حتى توفي وعاد بخبر موته والنمري لو كنت اخشى معادي حق خشيته
لم تسم عيني الى الدنيا ولم تنم لكنني عن طلاب الدين محتبل والعلم شيء الغني والجهل كا
لعدم يحاولون دخولي في سوادهم فقد اطافوا بصدع غير ملتئم ما يغلبون النصارى و
اليهود على حب الصليب ولا العباد للصنم

تأويل آية أخرى ان سأل سائل عن
قوله تعالى واذا الموؤدة سئلت باي ذنب قتلت فقال كيف يصح ان يسأل من لا ذنب له ولا عقل له
واي فائدة في سؤالها عن ذلك وما وجه الحكمة فيه وما الموؤدة ومن اي شيء اشتقاق هذه اللفظة
الجواب قلنا اما في قوله سئلت ففيه وجهان احدهما ان يكون المراد ان قاتلها طولب بالحجة في قتلها وسئل
عن قتله لها وباي ذنب كان على سبيل التوبيخ والتعنيف واقامة الحجة فالقتلة هاهنا هم المسؤولون
على الحقيقة لا المقتولة وانما المقتولة مسؤول عنها ويجري هذا مجرى قولهم سألت حقي اي طالبت
به ومثله قوله تعالى واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا اي مطالبا به ومسؤولا عنه والوجه الآخر ان يكون
السؤال متوجها اليها على الحقيقة على سبيل التوبيخ لقاتلها والتقريع له والتنبيه على انه لا حجة له في قتلها
ويجري هذا مجرى قوله تعالى لعيسى ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله على طريق التوبيخ
لقومه واقامة الحجة عليهم فان قيل على هذا الوجه كيف يخاطب ويسأل من لا عقل له ولا يفهم الجواب قلنا
في الناس من زعم ان الغرض بهذا القول اذا كان تبكيت الفاعل وتهجينه وادخال الغم عليه في
ذلك الوقت على سبيل العقاب لم يمتنع ان يقع وان لم يكن من الموؤدة فهم له لان الخطاب وان
علق عليها وتوجه اليها فالغرض في الحقيقة غيرها وقد يجري مجرى من ضرب طفلا اذا ظلم
ليغيظ والده فاقبل على ولده يقول لم ضربت وما ذنبك وباي شيء استحل هذا منك وغرضه تبكيت

الكلام لا خطاب الطفل والاولى ان يقال في هذا ان الاطفال وان كان من جهة العقول لا يجب وصولهم الى الامر الى المستحقين ان يكونوا كاملي العقول كما يجب مثل ذلك في الوصول الى الثواب لان الخبر متظاهر وان الامة متفقة على انهم في الآخرة وعند دخولهم الجنان يكونون على اكمل الهيئات وافضل الاحوال وان عقولهم تكون كاملة فعلى هذا يحسن توجه الخطاب الى الموؤدة لانها تكون في تلك الحال ممن يفهم الخطاب ويعقله وان كان الغرض فيه التبكيت للقاتل واقامة الحجة عليه وقد روي عن امير المؤمنين عم وابن عباس ويحيى بن يعمر ومجاهد ومسلم بن صبيح وابي الضحى وابي صالح وجابر بن زيد انهم قرؤوا سألت بفتح السين والهمزة واسكان التاء باي ذنب قتلت وروي باسكان اللام وضم التاء الثانية على ان الموؤدة موصوفة بالسؤال والقول باي ذنب قتلت وروي القطعي وغيره عن سليمان الاعمش وعن حفص عن عاصم قتلت بضم التاء الثانية وفي سئلت مثل قراءة الجمهور بضم السين وروي عن ابي جعفر المدني قتّلت بالتشديد واسكان التاء الثانية وروي بعضهم واذا المودة بفتح الميم والواو واما من قرء سالت بفتح السين فيمكن فيه الوجهان اللذان ذكرناهما احدهما انه تعالى كلمها في تلك الحال واقدرها على النطق والوجه الآخر ان يكون معنى سألت اي سئل لها وطولب بحقها وانتصف لها من ظالمها فكانها هي السائلة تجوزا واتساعا ومن قرء بفتح السين من سألت وبضم التاء الثانية من قتلت فعلى انها هي المخاطبة بذلك ويجوز في هذا الوجه ايضا قتلت باسكان التاء الاخرى كقراءة الجماعة لانه اخبار عنها كما يقال سئل زيد باي ذنب ضرب وباي ذنب ضربت ويقوي هذه القراءة في سالت ما روي عن النبي صلعم من قوله يجيء المقتول يوم القيمة واوداجه تشخب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك متعلقا بقاتله يقول يا رب سل هذا فيم قتلني فاما القراءة المأثورة عن حفص وعن عاصم في ضم التاء الاخيرة من قتلت مع ضم السين من سئلت فمعناها واذا الموؤدة سئلت فقيل لها باي ذنب قتلت فاضمر قولها وقد تضمر العرب مثل هذا لدلالة الكلام عليه وارتفاع الاشكال عنه مثل قوله تعم واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا اي ويقولان ذلك ونظائر ذلك في القران كثيرة جدا فاما من قرء قتّلت بالتشديد فالمراد به تكرار الفعل والموؤدة ههنا وان كان لفظها لفظ الواحد فالمراد بها الجنس وارادة التكرار جائزة فاما

من قرا الموؤدة

من قرا المودة بفتح الميم والواو فعلى ان المراد الرحم والقرابة وانه يسئل عن سبب قطعها وتضييعها قال الله تعالى فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم فاما الموؤدة فهي المقتولة صبيرة وكانت العرب في الجاهلية تئد البنات بان يدفنوهن احياء وهو قوله تعالى ايمسكه على هون ام يدسه في التراب وقوله تعالى قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم ويقال انهم كانوا يفعلون ذلك لامرين احدهما انهم كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فالحقوا البنات بالله فهو احق بهن منا والامر الآخر انهم كانوا يقتلونهن خشية الاملاق قال الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم قال السيد المرتضى رضي الله عنه ووجدت ابا علي الجبائي وغيره يقول انما قيل لها موؤدة لانها ثقلت بالتراب الذي طرح عليها حتى ماتت وفي هذا بعض النظر لانهم يقولون من الموؤدة وأد يئد وأدا والفاعل وائد او الفاعلة وائدة ومن الثقل يقولون آدني الشيء يؤودني اذا اثقلني أودا وروي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال انه سئل عن العزل فقال ذلك الوأد الخفي وقد روي عن جماعة من الصحابة كراهة ذلك وقال قوم ممن ذكرناه انه منسوخ لما روي عنه عليه السلام انه قيل له ان اليهود يقولون في العزل هي الموؤدة الصغرى فقال صلى الله عليه وآله كذبت اليهود لو اراد الله ان يخلقه لم يستطع احد ان يصرفه وقد يجوز ان يكون قوله عليه السلام ذلك الوأد الخفي على طريق التاكيد للترغيب في طلب النسل وكراهة العزل لا على انه محظور محرم وصعصعة بن ناجية ابن عقال جد الفرزدق بن غالب كان ممن فدى الموؤودات في الجاهلية ونهى عن قتلهن وقيل انه احيا الف موؤدة وقيل دون ذلك وقد افتخر الفرزدق بهذا في قوله

ومنا الذي منع الوائدات · واحيا الوئيد فلم يوأد

وفي قوله

ومنا الذي احيا الوئيد وغالب · وعمرو ومنا حاجب والاقارع

وفي ذلك يقول الفرزدق

انا ابن عقال وابن ليلى وغالب · وفكاك اغلال الاسير المكفر

ليلى ام غالب وعقال هو محمد بن سفيان بن مجاشع

وهناك الاعتدال ناجية بن عقال والمنقذ الذي كفر وكبل بالحديد وكان لنا شجان
در القمر منهما وشيخ اجار الناس من كل مقبر ذو الفخر غالب وكان يستجار لفخره
والذي اجار الناس من الفقر واحيا الكبر على حين لا يحيي البنات وادهم
على عكوف على الاصنام حول المدور انا ابن الذي رد المنية فضله وما حسب دافعت
عنه بمعور ابي احد الغيثين صعصعة الذي متى تخلف الجوزاء والنجم يمطر اجار
بنات الوائدين ومن يجر على القبر يعلم انه غير مخفر وفارق ليل من نساء اتت ابي
تعالج ريحا ليلها غير مقمر فارق يعني امراة ماخضا شبهها بالفارق من الابل وهي التي تاتي
الى تضربها المخاض فتفارق الابل وتنفر على وجهها حتى تنتج فقالت اجر لي ما ولد
فاني اتيتك من هزلي الحمولة مقتر راى الارض منها راحة فرمى بها الى جدد منها
وفي التراب محفر فقال لها اني بذمتي لبنتك جار من ابيها القنور القنور السيئ
الخلق قال واخبرنا المرزباني قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي
عن ابي العباس بن بكار الضبي عن ابي بكر الهذلي قال الصولي وحدثنا القسم
بن اسمعيل عن ابي عثمان المازني عن ابي عبيدة بطرف منه قال وفد صعصعة بن ناجية جد
الفرزدق على رسول الله صلى الله عليه وآله في وفد بني تميم وكان صعصعة منع
الوئيد في الجاهلية فلم يدع تميما تئد وهو يقدر على ذلك فجاء الاسلام وقد فدى
في بعض الروايات اربع مائة موؤدة وفي رواية اخرى ثلثمائة فقال للنبي صلى الله عليه وآله
بابي انت وامي اوصني فقال اوصيك بامك وابيك واختك واخيك وادانيك فقال
زدني فقال عليه السلام احفظ ما بين لحييك ورجليك ثم قال صلى الله عليه وآله ما شيء
بلغني عنك فعلته فقال يا رسول الله رايت الناس يموجون على غير وجه ولم ادر اين
الصواب غير اني علمت انهم ليسوا عليه فرايتهم يئدون بناتهم فعرفت ان ربهم
عز وجل لم يامرهم بذلك فلم اتركهم يئدون ففديت ما قدرت وفي رواية اخرى
ان صعصعة لما وفد على النبي صلى الله عليه وآله فسمع فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره فقال حسبي ما ابالي ان لا اسمع من القرآن غير هذا ولقال

اذ اجتمع جرير والفرزدق يوما عند سليمان بن عبد الملك فافتخرا فقال الفرزدق انا ابن محيي الموتى
فقال له سليمان انت ابن محيي الموتى فقال ان جدي كان يحيي الموؤدة وقال الله تعالى ومن
احياها فكانما احيا الناس جميعا وقد احيا جدي اثنين وتسعين موؤدة فتبسم سليمان
وقال انك مع شعرك لفقيه **تاويل خبر** ان سال سائل عن تاويل الخبر الذي
يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه نهى ان يصلي الرجل وهو زناء فالجواب قلنا الزناء
هو الحاقن الذي قد ضاق ذرعا ببوله يقال ازنا الرجل ببوله فهو يزنئه ازناء وزنا
يزنا زنا قال الاخطل واذا دفعت الى زناء قعرها غبراء مظلمة من الاحفار يعني
ضيق القبر يقال للاباءة ملاء فان منزلة زناء فيجوز ان يكون ضيقا ويجوز ان يكون يعني
عسر المرتقى وكلاهما يؤول الى المعنى ويقال موضع زناء اذا كان ضيقا ضنكا وقد
ذلك قول ابي زبيد يصف اسدا ابن عرينة عنابها اشب ودون غايته مستوعر
شرع شاسن المهبط زناء الحامين من يبتغ بواردة تحدث لها فزع يعني زناء
الحامين انه ضيق جانبي الوادي وقوله من يبتغ بواردة اي يضيق بجماعة تمشي برادة
وانما تحدث لها فزع من الاسد والشاسن الغليظ يقال مكان شاسن اذا كان
غليظا ومن ذلك قولهم زنا فلان في الجبل اذا لجأ فيه الصعود فيه وهو يزنا في الجبل
وروى ابن دريد ان قيس بن عاصم المنقري اخذ صبيا له يرقصه وام ذلك الصبي
منفوسة وهي بنت زيد الفوارس بن ضرار الضبي فجعل قيس يقول اشبه
ابا امك او اشبه حمل ولا تكونن كهلوف وكل يصبح في مضجعه قد انجدل وارق الى الخيرات زناء في الجبل والهلوف
الجهول المسن وهو ايضا الكبير اللحية وانما اراد به هاهنا الجبان وارق الى
الخيرات زناء في الجبل فاخذته امه ترقصه وتقول اشبه اخي واشبهن
اباكا اما ابوك فلن تنالا اذا كان تقصر عن مناله يداكا **مجلس آخر تاويل آية**
ان سال سائل عن قوله تعالى وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وما ادريك ما العقبة
فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة ثم كان
من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة والذين كفروا بآياتنا هم اصحاب



وقرأ اهل المدينة واهل الشام وعاصم وحمزة ويحيى بن وثاب فكّ فمن قرأ على الاسم
ذهب الى ان جواب الاسم بالاسم اكثر في كلام واحسن من جوابه بالفعل
الا ترى ان المعنى ما ادراك ما اقتحام العقبة هي فك رقبة او اطعام وذلك
احسن من ان يقال هو فك رقبة او اطعم وما القراء الى القراءة بلفظ الفعل
ورجحها بقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا الآية فعل فالاولى ان يتبع فعلا
وليس يمتنع ان يفسر اقتحام العقبة وان كان اسما بفعل يدل على الاسم مثل
قول القائل ما ادراك ما زيد كقول الفتى يصنع الخير ويفعل المعروف وما اشبه
ذلك فاما المسغبة فالمجاعة والسغب الجوع وانما اراد انه يطعم في يوم ذي مجاعة لان
الاطعام فيه افضل واكرم واما مقربة فمعناه يتيما ذا قرابة من قرابة النسب والرحم
وهذا حض على تقديم ذوي النسب والقربى المحتاجين على الاجانب في الافضال
والمسكين الفقير والشديد الفقر والمتربة مفعلة من التراب اي هو لاصق
بالارض من فقره وحاجته ويجري مجرى قولهم في الفقير مدقع وهو ماخوذ من الدقعاء
وهي الارض لانه [illegible] وقال [illegible] ذا متربة ذا عيال والمرجع [illegible]
وقيل انه من الرحم [illegible] مقربة ان [illegible] ومن القراء [illegible] الفقر
الذي هو الحافرة فكان المعنى انه يطعم من الطوى [illegible] والعصبة [illegible]
والفقر وهذا [illegible] المعنى من الاول [illegible] ذلك [illegible]
في وصفه بالفقر وليس من المبالغة في الوصف بالفقر ان يكون [illegible]
قال الشريف المرتضى رضي الله عنه ومن [illegible] الطبع [illegible] قول الشاعر [illegible]
وقد [illegible] عبد القيس لولا مقام [illegible] المتكلم وكانه [illegible]
للمقادم وتقارب ذلك في المعنى قول محمد بن خالد سهل الفناء اذا حللت ببابه
طلق اليدين مؤدب الخدام واذا رأيت صديقه وشقيقه لم تدر ايهما ذوو الارحام
ومثله لابي الهندي نزلت على آل المهلب شاتيا غريبا عن الاوطان
في زمن محل فما زال بي اكرامهم وافتقادهم والطافهم حتى حسبتهم اهلي [illegible]

ولازال

ولازال ابن الغدعاء يمدح عقبة بن سنان الحارثي
الم ترني شكرت ابا سعيد بنعماه وقد كفر الموالي
ولم اكفر سوابغه اللواتي مطرن على واهيه العزال
فتى يك كافر النعماء يوما فاني شاكر اخرى الليالي
فتى لم تطلع الشعراء من افق ولم تغرب ليمين او شمال
على نديه ان عد مجد ومكرمة واتلاف لمال
واصبر في الحوادث ان الممت واسعى للمحامد والمعالي
فتى البرتيه بالعطايا فقد صار والرادّ في العيال
فاما قول جرير

لم القض في محبته زيد ادنيك فتى اذا اغضبته لم يغضب
موكل النفس بحفظ غيبه اقصى الرفيقين له كالاقرب

فانه لم يرد ان الضعيف السبب في المودة كالقوي السبب وانما اراد انه يرعى من غيب
الرفيق البعيد الغائب وحقه ما يرعاه من حال وحق الشاهد الحاضر وانه يستوي
عنده لكرمه وحسن حفاظه بعيد الدار وقريب منازله وهذا بخلاف ما عليه
اكثر الناس من مراعاة حق الشاهد القريب واهمال حق البعيد هذا اخر
مجالس املاء السيد الشريف المرتضى علم الهدى ذو المجدين ابو القاسم علي بن الحسين
الموسوي رضي الله عنه وغفر له ثم قد اشتغل بها بوراكح
والحمد لله رب العالمين

